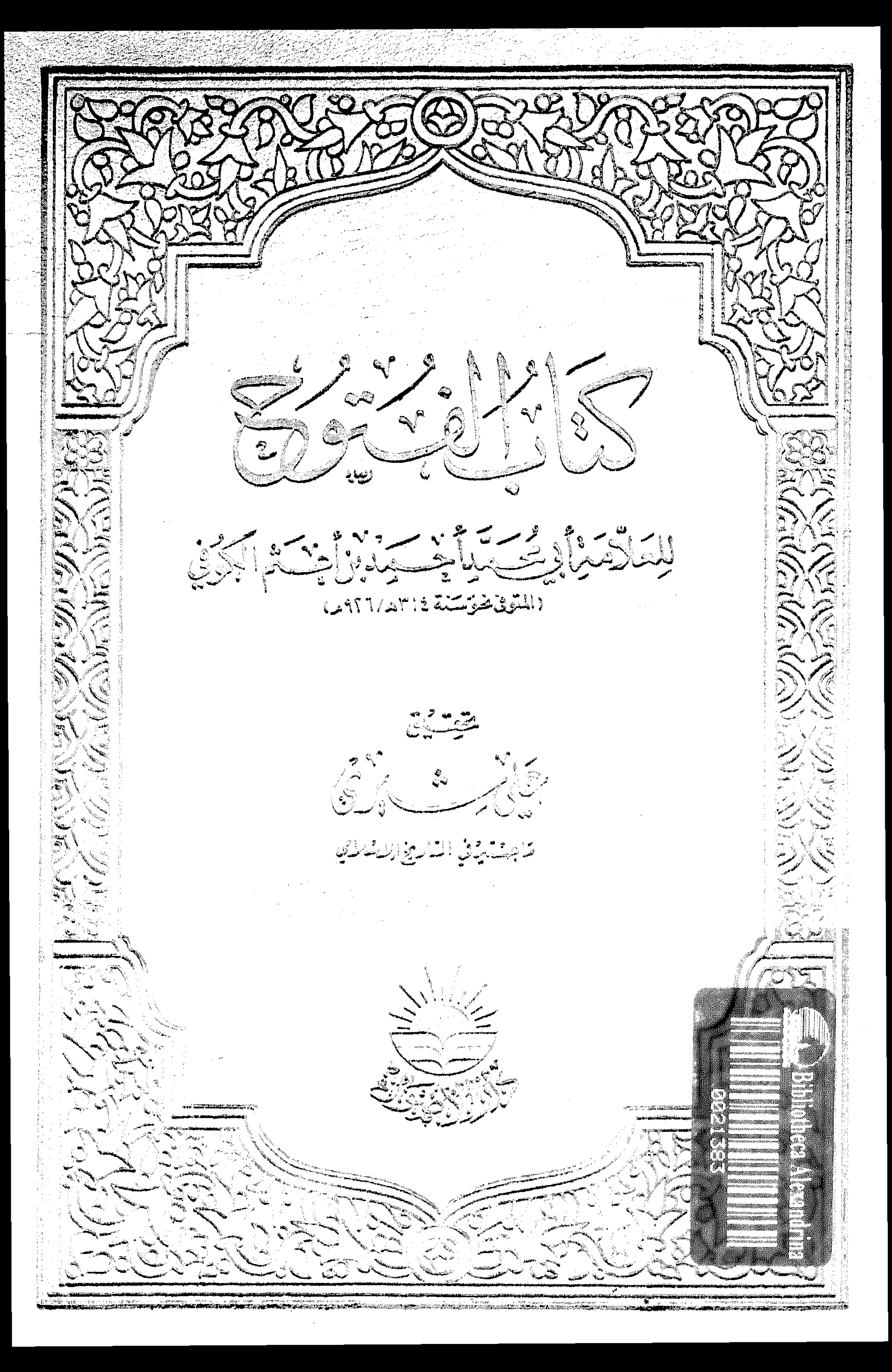


كتاب الفتوح

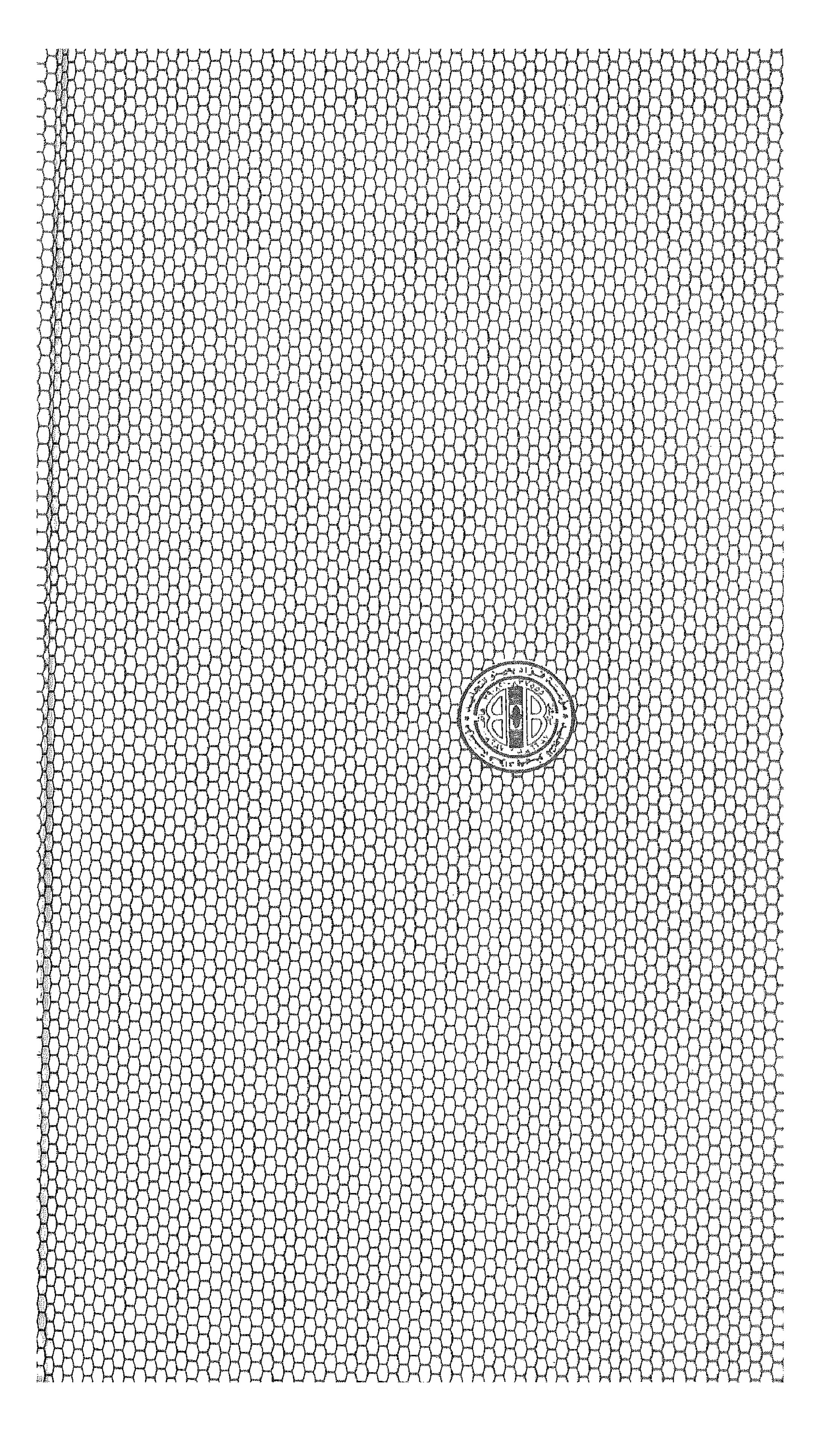
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي

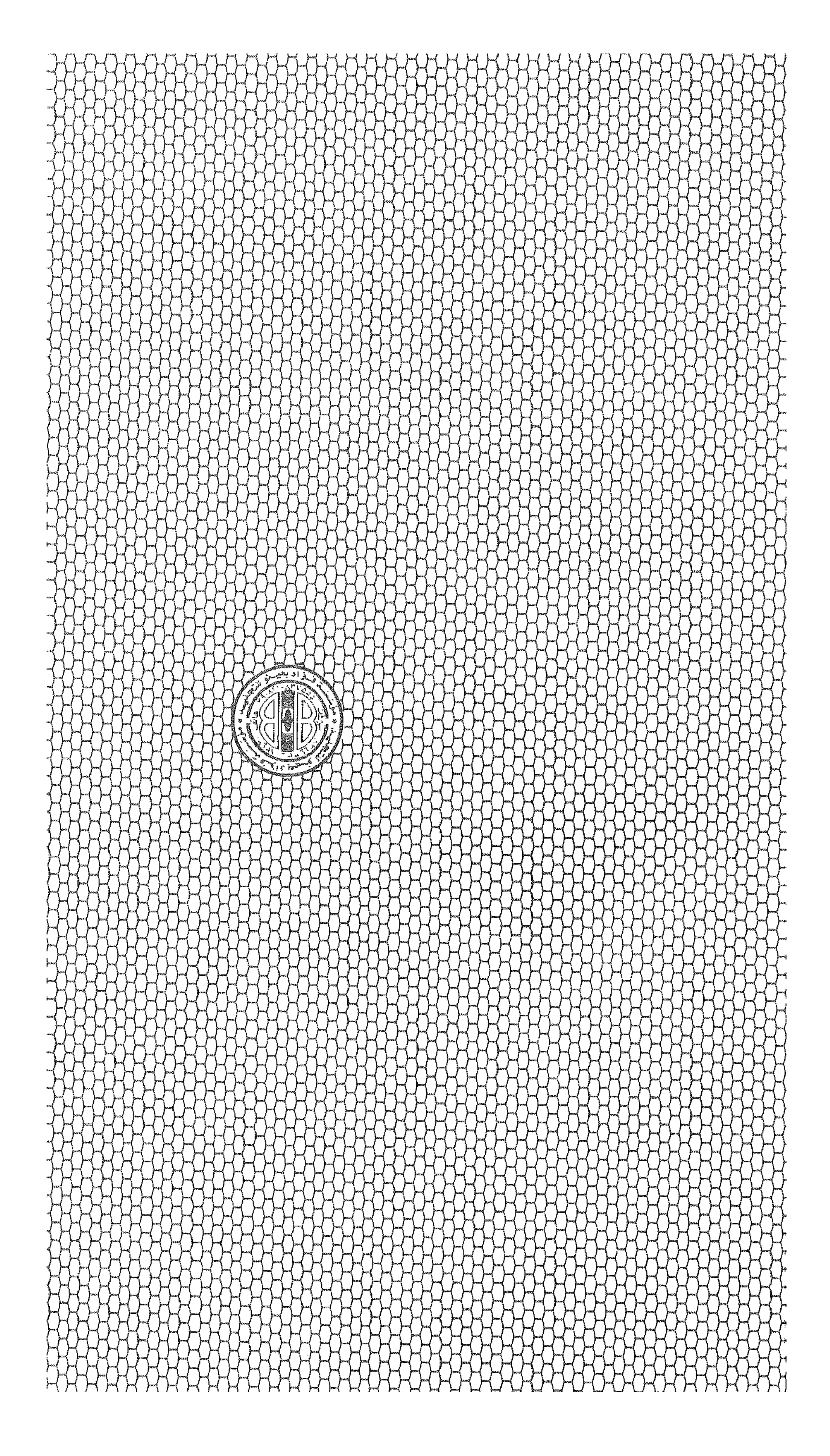
(المتوفى نحو سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م)

تحقيق

علي شيري

ماجستير في التاريخ الإسلامي





كتاب الفتوح

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار الأضواء

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ٢٥/٤٠ غبيري - أو ١١٣/٦٦٤١ الحمرا .
تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ صادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
(المتوفى نحو سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م)

تحقيق
علي شيري
ماجستير في التاريخ الإسلامي

الجزء الثالث




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين

قال : فدعا عليّ رضي الله عنه بشبث[1] بن ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان العبدي فقال لهما : انطلقا إلى معاوية فقولا له : إن خيلك قد حالت بيننا وبين الماء ، ولو كنا سبقناك لم نحل بينك وبينه ، فإن شئت فخلّ عن الماء حتى نستوي فيه نحن وأنت ، وإن شئت قاتلناك عليه حتى يكون لمن غلب وتركنا ما جئنا له من الحرب .

قال : فأقبل شبث[1] فقال : يا معاوية ! إنك لست بأحق من هذا الماء منا فخل عن الماء ، فإننا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا .

ثم تكلم صعصعة بن صوحان فقال : [2] يا معاوية ! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لك : إننا قد سرنا مسيرنا هذا وإني أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، فإنك قدّمت خيلك فقاتلتنا من قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف حتى نعذر إليك ونحتج عليك ، وهذه مرة أخرى قد فعلتموها ، حلتم بين الناس

---

(١) عن الطبري ٥/٢٤٠ وبالأصل « شبيب » خطأ .
ولم يرد ذكره فيمن أرسله علي إلى معاوية بل ذكر فقط صعصعة بن صوحان (الطبري ٥/٢٣٩ ابن الأثير ٢/٣٦٤ وقعة صفين ص ١٦١) وفي الإمامة والسياسة ١/١٢٥ أن علي أرسل الأشعث بن قيس لمناقشة معاوية في أمر منع الماء .

(٢) الطبري ٥/٢٣٩ ابن الأثير ٢/٣٦٤ الأخبار الطوال ص ١٦٨ .

والماء ، وأيم الله لنشربن منه شئت أم أبيت ! فامنن[1] إن قدرت عليه من قبل أن نغلب فيكون الغالب هو الشارب .

فقال لعمرو بن العاص : ما ترى أباعبدالله؟ فقال : أرى أن علياً لا يظمأ وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات دون أن يشرب منه ، وإنما جاء لغير الماء فخل عن الماء حتى يشرب ونشرب .

قال : فقال الوليد بن عقبة : يا معاوية ! إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوماً وحصروه ، فامنعهم إياه حتى يموتوا عطشاً واقتلهم قاتلهم الله أنى يؤفكون .

قال : ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فقال : لقد صدق الوليد في قوله : فامنعهم الماء ، منعهم الله إياه يوم القيامة[2] ! فقال صعصعة : إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفسقة الفجرة مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سماه الله في الكتاب فاسقاً[3] الوليد بن عقبة الذي صلى بالناس الغداة أربعاً وهو سكران ثم قال : أزيدكم ؟ ، فجلد الحد في الإسلام . قال : فثاروا إليه بالسيوف ، فقال معاوية : كفوا عنه فإنه رسول .

قال : ثم وثب السليل بن محرم[4] السكوني إلى معاوية وجعل يقول :

اسمع اليومَ ما يقول السليلُ ... إن قولي قولٌ له تأويلُ
إمنع الماء من صِحاب عليٍّ ... أن يذوقوه والذليل ذليل
واقتل القوم مثل ما قتلوا الشيـ ... ـخ ظَمأً والقصاص أمرٌ جميل
إنه والذي تساق له البد ... نُ هدايا لنحرهنّ نحول[5]

---

(١) العبارة في الطبري : فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ، وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له . وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا ؟

(٢) وثمة قول أن الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح لم يشهدا صفين (انظر ابن الأثير ٣٦٤/٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة (انظر تفسير القرطبي ١٤/١٠٥) .

(٤) وقعة صفين ص ١٦٢ « عمرو » وذكرت فيه الأبيات .

(٥) في وقعة صفين : فوحق ... هدايا لنحرها تأجيل .

لـو عـلـيّ وصـحـبـه وردوا الـمـا ء لـمـا ذقـتـمـوه حـتـى تـقـولـوا :
قـد رضـيـنـا بـمـا حـكـمـتـم عـلـيـنـا بـعـد ذاك الـرضـا خـراج ثـقـيـل[1]
فـامـنـع الـقـوم مـاءكـم لـيـس لـلـقـو م بـقـاء وإن يـكـن فـقـلـيـل

قال : فقال معاوية : الرأي والله ما تقول ! ولكن عمرو لا يدعني ورأيي .

قال : ثم أخذ معاوية عمامته عن رأسه مغضباً وقال : لا سقى الله معاوية ولا أباه من حوض محمد إن شرب عليّ أو أصحابه من ماء الفرات أبداً إلا أن يغلبوا عليه .

قال : فوثب رجل من أهل الشام يقال له المعراء بن الأقبل[2] بن الأهول فقال : ويحك يا معاوية ! والله لو سبقك علي إلى الماء فنزل عليه من قبلك إذاً لما منعك منه أبداً ! ولكن أخبرني عنك أنك إذ أنت منعته الماء من هذا الموضع ألا تعلم أنه يرحل من موضعه هذا وينزل على مشرعة[3] أخرى فيشرب منه ثم يحاربك على ما صنعت ؟ ألا تعلم[4] أن فيهم العبيد والإماء والضعيف ومن لا ذنب له ، هذا والله أول البغي والفجور ! والله لقد حملتَ من لا يريد قتالك على قتالك ويمنعك هذا الماء ، فإن شئت فاغضب وإن شئت فارض ، فإني لا أدع القول بالحق ، ساءك أم سرك ، ثم أنشأ يقول :

لـعـمـر أبـي مـعـاويـة بـن صـخـر ولـيـس لـرأيـه عـنـدي دواء[5]
سـوى طـعـنٍ يـحـار الـعـقـل فـيـه وضـرب حـيـن يـخـتـلـط الـرجـاء[6]
فـلـستُ بـتـابـع ديـن ابـن هـنـد طـوال الـدهـر مـا أوفـى حـراء
وقـد ذهـب الـعـتـاب فـلا عـتـاب وقـد ذهـب الـوفـاء فـلا وفـاء[7]
وقـولـي فـي حـوادث كـل أمـر عـلـى عـمـرو وصـاحـبـه الـعـفـاء

(١) وقعة صفين : جلاد ثقيل .
(٢) عن وقعة صفين ص ١٦٣ ، وبالأصل « المعل » دون نقط . قال : وكان ناسكاً ، وكان له لسان ، وكان صديقاً لعمرو بن العاص ومؤاخياً له .
(٣) وقعة صفين : فرضة .
(٤) هذا الكلام ـ من هنا ـ نسب في الإمامة والسياسة ١ / ١٢٥ إلى عمرو بن العاص .
(٥) وقعة صفين ص ١٦٤ : وعمرو ما لدائهما دواء .
(٦) وقعة صفين : الدماء .
(٧) وقعة صفين : الولاء فلا ولاء .

ألا لله درك يا بن هند ... لقد ذهب الحياء فلا حياء
أتحمون الفرات على رجالٍ ... وفي أيديهم الأسل الظماء
وفي الأعناق أسياف حداد ... كأن القوم عندكم نساء
أتطمع أن تفر أبو حسين[1] ... بلا ماء وللأحزاب ماء
دعاهم دعوة فأجاب قومٌ ... كجرب الإبل خالطها الهناء

قال : فأمر معاوية بقتل هذا الرجل ، فوثب قوم من بني عمه فاستوهبوه منه ، فوهبه لهم ؛ فلما كان الليل هرب إلى علي بن أبي طالب فصار معه .

قال : وانصرف أصحاب علي من عند معاوية بالخيبة ، فاغتم علي لما أصاب أصحابه من العطش[2] ؛ ثم إنه خرج ليلاً نحو رايات مذحج ، فإذا هو برجل يقول أبياتاً من الشعر من جوف خيمته[3] .

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا الرماح وفينا الحجف[4]
وفينا الشوارب مثل الوشيج ... وفينا السيوف وفينا الزغف[5]
وفينا عليٌّ له سَورة ... إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبير ... وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين ... وما بالنا اليوم شاء النجف[6]
فما للحجاز وما للعراق ... سوى اليوم يومٌ فشلوا الهدف[7]
ودبّوا إليهم كبرك الجمال ... دوين الذميل ودون القطف[8]

---

(١) وقعة صفين : فترجو أن يجاوركم علي .
(٢) وقد بقوا يوماً وليلة بغير ماء (وقعة صفين) .
(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ١٦٤ - ١٦٥ . وبعضها في مروج الذهب ٢/٤١٦ .
(٤) الحجف : جمع حجفة : وهي الترس من جلود الإبل يطارق بعضها بعضاً .
(٥) كذا بالأصل « الشوارب » والصواب « الشوازب » وهي الخيل الضامرة .
والوشيج : أراد به هنا الرماح . وقد شبه الخيل بالرماح لدقتها وضمرها . والزغف جمع زغفة وهي الدرع الواسعة الطويلة .
(٦) النجف : هو الحلب الجيد حتى ينفض الضرع (اللسان - وانظر خزانة البغدادي ١/٥٢٩) .
(٧) وقعة صفين : فصكوا الهدف .
(٨) وقعة صفين : كبزل الجمال . . . وفوق القطف .
والذميل والقطف : ضربان من السير .

فـإمـا تـحـلوا بـشـاطـي الـفـرات ... ومـنـا ومـنـهـم عـلـيـه النجـيـف
وإمـا تـمـوتـوا عـلـى طـاعـة ... تـحـلّ الجـنـان وتـحـبـو الـشـرف
وإلا فـأنـتـم عـبـيـد الـعـصـا ... تسـامـون ضيمـاً بـطول العنف[1]

قال : فحركت هذه الأبياتُ علياً رضي الله عنه ؛ ثم مضى نحو رايات كندة ، فإذا هو برجل قد وقف إلى جانب خيمة الأشعث بن قيس وهو يقول[2] :

لئن [لم][3] يجلّ الأشعث اليوم كـربة ... من المـوت فيهـا للنفـوس تفلتُ[4]
فنشـرب من مـاء الفـرات بـسيفـه ... فهبنـا أنـاسـاً قبل ذلـك موّتـوا[5]
فـإن أنت لم تجمـع لنا اليوم أمـرنـا ... وتلقى التي فـيهـا عـلـيـك التشتّت
فمن ذا الذي تُثْني[6] الخناصر باسمه ... سـواك ومـن هـذا إلـيـه الـتلفـت
وهـل مـن بقـاء بـعـد يـوم ولـيلة ... نـظل عـطاشـاً والـعـدو يـصـوّت
هـلّمـوا إلـى مـاء الـفـرات ودونـه ... صـدور العـوالي والصفيـح المشتّت
وأنـت امـرؤ مـن عـصـبـة يـمـنـيّـة ... وكـل امـرىء من غصنـه حين ينبت

قال : فرجع علي رضي الله عنه إلى رحله . وسمع الأشعث بن قيس هذه الأبيات فخرج من خيمته حتى أتى علياً . فقال : يا أمير المؤمنين ! أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا وسيوفنا في رقابنا ؟ خل عني وعن الناس ، فوالله لا رجعت عن الماء دون أن أرده أو أموت دونه ! قال : وتابعه الأشتر بمثل هذا الكلام ؛ فقال علي رضي الله عنه : ذلك إليكم فافعلوا ما أحببتم .

قال : فخرج الأشعث من عند علي رضي الله عنه وذلك في وقت السحر ، ثم نادى في الناس : ألا ! من كان يريد الموت فإن ميعادنا الصبح ، فإني ناهض إلى الماء إن شاء الله .

---

(١) وقعة صفين : وعبد العصا مستذل نطف .
(٢) في مروج الذهب ٤١٦/٢ وألقي في فسطاط الأشعث بن قيس رقعة فيها .
(وذكر بيتين) . والأبيات في وقعة صفين ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٣) زيادة عن مروج الذهب ووقعة صفين .
(٤) في وقعة صفين : تعنت .
(٥) في مروج الذهب ووقعة صفين : قبل كانوا فموتوا .
(٦) وقعة صفين : تثنى .

قال : فأجابه نيف عن عشرة آلاف[1] ، وأجاب الأشتر خلق كثير من بني عمه وبني مذحج . قال : وجعل الأشتر يصب عليه سلاحه وقد أضاء عمود الصبح وهو يرتجز ويقول[2] :

ميعادنا الآن بياض الصبحِ لن يصلح الزاد بغير ملحِ
لا لا ولا أمر بغير نصح دبّوا إلى القوم بطعن سمح
بين العوالي وضراب نفح[3] لا صلح للقوم وأين صلحي
حسبي من الإقدام قاب رمحي

قال : وجعل الأشتر يرتجز ويقول :

قل لابن هند أحسن الثباتا لا تذكرن ما مضى وفاتا
إني وربي خالق الأقواتا إلهنا وباعث الأمواتا
مليكنا وجامع الشتاتا من بعد ما كانوا بها رفاتا
لأوردنّ خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا[4]

قال : وأصبح الناس واضعي سيوفهم على عواتقهم ؛ وتقدم الحارث بن هشام[5] وهو يرتجز ويقول :

يا أشتر الخيرات يا خير النخع وصاحب الأمر[6] إذا عمّ الفزع
وكاشف الكرب إذ الأمر وقع إن تسقنا الماء فماذا بالبدع[7]
أو نعطش اليوم فخير منقطع فذاك إن شئت وإن شئت فدع

---

(١) في مروج الذهب ٢/٤١٧ أربعة آلاف وفي وقعة صفين ص ١٦٦ : اثنا عشر ألفاً .

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ونسبها إلى الأشعث ص ١٦٦ .

(٣) وقعة صفين : مثل الغزالي بطعان نفح .

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٩ والشطران الأخيران في مروج الذهب ٢/٤١٧ ونسبهما للأشعث بن قيس .

(٥) في وقعة صفين ص ١٧٢ الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني .
وفي مروج الذهب رجل من النخع وذكر الأرجاز .

(٦) في مروج الذهب ووقعة صفين : وصاحب النصر .

(٧) في مروج الذهب :

قد جزع القوم وعموا بالفزع إن تسقنا القوم فما هو بالبدع

وفي وقعة صفين :

قال : فدنا منه الأشتر فقبّل بين عينيه .

قال : وأقبل الأشعث بن قيس على صاحب رايته واسمه الحارث بن حجر الكندي فقال له : ابن حجر ! ، الله ما النخع بخير من كندة ولا الأشتر بخير مني ! فتقدَّم فداك أبي وأُمي بالراية ! قال : فتقدم صاحب راية الأشعث وهو يقول :

يا أشعث الخيرات يا بن قيس ... يا لابس التاج وليث الخيس
ما إن لنا مثلك ليس ليس ... والطعن بالله كأكل الحيس

فقال الأشعث : لله درك ودر أبيك ! إن أعش فلكَ عندي رضاك وإن أمت ذلك عقار من عقاري بحضرموت .

قال : وتقدم فتى من أصحاب علي رضي الله عنه وفي يده رمح له وهو يقول[1] :

أنعطش اليوم وفينا الأشعثُ ... والأشتر[2] الخير كليث يبعثُ
فصابروا فإنكم لم تلبثوا ... أو تشربوا الماء فثبوا وارفثوا
من لم يرده والرجال تلهث ... ففي ضلال وبوار يمكث

قال : وتقدّم رجل من همدان في كفّه سيف له مشهور وهو يرتجز ويقول[3] :

خلّوا لنا عن الفرات الجاري ... لكلّ قوم مستميت شاري
مطاعن برمحه كرار ... ضارب هامات العدى مغوار
بكل عَضْب ذكر نباري

وتقدم ظبيان[4] بن عمارة التميمي وهو يرتجز ويقول :

= وكاشف الأمر إذا الأمر وقع ... ما أنت في الحرب العوان بالجذع
قد جزع القوم وعموا بالجزع ... وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع
إن تسقنا الماء فما هي بالبدع

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨٠ ونسبها لمعاوية بن الحارث .

(٢) وقعة صفين : والأشعث .

(٣) الأرجاز في الطبري ٥/٢٤٠ ونسبها إلى عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي ، وانظر وقعة صفين ص ١٧٢ . وهي في المصدرين باختلاف ألفاظ ، وتقديم وتأخير شطر .

(٤) عن الطبري ٥/٢٤٠ وبالأصل « طينان » وقد صححت أيضاً في الأرجاز .

هل لك يا ظبيان من بقاء في فسحة الدنيا[1] بغير ماء
ألا ورب[2] الأرض والسماء فاضرب وجوه الرجس الأعداء
بالسيف عند حمس اللقاء[3] حتى يجيبوك إلى السواء

قال : وخشي أهل العراق أن يغلب أهل الشام على الماء فأمر الأشعث الرجالة ، فتقدم أكثر من أربعة آلاف رجل حتى بركوا خلف الأترسة والحجف ؛ وجعل الأشعث يقدم رمحه ويقول : بأبي أنتم وأمي يا أهل العراق ، تقدّموا ! فلم يزل يفعل ذلك هو والأشتر جميعاً وصاحوا بأصحاب معاوية : خلّوا عن الماء ! فقال أبو الأعور السلمي : هيهات والله حتى تأخذنا وإياكم السيوف ! فقال الأشعث : بلى والله ! أظن أنها قد دنت منا ومنكم .

قال : ونظر الأشتر إلى عمرو بن العاص واقفاً في أول القوم فصاح به : ويلك يا عمرو! لقد كنت أظن أن لك رأياً ، أتظن أننا نخليك والماء ؟ أي تربت يداك وثكلتك أمك ! أما علمت أننا أفاعي أهل العراق ؟ لقد رمت أمراً عظيماً ؛ فقال له عمرو : ستعلم يا أشتر أينا يوفي بالعهد ويتم على العقد . قال : فتبسم الأشتر وهو يقول :

ويلك يا بن العاصي تنحَّ في القواصي
واهربْ إلى الصياصي[4] من شدة المناص
فاليوم في العراص يؤخذ[5] بالنواصي
من حذر القصاص في الأدرع الدلاص

قال : وجعل عمرو يقول :

ويلك يا بن الحارث أنت العدو[6] الناكث
أنت الكذوب الحانث احمل[7] مال الوارث

(١) الطبري ووقعة صفين : في ساكن الأرض .
(٢) الطبري ووقعة صفين : لا ، وإله الأرض .
(٣) الطبري : الوغاء .
(٤) الصياصي : الحصون ، أو كل شيء يمتنع به .
(٥) وقعة صفين ص ١٧٠ : نأخذ .
(٦) وقعة صفين ص ١٧١ أنت الغرير .
(٧) وقعة صفين : أعد .

وفـي الـضـلال لابـث وفـي الـقـبـور مـاكـث

قال : فحمل عليه الأشتر ليضربه بسيفه ، فمر عمرو من بين يديه هارباً حتى اختلط بأهل الشام ، وصاح الأشعث بالرجالة والأشتر بالخيل ، واختلط القوم على شاطىء الفرات فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من أهل الشام جماعة كثيرة وغرق منهم في الفرات مثل ذلك ، وولوا الأدبار منهزمين ، وصار الماء في يد عليّ وأصحابه ؛ فأنشأ النجاشي يقول[1] :

كـشـف الأشـتـر عـنـا سكـرة[2] المـوت عيـانـا
بعـدمـا طـارت حصـانـا[3] طـيـرة مـسـت لـهـانـا
إذ حـمى الـقـوم حمـاهـم ثـم لـم يـحـم حـمـانـا
فـدعـا الأشـعـث قـومـاً مـن مـعـد ودعـانـا
فـمنحنـا الـقـوم في النقـ ـع ضـرابـاً وطـعـانـا
فـله الـمـنّ عـلـيـنـا وبـه دارت رحـانـا
لـبس الـتـاج غـلامـاً ثـم لـم يـثـن عـنـانـا
نـذرع الأرض بـريـح قـابـه كـان حـطـانـا
فـنهـضـنـا نـهـضـة البـا زي لـم نـبـغ سـوانـا
سـاعـة ثـم تـولـوا وحـمـى الأشـعـث مـانـا
وبـمـثـل الأشعـث الـيـو م لـك الـخـيـر كـفـانـا
عن هـوى الملك ابن قيس قـد حـمـانـا ورعـانـا

ثم أقبل عمرو بن العاص على معاوية فقال : ما تقول الآن إن منعك علي الماء كما منعته إياه ؟ فقال معاوية : دع عنك هذا ، ولكن مـا ظنك بهـذا عليّ ؟ فقال عمرو : ظني والله بعلي أنه لا يستحل منك مثل الذي استحللت منه ، لأنه إنما جاء لغير الماء ، وقد كنت أشرتُ عليك في بدء الأمر أن لا تمنعه الماء ، فخالفتني وقبلت من [ابن] أبي سرح فقلدت نفسك عاراً يحدث به إلى آخر الأبد ؛ ثم قال :

---

(١) في مروج الذهب ٤١٧/٢ وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق .

(٢) مروج الذهب : كربة .

(٣) مروج الذهب : طلاقاً .

أمرتك أمراً فسخته لرأي ابن أبي سرحة[1]
واغمضت في الرأي إغماضة ولم تر في الحرب كالفسحة
فكيف رأيت كباش العراق ألم ينطحوا جمعنا نطحة
أظن لها اليوم ما بعدها وميعاد ما بيننا صبحة
فإن ينطحونا غداً مثلها فقد قدّموا الخبط والنّطْحة[2]
وقد شرب القوم ماء الفرات وقلّدك الأشعث[3] الفضحة

قال : وأرسل عليّ إلى أصحابه أن خلوا بينهم وبين الماء ولا تمنعوهم إياه .

قال : فكان أصحاب علي رضي الله عنه وأصحاب معاوية يردون الماء بالقرب والأسقية يستقون ويسقون الخيل والإبل ، ما يؤذي أحد منهم أحداً .

قال : وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام ، ودخل معاوية إلى منزله فأخذ سهماً فكتب عليه : « من عبد الله الناصح ، أما بعد ! يا أهل العراق فإن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم ، فخذوا حذركم ـ والسلام » ثم رمى بالسهم إلى عسكر علي رضي الله عنه في جوف الليل ، فوقع في يد رجل من أهل الكوفة ، فقرأه ثم أقرأه الناس وجعل بعضهم يقول لبعض : هذا أخ لنا ناصح ! إذ كتب إلينا بما يريد أن يفعل معاوية .

قال : ووقع السهم إلى علي رضي الله عنه فقرأه ، ثم أقبل إلى أصحابه فقال : خط معاوية ، وليس هذا إلا مكر ومكيدة ، فلا يهولنكم ذلك .

ذكر الوقعة الثانية بصفين

قال : وبعث معاوية بمائتي رجل أو يزيدون إلى عاقول[4] من الفرات ومعهم[5]

---

(١) كذا بالأصل غير مستقيم الوزن ، وفي وقعة صفين ص ١٨٦ : وخالفني ابن أبي سرحه .

(٢) في وقعة صفين :

فإن ينطحونا غداً مثلها نكن كالزبيري أو طلحه
وإن أخروها لما بعدها فقد قدموا الخبط والنفحه

(٣) وقعة صفين : الأشتر .

(٤) عاقول النهر والوادي : ما اعوج منه .

(٥) في وقعة صفين ص ١٩١ : بأيديهم المرور والزُّبُل .

المعاول والمساحي وآلة الفعلة ، فجعلوا يحفرون بحيال عسكر علي خديعة ومكراً .

قال : ووقعت الضجة في عسكر علي رضي الله عنه ، فقال : ويحكم لا عليكم ، فإن هذا الذي ترون هو شيء لا يستقيم ، ولا يقوى عليه معاوية أبداً ولو أنفق جميع أموال الشام ، وإنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم ، فلا تكونوا ضعفاء القلوب والعقول ، ولا تغلبوني على رأي . قال : فضج أهل العراق وقالوا : والله لنرحلن ! فإن شئت فارحل وإن شئت فأقم .

قال : ثم ارتحل الناس عن آخرهم وصاروا ناحية في الفرات ؛ وارتحل علي رضي الله عنه في آخر الناس حتى نزل معهم وجعل يقول :

ولو أني أطِعتُ عصَبْتُ قومي ... إلى ركن اليمامة أو شآمِ
ولكني إذا أبرمتُ أمراً ... تخالفني أقاويل الطغامِ [1]

قال : فلما كان الليل دخل معاوية بعسكره حتى نزل في الموضع الذي كان علي وأصحابه فيه . قال : وأصبح أهل العراق فنظروا إلى عساكر معاوية في مكانهم ، فندموا على ما فعلوا ؛ قال : ثم دعا علي بالأشتر والأشعث بن قيس فقال : إنكما قد غلبتماني على رأيي فدونكما الآن هذا معاوية وأصحابه قد نزلوا على الماء كما كانوا ، ويوشك أن سيمنعوكم إياه كما منعوكم أول مرة . قال الأشعث : صدقت يا أمير المؤمنين ! وإني سأصلح [2] ما أفسدتُ . فقال الأشتر : وأنا والله معك ويدي في القوم قبل يدك .

قال : ثم صاح الأشعث في قومه وقال : يا معشر كندة ! انظروا أن لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني فإني أقارع بكم أهل الشام . قال : فأجابوا سراعاً وخرجوا يمشون في الدروع والمغافر وفي أيديهم الرماح والسيوف والحجف .

قال : ونادى الأشتر في أصحابه ، فأجابوه كذلك بالسلاح لم يبن منهم إلا الحدق ؛ وجعل الأشتر يرتجز ويقول :

آليت لا أرجع حتى أضربا ... بسيفي المصقول ضَرباً مُعجبا

---

(١) في وقعة صفين : منيت بخلف آراء الطغام .

(٢) وقعة صفين ص ١٩١ سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك .

أنـا ابـنُ خيـر مـذحـج مـركـبـا وخـيـرهـم نـفـسـاً وأمّـاً وأبـا[1]

قال : فشد عليه رجل من أهل الشام يقال له فيروز بن صالح العكي وهو يرتجز ويقول :

يا صاحب الطرْف الحصان الأدهم أقـدم إذا شئـت إلـيـنـا[2] أقـدم
أنـا ابـن ذي الـعـز وذي الـتـكـرّم سيـد عـكّ كـل اليـهم فـاعـلم[3]

قال : فحمل عليه الأشتر فطعنه طعنة في خاصرته فأنفذها ؛ ثم صاح : يا أهل الشام ! هل من مبارز ؟ فخرج إليه مالك بن الأدهم [السلماني] وكان من فرسان الشام ، فجعل يرتجز ويقول :

هـل لـك يـا أشـتـر في بـرازي بـراز ذي غـشـم وذي اعـتـزاز
كـأنـه حـيـة ذي ابـتـزاز مـقـارع لـقـرنـه لـزاز[4]

قال : فقصده الأشتر وهو يقول[5] :

نـعـم نـعـم اطـلـبـه شـهـيـدا معي حـسـام يـقـصـم الـحـديـدا
يـتـرك هـامـات الـعـدى حـصـيـدا بـه أريـع فـي الـوغـا الـجـنـودا

ثم حمل عليه الأشتر فقتله ، ثم صاح : يا أهل الشام من يبارز ؟ فخرج إليه زياد بن عبيد الكناني وهو يرتجز ويقول :

رويـد لا تـجـزع مـن جـلادِ جـلاد قـوم[6] جـامـع الـفـؤاد
يـجـيـب في الـروع دعـا الـمـنـادي يـشـدّ بـالسيـف عـلى الأعـادي[7]

قال : فبرز إليه الأشتر وهو يقول :

---

(١) وقعة صفين ص ١٧٤ .

(٢) وقعة صفين ص ١٧٤ : علينا .

(٣) كذا غير مستقيم ، وفي وقعة صفين : سيد عكٍّ كل عكٍّ فاعلم .

(٤) اللزاز الشديد الخصومة ، ويقال أيضاً لزه لزاً : طعنه .
والأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٦ ونسبها إلى إبراهيم بن الوضاح وقد ذكر لمالك بن أدهم السلماني أرجازاً أخرى انظر فيه ص ١٧٥ .

(٥) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٧٦ ارتجزها الأشتر لما خرج لمبارزة إبراهيم بن الوضاح .

(٦) في وقعة صفين ص ١٧٥ جلاد شخص .

(٧) نسبت الأرجاز إلى الأشتر في وقعة صفين .

بُليتَ بالأشتر ذاك المذحجي   بفارس في حلق مدجّج
كالليث ليث الغابة المهيّج   إذا دعاه القرن لم يعرّج

ثم شد عليه الأشتر فقتله ؛ ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه زامل بن عبيد الحرامي [1] وهو يقول :

يا صاحب السيف الخضيب المضرب [2]   هل لك في طعن غلام مجرب [3]
يحمل رمحاً مستقيم الثعلب   ليس بحيّاد ولا مغلّب

قال : فلم يكذب الأشتر أن حمل عليه ولم يجبه بشيء ، فلما طعنه برمحه التوى الشامي على الرمح ، فانفلت من طعنة الأشتر . قال : فجال الأشتر على فرسه وجعل يرتجز ويقول [4] :

خانك رمح لم يكن خوّانا   قد كان قدماً يقتل الفرسانا
ويهلك الأبطال والأقرانا   ويحرم الكهول والشيبانا

ثم شد عليه فطعنه طعنة قتله ؛ ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه مالك بن روضة الحميري وهو يقول شعراً [5] . قال : فقصده الأشتر وهو يقول :

لابد من قتلي أو من قتلك   قتلت منكم خمسة من قبلك
كلهم كانوا حماة مثلك

ثم شد عليه الأشتر فقتله . فاشتبكت الحرب بين القوم ، وتقدم شرحبيل بن السمط وهو يرتجز ويقول :

إني أنا الشرح وابن السمط   مبيّن الفعل بهذا الشطّ
بالطعن في الدروع الخطّ   جمعتُ قومي باشتراط الشرط

---

(١) في وقعة صفين ص ١٧٦ « زامل بن عتيك الحزامي » وفي صفحة ١٧٤ «زامل بن عبيد الحزامي».
(٢) وقعة صفين : المرسب .
(٣) وقعة صفين : محرب يعني الشديد الحرب الشجاع .
(٤) ارتجزها الأشتر لما خرج لمبارزة مالك بن أدهم . (وقعة صفين) .
(٥) في وقعة صفين : محمد بن روضة الجمحي . وذكر أرجازه : (ص ١٧٨) :

يا ساكني الكوفة يا أهل الفتن   يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
ورث صدري قتله طول الحزن   أضربكم ولا أرى أبا حسن

لابن هند وأنا الموطى جند يمانٍ ليس هم بخلط[١]

قال : فخرج إليه الأشعث وهو يقول شعراً ؛ ثم حمل عليه الأشعث وطعنه طعنة كفأه عن فرسه ، فأفلت وهو لما به . قال : فعيّره أبو الأعور السلمي وقال : يا شرحبيل ! طعنك الأشعث بن قيس ! فقال : نعم والله يا أبا الأعور ! طعنني الأشعث وهو سيد في قومه وأنا سيد في قومي ، فإن كنت صادقاً فاخرج إليه وانتصب له لترى ما ينزل بك من صولته . قال : فخرج أبو الأعور وجعل يرتجز ويقول :

أنا أبو الأعور واسمي عمرو احمي حماي[٢] والمحامي حُرّ
ولا أبالي ....[٣] سيف حسام وطعاني مرّ

قال : فبدر إليه الأشعث وهو يقول :

إني أنا الأشعث وابن قيس فارس هيجاء قبيل دوس
لست بشكاك ولا مملوس[٤] كندة رمحي وسكون قوسي[٥]

ثم حمل عليه الأشعث فطعنه طعنة كادت أن تأتي على نفسه ، فولى عنه أبو الأعور جريحاً .

قال : ثم خرج حوشب ذو الظليم[٦] وذو الكلاع فخرجا على فرسين لهما ، وجعل حوشب يرتجز ويقول :

يا أيها الفارس ادن لا ترع أنا أبو مر وهذا ذو كلعْ[٧]
مسود بالشام ما شاء صنع أبلغ عني أشتراً أخا النخع
والأشعث الغيث إذا الماء منع[٨] قد كثر الغدر لديكم لو نفع

---

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨١ بتقديم وتأخير فيها .
(٢) وقعة صفين ص ١٨١ : ذماري .
(٣) موضع النقاط مطموس ، والشطر سقط من وقعة صفين .
(٤) كذا بالأصل ولا معنى لها ، ولعلها « ممسوس » الذي به مس من الجنون .
(٥) وقعة صفين ص ١٨٢ : وعلي قوسي .
(٦) وهو حوشب بن طخمة .
(٧) ذو كلع : أي ذو الكلاع .
(٨) وقعة صفين ص ١٨٢ : امتنع .

قال : فخرج الأشعث والأشتر جميعاً نحو حوشب وذي الكلاع ، وجعل الأشعث يرتجز ويقول :

أبلغ عنا حوشبا وذا الكلع ... فحوشب المذلول داراه الطمع
وذو الكلاع قومه أهل البدع ... قوم جفاة لا حيا ولا ورع
يقودهم ذاك الشقي المبتدع ... إني إذا قرن لقرن يصطنع[1]
وأبرقوها في عجاج قد سطع ... أحمي ذماري منهم إذا امتنع

قال : ثم تقدم الأشتر أيضاً وهو يقول شعراً على قافيته[2] ؛ ثم حمل الأشعث والأشتر جميعاً على حوشب وذي الكلاع ، فتطاعنوا ساعة وافترقوا . وصاح أهل الحجاز وأهل العراق بعضهم لبعض ، ثم حملوا على أهل الشام ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . قال : وجعل أهل الشام ينادون أهل العراق : يا هؤلاء ! انظرونا سواد هذه الليلة فإننا راجعون إلى معسكرنا الذي كنا فيه ؛ فصاح الأشعث بن قيس وأصحابه فقالوا : والله لا نبيت إلا في معسكركم . قالوا : فإذاً نرحل فلا تعجلونا .

قال : ثم رحل القوم إلى معسكرهم فنزلوه كما كانوا . وأقبل الأشعث إلى علي رضي الله عنه فقال : أرضيت [يا] أمير المؤمنين ؟ قال علي رضي الله عنه : [رضيت] ، ثم أقبل عليه وعلى الأشتر فقال : أنتما كما قال الشاعر :

وإن لنا شيخاً إذا الحرب شمرت ... بديهته الاقدام قبل التوقف

قال : فقال الأشعث : يا أمير المؤمنين ! إنه قد غلب الله عزَّ وجلّ لك على الماء مرة وهذه ثانية ، وقد علمت ما كان من غدر معاوية ، وإن شئت منعناهم الماء ؟ فقال علي رضي الله عنه : إن الخطب أعظم من منعهم الماء ، فلا تمنعوهم الماء ولا تكافوهم بصنيعهم .

قال ثم دعا علي رضي الله عنه سعيد بن قيس الهمداني وبشير بن عمرو

---

(١) وقعة صفين ص ١٨٢ : يختضع .

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٨٢ - ١٨٣ ومنها :

يا حوشب الجلف ويا شيخ كلع ... أيكما أراد أشهر النخع
ها أناذا وقد يهولك الفزع ... في حومة وسط قرار قد شرع
ثم تلاقي بطلاً غير جزع ... سائل بنا طلحة وأصحاب البدع

الأنصاري[1] فقال لهم : انطلقوا إلى معاوية فادعوه إلى الله عزَّ وجلّ وإلى الطاعة والجماعة واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه وعلى ماذا قد عزم .

قال : فأقبلوا حتى دخلوا على معاوية ، فتقدم بشير بن عمرو ، فقال : يا معاوية ! إن الدنيا غدارة غرارة سفيهة جائرة وعنك زائلة ، وإنك راجع إلى الله عزَّ وجلّ فمحاسبك على عملك ومجازيك بما قدمت يداك[2] ؛ قال : فقطع معاوية عليه الكلام ثم قال : فهلا بهذا أوصيتَ صاحبك ؟ فقال الأنصاري : يا سبحان الله العظيم ! إن صاحبي ليس مثلك ، إنه أحق بهذا الأمر منك للفضل في الدين والسابقة في الإسلام والقرابة من الرسول ﷺ ؛ فقال معاوية : فيقول ماذا ؟ قال : إني آمرك بتقوى الله وإجابة الحق والدخول فيما دخلت فيه المهاجرون والأنصار والتابعون ، فإن ذلك أسلم لك في دنياك وآخرتك ؛ فقال معاوية : ونطل دم عثمان ! لا والله لا كان ذلك أبداً[3] ، وما لكم ولا لصاحبكم عندي إلا السيف ! فاخرجوا عني .

قال : فوثبوا قائمين ، والتفت إليه سعيد فقال : والله يابن هند ! لتغلبن سيوف صاحبنا ما تود أن أمك هند لم تلدك ولم تكن في العالمين ! فقال معاوية : يد الله فوق يدك .

قال : وأقبلوا إلى علي رضي الله عنه يخبروه بذلك ؛ فدعا علي بشبث[4] بن ربعي الرياحي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وزياد بن خصفة[5] التميمي وعدي بن حاتم الطائي ، فأرسلهم إلى معاوية وقال لهم أعذروا إليه وأنذروه قبل الإقدام على الحرب .

قال : فجاء القوم حتى دخلوا على معاوية ، وتقدم عدي بن حاتم فقال : يا معاوية ! إننا قد أتيناك ندعوك إلى أمر الله ، يجمع الله [به] كلمتنا ويحقن دماء

---

(١) في الطبري ٢٤٢/٥ ووقعة صفين ص ١٨٧ : « بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري » وزيد فيهما ثالث هو شبث بن ربعي التميمي .

(٢) زيد في الطبري وابن الأثير : وإني أنشدك الله عزَّ وجلّ أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها .

(٣) انظر في الطبري مقالة شبث بن ربعي ـ وقد سقطت من الأصل ـ ٢٤٣/٥ .

(٤) بالأصل « شبيب » خطأ .

(٥) عن الطبري ٢٤٣/٥ وبالأصل : حفصة تحريف .

المسلمين ، وندعوك إلى أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام أثراً ، وقد اجتمع الناس إليه ، وأرشدهم الله تعالى بالذي رأوا ، [(1)]فاتق الله يا معاوية وانته[(1)] عما قد أزمعت عليه من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بما أصاب به أنصار الجمل ؛ فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ، كلا والله يا عدي ! إني لابن صخر بن حرب ما يُقَعْقِعُ لي بالشنان[(2)] ، أما إنك من المجلبين على عثمان وأنا أرجو [أن تكون][(3)] ممن يقتله الله ! قال : فأراد عدي إجابته فسبقه شبث[(4)] بن ربعي فقال : يا معاوية ! لقد أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فصرت تضرب لنا الأمثال التي لا ينتفع بها أحد .

قال : ثم تكلم يزيد بن قيس فقال[(5)] : يا معاوية ! إننا لم نأتك إلا لنبلغ ما بعثنا به ونؤدي عنك ما نسمعه منك ، وإن صاحبنا هو من قد عرفته وعرفه المسلمون ، وإننا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ولا أهدى في الدين ولا أجمع خصال الخير كلها منه .

قال معاوية : إنكم قد دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فنعما هي ! وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها واجبة علينا ، لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وهو يزعم أنه لم يقتل ولم يأمر ، ونحن لا نرد ذلك عليه غير أن قتلة صاحبنا عنده ، فليدفعهم إلينا لنفديهم[(6)] بصاحبنا ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

قال شبث[(4)] : لو مكنت من عمار بن ياسر هل كنت قاتله ؟ فقال معاوية : وما يمنعني من قتله ؟ والله ! لو قدرت على ابن سمية لما قتلته بعثمان ولكني كنت أقتله بناتل مولى عثمان بن عفان ؛ فقال شبث[(4)] بن ربعي : إذا والله ما عدلت يا معاوية ! ووالله لا تصل إلى قتل عمار أو ترى الهامات وقد ندرت عن الكواهل وتضيق عليك

(1 - 1) العبارة في الطبري ٦/٣ فلم يبق أحد غيرك وغير من معك فانته يا معاوية .

(2) الشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق . وهم يحركون القربة البالية إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع وتسرع (الميداني ١٩١/٢) .

(3) عن الطبري .

(4) بالأصل : شبيب خطأ .

(5) انظر مقالته في الطبري ٦/٣ .

(6) الطبري : فلنقتلهم به .

أرض الفضاء برحبها[1] .

قال : ثم خرج القوم من عند معاوية فصاروا إلى علي رضي الله عنه ، فأخبروه بالذي كان بينهم وبين معاوية من الكلام .

قال : وإذا حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد[2] قد أقبلوا حتى دخلوا على علي رضي الله عنه ، فسلموا وجلسوا ؛ ثم تكلم حبيب بن مسلمة فقال : أما بعد ! فإن عثمان بن عفان كان خليفة يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ وينتهي إلى أمر الله ، فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعَدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان حتى نقتلهم به ، فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل الناس واجلس في منزلك حتى يكون هذا الأمر شورى بين الناس ، يوليهم أمرهم من أجمع عليه رأيهم .

فقال له علي رضي الله عنه : وما أنت ـ لا أُم لك ـ والكلام[3] في أمور الناس ، قم يا عدو نفسك ! فلست هناك ولا بأهل للكلام ؛ فقال حبيب : والله إنك لتراني بحيث تكره ؛ فقال علي رضي الله عنه : ولو أجلبت بخيلك ورجلك ، اذهب فلا أبقى الله عليك إن أبقيت .

فقال شرحبيل : إني إن كلمتك فخفت أن يكون جوابك لي جواب صاحبي ؛ فقال له علي : اسمع حتى أكلمك يا شرحبيل ! فوالله لقد بايعني الناس وأنا كاره لهذا الأمر ،غير أن الأُمة اختلفت وكرهتُ الفرقة بين أهل الإسلام فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق من شاققني بالبصرة وخلاف معاوية ، رجل لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلفاً صالحاً في الإسلام ، طليق ابن طليق حزب الله وحزب رسوله محمد ﷺ ولم يزل لله ولرسوله وللمؤمنين عدواً هو وأبوه من قبله ، ثم دخلا في الإسلام كارهين ؛ فعجباً لكم[4] يا أهل الشام وانقيادكم له ، وتتركون آل نبيكم الذين لا يسعكم شقاقهم

---

(١) وبعد ذلك دعا معاوية بزياد بن خصفة وخلا به وسأله الانصراف إليه ونصره ، ووعده أن يوليه أي المصرين شاء فرفض (الطبري ٦/٣) .

(٢) هو معن بن يزيد بن الأخنس السلمي .

(٣) في الطبري ٦/٤ : والعزل وهذا الأمر . وفي وقعة صفين ص ٢٠٠ والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر .

(٤) الطبري ٦/٤ : فلا غرو إلا خلافكم معه .

ولا فراقهم ولا خلافهم وأن لا تعدلوا بهم أحداً من الأئمة . قال : فقال له شرحبيل : أفتشهد أن عثمان قُتل مظلوماً ؟ فقال له علي : إنه لا يخلو عثمان ظالماً أو مظلوماً .

ثم وثب القوم ، فقال علي : فاسمعوا عني حتى أخبركم عن عثمان ، فقال حبيب بن مسلمة : لسنا نحب أن نسمع منك شيئاً ، فقال علي رضي الله عنه : ﴿ فإنك لا تُسمع الموتىٰ ولا تسمع الصم الدعاء وإذا ولوا مدبرين * وما أنت بهٰد العمي عن ضٰلٰلتهم إن تسمع إلا من يؤمن بٰايٰتنا فهم مسلمون * ﴾[1] .

قال : فخرج القوم من عند علي ، فأقبل على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أولى بالحد في ضلالتهم منكم في حقكم وطاعة ربكم[2] .

قال : فلما كان من الغد إذا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب قد خرج في خيل عظيمة يريد الحرب ، فأخرج علي بن أبي طالب محمد بن أبي بكر في خيل مثلها ، فاقتتلوا يومهم ذلك قتالاً شديداً ، وانصرف الفريقان عن قتلاء وجرحى . فلما كان من الغد خرج شرحبيل بن السمط في خيل عظيمة ، فأخرج إليه علي رضي الله عنه الأشتر في خيل مثلها ، فاقتتلوا وانصرفوا عن قتلاء وجرحى . فلما كان من الغد خرج عمرو بن العاص في خيل عظيمة ، فأخرج إليه علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس في خيل مثلها ، فانصرفوا عن قتلى وجرحى .

قال : فلم يزل القوم على ذلك إلى أن بقي من شهر المحرم سبعة أيام أو ثمانية ؛ قال : وجعل معاوية وعمرو بن العاص يعبئان الكتائب ويحرضان أهل الشام على حرب علي وأصحابه ؛ فأنشأ حابس بن سعد الطائي في ذلك يقول[3] :

أما بين المنايا غيرُ سَبع … بقين من المحرم أو ثمانِ
هناك دماؤنا حل حلال … لأهل الكوفة السود اليماني
ألم يعجبك أنا قد هجمنا[4] … عن أهل الكوفة[5] الموت العيان

---

(1) سورة الروم : ٥٢ ـ ٥٣ .

(2) كذا بالأصل والطبري ، وفي وقعة صفين ص ٢٠٢ : وطاعة إمامكم .

(3) الأبيات في الأخبار الطوال ص ١٧١ والأول في مروج الذهب ٤١٨/٢ وانظر وقعة صفين ص ٢٠٢ .

(4) كذا بالأصل والأخبار الطوال ، وفي وقعة صفين : كففنا .

(5) كذا بالأصل ووقعة صفين ، وفي الأخبار الطوال : « وإياهم على » .

أيـنـهـانـا كـتـابُ الله عـنـهـم ولا يـنهـاهـم السبـع المثـانـي[1]
وبـالـشـام الـحـمـاة وكـل قـرم صـدوق بـالـضـراب وبـالـطعـان

قـال : فلما انقضى شهـر المحرم وأهـلّ هلال صفـر ، بعث علي رجلاً من أصحابه يقال له مرثد[2] بن الحارث ، حتى وقف قريباً من عسكر معاوية ، ثم نادى بأعلى صوته عندغروب الشمس: يا أهل الشام ! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لكم : إنا قد كففنا عنكم في هذا الشهر الحرام فلم تكفوا عنا ، ووالله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم ولا جبناً عنكم ، وإنما كففنا لخروج هذا الشهر المحرم لترجعوا إلى الحق ، واحتججنـا عليكم بكتاب الله عـزّ وجلّ ودعـونـاكـم ، فلم تنتهـوا عن الطغيان ، والظلم والعدوان ، والكذب والبهتان ، ولم تجيبوا إلى حق ولا برهان ، فإنا قد أنذرناكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

قال : فعلم أهل الشام أن علياً يحاربهم وأنه إنما كان ينتظر انسلاخ الشهر ، ففزعوا إلى معاوية ، وذلك في أول يوم من شهر صفر ؛ وعبى [معاوية] أصحابه ، فكان[3] على ميمنته ذو الكلاع الحميري ، وعلى رجالتها حوشب ذو الظليم ، وعلى خيل ميسرته حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالتها بسر بن [أبي] أرطاة ، وعلى خيل القلب عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، وعلى رجالتهـا الضحاك بن قيس ، وعلى خيل الجناح عبد الله بن جعدة الفزاري وعلى رجالتها همام بن قبيصة النميري ، وعلى خيل الكمين أبو الأعور السلمي ، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائي .

قال : وعبى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصحابه[4] ، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين سبطا النبي ﷺ ، وعلى رجالتها عبد الله بن جعفر بن أبي طـالب ومسلم بن عقيل بن أبي طـالب ، وعلى خيل الميسـرة محمد ابن الحنفيـة

---

(١) كذا بالأصل ووقعة صفين ، وفي الأخبار الطوال : «آي القرآن». والسبع المثاني: السور الطوال من البقرة إلى التوبة على أن تحسب التوبة والأنفال سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بينهما في المصحف بالبسملة .

(٢) عن الطبري ٦/٥ وبالأصل « مزيد » .

(٣) انظر في تعبئة معاوية أصحابه الطبري ٦/٦ ووقعة صفين ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ والأخبار الطوال ص ١٧٢ باختلاف عن الأصل .

(٤) الطبري ٦/٦ الأخبار الطوال ص ١٧١ ـ ١٧٢ وقعة صفين ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

ومحمد بن أبي بكر ، وعلى رجالتها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وأخوه[1] عمر بن عتبة ، وعلى خيل القلب عبد الله بن عباس والعباس بن ربيعة بن الحارث ، وعلى رجالتها مالك بن الحارث الأشتر والأشعث بن قيس ؛ وعلى خيل الجناح سعيد بن قيس وعبد الله بن بديل[2] بن ورقاء الخزاعي ، وعلى رجالتها رفاعة بن شداد العجلي وعدي بن حاتم الطائي ، وعلى خيل الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعلى رجالتها عامر بن واثلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي .

قال : ثم جعل علي رضي الله عنه على كل قبيلة من قبائل ربيعة ومضر واليمن رجلاً من رؤسائهم يقتدون برأيه وينتهون إلى أمره ، ودنا القوم بعضهم من بعض ؛ وتقدم رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يقال له الجدل بن عبد الله المذحجي وكان من الأبطال المعدودين ، وهو الذي يقول فيه الأشتر حيث يقول :

وإنا إذا ما احتسبنا الوغى ... أدرنا الرحى بصنوف الجدل[3]
وضرباً يفلق هاماتهم[4] ... وطعناً لهم بالقنا والأسل
عرانين من مذحج وسطها ... يخوضون اغمارها بالهبل
ووائل تسعى بنسراتها[5] ... ينادونهم أمرنا قد كمل
أبا حسن فارم خيشومها ... بكل همام وحام بطل[6]
على الحق فينا له منهج ... على واضح القصد لا بالميل

قال : فحمل الجدل على صفوف أهل الشام ، فلم يزل يضارب ويطاعن حتى أثر فيهم أثراً حسناً ؛ ورجع حتى وقف في موضعه .

قال : وتقدم رجل من أصحاب معاوية يقال له عوف بن عوف وهو يرتجز ويقول شعراً[7] ؛ قال : فخرج إليه علقمة بن قيس[8] من أصحاب علي مجيباً له على

---

(١) كذا بالأصل ، وفي وقعة صفين هاشم وابنه . ولعله الصواب إذ ليس في أولاد عتبة من اسمه عمر .

(٢) بالأصل : يزيد خطأ .

(٣) كذا ، والجدل جمع جدلاء أي الدروع المجدولة ولا وجه لها هنا ، لعل الصواب « الحدل » بالحاء المهملة . جمع حدلاء وهي القوس التي حدرت إحدى سيتيها ورفعت الأخرى .

(٤) في وقعة صفين ص ١٩٤ : وضرباً لهاماتهم بالسيوف .

(٥) وقعة صفين : ووائل تُسعر نيرانها .

(٦) وقعة صفين : صوت خيشومها بأسيافه كل حام بطل .

(٧) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٩٤ :

شعره[1] ؛ قال : ثم حمل عليه علقمة بن قيس فطعنه في لبته طعنة فسقط الشامي قتيلاً ، وأنشأ علقمة في ذلك يرتجز يقول :

يا عوف لو كنت امرءاً حازماً ... لم تبرز الدهر إلى علقمة
لاقيت ليثاً أسداً باسلاً ... يأخذ بالأنفاس والغلصمة
لاقيته قرناً له سطوة ... يفترس الأقران في الملحمة
ماكان في نصر امرىء ظالم ... ما يدرك الحنة والمرحمة
ما لابن هند حرمة يرتجى ... بها[2] ثواب الله بل مندمة
لاقيت من قيس[3] غداة الوغى ... من أدرك الأبطال يا بن الأمة
ضيّعت حق الله في نصرة ... للظالم المعروف بالمظلمة
إن أبا سفيان من قبله ... لم يك مثل العصبة المسلمة
لكنه نافق في دينه ... من خشية القتل على المرغمة
وابنه نافق من بعده ... وزخرف الباطل بالترجمة
سوف ...... [4] من ضروب لنا ... بين أنّ في الوغى المضرمة

قال : دعا عمرو بن العاص بابنه عبد الله فقال : يا عبد الله ! خذ هذه الراية وتقدم بين يديّ ! فقال عبد الله : ما أفعل ، فإنك تقدمني إلى حرب رجل ما كفر بالله ساعة قط ؛ قال : فغضب عمرو ثم قال : والله لتأخذنها أو لأضربن بهذا السيف

= إني أنا ابن عوف أخو الحروب ... عند هياج الحرب والكروب
صاحب لا الوقاف والهيوب ... عند اشتعال الحرب باللهيب
ولست بالناجي من الخطوب ... ومن رديني مارن الكعوب
إذ جئت تبغي نصرة الكذوب ... ولست بالعف ولا النجيب

(٨) في وقعة صفين ص ١٩٤ علقمة بن عمرو .

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ١٩٤ :

يا عجباً للعجب العجيب ... قد كنت يا عوف أخا الحروب
وليس فيها لك من نصيب ... إنك ، فاعلم ، ظاهر العيوب
في طاعة كطاعة الصليب ... في يوم بدر عصبة القليب
فدونك الطعنة في المنخوب ... قلبك ذو كفر من القلوب

(٢) وقعة صفين ص ١٩٥ : ما لابن صخر حرمة ترتجي لها .

(٣) وقعة صفين : لاقيت ما لاقى .

(٤) موضع النقاط مطموس في الأصل .

قرطفك ؛ فقال عبد الله : والله لـولا أن رسول الله ﷺ قـال لي : أطع أبـاك يا أبـا عبد الله ، لما أطعتك في هذا الأمر أبداً .

قال : ثم أخذ عبد الله الراية بيده وتقدم بين يدي أبيه حتى وقف أمام أصحابه ، وأنشأ عمرو يقول[1] :

ولـو شهـدت جمـل مقـامي ومـوقفي ... بصفّين يـومـاً شـاب منهـا الـذوائبُ
غـداة تـرى[2] أهـل العـراق كـأنهم ... مـن البحـر مـوج لجـه متـراكـب
وجئنـا إليهم في الحـديـد كـأننـا[3] ... سحـاب خـريف صفقتـه الجنـائب
فقـالـوا نـرى من رأينـا أن تبـايعـوا ... عليـاً فقلنـا بـل نـرى أن نضـارب
فـطارت إلينـا بـالـرمـاح كمـاتهم ... وطـرنـا إليهم والسيـوف قـواضب
فـلمـا أرادوا أن يقـومـوا مـقـامنـا ... شـددت إليهم أن يـزول المـواكـب
فـإننـا[4] وقـد نـالـوا سـراة رجـالنـا ... وليس لمـا لاقـوا سـوى الله حـاسب
ولـم أر يـومـاً كـان أكثـر بـاكيـاً ... ولا عـارضـاً منهـم كميّـاً يكـالـب
إذا قلت قـد استهـزمـوا بـرزت لنـا ... كتـائب خـرص وارجحنّت كتـائـب

قـال : ثم حمل عمـرو في نفر من أهـل الشام فقـاتلوا ساعـة ورجعـوا إلى مواقفهم .

ونظر علي رضي الله عنه إلى الصف الذي فيه عمـرو فإذا هـو صف محكم بالخيل والرجالة فدعا برجل من ربيعة يقال له الحضين[5] بن المنذر فدفع إليه راية سوداء[6] وضم إليه خمسمائة رجل من سادات ربيعة وقال : تقدم يا حضين نحو هذا الصف في بني عمك ، ولا تقصر ليكون نصيبك الأخص . قال فأخذ الراية ثم قال : يا معشر ربيعة ! اعلموا أن الموت اليوم خير من الفرار ، فانظروا ولا يلتفت منكم

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٠ ونسبها إلى محمد بن عمرو بن العاص .
(٢) وقعة صفين : غدا .
(٣) وقعة صفين : وجئناهم نمشي صفوفاً كأننا .
(٤) وقعة صفين : فأبنا .
(٥) عن الطبري ١٩/٦ وبالأصل « الحصين » وقد صحح في كل مواضع الخبر .
وهو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي ، فارس شاعر من كبار التابعين ، مات على رأس المئة (تهذيب التهذيب) .
(٦) كذا بالأصل والطبري ، وفي وقعة صفين ص ٢٨٩ قال السدي : حمراء .

أحد ، واتبعوني والميعاد بيني وبينكم فسطاط معاوية . قال ثم تقدم الحضين وأصحابه بالراية ، فلم يزل يطاعن في اعراض أهل الشام حتى خضب الراية بالدماء .

قال : وجعل معاوية يقول : لمن هذه الراية السوداء ؟ فقالوا : للحضين بن المنذر في قومه من ربيعة ؛ قال : فتقدم معاوية بين يديه ثلاثمائة رجل من بني عك ولخم وحمير ، وقدم علي رضي الله عنه بين يديه مائة رجل من أبطال مذحج ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وصبر بعضهم لبعض ساعة ، وصاح علي بالحضين بن المنذر أن قدم الراية يا حضين ! قال : فتقدم الحضين وهو لم يصبر من غيظه ، وتقدمت معه مذحج وربيعة وكل رجل منهم يحتاج إلى كتيبة ، فحملوا عليه حملة رجل واحد حتى وصلوا إلى فسطاط معاوية وانكشفت عنه الناس ؛ قال : وصاح رجل من أصحاب معاوية : ويحكم يا أهل الكوفة ! أما تتقون الله في الحرم ؟ ويحكم ! نحن بنو أعمامكم فاقصروا ، فمع اليوم غد ؛ فعندها أنشأ علي رضي الله عنه يقول[1] :

لمن راية سوداء[2] يخفق ظلّها	إذا قيل قدّمها حضينُ تقدّما
يقدّمها للموت[3] حتى يزيرها	حياض المنايا تقطر الموت والدما
تراه إذا ما كان يوم كريهة[4]	أبىٰ فيه إلا عزة وتكرّما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم	لدى الموت خيراً[5] ما أعف وأكرما
ولا حسن صبراً حين يدعى إلى الوغى	إذا كان أصوات الرجال تغمغما[6]
ربيعة أعني أنهم أهل نجدة	وبأس إذا لاقوا خميساً[7] عرمرما
وقد صبرت عكّ ولخم وحمير	لمذحج حتى أورثوها تندما[8]
ونادت جذام يا أهل كوفين ويحكم	جزى الله شراً أيّنا كان أظلما

(١) الأبيات في الطبري ٦/٢٠ ـ ٢١ ابن الأثير ٢/٣٧٤ وقعة صفين ص ٢٨٩ .

(٢) وقعة صفين : حمراء .

(٣) طبري : في الموت . وفي وقعة صفين : ويدنو بها في الصف حتى يديرها .

(٤) وقعة صفين : يوم عظيمة .

(٥) طبري : « لدىٰ الموت قوماً » وقعة صفين : لدى البأس حراً .

(٦) وقعة صفين : وأحزم صبراً . . . . . . الكماة تغمغماً .

(٧) الطبري : جشيما .

(٨) وقعة صفين : لمذحج حتى لم يفارق دم دما .

أمـا تـتـقـون الله فـي حـرمـاتـنـا ... ومـا قـرّب الـرحمن منـا وعـظمـا
أذاقـوا ابن هنـد طعنهم وضـرابـهم ... على حنق حتى تـولى وأحـجمـا[1]

قال : فلم يزل الحضين بن المنذر يقاتل هو وبنو عمه حتى ضج منهم أهل الشام ، ثم رجعوا مواضعهم ، وقد جرح منهم خلق كثير .

قال : وخرج مولى لعثمان بن عفان يقال له أحمر حتى وقف بين الصفين وجعل يرتجز ويقول :

إن الـكـتـيـبـة عـنـد كـل تـصـادم ... تـبـكـي فـوارسـهـا عـلى عـثـمـان
قـوم حـمـاة لـيس مـنـهـم قـاسط ... يـبـكـون كـل مـفـصّـل وسـنـان

قال : فخرج إليه كيسان مولى عليّ مجيباً له وهو يقول :

قـف لي قـلـيـلاً يـا أحـيـمـر إنـنـي ... مـولى الـتـقـي الـصـادق الإيـمـان
عثمـان ويحـك قـد مضى لسبيـله ... فـاثبـت لـحـد مهـنـد وسـنـان

قال : فحمل عليه مولى عثمان فطعنه طعنة جدله قتيلاً ، فقال علي رضي الله عنه : قتلني الله إن لم أقتلك يا عدو الله ! ثم حمل عليه عليّ وتلقاه مولى عثمان بالسيف وهو لم يعرفه ، فضربه واتقاه علي رضي الله عنه بحجفته ، ثم مدّ علي يده إليه وقبض على ثوبه ثم رفعه عن قربوصه وضرب به الأرض فكسر منكبه وأضلاعه ؛ ثم جال علي رضي الله عنه في ميدان الحرب وهو يتمثل بهذه الأبيات :

لـهـف نـفـسـي وقـلـيـل مـا أسـر ... مـا أصـاب الـنـاس من خـيـر وشـر
لم أرد في الـدهـر يـومـاً حـربهم ... وهم الـسـاعـون في الشـر الـشـمـر

قال : وأقبل معاوية على غلام له يقال له حُريث فكان فارساً بطلاً[2] ، فقال معاوية : يا حريث! انظر إذا خرجت إلى الحرب فاحذر علي بن أبي طالب ولا تقربه ، وضَع رمحك حيث شئت من الناس ؛ فقال حريث : أفعل ذلك يا سيدي إن شاء الله .

---

(١) في الطبري ووقعة صفين :

أذقـنـا ابـن حـرب طـعـنـنـا وضـرابـنـا ... بـأسـيـافـنـا حتى تـولـى وأحـجـمـا

(٢) حريث مولى معاوية كان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به .

قال : فلما تنحى حريث من بين يدي معاوية أخذ بيده عمرو بن العاص فقال : أما والله يا حريث ! لو كنت قرشياً لأحب معاوية أن تقتل علياً ولكنه قد علم أنك عبده فلم يختر أن يكون لك هذا الحظ ، فانظر إن أصبت فرصة من علي فاقدم عليه ولا يهولنك ، فإنما هو رجل مثلك .

قال : وخرج حريث وجعل يجول في ميدان الحرب ويسأل البراز ، ونظر إليه علي رضي الله عنه فعلم أنه حريث غلام معاوية ؛ فخرج إليه علي رَضي الله عنه على فرس أدهم وهو متعمم بعمامة صفراء لكيلا يعرف ، ونظر إليه حريث فناداه : أيها الفارس ! لقد أسلمك عليّ إلى الموت إذ أخرجك إلى مثلي ؛ ثم جاوله ، وجعل علي أنشأ يقول :

أنا الغلام العزيز المنتسب — من خير عود في مضاض المطلب
يا أيها العبد اللئيم[1] المنتدب — إن كنت للموت محباً فاقترب
واثبت رويداً أيها الكلب الكلب — أولا فولّ هارباً ثم انقلب

قال : فعلم عمرو أنه عليّ فصاح بحريث وقال : يا حريث ! دونك الرجل لا يفوتنك ؛ فحمل حريث على عليّ رضي الله عنه ، وداخله علي بالسيف فضربه ضربة أطار بها قحف رأسه ، فسقط حريث إلى الأرض قتيلاً ؛ ثم أنشأ علي يقول :

ألا احذروا في حربكم أبا الحسن — ولا تروموه فدام الغبن
فإنه يدقكم دق الطحن — ولا يخاف الهياج من ومَن
وقد غزا في الناس في وقت اللبن

قال : فعلم معاوية أنه عليّ فاغتم على حريث غماً شديداً ، ثم أقبل على عمرو فقال : والله يا هذا ! ما قتل حريثاً أحد سواك ، لأني أعلم أنك أنت الذي غررته وألقيته في مخاليب الأسد ؛ ثم أنشأ معاوية يقول :

حريث ألم تعلم وعلمك[2] ضائر — بأن علياً للفوارس قاهر
وأن علياً إن[3] يبارز فارساً — من الناس إلا أقصدته الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني — فجدّك إذ لم تقبل النصح عاثر

---

(١) وقعة صفين ص ٢٧٣ : الغرير .
(٢) وقعة صفين ص ٢٧٣ : وجهلك .
(٣) صفين : لم يبارزه فارس .

فـدلّاك عـمـرو والـحـوادث جـمـة غـروراً ومـا أجـرت عليـك المقـادر
وظـنّ حـريث أن عـمـراً نصيحُـه وقـد يهلك الإنسـان إن لم يـحـاذر
أيـركب عمـرو رأسـه خـوف نفسـه ويصلي حـريثـاً إنـه لمـمـاكـر[1]

قال : واشتبكت الحرب وذهب علي رضي الله عنه ليطعن رجلاً من أهل الشام فهرب الشامي من بين يدي عليّ ؛ وحمل عمرو بن الحصين على عليّ من ورائه ليطعنه ، فحمل سعيد بن قيس على ابن الحصين فطعنه طعنة قتله ؛ وانفلت عليّ فصار إلى أصحابه .

قال : وجزع معاوية على ابن الحصين جزعاً شديداً لأنه كان من فرسان أهل الشام .

قال : فأنشأ الهمذاني يقول شعراً يُفضل فيه علياً رضي الله عنه على معاوية ، فبلغ ذلك معاوية ، فدعا بذي الكلاع الحميري فضم إليه خيلاً عظيمة من يحصب وكندة ولخم وجذام ثم قال : اخرج واقصد بحربك همذان خاصة ؛ قال : فخرج ذو الكلاع في ألف رجل من قبائل اليمن ، ونظر إليهم علي رضي الله عنه فعلم أنه عيون القبائل ، فنادى بأعلى صوته : يا آل همذان ! فأجابوه : لبيك لبيك يا أمير المؤمنين ! فقال : عليكم بهذه الخيل ، فإن معاوية قصدكم بها خاصة دون غيركم .

قال : فصاح سعيد بن قيس بقومه من همذان ، فجمعهم قبيلة واحدة ثم إنه أوصاهم ، وحمل وحملت معه قبائل همذان ، واختلطت القوم واشتبك القتال ساعة ، ثم حطمتهم خيل همذان فقذفتهم إلى حريم معاوية وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ؛ وجاء الليل فحجز بين الفريقين .

قال : فجمع علي قبائل همذان بين يديه ثم أقبل عليهم فقال لهم : أنتم درعي ورمحي وسناني وجُنّتي ! والله لو كانت الجنة في يدي لأدخلتكم إياها خاصة يا معشر همذان ! فقال سعيد بن قيس : والله يا أمير المؤمنين ما نصرنا إلا لله ولا أجبنا غيره ، ولقد قاتلنا مع مَن ليس له مثل سابقتك ولا قرابتك ، فارم بنا حيث شئت وأين أحببت فنحن لك سامعون مطيعون ؛ قال : فعندها أنشأ علي رضي الله عنه أبياتاً يقول :

ولمـا رأيت الخيـل تقـرع بـالقـنـا فـوارسـهـا حمـر الـعـيـون دوامـي

(1) وقعة صفين : خوف سيفه ... إنه لفرافر .

واعـرض نقـع في السمـاء كـأنـه ... صـبـابـة دجـن مـلبس بـقـتـام
ونادى ابن (هند) ذا الكلاع ويحصب ... وكـنـدة في لـخـم وحـي جـذام
تـيـمـمت هـمـذان الـذين هـم هـم ... إذا نـاب أمـر جُنـتـي وسـهـامـي
ونـاديت فيـهم دعـوة فـأجـابـني[1] ... فـوارس من هـمـذان غـيـر لئـام
فـوارس من همـذان ليسـوا بـعـزّل ... غـداة الـوغى من شـاكـر وشتـام[2]
لـهـمـذان أخـلاق ودين يـزيـنـهـا ... وبـأس إذا لاقـوا وطـيـب كـلام[3]
فـلو كنـت بـوابـاً على بـاب جنّـة ... لـقلتُ لـهـمـذان ادخلوا بـسـلامـي
جـزى الله همـذان الجنـان فـإنهم ... سمـام العـدى في كـل يـوم حمـام[4]

قال : فلما كان من الغد زحفت الناس بعضهم إلى بعض ، وأقبل علي رضي الله عنه على أصحابه فقال[5] : أيها الناس ! انظروا ولا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم بالقتال ، فإنكم بحمد الله على[6] بصيرة ويقين ، وإذا أنتم قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ، وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا[7] تأخذوا من أموالهم شيئاً إلا ما أصبتموه في عسكرهم ، ولا تكلموا الناس ، وإياكم ونساء امرائكم ! فإنهن ضعيفات الأنفس والعقول ؛ هذه وصيتي لكم قبل محاربة القوم ، وهذا الآن . فقال الناس : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين !

قال : وأقبل مالك بن حرى[8] النهشلي إلى قومه من بني تميم ، فقال : اعلموا أن الفرار فيه العار ، وأنا قد ابتعت هذه الدار بدار القرار ، وهذا وجهي إليها ، فإن لم

---

(١) وقعة صفين ص ٢٧٤ : دعوت فلباني من القوم عصبة .
(٢) كذا ولا محل لها ، وفي وقعة صفين : « وشبام » وبنو شاكر وبنو شبام بطنان من همدان .
(٣) وقعة صفين : وحد خصام .
(٤) وقعة صفين : كل يوم زحام .
(٥) انظر وصيته في نهج البلاغة رقم ١٤ .
(٦) النهج : على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم عليهم .
(٧) النهج : ولا تهيجوا النساء بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول . وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده .
(٨) عن الإصابة ، وبالأصل : « حوى » وانظر مقالته في وقعة صفين ص ٢٦٥ .

تقاتلوا عن الدين فقاتلوا عن الأحساب والأنساب . ثم تقدم نحو أصحاب معاوية وهو يرتجز ويقول :

إن تميماً أخلفت عنك زمر[1] وقد أراهم وهم الحي الصبرْ
فإن جنيتم أو فررتم لا أفر[2] لكنني أحمي ذماري وأكر

قال : ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل .

قال : فخرج رجل من أصحاب معاوية يقال له بشر بن عصمة[3] ، وكان من أهل الكوفة ولكن مال إلى الدنيا فصار مع معاوية ، فخرج إليه رجل من أصحاب علي يقال له مالك بن الجلاح[4] فالتقيا بطعنتين ، فطعنه صاحب معاوية طعنة جرحه منها جراحة قبيحة ، ثم جعل يقول :

دلفتُ له تحت الغبار بطعنة على بصر مني طعان المخالس[5]
وإني لأرجو من مليكي وخالقي ومن مالك الأملاك دار التنافس[6]

قال : فأجابه مالك وهو يقول :

أيا بشر صبراً لا تراع فإنني[7] شغلت وألهاني الذين أمارس
وصادفتَ مني غرّة فأصبتَها كذاك يكون الناس ماشٍ وجالس[8]

قال : وخرج الشمر بن ذي الجوشن السلولي يسأل المبارزة ، فخرج أدهم بن محرز الباهلي ، فاختلفا بضربتين ، ضربه الباهلي على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم ؛ وضربه الشمر بن ذي الجوشن فلم يصنع شيئاً ، ورجع إلى عسكره فشرب ماء ثم رجع إلى الباهلي وهو يقول :

---

(١) في وقعة صفين ص ٢٦٥ : عنك ابن مر .
(٢) وقعة صفين : فإن تخيموا أو تفروا لا نفر .
(٣) عن الطبري ١٦/٦ وبالأصل « عقبة » وهو من الصحابة ترجم له في الاستيعاب والإصابة .
(٤) هو مالك بن الجلاح بن صامت بن سدوس بن انسان بن عتوارة ، أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن .
(٥) في الطبري ووقعة صفين : على ساعة فيها الطعان تخالس .
(٦) الطبري : مليكي تجاوزا ومن صاحب الموسوم في الصدر هاجس .
(٧) الطبري : ألا أبلغا بشر بن عصمة أنني .
(٨) الطبري : كذلك والأبطال ماضٍ وخالس .

إنـي زعـيـم لأخـي بـاهـلة بـطعـنـة إن لـم أصـب[1] عـاجـلة
أو ضـربـة تـحت الـغـبـار آجـلة[2] شـبـيـهـة بـالـقـتـل أو قـاتـلة[3]

قال : ثم حمل على الباهلي ، فضربه ضربة على وجهه وقال : يا أخا باهلة ! تلك بهذه ؛ وجال الشمر في ميدان الحرب وهو يقول[4] :

لله در عـصـابـة فـي مـاقـطٍ شهـدوا مجـال الخيـل تحت قتـامهـا
شهـدوا ليـوثـاً ليس يـدرك مثلهم عنـد الهيـاج يـذبّ عنـد زحـامهـا[5]
جـرت[6] العيـون إذا أردتَ قتـالهم بـرزوا سمـاحـاً كلهـم بحـمـامهـا
لا ينكـلون إذا تـقـرض[7] صـفـهـم جزعـاً على الإخـوان عنـد جـلامهـا
أسـد العرين على[8] السوابح بـالقنـا يـردون مهيعـة الـطريق بـهـامهـا

قال : وخرج أبو أيوب الأنصاري حتى وقف بين الجمعين يسأل البراز ، فلم يبرز إليه أحد ؛ قال : ونظر إلى معاوية حتى إذا دنا منه دخل معاوية إلى خيمته ، وخرج من جانب الخيمة وهو يقول شعراً[9] :

أقـول لـهـا وقـد طـارت شعـاعـا مـن الأبـطـال إنـك لـن تـراعـي
فـإنـك لـو سـألت بقـاء[10] يـومٍ على الأجل الذي لـك لن تطاعي[11]

قال : وقامت أهل الشام في وجه أبي أيوب ، فقاتلهم ساعة ورجع إلى موضعه سالماً ، ورجع معاوية إلى موضعه متغير اللون وهو يقول : هذا والله كما قال الأول :

---

(١) عن الطبري ١٦/٦ ، وفي وقعة صفين ص ٢٦٨ : أمت .
(٢) الطبري : تحت القنا والوغى .
(٣) عن الطبري .
(٤) الأبيات في وقعة صفين ونسبها إلى مرة بن جنادة العليمي (ص ٣٧٤) .
(٥) وقعة صفين : عن آجامها .
(٦) وقعة صفين : « خزر العيون » . والسماح : جمع سمح ، وهو الجواد ، بحمامها : بحمام النفوس أي موتها المقدر لها .
(٧) وقعة صفين : تقوض .
(٨) وقعة صفين : « فوق البراح من السوابح » والسوابح : الخيل تسبح في جريها . يردين من الرديان ، وهو ضرب من السير .
(٩) البيتان لقطري بن الفجاءة (الحماسة لأبي تمام ٢٤/١ ابن خلكان ٤٣٠/١) .
(١٠) عن الحماسة ، وبالأصل : حياة . وفي وقعة صفين ص ٢٧١ : خلاء .
(١١) هو حاتم الطائي ، والأبيات من قصيدة له في ديوانه .

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا
ويحمي إذا ما الموت كان أمامه[1] كذا الشبل يحمي الابن أن يتأخرا
كليث هزبر وَهْو يحمي عرينه رمته المنايا نَعْيه فتقطرا[2]

ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال : ويحكم ! إن السيوف لم يؤذن لها في قتل هؤلاء ، ولولا ذلك لما وصل إليّ هذا ، ولكن إذا رأيتم مثل هذا فعليكم بالحجارة ؛ فقال رجل من من أهل الشام يقال له المبرقع بن منصور : والله يا معاوية لأفعلن كما فعل ، ولأقتلن علياً إن قدرتُ عليه قال : ثم حمل يريد علياً ، ونظر إليه أبو أيوب فاستقبله بالسيف ، فنفحه نفحة أبان بها عنقه فثبت رأس الشامي على الجسد ، فظن الناس أنه قد أخطأه ؛ قال : وتحرك الفرس فسقط الرأس ناحية وسقط الرجل ميتاً ، فعجبت[3] الناس من ضربة أبي أيوب ، فقال علي رضي الله عنه : والله لأنا أشد تعجباً من ثبات الرجل على فرسه منكم لضربة أبي أيوب ! والله ما أنت إلا كما قال الأول :

وعلّمنا الحربَ آباؤنا وسوف نعلّم أيضاً بنينا

قال[4] : وخرج رجل من أهل الشام يسأل المبارزة ، فخرج إليه رجل من أصحاب علي ، فحمل كل واحد منهما على صاحبه ، فضربه صاحب علي ضربة أرداه من فرسه واقتحم عليه ليذبحه ، فنظر في وجهه فإذا هو أخوه لأبيه وأمه ، فصاحت به أصحابه : اذبحه عاجلاً وقم عنه فقال : ويحكم ! هذا أخي ، قالوا : فاتركه ، قال : لا والله لا أتركه أو يأذن لي أمير المؤمنين ؛ فأخبر علي بذلك ، فأرسل إليه أن اتركه ، فتركه ؛ فانصرف هذا إلى علي وذاك إلى معاوية .

---

(١) في وقعة صفين ص ٢٤٧ : كان لقاؤه قدي الشبر ، يحمي الأنف أن يتأخرا .
والبيت في اللسان ونسبه إلى هدبة بن الخشرم ، وروايته فيه :

وإني إذا ما الموت لم يك دونه قدي الشبر أحمي الأنف أن يتأخرا

(٢) في الأخبار الطوال ص ١٧٦ :

كليث عرين بات يحمي عرينه رمته المنايا قصدها فتقطرا

وفي وقعة صفين : يحمي ذماره .
(٣) وقعة صفين ص ٢٧١ : وكذب الناس أن يكون ضربه وأرابهم .
(٤) وقعة صفين ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

قال : وإذا بفارس من فرسان الشام قد خرج مقنعاً في الحديد ، فوقف يسأل المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن يحيى[1] الكندي حتى وقف قبالته ، ثم قال له : من أنت أيها الرجل ؟ فقال : رجل من عكّ ؛ فحمل عليه الكندي وهو يقول[2] :

لقد علمت عك بصفين أننا ... إذا ما نلاقي القوم[3] نطعنها شزرا
ونحمل رايات القتال لحقها[4] ... ونوردها بيضاً ونَصدرها حمرا

قال : ثم حمل على الشامي فطعنه طعنة في نحره فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه فإذا هو عبد أسود ، قال : والله إني لو علمت أنه عبد لما خرجت إليه ! ولكنه ذكر أنه من عكّ ولعله أن يكون عبداً لعك .

قال[5] وتقدمت جماعة من بني طيء من أصحاب علي حتى وقفوا بجانب أصحاب معاوية ، ثم سألوا البراز ، فخرج إليهم نفر من أصحاب معاوية حتى واقعوهم[6] . ثم تقدم إليهم حمزة بن مالك الهمداني من أصحاب معاوية فقال : من أنتم ؟ فقال عبد الله بن خليفة الطائي[7] : نحن طيء السهل وطيء الجبل ! نحن طيء الرماح وطيء الصفاح ! وطيء النطاح وفرسان الصباح ! فقال له حمزة بن مالك : بخ بخ يا أخا طيء في حسن ثنائك على قومك ! ثم حمل القوم بعضهم على بعض فاقتتلوا ساعة ، وجعل عبد الله بن خليفة الطائي يقول :

يا طيء الأجبال والسهل معاً ... إنا إذا داع دعا فأسمعا[8]

---

(١) في الطبري ١٦/٦ ووقعة صفين ص ٢٧٦ : محرز .
(٢) كذا بالأصل ، وفي الطبري ١٦/٦ أن رجلاً من عك خرج يسأل المبارزة فخرج إليه قيس بن فهدان الكناني ثم البدني فحمل عليه العكي فضربه واحتمله أصحابه فقال قيس بن فهدان ، وذكر البيتين. (وانظر وقعة صفين ص ٢٧٧) .
(٣) الطبري : إذا التقت الخيلان .
(٤) الطبري : الطعان بحقها .
(٥) الخبر في الطبري ١٧/٦ .
(٦) الطبري : إن طيء يوم صفين قاتلت قتالاً شديداً فعبيت لهم جموع كثيرة .
(٧) الطبري : البولاني ، وبولان : إحدى قبائل طيء .
(٨) وقعة صفين ص ٢٧٩ مضطجعاً .

طرنا إلى السيف حفاظاً مسرعاً[1] فنقتل المستسلم المقنعا

قال : وثبت القوم بعضهم لبعض وعبد الله بن خليفة الطائي يقاتل أهل الشام فيمن معه من قبائل طيء أشد القتال حتى فقئت عينه[2] ، فأنشأ يقول :

ألا ليت عيني هذه مثل هذه ولم[3] أمش بين الناس إلا بقائد
ويا ليت رجلي ثم طنّت بنصفها[4] ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
ويا ليتني لم أبق بعد[5] عشيرتي وقومي وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم إذا هي[6] أبدت عن خدام الخرائد

قال : واشتد الحرب بين الفريقين وجعل أهل الشام يزدادون ويعينون أصحابهم ، وكذلك أهل العراق . قال : ونظر رجل من أصحاب علي يقال له عمرو[7] بن عبيدة بن خالد المحاربي إلى قومه من بني محارب يريدون أن ينهزموا فقال : يا معشر قيس ! أطاعة الشيطان آثر عندكم من طاعة الرحمن ؟ أما علمتم أن الفرار فيه معصية الله والصبر فيه طاعة الله ؟ أفتختارون سخط الله على رضوانه ومعصيته على غفرانه ؟ الله الله عباد الله ! فإن الراحة بعد الموت لمن مات محتسباً وفي طاعة الله مترغباً ؛ ثم جعل يقول[8] :

أنا الذي لا أنثني ولا أفر ولا أولّي أبداً من الدبر
ولا أرى من المعازيل الدبر لكن مع القوم المصاليت الصبر

ثم حمل ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله وقتل معه جماعة من أصحاب علي ، وقطعت رجل علقمة بن قيس ، ثم انهزم أهل الشام عن أهل العراق ، وذلك

(١) وقعة صفين : « ندب بالسيف دبيباً أروعا » وفي الطبري : « مصمماً بالسيف ندباً أروعا » .
(٢) في الطبري ٦/١٧ أن الذي فقئت عينه هو بشر بن العسوس الطائي وهو صاحب الأبيات .
(٣) كذا بالأصل ووقعة صفين ص ٢٨٠ ، وفي الطبري : فلم أمش في الاناس .
(٤) طنت : قطعت وسقطت فكان لذلك صوت .
(٥) الطبري : بعد مطرف وسعد .
(٦) الطبري : إذا الحرب .
(٧) في الطبري ٦/١٨ خنثر . وفي وقعة صفين ص ٢٨٦ عنتر بن عبيد بن خالد .
(٨) الأرجاز باختلاف في الطبري ٦/١٨ ووقعة صفين ص ٢٨٦ .

في وقت المساء ؛ فأنشأ ثعلبة بن عقبة من أهل الشام يقول[1] :

لقينا رجالاً للعراق أعزة ... كأسد الشريّ عند حز الغلاصم
فلم أر فرساناً أشد بديهة ... وأمنع منهم في اختلاط الملاحم[2]
غداة غدت أهل العراق كأنهم ... ليوث[3] تلاقي في فجاج المخارم
إذا قلت قد ولوا أنابت كتيبة ... ململمة في البيض ألوى العمائم[4]
وقالوا لنا: هذا عليٌّ فبايعوا ... فقلنا ألا لا بالسيوف الصوارم
وثرنا إليهم بالسيوف وبالقنا ... تدافعهم فرساننا بالتزاحم

قال : وجعل أهل العراق ينادون : يا أهل الشام ! عندنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبي بكر الصديق ، فقال أهل الشام : ذلك الخبيث ابن الطيب ؛ ثم نادى أهل الشام : ألا إن فينا الطيب ابن الطيب عبيد الله[5] بن عمر بن الخطاب ، فقالت أهل العراق : ذلك الخبيث ابن الطيب .

قال : فبات القوم وأصبحوا على راياتهم وبغيتهم ، وتقدم جماعة من أصحاب علي[6] على رؤوسهم البيض وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، وخرج إليهم نحوهم العدد من أهل الشام ، فاقتتلوا بين الصفين وهم يزيدون على ألف رجل ، فلم يرجع من هؤلاء وهؤلاء أحد لا شامي ولا عراقي ، وقتلوا عن آخرهم ؛ فأنشأ شبث[7] بن ربعي يقول :

وقفنا لهم في يوم صفين في الوغى[8] ... لدى غدوة حتى هوت لغروب
وأصبحت الأبطال منا ومنهم ... وقامت نساء حولنا بنحيب

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ـ ببعض اختلاف ـ ونسبت إلى عقبة بن سلمة أخو بني رقاش ، من أهل الشام . ص ٢٩٣ .

(٢) وقعة صفين ص ٢٩٤ : وأمنع منهم يوم تل الجماجم .

(٣) وقعة صفين : نعام .

(٤) وقعة صفين : شمط المقادم .

(٥) بالأصل : «عبدالله» تحريف والمشهور أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب هو الذي التحق بمعاوية ـ وقد مرّ ذلك ـ هرباً من علي الذي يطالبه بدم الهرمزان .

(٦) نحو من خمسمائة فارس (وقعة صفين ص ٢٩٣) .

(٧) بالأصل شبيب خطأ ، وقد مرّ مراراً .

(٨) وقعة صفين ص ٢٩٤ : وقفنا لديهم يوم صفين بالقنا .

يــرون رجــالاً كــالأســود عــوابســاً	لــهن زئيــر فــي الــوغــاء عــجيــب
نجــالـدهم بــالبيض طـوراً وبــالقنــا	وكــل حســام كــالشهــاب قضيب[1]
وكــل همـام في الحــروب هميســع	على كـل محنـوك السـراة شبـوب[2]
نجــالــد جــولانــا ونسقى بحــدهــا	جـذامـاً ووتــر الغـدر غيــر طلوب[3]
فلم أر فــرســانــاً أشــد بــديهــة[4]	إذا غـشـي الآفــاق نــفــح جنــوب

قال : وأرسل عبيد الله بن عمر بن الخطاب إلى الحسين[5] بن علي أن لي إليك حاجة فالقني إذا شئت حتى أخبرك . قال : فخرج إليه الحسين حتى واقفه وظن أنه يريد حربه ، فقال له ابن عمر : إني لم أدعك إلى الحرب ولكن اسمع مني فإنها نصيحة لك ؛ فقال الحسين : قل ما تشاء ؛ فقال : اعلم أن أباك قد وتر قريشاً ، وقد بغضه الناس وذكروا أنه هو الذي قتل عثمان ، فهل لك أن تخلعه وتخالف عليه حتى نوليك هذا الأمر ؟ فقال الحسين : كلا والله لا أكفر بالله وبرسوله وبوصي رسول الله ، أخس ويلك من شيطان مارد ! فلقد زين لك الشيطان سوء عملك فخدعك حتى أخرجك من دينك باتباع القاسطين ونصرة هذا المارق من الدين ، لم يزل هو وأبوه حربيين وعدوين لله ولرسوله وللمؤمنين ، فوالله ما أسلما ولكنهما استسلما خوفاً وطمعاً ! فأنت اليوم تقاتل عن غير متذمم ، ثم تخرج إلى الحرب متخلقاً[6] لترائي بذلك نساء أهل الشام ، ارتع قليلاً فإني أرجو أن يقتلك الله عزَّ وجلّ سريعاً . قال : فضحك عبيد الله بن عمر ثم رجع إلى معاوية فقال : إني أردت خديعة الحسين وقلت

---

(١) البيت في وقعة صفين :

أكــر وأحــمي بــالــغــطاريف والــقــنــا	وكــل حــديــد الشفــرتــين قــضــوب

(٢) وقعة صفين :

نــجــالــدهــم طــوراً وطــوراً نــصــدهــم	عــلى كــل مــحــبــوك الســراة شــبــوب

(٣) وقعة صفين :

نــجــالــد غســانــاً وتــشــقــى بحــربــنــا	جــذام ووتــر الــعــبــد غــيــر طــلــوب

وغير طلوب : أي قريب سهل المنال . أصله من قولهم : « بئر طلوب » أي بعيدة الماء .

(٤) وقعة صفين : حفيظة .

(٥) في وقعة صفين ص ٢٩٧ : « الحسن بن علي » وانظر خبر مقابلتهما فيه .

(٦) متخلقاً أي الذي يتخلق بالخلوق . الطيب .

له كذا وكذا ، فلم أطمع في خديعته ، فقال معاوية : إن الحسين بن علي لا يُخدع وهو ابن أبيه .

قال[1] : ثم صاح معاوية بخيل أهل الشام أن احملوا رحمكم الله فقد بلغ الأمر أشده ! فحملت أهل الشام على أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ ألف رجل أو أكثر ، وأحاطوا بهم وأحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم ؛ قال : ونظر عليّ إلى ذلك فنادى بأعلى صوته : ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته ؟ قال : فأقبل إليه رجل من بني جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث[2] على فرسه فقال : يا أمير المؤمنين ! مرني بأمرك فداك أبي وأمي ! فوالله لا تأمرني بشيء إلا فعلته ! قال : فجعل علي يقول :

شريت بأمر لا يطاق حفيظة ... حياء[3] وإخوان الحفاظ قليل
جزاك إله الناس خيراً فقد وفت ... يداك بفضل من هناك جزيل

ثم قال عليّ : احمل يا أبا الحارث ! شدّ الله ركنك على أهل الشام ، حتى تأتي أصحابك فتقرئهم عني السلام وقل لهم يكبروا ويهللوا ، فنحن قد وافيناكم إن شاء الله .

قال : فحمل الفتى على أهل الشام وزعق وقاتل حتى انفرجوا له ، ثم صار إلى أصحابه فأبلغهم الرسالة ؛ قال : فكبر القوم وهلّلوا ، وكبرّ علي وأصحابه وهللوا وحملوا اولئك ، فوقعت الهزيمة على أهل الشام ، فقتل منهم في تلك الوقعة نيف عن سبعمائة رجل ، ولم يقتل من أصحاب علي ولا رجل واحد . فقال عليّ لأصحابه : من أعظم الناس غناء في هذا اليوم ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين ! فقال علي : ولكن الجعفي أعظم غناء في اليوم ؛ فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول[4] :

لقد رأيت أموراً كلها عجب ... وما رأيتُ كأيام بصفّينا
لما غدوا وغدونا كلنا حنقا ... كما رأيتَ كمال أكلة الجونا[5]

---

(١) الخبر في وقعة صفين ص ٣٠٧ .
(٢) وقعة صفين : على فرس أدهم كأنه غراب .
(٣) وقعة صفين : سمحت ... وصدقاً ...
(٤) في وقعة صفين ص ٣٥٧ وقال رجل من بني عذرة .
(٥) في وقعة صفين : كما رأيت الجمال الجلة الجونا .

فجالت الخيل خيل[1] في أعنّتها   وآخرون على كثب يرامونا
ثم ابتذلنا سيوفاً في جماجمهم   وما[2] فعلنا بهم في ذاك يجزونا
كأنها في أنوف القوم إذ لمعت   تسلسل البرق تحسين العرانينا[3]
ثم انصرفنا وقتلاهم[4] مطرحة   والقوم طرّاً على القتلى يصلونا[4]

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فقال معاوية : يا أهل الشام ! أنتم تعلمون ما قد أصبنا به اليوم من إخواننا ، وإنما تقاتلون غداً من قبل إخوانكم اليوم ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال[5] : إما أن تكونوا أردتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم وأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا في بيضتكم ، وإما أن تكونوا قوماً تذبون عن نسائكم وأبنائكم ، وأما أن تكونوا[6] تغضبون للخليفة فتقاتلون عن دمه ؛ فعليكم بتقوى الله عزَّ وجلّ والصبر الجميل ، فقد نزل من الأمر ما ترون ، فإذا أصبحتم فازحفوا إلى القوم على بصيرة ؛ وقدّموا الدارع وأخروا الحاسر وسوّوا صفوفكم دارعين وحاسرين ، وأعيرونا جماجمكم ساعة فإنما هو ظالم أو مظلوم .

قال : فقال له ذو الكلاع : يا معاوية ! إننا قد سمعنا كلامك فاسمع عني ، وجعل يقول :

نحن الصبر (نحن) الكرام   لا نثني عند الخصام
بنو الملوك للعظام   ذوو النهى والأحلام

فقال معاوية : ظني بكم هذا . ثم جعل يكمن الكمناء ولا يألو في ذلك جهداً ؛ وبلغ ذلك علياً وأصحابه ، فأنشأ قيس بن [سعد بن][7] عبادة يقول :

قلت لما بغى العدو علينا   حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ

(١) وقعة صفين : خيل تجول وخيل .
(٢) وقعة صفين : وما نساقيهم من ذاك يجزونا .
(٣) في وقعة صفين :
كأنها في أكف القوم لامعة   سلاسل البرق يجدعن العرانينا
(٤) وقعة صفين : ... كأشلاء مقطعة   وكلنا عند قتلاهم يصلّونا .
(٥) في وقعة صفين ص ٢٩٦ : أحوال .
(٦) وقعة صفين : تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم (ص) .
(٧) سقطت من الأصل .

حسبنا ربنا الذي فتح النصـ ـــر وبالأمس والحديث طويل
وله شكر ما مضى وعلى ذا إن هذا من شكره لقليل
وعليّ إمامنا لا سواه في كتاب أتى به التنزيل
حين قال النبي من كنت مولا ه علي مولاه هذا دليل
أيما قاله النبي على الأمـ ـة فرض وليس قال وقيل
يا بن هند أين الفرار من المو ت وللموت في الفجاج ذيول
ولواء النبي يخفق في كـ ـفّ علي نصيره جبريل
ثم حامت عليه من سلف الخـ ـزرج قومٌ كأنهم إكليل
عند ذاك العيان يخلفه الظـ ـنّ وما غيره هناك سبيل

قال : فانكسر معاوية بهذا الشعر ، ثم قال : لئن أمكنني الله من حمى الأنصار لأشفين نفسي به .

فلما كان من الغد خرج قيس بن سعد على فرس له أشقر حاسر الرأس ورجلاه يخطان الأرض وهو يقول[1] :

أنا ابن سعد وأبي عبادة والخزرجيون رجال سادة
ليس فراري في الوغى بعادة إن الفرار للفتى قلادة
ياذا الجلال لقني الشهادة[2] شهادة تتبعها سعادة
فالقتل خير من عناق غادة نفس عني بالحيض والولادة
حتى متى تثني لي الوسادة

قال : ثم خرج وجال في ميدان الحرب ودعا إلى البراز ، فخرج إليه بسر بن [أبي] أرطاة الفهري وهو يقول :

أنا ابن أرطاة جليل[3] القدر في أسرة من غالب وفهر
ليس الفرار من طباع بسر أن يرجع اليوم بغير وتر[4]

---

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٤٢٨ .
(٢) وقعة صفين : يا رب أنت لقني الشهادة .
(٣) وقعة صفين ص ٤٢٩ : عظيم القدر .
(٤) بعده في وقعة صفين :

قال : فحمل عليه قيس بن سعد فضربه ضربة أثخنه منها ، ورجع بسر إلى معاوية ورجع قيس إلى عسكره .

قال : وخرج عمرو بن العاص فجعل يقول :

لا عيش إن لم ألق يوماً هاشما ذاك الذي أجشمني المجاشما
ذاك الذي يشتم عِرضي ظالما ذاك الذي أقام فينا[1] المأتما
ذاك الذي إن ينج مني سالما يكن شجى حتى الممات لازما

قال : فما لبث عمرو أن خرج إليه هاشم المرقال[2] وهو يرتجز ويقول :

لاعيش إن لم ألق يومي عمرا ذاك الذي نذرت فيه النذرا
ذاك الذي أغدرت فيه الغدرا ذاك الذي مازال ينوي الغدرا
أو يحدث الله لأمر أمرا لا تجزعي يا نفس صبراً صبرا
ضرباً إذا شئت وطعناً شزرا[3] ياليت ما تحتي يكون قبرا

قال : ثم حمل هاشم على عمرو بن العاص واختلفا بطعنتين ، فطعنه هاشم طعنة جرحه منها جراحة منكرة ؛ فرجع عمرو إلى معاوية وجراحته تشخب دماً .

قال : وخرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو يقول :

قل لعلي[4] ذهب الوعيد أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد يزينه الوليد قد قتروا[5] الحرب فزيدوا زيدوا
فمالنا ولا لكم محيد من يومنا ويومكم فعودوا

قال : فخرج إليه الأشتر وهو يرتجز ويقول :

في كل يوم هامتي موقره[6] بالضرب أبغي منة مؤخره

= وقد قضيت في عدوي نذري ياليت شعري ما بقي من عمري

(١) وقعة صفين ص ٤٢٨ : لي .

(٢) وهو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكان من أصحاب علي (رض) . والأرجاز في وقعة صفين ص ٤٢٨ .

(٣) في وقعة صفين : ضرباً هذا ذيك وطعناً شزرا .

(٤) في وقعة صفين ص ٤٣٠ : لعدي .

(٥) في وقعة صفين : قد ذقتم .

(٦) في وقعة صفين ص ٤٢٩ : مقيره .

والـدرع خيـر من لبـاس الحبـره　　يـا رب جنبني سبيـل الـفجـره[1]
فـلا تـجـنـبـنـي ثـواب الـبـرره　　واجـعـل وفـاتـي بـأكـف الـكـفـره

قال : ثم حمل عليه الأشتر فضربه ضربة فلق البيضة وأسرع السيف إلى رأسه ؛ فرجع عبد الرحمن إلى معاوية وهو يقول : مالنا ولعثمان بن عفان لا يزال دمه يغلي حتى لا يبقى منا أحد ، فقال معاوية : يابن أخي ! ما أسرع ما ضجرت وهل يصيبك إلا ما أصاب الفتيان إذا لعبوا بك ، إنما نقاتل عن دينك ونفسك ، قال : فلم لا تخرج أنت يا معاوية ؟ فقال معاوية : أنا والله أخرج يابن أخي .

قال : ثم استوى معاوية على فرسه وخرج حتى وقف أمام أصحابه وجعل يعرض بقبائل همذان[2] وهو يقول :

لا عـيش إلا فـلق قـحـف الـهـام　　مـن أرحـبٍ وشـاكـر ويـام[3]
قـوم هـم أعـداء أهـل الـشـام　　كـم مـن كـريـم بـطل هـمـام
كـم من قـتـيـل وجـريـح دامـي　　كـذاك حـرب الـسـادة الـكـرام

قال : فخرج إليه سعيد بن قيس الهمذاني وهو يقول :

لا هـمّ رب الـحـل والإحـرام　　لا تـجـعـل الـملك لأهـل الـشـام
فـالـعـام عـام لـيس كـالأعـوام　　والـيـوم يـوم لـيس كـالأيـام
والناس مرمى بهم ورامي

قال : ثم حمل سعيد بن قيس ليطعنه ، وركض معاوية حتى لحق بعسكره ، فانفلت ولم يصبه بشيء ، فجعل سعيد يرتجز ويقول :

يـا لـهف نـفسي فـاتني معـاويـة　　والـراقـصـات لا يـعـود ثـانـيـة[4]

---

(١) وقعة صفين : الكفرة .

(٢) وكان معاوية لما تعاظمت عليه الأمور دعا بعض قادة قريش وقال لهم إنه قد غمني بعض رجال من أصحاب علي ، وأنتم عدتهم من قريش وقد عبأت لكل رجل منهم رجلاً منكم .. فأنا أنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً ـ وقد مرّ خروج قادة أصحاب معاوية . وانظر وقعة صفين ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

(٣) وقعة صفين : وشبام .

(٤) الراقصات يريد بها الإبل التي ترقص في سيرها . والرقص : ضرب من الخبب (أمالي القالي ٥١/٣) .

إلا عــلى ذات خـصـيــل طـاويــة   أن يَـعْـدِ الـيــومَ فـكـفّـي عــالـيــة

قال : ورجع سعيد بن قيس إلى موقفه ، وخرج الأشتر فجعل يجول في الميدان ويقول :

أرجــو إلٰــهــي وأخــاف ذنــبــي   ولــيس شــيء مــثــل عــفــو ربــي
قــل لابن هنــد[1] بغضكم في قلبي   أعــظم مــن أحــد ورب الحـجـب[2]

قال : فخرج إليه عبيد الله[3] بن عمر بن الخطاب وهو يقول :

أنــعـي ابــن عــفــان وأرجــو ربــي   ذاك الــذي يــخــرجنـي مـن ذنــبـي
إن ابــن عــفــان عــظيــم الـخــطب   أعــظم مــن أحــد ورب الــحــجـب
إلا طــعــانــي دونــه وضــربــي   حــسبي الــذي أنــوي بــه وحــسـبي

قال : ثم دنا الأشتر وليس يعرفه ، فقال له : من أنت أيها الفارس ! فإني لا أبارز إلا كفؤاً ؛ قال : أنا مالك بن الحارث النخعي ، قال : فصمت عبيد الله[3] بن عمر ساعة ثم قال : يا مالك ! والله لو علمتُ أنك الداعي إلى البراز لما خرجت إليك ، فإن رأيت أن أرجع عنك فعلت منعماً ؛ فقال الأشتر : ألا تخاف العار أن ترجع عني وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من قريش ؟ فقال : لا والله ما أخاف العار إذا رجعت عن مثلك ؛ فقال له الأشتر : فارجع إذاً ولا تخرج إلا إلى من تعرفه[4] .

قال : فرجع عبيد الله بن عمر إلى معاوية مذعوراً ، فقال له معاوية : ما شأنك يابن عمر ؟ فقال : لا تسأل عن شيء فإني انفلت من مخاليب الأسد الأسود الأشتر النخعي ؛ فقال معاوية : وهل هو إلا رجل مثلك ! قال : فاخرج أنت إليه ، فقال : أما إنه لو كان واقفاً في موضعه لخرجت إليه ولكنه قد انصرف إلى عسكره ، وأنت تعلم أني قد برزت إلى سعيد بن قيس وهو نظير الأشتر في الشجاعة والشدة ، فقال

---

(١) وقعة صفين ص ٤٣٠ يا بن الوليد .

(٢) الأرجاز في وقعة صفين ونسبها إلى عدي بن حاتم .

(٣) بالأصل « عبد الله » خطأ .

(٤) كذا بالأصل ، وفي مروج الذهب ٤٢٢/٢ « انصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه » وفي وقعة صفين ص ٤٣٠ « فحمل عليه الأشتر فطعنه ، واشتد الأمر ، وانصرف القوم وللأشتر الفضل ، فغم ذلك معاوية » وانظر الأخبار الطوال ص ١٧٧ .

ابن عمر : صدقت يا معاوية ! قد برزت إلى سعيد بن قيس ، ولكنك لم تثبت له ، ولو ثبت لما نجوت ؛ فقال معاوية : والله لو برزت إلى صاحبه علي بن أبي طالب لما كعت عنه .

قال : فبينما هما كذلك وإذا بعلي بن أبي طالب قد برز حتى وقف بين الصفين على فرس رسول الله ﷺ ، ثم نادى : يـابن أبـي هند ! إني قد أقبلت إليك ، أسألك أن تحقن هذه الدماء وتبرز إليّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب ؛ قال : فسكت معاوية ولم ينطق بشيء ؛ فقال له ابن عمر : هذا ما كنا فيه ، فابرز الآن إلى علي كما زعمتَ ؛ قال : فما نطق معاوية وجال علي حوله ، ثم حمل على ميمنة معاوية فأزال الرجال ، ثم حمل على ميسرتـه فطحنهـا وكسر بعضهم على بعض ، وقتـل منهم جماعة ، ثم رجع إلى موضعه ؛ ونظر عبيد الله بن عمر إلى معاوية فإذا هو قد أزبد وتغير وأنشأ يقول[1] :

بـرزتَ إلـى ابن ذي يـزنٍ سـعيـد	وتتـرك في العجـاجـة مَن دعـاكـا
فهـل [لـك][2] في أبي حسـن عليّ	لـعـل الله يـمـكـن مـن قـفـاكـا
دعـاك إلـى البـراز فـكعـت عنـه[3]	ولـو بـارزتـه تـربَـتْ يـداكـا
وكـنـت أصـمّ إذ نـاداك عـنـهـا	وكـان سكـوتـه عـنـهـا مُـنـاكـا
فـإن الـكـبش قـد طـحـنـت رحـاه	بخـطـوتهـا[4] ولم تـطحن رحـاكـا
فمـا أنصفت صحبـك يـابن هنـدٍ	أتـرهـبـه[5] وتغضب من كـفـاكـا
فـلا والله مـا أضـمـرت خـيـراً	ولا أظـهـرتَ لـي إلا جـفـاكـا

قال : فغضب معاوية من كلام عبيد الله بن عمر ثم قال لعمرو : أبا عبد الله ! ألا تسمع كلام ابن عمر ؟ فقال عمرو : والله لقد صدق ابن عمر ولا يجمل بك ألاّ تبارز علياً إذا دعاك إلى المبارزة ، فقال معاوية : أظنك قد طمعتَ فيها يا عمرو ! فقال عمرو : ما طمعت فيها ولو طمعت فيها لكنت أهلاً لها ، ولكني أعلم أنه لا يجمل بك أن يكون ابن عمك يدعوك إلى البراز فلم تبرز إليه ؛ قال : فتبسم معاوية

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٣٢ ونسبها إلى عمرو بن العاص .

(٢) سقطت من الأصل ، زيادة عن وقعة صفين ص ٤٣٢ .

(٣) وقعة صفين : دعاك إلى النزال فلم تجبه ولو نازلته . . .

(٤) وقعة صفين : بنجدته .

(٥) وقعة صفين : أتفرقه .

من قول عمرو وأنشأ يقول :

يا عمرو إنك قد قشرتَ لي العصا … برضاك في وسط العجاج برازي
يا عمرو إنك قد أشرت بظنة … إن المبارز كالجدي النازي
ما للملوك وللبراز وإنما … حسب المبارز حفظه من بازي[1]
فلقد أعدت فقلت مزحة مازح … حتى جزاك بما نويت الجازي[2]
ولقد كشفت قناعها مذمومةً … ولقد لبست لها ثياب الحازي

قال : ثم تنكر عليّ وخرج حتى وقف في ميدان الحرب ودعا للبراز ، فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لم يعرفه ، قال وعرفه عليّ فاطرد بين يديه لكي يخرجه من صفوف أهل الشام ، قال : وتبعه عمرو وهو يقول :

يا قادة الكوفة من أهل الفتن … يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفى بهذا حزناً من الحزن … أضربكم ولا أرى أبا الحسن[3]

قال : فرجع علي وهو يقول[4] :

أنا الغلام القرشي المؤتمن … الماجد الأبلج ليث كالشطن
ترضى بي السادة من أهل اليمن … من ساكن نجد ومن أهل عدن
أبو حسين فاعلمن أبو الحسن

قال : فلما سمع عمرو كلام علي وشعره ولّى ركضاً ، وتبعه عليّ فطعنه طعنة وقعت الطعنة في فصول الذراع فأكفأه عن فرسه ، فسقط عمرو على قفاه من ضربة علي ورفع رجليه فبدت سوءته ، وصرف عليّ وجهَه عنه وانصرف إلى عسكره .

وأقبل عمرو إلى معاوية ومعاوية يضحك ، فقال له عمرو : ما يضحكك يا معاوية ؟ قال : ضحكت والله من حملة أبي الحسن عليك وكشفك لسوءتك ، فوالله

---

(١) وقعة صفين ص ٢٧٥ : حتف المبارز خطفة للبازي .

(٢) في وقعة صفين :

ولقد أعدت فقلت مزحة مازح … والمزح يحمله مقال الهازي
فإن الذي منتك نفسك خالياً … قتلي ، جزاك بما نويت الجازي

(٣) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٧١ ونسبها إلى عمرو بن العاص .

لقد وجدته هاشمياً منافياً بالنزال لا ينظر إلى عورات الرجال ، فقال عمرو : والله يا معاوية لو بدا له من صفحتك ما بدا له [من] صفحتي إذاً لأوجع قذالك وأيتم عيالك ونهب مالك ؛ فقال معاوية : لو كنت تحتمل المزاح مازحتك ! فقال عمرو : ما أحملني للمزاح ، ولكن إن كان رجل لقي رجلاً فصد عنه ولا يقتله أقطرت دماً ، فقال معاوية : لا ولكن تعقب فضيحة وجبناً ، أما والله لو عرفت ما قدمت عليه ؛ فقال عمرو : وهو ابن عمي فقد عفا وأحسن ؛ فقال معاوية : أبا عبد الله ! هل تعلم أن النبي ﷺ قال لعلي : أنا وأنت من طينة واحدة إلى آدم ! فقال عمرو : قد كان ذلك ، قال معاوية : فكيف يكون ذلك ابن عمك وأبوه سيد من بني هاشم وأبوك من قد علمت ؟ فقال عمرو : ليس هذا مزاح ، هذا أشد من ضرب السيف ، أما والله يا معاوية ! لولا أني بعتك ديني إذاً لما استقبلتني بمثل هذا وأشباهه ؛ قال : فأنشأ معاوية يقول[1] :

ألا لله من هفوات عمرو ... يعاتبني على ترك البراز
فقد لاقى أبا حسن علياً ... فآب الوائلي مآب خازي
ولو لم تبد عورته لأودى ... به شيخ يذلل كل نازي[2]
فإن تكن المنية أخرته ... فقد غنى بها أهل الحجاز

قال : فأجابه عمرو وهو يقول[3] :

معاوي قد ثقلت عن البراز ... لك الخيرات فانظر من تبازي[4]
معاوي ما اجترمت إليك ذنباً ... وما أنا بالذي حدثت خازي
وما ذنبي بأن نادى عليٌّ ... فكبش القوم يدعى للبراز

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٠٧ .

(٢) في وقعة صفين :

فلو لم يبد عورته للاقى ... به ليثاً يذلل كل نازي

وبعده :

له كف كأن براحتيها ... منايا القوم يخطف خطف بازي

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٢٧٦ .

(٤) البيت في وقعة صفين :

معاوي إن نكلت عن البراز ... لك الويلات فانظر في المخازي

فلو لاقيته لاقيت كبشاً حديد القرن حية ذا ابتزاز[1]
وتزعم أنني أضمرت غشاً جزاني بالذي أضمرت جازي
أضبع في العجاجة يابن هند وعند الحرب كالتيس الحجازي

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فلما كان من الغد وثب عليّ رضي الله عنه فخطب الناس وقال[2] : أيها الناس ! إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، وجعل ثوابه لكم المغفرة ومساكن طيبة في جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ؛ وقد أخبركم بالذي يجب عليكم في ذلك ، فقال : **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾**[3] ألا ! فرصوا[4] صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع[5] وأخروا الحاسر ، وعضوا على النواجذ[6] ، فإنه أنبى[7] للسيوف عن الهام وأربط للجأش ، والتووا في أطراف الرماح فإنه أطول للأسنة ، وراياتكم[8] فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم المانعين للذمار الصابرين عند [نزول][9] الحقائق ، فهم أهل الحفاظ [من] الفرار من الزحف ، ولا تعرضوا لمقت الله فإن مردكم إليه ، قال الله عزّ وجلّ : **﴿ لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً ﴾**[10]وأيم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة فلن تسلموا من سيوف الآجلة[11]، واستعينوا بالصدق والصبر ، فإن بعد الصبر ينزل النصر .

قال : ثم تكلم الأشتر فقال : أيها الناس ! إننا بحمد الله ونعمته ومنه وفضله

---

(١) البيت في وقعة صفين :

فلو بارزته بارزت ليثاً حديد الناب يخطف كل بازي

(٢) الطبري ٦/٩ ، نهج البلاغة كتاب الخطب خطبة رقم ١٢٤ . باختلاف النصين .
(٣) سورة الصف ، الآية : ٤ .
(٤) الطبري : فسووا .
(٥) عن نهج البلاغة . وبالأصل : الذراع .
(٦) نهج والطبري : الأضراس .
(٧) أنبى : من نبى السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع (شرح النهج لمحمد عبده) .
(٨) عن الطبري ، وبالأصل « ورأيتكم قد » وفي النهج : ورايتكم .
(٩) عن نهج البلاغة .
(١٠) سورة الأحزاب الآية ١٦ .
(١١) في النهج : الآخرة .

نرجو من قتال هؤلاء القوم حسن الثواب والأمن من العقاب ، ومعنا ابن عم نبينا محمد ﷺ علي بن أبي طالب ، وهو سيف من سيوف الله ، وأول ذكر صلى مع رسول الله ﷺ لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، ولم يكن له صبوة ولا نبوة ولا سقطة ، فقيه في دين الله ، عالم بحدود الله ، ذو رأي وصبر جميل وحلم عظيم وعفاف قديم ، فاتقوا الله وعليكم بالصبر والصدق ! فإنكم بحمد الله على الحق .

ثم تكلم الأشعث بن قيس فقال : أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى قد خصنا منه بنعمة لا نستطيع شكرها ولا يقدر أحد قدرها ، إن أصحاب محمد ﷺ معنا ، وفي حيزنا من البدريين والعقبيين ، ووالله لو كان قائدنا حبشياً[1] أجدع لكان ينبغي لنا أن نسمع ونطيع ، فكيف إذ كان معنا أصحاب النبي ﷺ وأنصاره وآله وابن عمه ووارث علمه والقائم بحقه ، بدري قد صدّق وصلى صغيراً وجاهد مع الرسول كثيراً ، ومعاوية طليق ابن طليق أصاب قوماً غواة فأوردهم النار وأورثهم العار ، والله محلّ به وبهم الصغار والدمار ، فعليكم عباد الله بالحزم والصبر ! فإن الله مع الصابرين[2] .

قال : وجعل كل رجل مذكور من أصحاب علي يتكلم بما يحضره من الكلام ، فقال معاوية لذي الكلاع الحميري : ألا تسمع إلى هذا التحريض الذي يحرّض علينا في هذا اليوم ؟ أما عندك جواب ؟ فقال ذو الكلاع : عندي جواب ولكني لا أقدر على ما يقدرون عليه . قال : ثم وثب ذو الكلاع فاستوى على فرسه واستقبل أهل الشام بوجهه فقال : يا أهل الشام ! إنكم قد سمعتم من كلام أهل الحجاز وأهل العراق ما قد سمعتم ، وإننا لنعلم أن فيهم قوماً قد كانت لهم مع رسول الله ﷺ سوابق كثيرة ومناقب عظيمة لا ينكر لهم ذلك ، غير أني ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فلم أر يسعني أن يهدر دم عثمان ، وهو ختن رسول الله ﷺ على ابنته ، ومجهز جيش العسرة ، والزائد في مسجد رسول الله ﷺ ، فإن كان له ذنب فقد أذنب من هو خير منه وأفضل ، قال الله عزَّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[3] وقد قتل موسى بن عمران نفساً ثم استغفر فغفر له ، ولا يعرى أحد من الذنوب ، وإننا لنعلم أن علي بن أبي طالب خيّر فاضل ، قد كانت له سابقة حسنة مع

---

(١) بالأصل : حبشي خطأ .

(٢) بالأصل : الصادقين ، وسياق الحديث يدل على الصبر .

(٣) سورة الفتح الآية ٢ .

رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن مال على قتل عثمان فقد خذله وهو أخوه في دينه وابن عمه وشريكه في الشورى ؛ وبعدها فإنه قد أقبلت هؤلاء القوم من عراقهم حتى نزلوا في شامكم وبلادكم وهم من بين قاتل وخاذل ، فقاتلوهم واستعينوا بالله عليهم .
قال : فلما فرغ ذو الكلاع من الكلام أخذته السهام ودنا[1] القوم بعضهم بعضاً .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الكلام

قال : وتقدم أبو جهمة الأسدي من أصحاب علي رضي الله عنه وجعل يقول :

أنا أبو جهمة في جلد الأسد ... عَليّ منه لبد فوق لبدْ[2]
اقتل أهل الشام أشباه النقد ... ولا أهاب جمعهم ولا العدد

ثم حمل على أهل الشام فقاتل قتالاً حسناً ورجع إلى موقفه .

قال : وكان أبو جهمة هذا كثيراً ما يهجو كعب بن جعيل الثعلبي شاعر معاوية ، فقال فيه هذين البيتين[3] :

سميت كعباً بشرّ العظام ... وكان أبوك سُميّ الجُعَلْ
وكان مكانك من وائل ... مكان القراد من است الجمل

قال : فظن كعب بن جعيل أن النجاشي هجاه بهذين البيتين ، فبرز يومئذ على فرس له حتى وقف بين الجمعين وجعل يعرض للنجاشي ويقول[4] :

ابرزْ إليّ الآن يانجاشي[5] ... فانني آليت للهراش
فارس هيجاء وذو انكماش[6] ... قد علمت ثعلب ما أحاشي
إني إذا هممتُ بالجحاش ... وعضّت الحربُ بكل غاش
فإنني كعب أبو خراش[7]

---

(١) بالأصل : « ودنوا » خطأ .
(٢) الشطران في وقعة صفين ص ٣٦٢ .
(٣) كذا ، وفي وقعة صفين ٣٦٢ نسبهما إلى عتبة بن أبي سفيان ، وكان كعب بن جعيل يهجو عتبة ويعيره بالفرار . والبيتان في ديوان الأخطل ص ٣٣٥ .
(٤) بعضها في وقعة صفين ص ١٨٠ ونسبها إلى عمرو العكي .
(٥) وقعة صفين : ابرز إلي ذا الكبش يا نجاشي .
(٦) وقعة صفين : وفارس الهيجاء بانكماشي .
(٧) وقعة صفين : اسمي عمرو وأبو خراش .

قال : فخرج إليه النجاشي وهو يقول :

اربـع قـليـلاً فـأنـا الـنـجـاشـي ... من سـرو كعب لست[1] من رقـاش
أخـو حـروب في ربـاط الـجـأش ... لست أبـيـع الـدين بـالـمعـاش[2]
أنـصـر خـيـر راكـب ومـاشـي ... ذاك عـلـيّ بـيّـن الـريـاش
بيت قـريش لـيس من حـواشـي ... ولا الـذي قـد كـف في قـمـاش
يغشى كمـاة القـوم بـالـنـجـاش ... فـهـاك خـذهـا من أخـي هـراش

ثم حمل عليه النجاشي فطعنه طعنة ما زال منها وقيذاً ، ورجع النجاشي إلى موضعه وهو يقول[3] :

إني إخـال عـليّـاً غـيـر منـتـهـي ... حـتى يـؤدّي كـتـاب الله والـذمَـمُ
غـضـبـان لله لا يـألـو جـهـادكـم ... في كفـه صـارم كـالـبـرق مبتسم
لـه غـطيط إذا نـار الـوغى سعـرت[4] ... كمـا يغطّ الفتيق الـمغـضب الـقـطم
حتى يـزيـل ابن حـرب عن إمـارتـه ... كمـا يـركب تيس الجـالب الغنم[5]
أو أن تـراه عفيـر الـخـدّ مـطرحـاً ... تجـول من فـوقـه العقبـان والـرخم[6]

قال : وحمل[7] غلامان من الأنصار على فرسيهما حتى انتهيا إلى سرادق معاوية ، فقاتلا هنالك حتى قتلا .

قال : ثم صاح عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بالناس ، فاجتمع إليه زهاء ألف رجل ، فحمل وحملت الناس معه حتى خالطوا أهل الشام ، وأقبلت الكتائب بعضها

---

(١) في وقعة صفين ص ١٨٠ : أرود قليلاً . . . . ليس بالرقاشي .

(٢) وقعة صفين : ولا أبيع اللهو بالمعاش .

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٢ .

(٤) في وقعة صفين : غضبان يحرق نابيه بحرته ... . . . المصعب القطم .
والمصعب : الفحل ، والقطم : المشتهي للضراب .

(٥) وقعة صفين : كما تنكب تيس الحبلة الحلم .
انظر الحيوان ٤/١٣٤ و٦/١٢٣ .

(٦) وقعة صفين :

أو أن تـروه كـمـثـل الـصـقـر مـرتـبـئـاً ... يـخـفـقن من حـولـه العقبـان والـرخـم

(٧) بالأصل : « وحملوا » تحريف .

على بعض ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، فقتل يومئذ من أهل الشام خلق كثير ، فقال عمرو بن العاص[1] : في ذلك :

أجئتم إلينا تسفكون دماءنا ... وما رُمتم وعر من الأمر أعسرُ
لعمري لما فيه يكون حجامنا ... إلى الله أدهى لو عقلتم وأكثر
نغادرهم ضرباً بكل مهنّدٍ ... إذا شاء يوماً أن يقدم قنبر[2]
إذا ما التقوا حرباً[3] تدارك بينهم ... طعان وموت للمبارز أحمر[4]

قال : وتقدم رجل من أهل الشام يقال له يزيد بن زياد حتى وقف في ميدان الحرب وهو يقول[5] :

لقد ضلت معاشر من نزار ... إذا انقادوا لمثل أبي ترابِ
فإنهم وبيعتهم علياً ... كواشمة وقد شمط الغراب[6]
تعاتب من سفاهتها بنيها[7] ... وتحسر باليدين عن النقاب
فإياكم وداهية تراها ... تسير إليكم تحت العقاب
إذا انتسبوا سمعت بحاميهم[8] ... دويّاً مثل تصفيق السحاب
يجيبون الصريخ إذا دعاهم ... إلى طعن الفوارس بالحراب
عليهم كل سابغة دلاصٍ ... وأبيض صارم مثل الشهاب

قال : فحمل عليه الأشتر فضربه ضربة جدله قتيلاً ؛ ثم جال الأشتر حوله وهو يقول :

وسار ابن حرب يبتغي من سفاهة ... قتال علي بالخيول وبالرجلِ[9]

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٧٤ .
(٢) في وقعة صفين : إذا شد وردان تقدم قنبر .
(٣) وقعة صفين : يوماً .
(٤) وقعة صفين : طعان وموت في المعارك أحمر .
(٥) في وقعة صفين ص ٣٧٥ رجل من كلب مع معاوية .
(٦) وقعة صفين : كواشمة التغضن بالخضاب .
(٧) وقعة صفين : تزين من سفاهتها يديها .
(٨) وقعة صفين : إذا هشوا سمعت لحافتيهم .
(٩) البيت في وقعة صفين ص ٣٧٦ :

وسرنا إليهم جهرة في بلادهم ومِلنا عليهم بالسيوف وبالنبلِ
وكل ....[1] كعوبة بأيدي رجال غير ميل ولا عزل
فأهلكم ربي وفرق جمعهم وكانوا ذوي عز[2] فذاقوا ردى الخبل

قال : وجعل رجل من أهل الشام يقال له المشجع بن بشر الجذامي[3] ينادي بأعلى صوته : ويلكم يا جذام ! أعينوني حتى نحمل على أهل العراق حملة فلعلنا ندرك فيه بعض ما نؤمل .

قال : فلم يجبه أحد من قومه ، فجعل يقول :

يا لهف نفسي على جذام وقد هزّت صدور الرماح والخِرَقِ
لا يقربون القتال إن شهد الـ ـقوم ولا يدفعون بالدرق
كانوا لدى الحرب في مواطنهم أسداً إذا انساب سائل الغلق
فاليوم لا يدفعون أن دهموا ولا يحامون عن أخي قلق[4]
فاليوم لا ينصفون إخوتهم عند وقوع الحروب بالحلق

قال : ثم حمل هذا الجذامي على أصحاب علي ، فلم يزل يقاتل أشد قتال وهو مع ذلك يراعي المواضع التي فيها عليّ ليحمل عليه ؛ فنظر إليه عدي بن حاتم فلم يرتد ، فحمل عليه عدي محققاً فطعنه في لبته طعنة جدله بها ؛ ثم جال عدي وجعل يرتجز وهو يقول :

قد علمت غسان مع جذام أني كريم ثابت المقام
في النسب في آبائنا الكرام أحمي إذا ما زيل بالأقدام

قال : فصاح خالد بن المعمر[5] السدوسي وكان من فرسان أصحاب علي فنادى بأعلى صوته : من يبايع على الموت ؟ من يشري نفسه في هذا اليوم لله ؟ فبايعه يومئذ

= وسار ابن حرب بالغواية يبتغي قتال علي والجيوش مع الحفل

(١) موضع النقاط مطموس بالأصل . وسقط من وقعة صفين .

(٢) في وقعة صفين : وكان لنا عوناً .

(٣) في وقعة صفين ص ٣٧٦ : الشيخ بن بشر الجذامي . وذكرت أبياته .

(٤) وقعة صفين : ولا يردون شامة الغلق .

(٥) بالأصل « المعتمر » تحريف والتصحيح عن الأخبار الطوال ص ١٦٥ والإصابة ووقعة صفين . وكان على بكر بن وائل .

زيادة على تسعة آلاف فارس على أنه لا يلتفت رجل منهم إلى ورائه ؛ ثم تقدموا وقد كسروا جفون سيوفهم ، فقاتلوا قتالاً لم ير[1] الناس مثله وبلغوا إلى سرادق معاوية ؛ فلما نظر معاوية وقد دنوا من سرادقه خلى عنهم وعن سرادقه وخرج منه إلى بعض عسكره ، فدخل[2] القوم إلى خيمة معاوية فأخذوا ما وجدوه من مال وسلاح .

قال : وأرسل معاوية إلى خالد بن المعمر[3] أن يا خالد عندي إمرة خراسان متى ظفرت ، فأقصر ويحك عن فعالك هذا ! قال : فطمع خالد في خراسان فأقصر عن حرب معاوية[4] ولم يقصر أصحابه ولكنهم قاتلوا قتالاً شديداً ؛ فأنشأ النجاشي يقول :

ولو شهدت هند لعمري مقامنا ... بصفين لأفدتنا بكعب وعامر
فيا ليت أن الأرض تنشر عنهم ... فيخبرهم أنباءنا بعد خابر
بصفين إذ قمنا كأنا سحابة ... سحاب وليّ في الوغى متبادر[5]
فأقسم لو لاقيت عمرو بن وائل ... بصفين ألقاني[6] امرءاً غير غادر
فولوا سراعاً هاربين كأنهم ... نعام تلاقى خلفهن زواجر
وفرّ ابن حرب عفّر الله وجهه ... وذاك قليل من عقوبة قادر[7]
معاوي لولا أن فقدناك فيهم ... لغودرت مطروحاً بها مع معاشر

حديث خالد بن المعمر السدوسي وصاحبه الأعور الشني مع معاوية

قال : فلما كان بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل خالد بن المعمر السدوسي هذا على معاوية ومعه الأعور الشني ، فلما نظر إليهما معاوية أقصاهما وجفاهما وجعل يذكر لهما ما كان من قتالهم بصفين ، فأمسكا عنه حتى فرغ من

---

(١) بالأصل : فلم يروا خطأ .
(٢) الأصل : فدخلوا خطأ .
(٣) بالأصل : المعتمد تحريف . وقد مرّ .
(٤) وأمّره معاوية ـ حين بايعه الناس ـ على خراسان فمات قبل أن يصل إليها (وقعة صفين ص ٣٠٦) . وقال ابن ماكولا أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها (الإصابة) .
(٥) وقعة صفين ص ٣٠٧ : سحاب ولي صوبه متبادر .
(٦) وقعة صفين : ألفاني بعهدة غادر .
(٧) وأرداه خزياً ، إن ربي قادر .

كلامه ؛ ثم رفع خالد بن المعمر صوته وأنشأ يقول :

معاوي لا تجهل علينا فإننا ... نذلك في الحرب العصيب معاويا
متى تدع فينا دعوة ربعيّة ... تجبك رجال يخضبون العواليا
أجابوا علياً إذ دعاهم لنصره ... بصفين إذ جرّوا عليك الدواهيا
فإن تصطنعنا يابن حرب لمثلها ... نكن خير من تدعو إذا كنت داعيا
ألم ترني أهديت بكر بن وائل ... إليك وكانوا بالعراق أفاعيا
إذا نهشت قال السليم لأهله ... ألا فابتغي لي لا أبا لك راقيا
فأصبحت قد أهدوا ثمار قلوبهم ... إليك وأسرار القلوب كما هيا
وكنت امرءاً أهوى العراق وأهلها ... وكنت حجازياً ولم أك شاميا
فلا تجفنا واجمع إليك قلوبنا ... فإنك ذو حلم ولم تك جافيا
ودع عنك شيخاً قد مضى لسبيله ... على أي حاليه مصيباً وخاطيا
فإنك لا تستطيع رد الذي مضى ... ولا دافعاً شيئاً إذا كان جائيا

فقال معاوية : يابن المعمر ! فإني قد صفحت عن الذي كان يا غلام ! احمل إلى رحله ثلاثين ألف درهم يفرقها في بني عمه ، وعشرين ألف درهم له خاصة ، واحمل إلى ابن عمه مثل ذلك ؛ قال : فأنشأ الشني وهو يقول :

معاوي إني شاكر لك نعمة ... رددت بها ديني على معاويه
وكم من مُقام غابط لك قمته ... وداهية أوردتها بعد داهيه
فموّتها حتى كأني لم أقم ... عليك وارتادي بصفين باقيه
فأبلعتني ريقي وقد كان قاتلي ... بكفيك لو لم يكفف السهم باريه
ولم ترض لي بالعفو حتى منحتني ... جداك فأمي إن كفرتك هاويه

فقال معاوية :

لقد رضي الشني من بعد عتبه ... فأيسر ما يرضى به صاحب العتب

يا غلام زده عشرة آلاف درهم وزد صاحبه مثلها .

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : فلما كان من الغد وثب معاوية فعبى أصحابه وجعل يوصيهم أن يفرغوا مجهودهم في أهل العراق ، فأنشأ رجل من أصحابه يقول :

يـابـن هـنـد وقـاك حـتـفـك واق	قـد مللنـا قـتـال أهـل الـعـراقِ
كـل يـوم نـلقى فـوارس فـي النقـ	ـع عـلى شـرب عـاتـق ورِقـاق
يـتقى الـطعن بـالـنحـور وينـد	س غـداة الـوغـى من الإشـفـاق
كـم بنـان وكـم تـرى لـهـم الـيـو	م وهـام كـالـحـنـظل الـمـقـلاق
وصـريـع يـدعـو الفـوارس لم يبـ	ـق لـه غـيـر عـضـة ونُـهـاق
كـلمـا قلت قـد دنـوت من الفتـ	ـح تـداعـت رؤوس أهـل النفـاق
طـال هـذا البـلاء واحتبس النصـ	ـر وصـارت نفـوسنـا في التـراق
مـا لـنـا الـيـوم مـن قـتـال عـليّ	غيـر طعن الكلى وضـرب الـرقـاق
شـد هـذا الخنـاق واضـطرب الأمـ	ـرُ وقـد كنت قبـل رخـو الخنـاق

قال فقال معاوية : يـابـن أخي قد فهمت ما قلت والذي بقي أكثر ، أتظن أن علياً ينصرف عنا أو يبلغ حاجته منا أو يوردنا حياض الموت ، اصبريـابـن أخ ! فإنك في أجر عظيم وإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

قـال : وعبى علي أصحابـه وقال : أيهـا الناس ! غضـوا الأبصار ، واخفـوا الأصوات ، وأقلوا من الكلام ، ووطّنوا على المنافاة والمجاولة والموافقة والمسابقة والمكايدة ، واثبتوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال فقال له : خذ لواءك إلى أهل حمص ، فإنهم بطانة معاوية وظهارته ؛ قال : فتقدم هاشم في خيل عظيمة إلى أهل حمص فقاتل قتالاً شديداً حتى غلب على أهل حمص ، وجعل يرتجز ويقول[1] :

قـد قـتـل الله رجـال حـمص	عـلى مـقـال[2] كـذب أو خـرص
حـرصـاً على الملك[3] وأيّ حـرص	أن نـكص الـقـوم وأيّ نـكص

قال وجعل رجل من أهل حمص[4] يرتجز ويقول :

(١) الأرجاز في وقعة صفين ٤٣٧ ونسبها إلى رجل من همدان عداده في أرحب .
(٢) وقعة صفين : « غروا بقول » . والخرص : الكذب ، والخراص : الكذاب .
(٣) وقعة صفين : المال .
(٤) في وقعة صفين ص ٤٣٨ رجل من كندة . وذكر الأرجاز .

قد قتل الله رجال العالية في يومنا أو في غد أو تالية[1]
من عهد عاد وثمود الغاوية بالحجر أو يملكهم معاوية

قال : وتقدم بنو عك بأجمعهم حتى نزلوا بين يدي معاوية وقالوا : أبشر يا معاوية ! فإننا لن نرجع أو نسرك إن شاء الله تعالى .

قال: وصاح سعيد بن قيس الهمذاني ببني عمه فقال: يا معشر همذان! إن عكاً قد بايعوا أنفسهم وأديانهم من معاوية بالدنيا ، فبيعوا أنتم أنفسكم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالآخرة ؛ قال : فتقدمت همذان إلى عك ، وصاح رجل من عك : برك الجمل برك الجمل ! قال : فبركت عك بأجمعها وبركت همذان حذاءها وشجروا[2] الخيل بالرماح ، وجعل رجل من همذان يرتجز ويقول :

قد بركت همذان معها حاشدُ[3] نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا

قال : ثم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ، وصاروا إلى السيوف وكثرت فيهم القتلى ونادت عك : يا معشر همذان ! إننا والله لا نرجع أو ترجعون !

وصاحت همذان : فإننا والله لا نبرح وأنتم وقوف ! قال : فانصرفت عك القهقرى إلى ورائها وفي وجوهها آل همذان ، وانصرفت همذان أيضاً إلى ورائها فقال عمرو بن العاص : ويحك يا معاوية[4] ! لو كان معك حي آخر مثل عك ومع علي حي آخر مثل همذان لكان الفناء ، ثم أنشأ عمرو يقول :

إن عكاً وحاشداً وبكيلا كأسود الضراب لاقت أسودا
شجروا الخيل بالقنا وتلاقوا[5] بظبات السيوف موتاً عتيدا
ليس يدرون ما الفرار وإن كا ن فرار لكان ذاك شديدا
في ازورار المناكب التقت الشو س وقرع الحديد يعلو الحديدا[6]

---

(1) وقعة صفين : في يومنا هذا وغدواً ثانيه .

(2) شجروا : طعنوا .

(3) الشطر في وقعة صفين ص ٤٣٤ : يالبكيل لخمها وحاشد .

(4) في وقعة صفين ص ٤٣٤ : لقد لقيت أسدٌ أسداً ، لم أر كاليوم قط .

(5) في وقعة صفين ص ٤٣٥ : وجثا القوم بالقنا وتساقوا . . .

(6) البيتان في وقعة صفين :

أيـمـن الله مـا رأيـت مـن الـقـو م ازوراراً ومـا رأيـت صـدودا
غيـر ضـرب المسـوّمين على الهـا م وضـرب المسـومين الـخـدودا[1]
ولقـد قـال قـائـل خـدمـوا السيـ ـف[2] فخـرّت هناك عـك قعـودا
كبـروك الجـمـال أثـقـلهـا الـحـمـ ـل لـطي[3] الـفـلاة بـيـداً فبـيـدا
ولقـد فُضّـل الـمـطيـع على الـعـا صي ولم يـبلغـوا بـه الـمـجـهـودا

حديث سودة بنت عمارة الهمذانية مع معاوية

قال : فلما كان بعد ذلك وقتل علي رضي الله عنه استأذنت سودة بنت عمارة بن لاسك[4] الهمذانية على معاوية ، فأذن لها ؛ فلما دخلت سلمت وجلست ، فقال لها : إيه يا بنت لاسك[4] ! ألست القائلة [5] يوم صفين عند ملتقى عك وهمدان هذه الأبيات :

شمـر لقتـل أخيـك[6] يـابـن عمـارة يـوم الـطعـان ومـلـتـقـى الأقـران
وانصـر عليـاً والحسين وصنـوه[7] واقـصـد بـهـنـد وابـنـهـا بـهـوان
إن الإمـام أخـو الـنـبـي مـحـمـد علـم الهـداة وعـصمـة[8] الإيـمـان
فخف الحتـوف[9] وسـر أمـام لـوائـه قـدمـاً بـأبـيض صـارم وسـنـان

قال : فقالت سودة : بلى يا معاوية ! أنا قائلة هـذه الأبيات ، وما مثلي من اعتمد غير الحق ولا اعتذر بالكذب ، فقال معاوية : وما حملك على ذلك ؟ فقالت :

= ازورار الـمـنـاكـب الـغـلـب بـالشـ ـم وضـرب الـمـسـومـيـن الـخـدودا
غيـر ضـرب فـوق الـطلى وعلى الـهـا م وقـرع الـحـديـد يـعـلو الـحـديـدا

(1) انظر الحاشية السابقة .
(2) وقعة صفين : السوق .
وخدموا : فسره ابن أبي الحديد : أي اضربوا موضع الخدمة وهي الخلخال ، يعني اضربوهم في سوقهم .
(3) وقعة صفين : فما تستقل إلا وئيدا .
(4) في العقد الفريد ١/٣٣٤ من تحقيقنا : ابن الأشتر .
(5) في العقد : أنت القائلة لأبيك . وفي بلاغات النساء ص ٢٥ : لأخيك .
(6) العقد الفريد : شمر كفعل أبيك .
(7) في العقد الفريد : ورهطه .
(8) العقد الفريد : ومنارة الإيمان .
(9) العقد الفريد : فقد الجيوش .

حب علي بن أبي طالب واتباع الحق، فقال: والله ما أرى عليكِ من علي أثراً، فقالت سودة: بلى والله يا معاوية! فقال لها: وما هو؟ فقالت: إن ثوابي عند الله أعظم، فأنشدك الله أن لا تعيد ما مضى ولا تذكر ما قد نسي، فقال معاوية: هيهات يا سودة! ما مثل مقام أخيك في يوم صفين ينسى، وما لقيتُ من أحد من العرب مثل ما لقيت من قومك؛ فقالت سودة: صدقت[1]، وقد كان أخي كما قالت الخنساء في أخيها صخر حيث تقول:

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به ... كأنه عَلَم في رأسه نارُ

وبالله أسألك أنك لا تذكر شيئاً مما قد مضى؛ فقال معاوية: قد فعلت يا سودة! فما حاجتك؟ فقالت: إنه قد مضى عليّ لسبيله وقد أصبحت للناس سيداً ولأمورهم مقلداً، والله سائلك عن أمرنا وعما افترض عليك من حقنا، ولا يزال[2] يقدم علينا من قبلك من يسمو مكانك ويبطش[3] بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدرسنا[4] درس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، وهذا بسر بن [أبي] أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فأما إن عزلته عنا فشكرناك، وأما لا فكفرناك[5]؛ فقال معاوية: إياي تهددين يا سودة! لقد هممتُ أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه؛ قال: فأطرقت سودة إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها وأنشأت تقول:

صلى الإله على روح تضمنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً[6] ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: ومن هذا يا سودة؟ فقالت: والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب! والله لقد جئته في رجل قد كان ولّاه صداقتنا فجار علينا، فجئت إليه فأصبته قائماً يصلي، فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل عليّ برأفة وتعطف فقال: ألكِ

---

(١) في العقد الفريد: صدقت، والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان، ولكن كما قالت الخنساء.

(٢) العقد الفريد: ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك.

(٣) العقد: ويبسط.

(٤) العقد: ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسألنا الجليلة.

(٥) العقد: فعرفناك.

(٦) العقد الفريد: ثمناً.

حاجة ؟ فقلت : نعم - وأخبرته الخبر ، فبكى ثم قال : اللهم ! أنت الشاهد عليّ وعليهم ، إني لا آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كأنها طرف الجراب فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جاءكم بينة من ربكم ، فاوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ؛ فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما فيه وبما في يديك من عملنا حتى يقدم[1] عليك من يقبضه منك - والسلام -. ثم دفع الرقعة إليّ ، فوالله ما ختمها بطين ولا حزمها بسحاءة ، فجئت بالرقعة إلى صاحبه ، فانصرف عنا معزولاً . فقال معاوية : اكتبوا لها بردّ مالها والعدل في بلدها ؛ فقالت سودة : أهذا لي خاصة أم لقومي عامة ؟ فقال معاوية : وما أنت وقومك ؟ فقالت سودة : والله ! إن هذا هو الفحشاء واللؤم ، إن كان هذا منك عدلاً شاملاً لجميع قومي من همذان حمدت الله على ذلك إذ أجراه على يدي ، وإن تكن الأخرى فأنا كسائر قومي ؛ فقال معاوية : يا أهل العراق ! لمطيكم والله علي بن أبي طالب على جرأة الأمر[2] ، أفتبطىء ما تُعطون ! اكتبوا لها بحاجتها كما تحب وردوها واصرفوها إلى بلدها غير شاكية . قال : فأخذت سودة كتاب معاوية وجائزته وانصرفت غانمة إلى بلدها .

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : فلما كان من الغد أقبل أبو هريرة وأبو الدرداء[3] حتى دخلا على معاوية ؛ فقالا له : يا معاوية ! علامَ تقاتل علي بن أبي طالب وهو أحق بهذا الأمر منك لسابقته في الدين وفضيلته في الإسلام وهو رجل من المهاجرين الأولين السابقين

---

(١) العقد الفريد : حتى يأتي من يقبضه منك .

(٢) زيد في بلاغات النساء : « على السلطان ، فبطيئاً ما تفطمون » وزيد في العقد الفريد : وغركم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ... ومثل همدان سنّى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه ... وجه جميل وقلب غير وجاب

(٣) كذا ، وفي الأخبار الطوال ص ١٧٠ والبداية والنهاية ٢٨٨/٧ أبو الدرداء وأبو أمامة . وذكر ابن الأثير في أسد الغابة أن أبا الدرداء مات في خلافة عثمان (رض) ، قبل مقتله بسنتين .

وأنت رجل طليق وكان أبوك من الأحزاب ؟ فقال معاوية : إني لست أزعم أني أحق بهذا الأمر منه ، وإني لأعلم أن علياً لكما وصفتما ، ولكني أقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان ، فإذا فعل ذلك كنت أنا[1] رجلًا من المسلمين أدخل فيما دخل فيه الناس ؛ فقالا : يا هذا ! فإننا نكفيك بهذا الأمر .

ثم أقبلا على علي بن أبي طالب فسلما عليه وقالا : يا أبا الحسن ! إن لك فضلًا لا يدفع وشرفاً لا ينكر ، وقد سرت مسير من لا يشبهك إلى رجل سفيه ومعه قوم سفهاء لا يبالون بما قالوا ولا بما قيل لهم ، وقد زعم معاوية أن قتلة عثمان عندك وفي عسكرك ، فادفعهم إليه ، فإن فعلتَ ذلك وقاتلك معاوية بعد ذلك علمنا أنه ظالم متعد ! فقال علي رضي الله عنه : إني لم أحضر عثمان في اليوم الذي قُتل فيه ، ولكن هل تعرفان من قتله ؟ فقالا : بلغنا أن محمد بن أبي بكر فيمن دخل عليه وعمار بن ياسر والأشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلان وفلان ؛ فقال علي : فانطلقا إليهم فخذاهم . قال : فأقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى هؤلاء القوم فأخذاهم وقالا لهم : أنتم ممن قتل عثمان ، وقد أمرنا أمير المؤمنين بأخذكم ! قال : فوقعت الضيحة في العسكر بهذا الخبر ، فوثب من عسكر علي أكثر من عشرة[2] آلاف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون « نحن كلنا قتلنا عثمان » قال : فبقي أبو هريرة وأبو الدرداء متحيرين ، وأنشأ رجل من أصحاب علي يقول :

ألا ذهب الخداع فلا خداع ... وأبدى السيف عن طبق النخاع
أبا الدرداء لا تعجل علينا ... وأنت أبا هريرة غير واعي
هلمّا إلى المشورة فانصفانا ... فإن النصف حسن الاستماع
وقولا قول من جعلت إليه ... حكومة نفسه غير الخداع
فقمتم قتل عثمان علينا ... وهذا الأمر مكشوف القناع
أحاط به الرجال فحاصروه ... ولو زجروا لكانوا نقع قاع
وكان المسلمون له شهوداً ... وما أهل المدينة بالبداع
فلم يهتف بنصرته منادي ... ولا عالى بنهي القوم داعي
ولو بهم نصاح إذاً لكانوا ... أذلّ هناك من ظلف الكراع

---

(١) في البداية والنهاية ووقعة صفين ص ١٩٠ أنا أول من بايعه من أهل الشام .
(٢) الأخبار الطوال والبداية والنهاية : عشرين ألفاً .

فهذا الأمر والتقوال فيه ... برجم الغيب أو بهوى مطاع
فإن يك ساءهم ممساة جذل ... وإن يك سرهم فسرور واعي
فردًا غرب شاؤكما وكفًا ... فليس بالجلائب بالخداع

قال : فخرج أبو هريرة وأبو الدرداء من عسكر علي وهما يقولان : هذا الأمر لا يتم أبداً ؛ قال : وإذا بصائح يصيح بهما من ورائهما وهو يقول :

أيها الطالبان ثأر ابن عفا ... ن وللقتل والقصاص رجال
إن تكونا أمرتما بدم القا ... تل فالناس كلهم قتال
بل هم غامس بكف وأرض ... غير شك ومذنب جدال
ذلك الحق ما أقول وللحـ ... ـق ضياء وغير ذاك ضلال

قال : ثم أقبل أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية فأخبراه[1] بما سمعا من عسكر علي ؛ ثم انصرفا[2] إلى حمص ، وبها يومئذ عبدالرحمن بن غنم الأشعري[3] صاحب معاذ بن جبل ، وهو الذي فقه أهل الشام بعد معاذ بن جبل فأخبراه بالقصة ، فقال لهما عبد الرحمن : العجب لكما ! تأتيان علياً وتطلبان منه قتلة عثمان وقد علمنا أن المهاجرين والأنصار كانوا بالمدينة حضوراً يوم قتل عثمان فما نصروه ولا دافعوا عنه ، وأنتما تعلمان أن من رضي بعلي خير ممن كرهه ، وأن من بايعه خير ممن لم يبايعه ، ثم إنكما صرتما[4] رسولين لرجل من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ولا الشورى ، فسوءة لكما ولما جئتما[5] به - والسلام - . قال : ثم أنشأ سعيد بن الحارث الأزدي يقول :

لهف نفسي وللأمور بناء ... لابن هند مزين الفحشاء
خدع الدوسي المغفل بالله ... وداَرت على أبي الدرداء
مشيا يَسْحَبانِ جهلاً إلى الخد ... عة أذيالَ سوءة سوآء

(١) بالأصل : فأخبروه .
(٢) بالأصل : « انصرفوا » وفي الأخبار الطوال : فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فلحقا ببعض السواحل ، ولم يشهدا شيئاً من تلك الحروب .
(٣) عن الإصابة ، وقد مرّ ، وبالأصل : الثمالي خطأ .
(٤) الأصل : إنكم صرتم .
(٥) بالأصل : لكم ولما جئتم .

مشيا للسراب في البلد القـ ـفر غروراً والحية الصماء
قال شورى يريدها من عليّ من اسمّيه من ذوي السخاء
أي شورى تريد بعد رضى النا س علياً وبيعة الخلفاء
لم يقولوا بقتل قاتل عثما ن ولا تسفك الدما بالدماء
فرأى غير ما رآه ابن هند ليس والقول في الهوى بسواء
أَسَواءٌ مُهاجِرٌ وطَلِيقٌ ليس في الدين بيعة الطلقاء

قال ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عمرو بن العاص فجعل يطعن في الخيل وهو يقول :

أبعد طلحة والزبير تأتلفْ وبعد عثمان فما لي من خلفْ
شدوا عليهم أبداً لا ينكشف[1] يوم لهمذان ويوم للصدف[2]
وفي قريش[3] نخوة لا تنحرف إذا مشيت مشية العود القطف[4]
أضربها بالسيف حتى ينصرف ووائل في غمرة الموت القذف
والمرء يغشاه من الموت الأنف ما أشبه اليوم بيوم قد سلف

قال : ثم جعل عمرو يقاتل وعك تحميه وتقاتل بين يديه، قال : فإذا الأشتر قد خرج إليه في قريب من ثلاثمائة فارس من فرسان مذحج، فجعل رجل من عك يقول :

ويل لأم مذحج من عكّ لتتركنّ أمكم تبكي[5]
نقتلهم بالطعن طعن الصك[6] فلا رجال كرجال عك
سيعلم الله من المذكى بكل قطاع حسام الشك

قال : واشتبك القتال بين الفريقين، وجعل الأشتر يرتجز ويقول[7] :

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٠٦ : شدوا عليّ شكتي لا تنكشف .
(٢) الصدف : النسبة إليه صدفي محركة، والصدف لقب لعمرو بن مالك بن أشرس بن عفير . . . بن زيد بن كهلان (نهاية الأرب) .
(٣) وقعة صفين : وفي تميم .
(٤) وقعة صفين : الصلف .
(٥) في وقعة صفين ص ٢٢٧ : وأمهم قائمة تبكّي . وفي الطبري ١٢/٦ : هاتيك أم مذحج تبكي .
(٦) وقعة صفين : نصكهم بالسيف أي صك .
(٧) الأرجاز في وقعة صفين ص ٢٤٥ ونسبت لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي .

لم يبق إلا الصبر والتوكل | والأخذ للترس وسيف مصقل[1]
ثم التمشي في الرعيل الأول | مشي الجمال في حياض المنهل

قال : وجعل الأشتر يلاحظ عمرو بن العاص وقد ظهر بين يدي أصحابه ويحب أن يراه في ذلك الحرب الشديد ، فبينا هو كذلك إذا بعمرو بن العاص وقد ظهر من بين أصحابه وهو يقول[2] :

إني إذا ما الحرب نفرت كبرْ | واسفرت أخزر من غير خزرْ
أقحم والخطى في النقع كُسر | كالحية الصمّاء في أصل الحجر

قال : فقصده الأشتر وهو يقول :

إني أنا الأشتر معروف الشتر[3] | إني أنا الأفعى العراقي الذكرْ
لست من الحيَّيْ ربيعه ومضر | لكنني من مذحج الحي الغرر

قال : ثم حمل الأشتر في خيل مذحج على عمرو بن العاص وأصحابه حملة ، فألحقهم بسرادق معاوية ، وقد قتل منهم يومئذ على ثمانين رجلاً وأفلت الباقون مجروحين لما بهم ، وجرح عمرو جراحة منكرة ودهش معاوية لذلك دهشاً شديداً .

قال : وارتفع العجاج وجعلت أم سنان المذحجية تحرض قومها على قتال معاوية وتشتم أهل الشام وتذكرهم بكل قبيح ، ومعاوية يسمع ذلك كله إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين ، فبات معاوية ليلته وليس عليه شيء أشد من تحريض أم سنان في ذلك اليوم .

حديث أم سنان المذحجية مع معاوية

قال : فلما كان بعد ذلك بأعوام وقد صار الأمر إلى معاوية أقبلت أم سنان من المدينة إلى الشام واستأذنت على معاوية بالدخول ، فأذن لها ، فلما دخلت وجلست

---

(١) كذا بالأصل ، يقال : سيف قاصل ومقصل وقصال أي قطاع . فالصواب : « وسيف مقصل » .
(٢) الأرجاز ـ باختلاف ـ في وقعة صفين ص ٣٧٠ .
(٣) الشتر ، انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه ، وقد مرّ السبب لما لقب مالك بن الحارث بالأشتر .

قال لها معاوية : يا بنت خيثمة[1]! ما الذي أقدمك من المدينة إلى ما قبلنا وعهدي بك وأنت تشتمينا وتحرضين علينا عدونا ؟ فقالت أم سنان : إذاً أخبرك يا معاوية ! إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأحساباً وافرة[2]، فهم لا يجهلون بعد حلم ولا يكافون[3] بعد عفو ، وإن أولى الناس بسنن آبائه لأنت يا معاوية ؛ فقال معاوية : صدقتِ نحن كذلك ، ولكن ألست القائلة يوم صفين هذه الأبيات :

عذب[4] الرقاد فمقلتي لا ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمّروا	إن العدوّ لآل أحمد يقصد
هذا عليّ كالهلال تحفّه[5]	وسط السماء من الكواكب أسعد[6]
خير الخلائق وابن عم محمد	وكفاه فخراً في الأنام محمد[7]
ما زال مذ عرف الحروب مظفرا	والنصر فوق لوائه قد يعقد[8]

فقالت أم سنان : قد كان ذلك يا معاوية ، ولو كان علي حياً لما رأيناك وإننا لنكون لك من عليّ خلفاً . فقال رجل من جلساء معاوية :
يا أخت بني مذحج ! أو لست القائلة هذه الأبيات[9] .

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل	بالحقّ تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعتْ	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً لنا	أوصى إليك بنا وكنت وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده	هيهات نمدح بعده إنسيا

---

(١) في صبح الأعشى ٢٥٨/١ سنان بنت جشمية بن خرشة المذحجية . وفي العقد الفريد ٣٣٩/١ بنت جشمة .
(٢) العقد الفريد : « وأحلاماً وافرة » وفي صبح الأعشى : وأعلاماً ظاهرة .
(٣) العقد الفريد : « ولا ينتقمون بعد عفو » وفي الصبح : ولا يشتمون بعد عفو .
(٤) العقد والصبح : عزب .
(٥) عن العقد والصبح ، وبالأصل : بحقه .
(٦) سعود النجوم عشرة : أربعة منها من منازل القمر ، وست ليست من منازله .
(٧) في العقد والصبح : إن يهدكم بالنور منه تهتدوا .
(٨) في العقد والصبح : ما يفقد .
(٩) الأبيات في العقد ٣٤٠/١ وصبح الأعشى ٢٥٨/١ .

فقالت أم سنان : صدقت[1] ، يا معاوية ! أنا القائلة هذه الأبيات ولكنه لسان نطق وقول صدق ، ولئن تحقق لنا فيك ما نؤمل فحظك الأوفر ، ووالله يا معاوية ! ما أورد بك الشناءة[2] في قلوب المسلمين إلا مثل هذا وأصحابه ، فارفض أقاويلهم وادحض أباطيلهم ؛ فإن كنت[3] فعلت ذلك ازددت من الله قرباً ومن المؤمنين حباً ؛ فقال معاوية : وإنك لتقولين ذلك يا أم سنان ؟ فقالت أم سنان : سبحان الله العظيم ! يا معاوية ! ما مثلي من احتج بالباطل ولا اعتذر بالكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا ، وإن علياً كان أحب إلينا منك إذ كان حياً ، وأنت والله أحب إلينا من غيرك إذ كنت باقياً . فقال معاوية : أنا أحب ممن ؟ فقالت : من مروان بن الحكم ومن سعيد بن العاص ، فقال معاوية : وبما استحققت ذلك عندكم ؟ فقالت : بحسن عملك[4] وكرم عفوك ، فقال معاوية : لقد قاربتِ من القول يا أم سنان ! ولست أذكر منك ما كان من تحريضك عليّ يوم الأشتر وعمرو بن العاص ، ولكن ألك حاجة فتقضى ؟ فقالت : نعم ، إن مروان بن الحكم قد تبنّك[5] بالمدينة وتبنك من لا يريد البراح عنها ، وهو مع ذلك لا يريد أن يحكم بعدل ولا يقضي بسنة ، ويتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين ، وذلك أنه حبس قرابة لي ، فجئته وكلمته فيه فقال كيت وكيت ، فوالله ما قمت من بين يديه حتى ألقمته أخشن من الحجر وألعقته أمرّ من الصبر ، ثم رجعتُ على نفسي باللائمة وجئتك لتكون لي ناصراً ، وفي أمري ناظراً ، وعليه معتدياً ، وبأهل الحق مقتدياً ، قال : فضحك معاوية من حسن كلامها ثم قال : يا أم سنان ! فإننا لا نسألك عن ذنب محبوسك ولا القيام بحجته ولكنا نطلقه لك وإن رغم مروان .

ثم قال معاوية : اكتبوا لها بإطلاق محبوسها حتى ترجع إلى منزلها ، فقالت : وأنّى بالرجعة[6] وقد نفدت نفقتي وكلّت راحلتي ! فقال معاوية : هيئوا لها راحلة وادفعوا إليها ألف درهم ؛ فقالت : أنت أكرم من أن تعطي ألف درهم ؛ قال :

---

(١) بالأصل : صدق .
(٢) في العقد والصبح : والله ما ورثك الشنآن .
(٣) بالأصل : كان .
(٤) العقد والصبح : بسعة حلمك .
(٥) تبنك : أقام .
(٦) العقد والصبح : وقد نفد زادي .

فضحك معاوية وأمر لها براحلة بوطائها وزودها وأمر لها بعشرة آلاف درهم[١] ؛ فانصرفت أم سنان غانمة .

ثم رجعنا إلى الخبر من صفين

قال : وعزل عليّ الأشعث بن قيس عن الرئاسة لشيء بلغه عنه ودفع رايته إلى حسان بن مخدوج الذهلي ، فغضبت لذلك سادات كندة حتى كاد أن يقع بين كندة وربيعة شيء من حرب ، فقالت[٢] ربيعة لكندة : يا هؤلاء ! لا عليكم إن كان صاحبكم الأشعث بن قيس ملكاً في الجاهلية وسيداً في الإسلام فإن صاحبنا ليس بدونه وهو أهل لهذه الرئاسة . ثم وثب حسان بن مخدوج إلى الأشعث فقال له : يا أخي ! إن كان أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة فهذه راية قومي لك ولي راية قومك ؛ فقال الأشعث : معاذ الله أن أفعل ذلك ! ما كان لي فهو لك وما كان لك فهو لي . قال : وبلغ ذلك معاوية أن علياً قد عزل الأشعث عن الرئاسة ، فدعا بشاعره كعب بن جعيل[٣] وقال : أحب أن يلقى إلى الأشعث بن قيس شيئاً من الشعر يهيجه على عليّ ، فلعله أن يفارقه ويصير إلينا ؛ فكتب إليه كعب بن جعيل[٣] :

من يصبح اليوم مثلوجاً بأسرته ... فالله يعلم أني غير مثلوج
زالت عن الأشعث الكندي رئاسته ... واستجمع الأمر حسان بن مخدوج
يا للرجال لعارٍ ليس يغسله ... ماء الفرات وكرب غير مفروج
إن ترضَ كندة حساناً بصاحبها ... ترضى الدناة وما قحطان بالهوج
هذا لعمرك نقصٌ ليس ينكره ... أهل العراق وعار غير ممزوج
كان ابن قيس هماماً في أرومته ... بدراً ينوء بمُلكٍ غير مبعوج[٤]
ثم استقلَّ بعارٍ في ذوي يمن ... والقوم أعداد[٥] يأجوج ومأجوج
إن الذين تولوا بالعراق لهم ... لا يستطيعون طرّاً ذبح فروج

قال : فلما انتهى هذا الشعر إلى أهل اليمن وثب شريح بن هانىء المذحجي

---

(١) العقد وصبح الأعشى : خمسة آلاف .
(٢) في وقعة صفين ص ١٣٨ فتكلم حريث بن جابر .
(٣) بالأصل : جعل ، خطأ .
(٤) في وقعة صفين ص ١٣٩ : ضخماً يبوء بملك غير مفلوج .
(٥) وقعة صفين : أعداء .

وقال : يا معشر اليمن ! إن معاوية يريد أن يفرق بينكم وبين إخوانكم ، وربيعة لم يزالوا حلفاءكم في الجاهلية وإخوانكم في الإسلام ، فلا تلتفتوا إلى تحريض معاوية وهجائه فإنه عدو الله وعدو رسوله ؛ ثم إنه أنشأ وجعل يقول :

قد كمل الله للحيين نعمته ... إذ قام بالأمر حسان بن مخدوج
من كان يطمع فينا أن يفرقنا ... بعد الإخاء وودّ غير مخدوج
فالنجم أقرب منه في تناوله[1] ... فيما أراد فلا يولع بتهييج
أمست ربيعة أولى بالذي حدثت ... من كل حيّ بحق غير مخدوج
وكندة الخير ما زالت لنا ولهم ... حتى يرى فتح يأجوج ومأجوج

قال : فلما سمع معاوية شعره أيس من الأشعث بن قيس ، ثم أمر أصحابه بالخروج إلى الحرب ، فجعل الناس يعدون إلى مواقفهم .

قال : وافتقد معاوية راية قضاعة فلم يرها فقال لغلام واقف على رأسه : اذهب إلى النعمان بن جبلة القضاعي فقل له : ما يجلسك عن الخروج إلى العدو وقد زحفت الرايات ؟ والله لقد هممتُ أن أولي أمر قضاعة من هو أنصح منك حباً وأقل منك عيباً ؛ قال : فانطلق الغلام إلى النعمان بهذه الرسالة ، فلم يك[2] بأسرع من أن خرجت كراديس قضاعة يقدم بعضهم بعضاً حتى وقفوا في مواقفهم ، وأقبل النعمان بن جبلة إلى معاوية ، فلما رآه معاوية عرف الغضب في وجهه ، فقال : اللهم ! إني أعوذ بك من شر سنان هذا المقبل . قال : ثم دنا النعمان بن جبلة من معاوية فنزل عن فرسه وجلس مطرقاً ساعة لا يتكلم وقد احتبى بحمائل سيفه ، فقال له معاوية : أبا المنذر ! ما الذي أجلسك اليوم عن العدو وقد زحفت الرايات وعدت القبائل إلى مواقفها ؟ وأنتم تعلمون يا معشر قضاعة ! أنكم أعيان عسكري هذا وثقاتي في نفسي ، فقال له النعمان : يا معاوية ! إننا لو كنا نعدو إلى جيش مصنوع وإناء موضوع لكان في ذلك بعض الأناة ، فكيف وإنما نعدو إلى سيوف قاطعة ورماح شارعة وقوم ذوي بصائر نافعة ، فلا بد لنا من أن نأخذ لذلك أهبة ؛ وبعدُ يا معاوية !

(١) وكان حسان بن مخدوج قد مشى إلى الأشعث بن قيس برايته حتى ركزها في داره ، وعرض أيضاً علي بن أبي طالب (رض) على الأشعث أن يعيدها عليه فأبى وقال : معاذ الله أن يغيرني ذلك لكم ، فولاه علي ميمنته وهي ميمنة أهل العراق (وقعة صفين ص ١٤٠) .

(٢) الأصل : فلم يكن .

أنا أسرع من معك إلى الحرب نكوباً ، وأنصحهم لذلك جُيوباً وأقلهم عند الحقائق تكذيباً ، وزعمت أنك تولي أمر قضاعة من هو أنصح مني جيباً وأقل مني عيباً ، أما والله يا معاوية ! لقد نصحتك عن نفسي ، وآثرت ملكك على ديني ، وقتلت فيك عشيرتي ، وتركت لهواك رشدي وأنا أعرفه ، وحدت عن الحق وأنا أبصره ؛ فقال معاوية : أبا المنذر ! إني لم أرد بك هذا كله ، ولكن أي رشد أرشد وأي حق أحق من طلبك دم الخليفة المظلوم وذبك عن الحريم ؟ فقال النعمان : لا والله يا معاوية ! ما وقفت لرشادي إذ أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله ﷺ ، وهو أول مؤمن وأول مهاجر معه ، ولو أعطيناه من أنفسنا مثل الذي أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل للعطية وأنفذ في القضية وأقسم بالسوية وأبعد من الدنيّة والعصبية ، ولكنا بذلنا لك أمراً لا بد لنا من إتمامه غياً كان أم رشداً . قال : فسكت معاوية ولم يقل شيئاً ووثب عمرو بن مرة الجهني والحارث بن نمر الجرمي وقالا[1] : أقسمنا عليك أبا المنذر إلاّ سكتَ ، فقد بلغت من الكلام ما أردت ؛ قال : فسكت النعمان ونهض إلى موقفه .

قال : وإذا بكردوسين عظيمين من أصحاب علي قد خرجا[2] وكان وميض بيضها وميض الكواكب ، أحد الكردوسين قبائل مذحج وفيهم الأشتر ، والآخر همذان وفيهم سعيد بن قيس الهمذاني . قال : فنكى هذان الكردوسان في أهل الشام نكاية شديدة حتى كاد[3] أهل الشام يضعضعون ؛ فأرسل معاوية إلى النعمان : لله أنت أبا المنذر ! ألا ترى إلى ما صنعت بنا هذان الكردوسان في هذا اليوم ؟ أنت لهم لله درك . قال : فأرسل إليه النعمان أن ادع لهذين الكردوسين من هو أفصح مني جيباً وأقل مني عيباً . فقال معاوية لعمرو بن مرة الجهني والحارث بن نمر الجرمي : قوما[4] إلى ابن عمكما فاطلبا[5] إليه واسألاه[6] أن يلقى هذين الكردوسين بقومه وعشيرته وبأسه وشدته فليس لهم سواه ؛ فقال عمرو بن مرة الجهني : والله يا معاوية ! إنك لتقصر بنا في الخلاء وتضع بنا في الملاء ، وتميل علينا في الأهواء ، وتدعونا لكل

---

(١) بالأصل : قالوا .
(٢) بالأصل : خرجوا .
(٣) بالأصل : كاد .
(٤) بالأصل : قوموا .
(٥) بالأصل : ابن عمكم فاطلبوا .
(٦) بالأصل : اسألوه .

كتيبة خشناء ، قال معاوية : ليس هذا خبر شاف إنه أخذت السيوف هام الرجال والأسنة كُلاها ، فقوما[1] إلى ابن عمكما[2] . قال : فقاما إليه فكلماه وسألاه أن يخرج بأصحابه إلى الكردوسين ، فقال النعمان : أفعل ذلك ولا أردّكم . قال : وعلى النعمان يومئذ درع سابغ ، وعلى رأسه مغفر وعمامة سوداء ، وتحته فرس له أشقر ، فضرب بيده إلى راية قومه ثم قال : إننا سنقاتل عن الغوطة وعنبها وزيتونها إذ قد حرمنا الجنة ونعيمها وحور عينها . ثم تقدم أمام قومه وهو يقول :

قد علم الجرميّ ذو الشنآن ... أن لن نردّ الجيش من همذان
ومذحجٍ إذ كلّف الجمعانِ ... ألا لجيش مثله يماني
ذوي بناء وذوي أركان ... من ذُرِّي كلب ومن غسانِ
ومن تنوخ أيّما فرسان ... بيضٍ مراجح لدى الطِعان
بكل عسّال من الخرصان ... لا من تميم لا ولا غيلان
ولا من الأذناب من عدنان ... هذا لعمري أبين الخسران
يقتل فيك ابن أبي سفيان ... رجال قحطان ذُرَى قحطان

قال : ثم حمل النعمان هذا على قضاعة ، وحمل الأشتر وسعيد بن قيس في قومهما[3] من مذحج وهمذان ، فتجالدوا من وقتهم ذلك إلى الليل ، فقتل النعمان وقُتل معه جماعة أصحابه ، ثم تحاجز[4] الفريقان وقد فاتتهم الصلوات .

قال : وبلغ معاوية قتل النعمان فاسترجع وابدى جزعاً شديداً ، وقد كان يحب أن يقتل لما كان من قوله وميله إلى علي رضي الله عنه .

ذكرُ ما جرى من المناظرة بين أبي نوح وذي الكلاع الحميري

قال : فأصبح[5] القوم ، فدنا بعضهم من بعض ، ومع علي بن أبي طالب

---

(١) بالأصل : فقوموا .
(٢) الأصل : ابن عمكم .
(٣) بالأصل : قومهم .
(٤) بالأصل : تحاجزوا .
(٥) بالأصل : فأصبحوا .

رضي الله عنه يومئذ رجل من حمير يكنى بأبي نوح ، وكان مفوّهاً متكلماً وكان له فضل وقدر وطاعة في الناس ، فقال لعلي : يا أمير المؤمنين ! أتأذن لي في كلام ذي الكلاع ؟ فإنه رجل من قومي وهو سيد عند أهل الشام ، فلعلي أشككه فيما هو فيه ! فقال له علي : يا أبا نوح ! إن ردّ مثل ذي الكلاع شديد عند أهل الشام ، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل ، وإياك والكتب .

قال : فبعث أبو نوح إلى ذي الكلاع أني أريد لقاءك فاخرج إليّ أكلمك ؛ قال : فجاء ذو الكلاع إلى معاوية فقال : إن أبا نوح يريد كلامي ولست مكلمه إلا بإذنك ، فما ترى في كلامه أكلمه أم لا ؟ فقال معاوية : وما تريد إلى كلامه ؟ فوالله ما نشك في هداك ولا في ضلالته ، ولا في حقك ولا في باطله ؛ فقال ذو الكلاع : على ذلك ائذن لي في كلامه ! فقال معاوية : ذاك إليك ؛ وفشا أمر أبي نوح[1] وذي الكلاع في الناس ، فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول :

اذكر أخا كلع أمراً سيعقبه ... شكا وشيكاً فبادره أبا نوح
حتى نشكّكه في دين صاحبه ... والشك منه قريب شبه تصريح
أما الرجوع فإني لست آمله ... إلا وبعض دماء القوم مسفوح
من يحصب ورُعين أو ذوي كلَع ... وأصبح الشمر ذي الرأي المراجيح
كم ساعدٍ قد أبان السيفُ مرفقَها ... ورأسُ أشوسَ وسطَ القوم مطروح
قال ابن هند له قولاً فأطمعه ... إنّ المطامع بابٌ غيرُ مفتوح
بادِرْه من قبل أن ينشبْ أظافره ... من ابن هند بتشبيع وتجليح
وامنحه نصحك إما كنتَ ناصحه ... ما كان نصح أبي نوح بمشروح
إن خالف اليومَ أهلَ الشام ذو كلع ... لا يُمس بالشام قرن غير منطوح

قال : وأقبل [أبو] نوح حتى وقف بين الجمعين ، وخرج ذو الكلاع حتى وقف قبالته ، فقال أبو نوح : ياذا الكلاع ! إنه ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني ، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأتم معه في خصال كثيرة ، لخطأة واحدة أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، فأخطأ بادعائه إياها وأخطأتم باتباعه ؛ وأخطأ في الطلب بدم عثمان وأخطأتم معه ، لأن غيره أولى بطلب دم عثمان منه ؛ وأخطأ أنه رمى علياً بدم عثمان وأخطأتم بتصديقكم إياه ونصركم له ؛

---

(١) بالأصل : أبا نوح .

وهذا الأمر قد شهدناه وغبتم عنه ، فاتق الله ويحك يا ذا الكلاع ! فإن عثمان بن عفان أبيح له قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه ، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة ، وقد بايعت الناس علياً برضاء منه ومنهم ، لأنه لم يك[1] للناس بد من إمام يقوم بأمرهم ، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر ، فإن قلت أن علياً ليس بخير من معاوية ولا بأحق منه بهذا الأمر فهات رجلاً[2] من قريش ممن ترضى دينه حتى يعدل بينهم في شيء من الدين والشرف والسابقة في الإسلام ! فقال له ذو الكلاع : إنني قد سمعت كلامك أبا نوح ! ولم يَخْفَ عليّ منه شيء ، ولكن هل فيكم عمار بن ياسر ؟ فقال أبو نوح : نعم هو فينا ، قال[3] : فهل يتهيأ لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص فيتكلمان وأنا أسمع ؟ فقال أبو نوح : نعم .

ثم ولّى إلى عسكره فصار إلى عمار وطلب إليه وسأله أن يلقى[4] عمرو بن العاص . قال : فخرج عمار في ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ غير رجلين عمرو بن الحمق الخزاعي ومالك بن الحارث الأشتر ؛ قال : وقام الصباح الحميري إلى معاوية فقال له : إني أرى لك أن لا تأذن لذي الكلاع أن يلقى أبا نوح فإنه قد طمع فيه ، وأخاف أن يشكّكه في دينه ؛ فقال معاوية : إني قد نهيته فلم ينته عن ذلك ، وهو رجل من سادات حمير وأنا أرجو أن لا يخدع ، قال : فأنشأ رجل من أصحاب معاوية في ذلك يقول :

إنـي رأيت أبـا نـوح لـه طـمَـع ... في ذي الكلاع فلا يقربْ أبا نوحِ
إنـي أخـاف عـليـه مـن بـوادره ... كيد العراق وقرناً غير منطوحِ
إن يـرجـع اليـومَ للعقبين ذو كلع ... يرجع له الشامُ من شك وتصريح
مـا قـول عمرو وشرُّ القول أكذبُه ... إلا هشيمٌ ذَراه عاصفُ الريح
لا بـارك الله فـي عمرو وخطبته ... إن التي رامها فجر وتجليح

---

(١) بالأصل : لم يكن .

(٢) بالأصل : رجل خطأ .

(٣) في وقعة صفين ص ٣٣٣ قال ذو الكلاع لأبي نوح دعوتك لأحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص . . . قال : إن رسول الله (ص) قال : يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر .

(٤) بالأصل : يلق خطأ .

لـو شـاء قـال لـه قـولاً يشكّكـه حتى يظن سحوق النخل كالشيح

قال : فأقبل ذو الكلاع إلى عمرو بن العاص وإذا هو واقف يحرّض الناس على القتال ، فقال له : أبا عبد الله ! هل لك في رجل ناصح صادق لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر بالحق ؟ فقال له عمرو : ومن هذا معك ؟ فقال : هذا ابن عم لي من أهل العراق ، غير أنه جاء معي بالعهد والميثاق على أنه لا يؤذى ولا يهاج حتى يرجع إلى عسكره ؛ فقال عمرو : إنا لنرى[1] عليه سيماء أبي تراب ؛ فقال أبو نوح : بل سيماء محمد وأصحابه عليٍّ ، وعليك سيماء جهل ابن أبي جهل وسيماء فرعون ذي الأوتاد. قال: فوثب أبو الأعور السلمي فسلّ سيفه ثم قال : أرى هذا الكذاب الأثيم يشاتمنا وهو بين أظهرنا وعليه سيماء أبي تراب ، فقال ذو الكلاع : مهلاً يا أبا الأعور ! لأقسم بالله لو بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف ، ابن عمي وجاري قد عقدت له ذمتي ، وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه ، فتسلّ عليه السيف ! قال : فسكت أبو الأعور وتكلّم عمرو بن العاص فقال : ألست أبا نوح ؟ فقال : بلى ، أنا أبو نوح ، قال عمرو : فأنا أذكرك الله أبا نوح إلا صدقتنا ولم تكذبنا ، أفيكم عمار بن ياسر ؟ فقال أبو نوح : ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه : فإنّ معنا من أصحاب رسول الله ﷺ وكلهم جادّ في قتالكم ، فقال عمرو : لأني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية[2] ! وإنه ليس ينبغي لعمار بن ياسر أن يفارق الحق ، ولا تأكل النار منه شيئاً ؛ فقال أبو نوح : لا إله إلا الله والله أكبر ! إن عماراً معنا[3] وإنه لجادّ في قتالكم ؛ فقال عمرو : إنه والله لجادّ على قتالنا ؟ فقال أبو نوح : والله ! لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم ، فكان كما قال، ولقد حدثني بالأمس أن لو هزمتمونا[4] حتى تبلغونا إلى سعفات هجر[5] لعلمنا

---

(١) بالأصل : لا نرى خطأ .

(٢) الحديث روي من طرق مختلفة الطبري ٦/٢٢ ـ ٢٣ دلائل البيهقي ٢/٥٥٢ وبعضه أخرجه مسلم في الفتن ٤/٢٣٣ والبخاري في الصلاة فتح الباري ١/٥٤١ والإمام أحمد في مسنده ٣/٥ و٦/٢٨٩ و٤/٣١٩ . ونقل ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٢٩٩ وما بعدها الحديث بأسانيد مختلفة ومن طرق متعددة .

(٣) في وقعة صفين ص ٣٣٥ : والله إنه لفينا .

(٤) وقعة صفين : ضربتمونا .

(٥) خص هجر للمباعدة في المسافة ، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل (الحديث في اللسان) .

بأننا على حق وأنكم على باطل ، وأن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ؛ فقال عمرو : فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه ؟ قال أبو نوح : نعم وها هو واقف في ثلاثين رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريباً من أصحاب عليّ ومعه نفر من أصحاب معاوية[1] . قال : ونظر إليهم عمار فأرسل إليهم برجل من عبد القيس يقال له عوف بن بشر ، فأقبل حتى إذا كان قريباً منهم نادى بأعلى صوته : أين عمرو بن العاص ؟ فقال عمرو : ها أنا فهات ما عندك ! فقال : هذا عمار قد حضر ، فإن شئت فتقدم إليه ! قال عمرو : فسر إلينا حتى نكلمك ، فقال : أنا أخاف غدراتك ، قال عمرو: فما الذي جرّأك وأنت على هذه الحالة؟ فقال له عوف بن بشر: الله جرّأني عليك وبصّرني فيك وفي أصحابك ، فإن شئت نابذتك وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك ، فقال له عمرو : من أنت يا أخي ؟ قال : أنا عوف بن بشر الشني رجل من عبد القيس ، قال عمرو : فهل لك أن أبعث لك بفارس يواقفك ؟ فقال له عوف : ما أنا بمستوحش من ذلك فابعث إليّ أشقى أصحابك ؛ فقال عمرو لأصحابه : أيكم يخرج إليه فيكلمه ؟ فقال أبو الأعور : أنا إليه أسير ؛ ثم أقبل إليه أبو الأعور حتى واقفه ، فقال له عوف[2] : إني لأرى رجلاً لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصراً على ما أرى ؛ فقال له أبو الأعور : لقد أعطيت لساناً حديداً أنكبك[3] الله في نار جهنم ، فقال عوف : كلا والله ! إني لا أتكلم إلا بالحق ، ولا أنطق إلا بالصدق ، وإني أدعو إلى الهدى ، وأقاتل أهل الضلال ، وأفر من النار ، وأنت رجل تشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى ، فانظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم ، واسمع إلى دعوانا ودعواكم ، فليس منا أحد إلا وهو أولى بمحمد ﷺ وأقرب إليه منكم ؛ فقال أبو الأعور : أكثرت الكلام وذهب النهار ، فاذهب فادع أصحابك وأدعو أصحابي ، وأنا جار لك حتى تأتي موقفك هذا الذي أنت فيه ، ولست أبدأك بغدر حتى تأتي أنت وأصحابك .

---

(١) وكان معه : ابناه عبد الله ومحمد ، وعتبة بن أبي سفيان وذو الكلاع وأبو الأعور السلمي وحوشب ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط (وقعة صفين ص ٣٣٥) .

(٢) في وقعة صفين ص ٣٣٦ : إني لأعرف الجسد وأنكر القلب ، إني لا أراك مؤمناً ، وإنك لمن أهل النار .

(٣) كذا بالأصل ، وفي وقعة صفين : يكبك الله به على وجهك في نار جهنم .

قال : فرجع عوف بن بشر إلى عمار بن ياسر ومن معه ، فأخبرهم بذلك ؛ وأقبل عمار ومعه الأجلاء[1] من أهل عسكره ، وتقدم عمرو بن العاص في أجلاء عسكره ، حتى اختلفت أعناق الخيل فنزلوا هؤلاء وهؤلاء عن خيولهم واحتبوا بحمائل سيوفهم ؛ وذهب عمرو الشديد[2] فقال عمار : اسكت وقد تركتها[3] في حياة محمد ﷺ وبعد موته ونحن أحق بها منك ، فاخطب بخطبة الجاهلية ، وقل قول من كان في الإسلام دنيّاً ذليلاً وفي الضلال رأساً محارباً ، فإنك ممن قاتل النبي ﷺ في حياته وبعد موته وفتن أمته من بعده ، وأنت الأبتر ابن الأبتر شانىء محمد ﷺ وشانىء أهل بيته ؛ قال : فغضب عمرو ثم قال : أما ! إن فيك لهناة ولو شئتُ أن أقول لقلتُ ؛ فقال عمار : وما عسى أن تقول ابن عمي ! إني كنت ضالاً فهداني الله ، ووضيعاً فرفعني الله ، وذليلاً فأعزني الله[4] ؛ فإن كنت تزعم هذا فقد صدقت ، وإن أنت تزعم أني خنت الله ورسوله يوماً واحداً أو تولينا غير الله يوماً واحداً فقد كذبتَ ، ولكن هلم إلى ما نحن فيه الآن ، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك ، وإن شئت كانت خطب فنحن أعلم بفصل الخطاب منك ، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفرك قبل القيام من مجلسك وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن تكذبني ، هل تعلم أن عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له ومحرّض عليه ، وما فيهم من نصره بيده ولا نهى عنه بلسانه ، وقد حُصِرَ أربعين يوماً في جوف داره ليس له جمعة ولا جماعة ، وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من طلحة والزبير ، وعائشة بنت أبي بكر حين منعها أرزاقها فقالت فيه ما قالت وحرضت على قتله ، فلما قتل خرجت فطلبت بدمه بغير حق ولا حكم من الله تعالى في يدها ؛ ثم إن صاحبك هذا معاوية قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يترك له ما في يده ، فأبى علي ذلك ؛ فانظر في هذا ثم سلط الحق على نفسك فاحكم لك وعليك . قال : فقال عمرو : صدقت أبا اليقظان ! قد كان ذلك كما ذكرتَ في أمر عائشة وطلحة والزبير ؛ وأما معاوية فله أن يطلب بدم عثمان لأنه رجل من بني أمية وعثمان

---

(١) سار عمار في اثني عشر رجلاً . وعمرو في عشرة .

(٢) كذا بالأصل ، ولا معنى لكلمة الشديد هنا ، وفي وقعة صفين : « فتشهد عمرو » وهو ما يقتضيه معنى الكلام اللاحق .

(٣) عن وقعة صفين ، وبالأصل : تركتهم .

(٤) زيد في وقعة صفين : وفقيراً فأغناني الله .

من بني أمية ، وليس لهذا جئت[1] ، إذا رسّل هذا الأمر الذي قد شجر بيننا وبينكم لأني رأيتك أطوع هذا العسكر فأذكر الله إلا كففتَ سلاحهم وحقنت دماءهم وحرضت على ذلك ، ويحك أبا اليقظان ! على ماذا تقاتلنا ؟ ألسنا نعبد الله واحداً ؟ ألسنا نصلي إلى قبلتكم وندعو بدعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم ؟ فقال عمار : الحمد لله الذي أخرجها من فيك ، القبلة والله لي ولأصحابي ، ولنا الدين والقرآن وعبادة الرحمن ، ولنا النبي والكتاب من دونك ودون أصحابك ، وإن الله تبارك وتعالى قد جعلك ضالاً مضلاً ، وأنت لا تعلم أهادٍ أنت أم ضالٌ ؟ ولقد أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين فقد فعلتُ ، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم ، وأما المارقون فلا أدري أدركهم أم لا ؛ أيها الأبتر ! ألست تعلم أن النبي ﷺ قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم ! وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله[2] ؟ فأنا مولى لله ولرسوله وعليّ مولاي من بعده وأنت فلا مولى لك ؛ فقال عمرو بن العاص : ويحك أبا اليقظان ! لم تشتمني ولست أشتمك ؟ فقال عمرو : فما ترى في قتل عثمان ؟ فقال عمار : قد أخبرتك كيف قتل عثمان ، فقال عمرو : فعليّ قتله ، فقال عمار : بل الله قتله ، قال عمرو : فهل كنت فيمن قتله ؟ قال عمار : أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل لمن قتله ، لأنه أراد أن يقتل الدين فقتل . فقال عمرو : يا أهل الشام ! إنه قد اعترف بقتل عثمان أمامكم ، فقال عمار : قد قالها فرعون لقومه (الا تسمعون) [3] أخبرني يا بن النابغة ! هل أقررت أني أنا الذي قتلتُ عثمان حتى تشهد عليّ أهل الشام ، فقال عمرو : يا هذا ! إنه كان من أمر عثمان ما كان ، وأنتم الذين وضعتم سيوفكم على عواتقكم وتحربتم علينا مثل لهب النيران ، حتى ظننا أن صاحبكم لا بقية عنده ، فإن تنصفونا من أنفسكم فادفعوا إلينا قتلة صاحبنا ، وارجعوا من حيث جئتم ودعوا لنا ما في أيدينا ، وإن أبيتم ذلك فإن دون ما تطلبون منا والله خرط القتاد[4] . قال : ثم تبسم عمار ثم قال : ليس أول

---

(١) عن وقعة صفين ص ٣٣٨ وبالأصل : حيث تحريف .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بمختلف أسانيده وطرقه ١/١١٩ ، ١٥٢ و٤/٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٥/٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٤١٩ ونقله ابن كثير أيضاً من طرق عدة . (البداية ٧/٣٨٣ حديث غدير خم) .

(٣) كذا بالأصل ، وصحة القول (ألا تستمعون) من الآية ٢٥ سورة الشعراء .

(٤) إشارة إلى المثل : « من دونه خرط القتاد » اللسان . ويضرب للأمر الشاق (المستقصى للزمخشري) .

كلامك هذا يابن النابغة ! يا دعيّ يابن الدعيّ ! يابن جِرار قريش ! يا من ضرب على خمسه بسهامهم ، كل يدعيك حتى قاربك شرهم ! أفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تغتمز ؟ أما والله ! لقد علمت قريش قاطبة أن علياً لا يجلس له عُلَى ، ولا يقعقع له بالشنان[1] ، ولا يغمز غمز التين .

قال : فقام أهل الشام فركبوا خيولهم ولهم زجل ، فصاروا إلى معاوية ، فقال لهم معاوية : ما وراءكم ؟ فقالوا : وراءنا والله ! إننا قد سمعنا من عمار بن ياسر كلاماً يقطر الدم ، ووالله لقد أخرس عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب ؛ فقال معاوية : هلكت العرب بعد هذا ورب الكعبة .

قال : ورجع عمار في أصحابه إلى علّي بن أبي طالب فأخبره بالذي دار بينه وبين عمرو بن العاص ؛ فأنشأ رجل من أصحاب علي يقول[2] :

ما زلتَ يا عمرو قبل اليوم مبتدراً[3]	تبغي الخصومة جهراً غير سرّار
حتى رأيت[4] أبا اليقظان منتصباً	لله در أبي اليقظان عمار
مازال يقرع منك العظم منتقياً	مخ العظام بحق[5] غير إنكار
حتى رمى بك في بحر له لجج	يرمي بك الموج في لجّ من النار

قال : وقد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له الحصين بن مالك وكان يكاتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويدله على عورات معاوية ، وكان له صديق من أصحاب معاوية يقال له الحارث بن عوف السكسكي ؛ فلما كان ذلك اليوم قال الحصين بن مالك للحارث بن عوف : يا حارث ! إنه قد آتاك الله ما أردت ، هذا عمرو وعمار وأبو نوح وذو الكلاع قد التقوا ، فهل لك أن تسمع من كلامهم ؟ فقال الحارث بن عوف : إنما هو حق وباطل وفي يدي من الله هدى فسر بنا يا حصين .

قال : فجاء الحصين والحارث حتى سمعا كلام عمرو وعمار ، فلما سمع

---

(١) مر المثل .

(٢) في وقعة صفين ص ٣٤٤ : وقال الجرشي . وذكر الأبيات .

(٣) وقعة صفين : مبتدئاً تبغي الخصوم جهاراً غير إسرار .

(٤) وقعة صفين : لقيت .

(٥) وقعة صفين : بنزع غير مكثار .

الحارث بن عوف كلام عمار وتظاهر الحجة على عمرو بقي متحيراً ، فقال له الحصين : ما عندك الآن يا حارث ؟ فقال الحارث : ما عندي وقعة والله بين العار والنار ، ووالله لا أقاتل من معاوية بعد هذا اليوم أبداً ! فقال له : ولا أنا أقاتل علياً بعد هذه اليوم أبداً .

قال : ثم هربا من عسكر معاوية جميعاً فصار أحدهم إلى حمص وأظهر التوبة ، وصار الحارث بن عوف إلى مصر تائباً من قتال علي رضي الله عنه وأنشأ يقول :

قال الحصين ولم أعلم بنيته ... يا حارِ هل لك في عمرو وعمارِ
يا حارِ هل لك في أمر له نبأ ... فيه شر كان من عوف وإنكار
فأسمعَ وتسمعُ ما يأتي العِيانُ به ... إن العيان شفاء النفس يا حارِ
لما رأيتُ لجاج الأمر قلتُ له ... قولاً ضعيفاً نعم والكره إضماري
سرنا إلى ذلك المرءين مع نفر ... شمٍّ كرام وجدنا زَنَدهم واري
لمّا تشهّد عمرو قال صاحبه[1]: ... اسكتْ فإنك من ثوب الهُدى عاري
فارتدّ عمروٌ على عقبيه منكسراً ... كالهر يرقُبُ خَتْلاً عازمَ الفارِ
ما زال يرميه عمّار بحجته ... حتى أقرّ له من غير إكثار
قال الحصينُ لما أبصرتُ حجته ... غرّاءَ مثلَ بياض الصبح للساري
ما بعد هٰذين من عيب لمنتظر ... فاخترْ فِدىً لك بين العار والنار
قلتُ الحياةُ فراقُ القوم معترفاً ... بالذنب حقّاً وليس العارُ كالعار

قال : وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص فقال له بعضهم : أبا عبد الله ! ألست الذي رويتَ لنا أن النبي ﷺ قال : « يدور الحق مع عمار حيث ما دار ؟ » فقال عمرو : بلى ، قد رويتُ ذلك ، ولكنه يصير إلينا ويكون معنا ؛ فقال له ذو الكلاع : هذا والله محال من الكلام ! والله لقد أفحمك عمار حيث بقيت وأنت لا تقدر على إجابته ! قال عمرو : صدقتَ ، وربما كان كلام ليس له جواب ؛ قال : فأنشأ رجل من بني قيس[2] يقول في ذلك :

---

(١) يريد عمار بن ياسر ، انظر ما سبق من مناقشة بينهما .

(٢) في وقعة صفين ص ٣٤٤ : وقال العنسي .

والـراقصات بـركب عـامـدين لـه ... إن الـذي كـان في[1] عمـرو لمـأثـورُ
قـد كنت أسمـع والأنبـاء شـائعـة ... هـذا الحـديث فقلت الكـذب والـزور
حتى تلقيتـه عن أهـل محنتـه[2] ... فـاليـوم أرجـع والمغـرور مغـرور
واليـوم أبـرء من عـمـرو وشيعتـه ... ومن معـاويـة المحـذو بـه الـعيـر
لا لا أقـاتـل عـمـاراً على طمـع ... بعـد الـروايـة حتى ينفـخ الصـور
تـركت عمـراً وأشيـاعـاً لـه نكـراً ... إنـي بتـركـهم يـا صـاح معـذور
يـاذا الكـلاع فـدع لي معشـراً كفـروا ... أو لا فـديتـك دين فيـه تـعـزيـر
مـا في مقـال رسـول الله في رجـل ... شـك ولا في مقـال الـرسـل تحييـر

قال : ثم هرب صاحب هذا الشعر حتى لحق بعلي بن أبي طالب فصار معه .

قال : فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال : يا هذا ! إنك أفسدت أهل الشام عليٍّ ، أكل ما سمعت من رسول الله ﷺ تقوله وترويه ؟ ما أكثر ما سمعنا منه فلم نروه ؛ فقال عمرو : يا هذا ! والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صفين تكون ولست أعلم الغيب[3] ، ولقد رويت أنت أيضاً في عمار مثل الذي رويت أنا فما ذنبي ؟ قال : ثم أنشأ عمرو يقول :

أعـاتبني[4] إن قلتُ شيئـاً سمعتُـه ... وقـد قلتَ لـو أنصفتني مثلَه قبلي
وفعلك فيمـا قـلت فعـلٌ بـنيـة ... وتـزلَقُ بي في مثل مـا قلتَـه فعلي[5]
وهـل كـان لي علمٌ بصفّين أنهـا ... تكـون وعمـار يحثّ على قتـلي
فلو كـان لي بـالغيب علم كتمتُـه ... وكـابـرتُ أقـوامـاً مـراجلُهم تغلي
أبـى الله إلا أن صـدرك واغـر ... عليٍّ بـلا ذنـب جنيت ولا ذحـل
سـوى أنني والـراقصـات عشيـةً ... بنصـرك مدخـول الهوى ذاهـلُ العقـل
فـلا وضعت عنـدي حصـانٌ قنـاعَهـا ... ولا حملت وجنـاءُ عِرمسـة[6] رَحلي

---

(١) في وقعة صفين : جاء من .
والراقصات : الإبل التي ترقص ، أي تخب بركبانها .
(٢) وقعة صفين : عيبته .
(٣) قلتها وعمار يومئذ لك ولي (زيادة عن وقعة صفين ص ٣٤٥) .
(٤) وقعة صفين : تعاتبني .
(٥) وقعة صفين : أنعلك ... نعل ثبيتة ... نعلي .
(٦) وقعة صفين : ذعلبة رحلي .

ولا زلتُ أُدعَى في لُؤي بن غالب ... قليلاً غنايَ لا أُمرُّ ولا أُحلي
إن الله أرخى من خناقك مرّة ... ونلت الذي أرجوه إن لم أرد أهلي
وأترك لك الشام الذي ضاق رحبها ... عليك ولم يهنك بك بالعيش من أجلي

قال : فأجابه معاوية وأنشأ يقول[1] :

أألآن لما ألقتِ الحربُ بركَها ... وقام بنا الأمرُ الجليل على رِجلِ
غمزتَ قناتي بعدَ سبعين[2] حجةً ... شفاها كأنّي لا أُمرّ ولا أُحلي
أبيتُ بأمر فيه للشام فتنةٌ ... وفي دون ما أظهرته زلّة النعل
فقلتُ لك القول الذي ليس ضائراً ... ولو ضرّ لم يضررك حملك لي ثقلي
تعاتبني في كل يوم وليلة ... كأن الذي أبليتَ ليس كما أبلي
فما قبّح الله العتاب وأهله ... ألم تر ما أصبحتُ فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليومَ حيلةٌ ... تردّ بها قوماً مَراجلُهم تغلي
دعاهم علي فاستجابوا لدعوةٍ ... أحبّ إليهم من بقا المال والأهل
إذا قال خوضوا غمرةَ الموت أرقلوا ... إلى الموت إرقال الملوك[3] إلى الفحل

قال : فلما انتهى هذا الشعر إلى عمرو جاء إلى معاوية فأعتبه ورضي كل واحد منهم من صاحبه .

ذكر ما كان بعد ذلك من القتال

قال : ودنا[4] القوم بعضهم من بعض وذلك في وقت الصبح ، وبرز رجل من أصحاب معاوية يقال له همام بن قبيصة النميري[5] وكان ممن يشتم علياً ويقول فيه القبيح ، فجعل يرتجز ويقول :

قد علمت حوراء كالتمثالِ ... إني إذا ما طلبوا نزالِ

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٤٦ .

(٢) كذا ، ولعل الصواب « ستين » فقد كان معاوية حين وقعة صفين ابن ٥٧ سنة أو ٥٨ ، وقد كانت وفاته سنة ٦٠ وله ثمانون سنة .

(٣) وقعة صفين : الهلوك .

(٤) الأصل : دنوا .

(٥) وكان معه لواء هوازن .

أقدم إقدام الهِزَبْرِ العالي   أهل العراق أنتمُ[1] من بالي
أبْذلْ طريفي وتلادَ مالي[2]   حتى أنال فيكم المعالي
إن يلقَني الموتُ وتلك حالي[3]   في نصر عثمان فما أبالي

قال : فخرج إليه عدي بن حاتم وهو يقول :

يا صاحب الصوت الرفيع العالي   إن كنت تبغي في الوغا نزالي
فادنُ فإني كاشفٌ عن حالي   تَفدِي عليّاً ولدي[4] ومالي
وأسرتي تتبعها عيالي

قال : فشتم النميري علياً ، فطعنه عدي بن حاتم طعنة في لبته فجدله قتيلاً ؛ ثم رجع عدي إلى موقفه وأنشأ وجعل يقول[5] :

أهمّامُ لا تذكرُ مدى الدهر فارساً   وعضَّ على ما جئتَه بالأباهمِ
سما لك في نقع العجاجة فارس   شجاعٌ مُساعٌ[6] ذو شجا وغماغم
فولّيتُه لمّا سمعتُ نداءه   إليك حذاهاً من عدي بن حاتم
فاصبحَ مطروحاً لذي حومة الوغى[7]   وأعظمُ من هذا شتيمة شاتم

قال : فاغتم معاوية لمقتل همام بن قبيصة وقال : ويلي على الأعور[8] لئن أمكنني الله منه لأفعلن ولأصنعنّ .

حديث عدي بن حاتم الطائي مع معاوية

قال : فلما كان بعد مقتل علي رضي الله عنه أقبل عدي بن حاتم فدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ورجل من بني الوحيد ، فسلّم عدي فردّوا عليه

(١) وقعة صفين ص ٢٩٧ : انكم .
(٢) وقعة صفين : كل تلادي وطريف مالي .
(٣) وقعة صفين : أو أطعم الموت وتلكم حالي .
(٤) وقعة صفين ص ٣٩٨ : مهجتي .
(٥) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٩٨ ونسبها إلى ابن حطان .
(٦) في وقعة صفين : شديد القفيز .
(٧) وقعة صفين : فأصبحت مسلوب اللواء مذبذباً .
(٨) يريد بالأعور عدي بن حاتم .

السلام، فقال له معاوية : أبا طريف! ما الذي أبقى لك الدهر من ذكر علي بن أبي طالب ؟ فقال عدي : وهل يتركني الدهر أن لا أذكره ! قال : فما الذي بقي في قلبك من حبه ؟ قال عدي : كله وإذا ذكر ازداد ، فقال معاوية : ما أريد بذلك إلا اخلاق ذكره ، فقال عدي : قلوبنا ليست بيدك يا معاوية ! فضحك معاوية ثم قال : يا معشر طيء ! إنكم ما زلتم تشرفون الحاج ولا تعظمون الحرم ، فقال عدي : إنا كنا نفعل ذلك ونحن لا نعرف حلالاً ولا ننكر حراماً ، فلما جاء الله عزَّ وجلّ بالإسلام غلبناك وأباك على الحلال والحرام ، وكنا للبيت أشد تعظيماً منكم له ؛ فقال معاوية : عهدي بكم يا معشر طيء ! وإن أفضل طعامكم الميتة ؛ فقال عمرو بن العاص والرجل الذي عنده من بني الوحيد : كُفَّ عنه يا أمير المؤمنين ! فإنه بعد صفين ذليل ، فقال عدي : صدقتم . ثم خرج عدي من عند معاوية وأنشأ يقول :

يحاولُني معاوية بن حرب	وليس إلى الذي يَرجو سبيلُ
يذكرني أبا حسن عليّاً	وحظّي في أبي حسن جليل
يكاشرني ويعلم أن طرفي	على تلك التي أخفي دليل
ويعلم أننا قوم جُفاة	حراديّون ليس لنا عقول
وكان جوابه عندي عتيداً	ويكفي مثله مني القليل
وقال ابن الوحيد وقال عمرو	عديٌّ بعد صِفّين ذليل
فقلتُ صدقتما قد هدّ ركني	وفارقني الذي بهمُ أصول
ولكني على ما كان مني	أبَلْبِلُ صاحبيَّ بما أقول
وإنّ أخاكمُ في كل يوم	من الأيام محمِلُه ثقيل

قال : فأرسل إليه معاوية بجائزة سنية وترضاه .

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : وبرز رجل من أصحاب معاوية يقال له حجل بن أثال بن عامر العبسي حتى وقف بين الجمعين ثم نادى : يا أهل العراق ! من يبارز ؟ فما لبث أن خرج إليه ابنه[1] ، وكان الابن مع علي رضي الله عنه ، والأب مع معاوية ، والابن يقال له

(١) في الأخبار الطوال ص ١٧٣ خرج رجل من أهل العراق يسمى حجل بن أثال وكان من فرسان العرب . . . فخرج إليه أبوه أثال . وكان من معدودي فرسان أهل الشام . (انظر وقعة صفين ص ٤٤٣) .

أثال[1] ؛ قال : فخرج إليه وهو لم يعرفه ، فتطاعنا[2] بالرماح ، فطعنه ابنه طعنة أرداه عن فرسه[3] ؛ قال : وسقطت البيضة عن رأس الشيخ ، فنظر إليه الفتى فعرفه أنه أبوه فرمى بنفسه عن فرسه وأكب عليه وقال : يا أبتي ! أظن أنه قد أهنتك طعنتي ! فقال : نعم يا بني ! وليس عليَّ منها بأس إن شاء الله ، ولكن يا بني ! هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية ، فقال له الابن : هلم إلى الآخرة وجنة الخلد مع علي بن أبي طالب ؛ فقال الشيخ : يا بني ! هذا ما لا يكون من أبيك أبداً ؛ قال الفتى : يا أبتي ! هذا ما لا يكون من ابنك أبداً ، فارجع إلى صاحبك فإني راجع إلى صاحبي . قال : فرجع كل منهما[4] إلى صاحبه ، وعجب[5] أهل العسكرين منهما جميعاً وضربوا في الأمثال بعد ذلك ؛ فأنشأ الشيخ يقول :

إن حجل بن عامر وأثالا ... أصبحا يضربان في الأمثالِ
أقبل الفارس المدجّج في النقـ ... ـع أثالٌ يجري يريد نزال
دون أهل العراق[6] إذ عظم النقـ ... ـع على ظهر هيكلٍ ذيّال
فدعاني له ابن هند وما زا ... لَ قليلاً في صحبه أمثالي
فتناولتُه ببادرة الرمـ ... ـح فأهوى بأسمرٍ عَسّال
فأطعنا وذاك من عجب الدهـ ... ـرِ عجيبٌ بحادثات الليالي[7]
شاجراً بالقناة صدرَ أبيهِ ... وعزيز عليَّ طعن أثال
لا أبالي إذا طعنتُ أثالا ... وأثالٌ كذاك ليس يبالي
فافترقنا على السلامة والنفـ ... ـس تَقيها مُؤخّر الآجال
لا يراني على الهدى وأراه ... من هداي على سبيل الضلال
وكلانا يرجو الثوابَ إلى اللـ ... ـه يقيناً بغير قيل وقالِ

(1) انظر الحاشية السابقة .
(2) بالأصل : فتطاعنوا . وفي الأخبار الطوال : فطعن كل واحد منهما صاحبه .
(3) الأخبار الطوال : فحمل الأب على الابن ، فاحتضنه حتى أشاله عن سرجه فسقط وسقط الأب عليه .
(4) الأصل : منهم ، خطأ .
(5) الأصل : وعجبوا ، خطأ .
(6) في وقعة صفين ص ٤٤٣ : العراق يخطر كالفحل .
(7) وقعة صفين :

فأطعنا وذاك من حدث الدهـ ... ـر عظيم ، فتى لشيخ بجال

قال : فلما انتهى شعر الشيخ بأهل العراق أنشأ ابنه يقول :

إن طعني وسط العجاجة حجلا — لم أرد بالذي فعلت عقوقا
كنت أرجو به الثواب من اللـ — ـه وكوني مع النبي رفيقا
لم أزل أنصر العراق من الشا — م أراني بفعل ذاك حقيقا
قال أهل العراق إذ عظم الخطـ — ـب ونق المبارزون نقيقا
من فتىً يأخذ الطريق إلى اللـ — ـه وكنتُ الذي أخذتُ الطريقا
حاسر الرأس لا أريد سوى المو — ت أرى كل مايكون[1] دقيقا
فإذا فارسٌ تقحّم في النقـ — ـع بيوتا[2] تخاله أم عنيقا
فسبقني حجلٌ بنافذة[3] الطعـ — ـن وما كنت قبلها مسبوقا
وتلاقيتُه بطعنة صدق[4] — وكلانا يبارز العيوقا
أحمد الله ذا الجلال القد — رة[5] حمداً يزيدُني توفيقا
إنني لم أزل بنافذة الطعـ — ـن سواءً ولم يكُ تعويقا
قلت للشيخ لستُ أكفرك الدهـ — ـرَ لطيف الغذاء والتنفيقا
غير أني أخاف من لهب النا — ر بتركي الهدى[6] فكن لي رفيقا
فأبى الشيخ أن يكون سعيداً — ولقد كنت ناصحاً وشفيقا

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فباتوا ليلتهم تلك ؛ فلما أصبحوا وأذن مؤذن عليّ وذلك عند طلوع الفجر قال علي رضي الله عنه : مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً .

فلما صلى الفجر وثب فعبّى أصحابه كما كان يعبيهم كل يوم ، وعبّى معاوية أصحابه ، وزحف الفريقان بعضهم إلى بعض . فإذا بصفوف أربعة[7] قد قيدوا أنفسهم بالعمائم عازمين على الموت ، وأبو الأعور السلمي أمام الصفوف يحرّض

(١) وقعة صفين ص ٤٤٤ : ما يرون .
(٢) وقعة صفين : خدبا مثل السحوق عتيقا .
(٣) وقعة صفين : فبداني حجل ببادرة .
(٤) وقعة صفين : فتلاقيته بعاليه الرمح .
(٥) كذا والوزن غير مستقيم : وفي وقعة صفين : أحمد الله ذا الجلالة والقدرة . .
(٦) وقعة صفين : غير أني أخاف أن تدخل النا — ر فلا تعصني وكن . . .
(٧) في وقعة صفين ص ٣٢٩ : خمسة صفوف .

على القتال وهو يقول : يا أهل الشام ! إياكم والفرار ، فإنه سُبّة وعار ، قدموا على أهل العراق ، فإنهم أهل فتنة ونفاق ؛ ثم جعل يقول :

إذا ما فررنا كان أسوأ فِرارنا ... صدودَ خُدُودٍ وازورارَ المناكبِ
صدود الخدود والقنا متراكبٌ ... ولا يخرج العماء غير التضارب[1]

قال : فصاح[2] أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم : والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية . فتقدم سعيد بن قيس الهمذاني في همذان ، وتقدم عدي بن حاتم في طيء ، وتقدم الأشتر في مذحج ، وتقدم الأشعث في كندة ؛ وجعل كل رئيس من رؤساء العراق يقدم قومه ، حتى اجتمع منهم خلق كثير ، ثم كبّروا وحملوا على تلك الصفوف الأربعة ، فقتلوا منها على زيادة ثلاثة آلاف فارس[3] في بقعة واحدة ؛ ثم حملوا على جمهور أصحاب معاوية حتى علوهم فألجؤوهم إلى تلّ فصعدوا عليه ، وصعدت همذان في إثرهم خاصة فحذروهم من التل وأخذت السيوف هامَ الرجال .

قال : وجعل معاوية يمد أصحابه وعليٌّ يمد أصحابه ؛ فصار عمار بن ياسر يقول : صبراً عباد الله صبراً ! فإن الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة . قال : فجعلت كندة تقاتل لكندة ، وطيء لطيء ، ومذحج لمذحج ، والأزد للأزد ، وبجيلة لبجيلة ، وهمذان لهمذان ، وتميم لتميم ، وكل قوم يقاتلون عشائرهم ، فلم يزالوا على ذلك من وقت اعتدال الشمس إلى أن حانت المغرب ، ما كانت الصلاة إلا بالتكبير .

قال : جعل هاشم المرقال يقول : ليعلمن أمير المؤمنين بأني سألفّ اليوم من جماجم القوم ولألفّنّهم لفّ رجل ينوي الآخرة إن شاء الله ! وجعل يقاتل قتالاً لم ير الناس مثلَه .

قال : وجعلت الزرقاء بنت عدي بن قيس[4] الهمذانية تحرّض قومها على

---

(١) البيتان لقيس بن الخطيم من قصيدة له في ديوانه ص ١٠ . ورواية البيت في ديوانه :

صدود الخدود والقنا متشاجر ... ولا تبرح الأقدام عند التضارب

(٢) بالأصل : فصاحوا .

(٣) وكانوا من الأزد وبجيلة .

(٤) عن العقد الفريد ١/٣٣٧ وبالأصل « بشر » . (صبح الأعشى ١/٢٥٢) .

الحرب وهي تقول : أيها الناس ! ارعووا وراجعوا[1] فـإنكم قد أصبحتم في فتنة غشيتكم كجلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لهـا من فتنة عميـاء صماء لا تسمع لراعيها[2] ولا تنساق لقـائدهـا ؛ أيها النـاس ! إن المصباح لا يضيء في الشمس ، والكوكب لا ينير مع القمر ، والبغل لا يسبق الفرس ، والـزف لا يوزن بالحجر ، ولا يقطع الحديد إلا بالحديد ؛ ألا ! فصبراً صبراً يا معاشر المهاجـرين والأنصار وصبراً يا معاشر العرب على هذا المضض[3] ! وإياكم والفرض ! فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق[4] ودفع الحق بالباطل ، ولا يجهلن أحد فيقول : كيف وأيّ ؟ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

قال : فجعلت الزرقاء بنت عدي تقول مثل هذا إلى أن اختلط الظلام وجاء الليل فحجز بين الفريقين .

حديث الزرقاء بنت عدي الهمذانية مع معاوية

قال : فبينا معاوية بعد ذلك في مجلسه ذات يوم وقد صارت إليه الخلافة وعنده يومئذ عمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان وغيرهم من بني أمية إذ ذكر الزرقاء بنت عدي الهمذانية وتحريضها عليه بصفين ، فقـال : أيكم يحفظ كلامهـا ؟ فقال[5] القـوم : فينا من يحفـظه يا أمير المؤمنين ! قال : فأشيروا عليَّ في أمرها ما الذي أصنع بها ؛ فقال مروان : أما أنا فأشير عليك بقتلها ، فإنها أهل لذلك ؛ فقال معاوية : بئس الرأي أنت يا مروان ! أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه الناس أني قتلت امرأة ! لا ولكني أبعث إليها فأدعوها وأسمع من كلامها الآن .

ثم كتب معاوية إلى عامله بالكوفة أن أوفد إليّ الزرقاء بنت عدي الهمذانية مع ثقة من محرمها وعدّة من فرسان قومها وامهد لها وطاء ليناً واسترها بستـر كثيف[6]

---

(١) في العقد الفريد وصبح الأعشى : وارجعوا .

(٢) العقد والصبح : لناعقها .

(٣) العقد والصبح : الغصص .

(٤) صبح الأعشى : التقوى .

(٥) بالأصل : فقالوا .

(٦) العقد الفريد وصبح الأعشى : بستر خصيف . وكلاهما بمعنى غليظ .

ووسّع لها في النفقة - والسلام - .

قال : فأرسل إليها عامل الكوفة فأقرأها الكتاب وأمرها بالرحيل ، فقالت الزرقاء : إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إليّ فأنا[1] لا أحب المصير إليه ، وإن كان أمراً حتماً فالطاعة أولى .

قال : فحملها عامل الكوفة في هودج من عصب اليمن مبطناً بالبياض ، وفرش لها اللين ، وضم إليها جماعة من بني عمها وأمرهم بالمسير بها إلى الشام ؛ ودخلت على معاوية فقال : مرحباً مرحباً وحباً وقرباً ! قدمت خير مقدم قدمة وافد ! كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ! أدام الله لك النعمة . قال : فكيف كنتِ ؟ قالت[2] : كنت كأني ربيت في بيت ممهّد ؛ فقال معاوية : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيما ذا بعثت إليك ؟ قالت الزرقاء : وأنى لي بعلم الغيب ! فقال معاوية : ألست الراكبة الجمل الأحمر الواقفة بين الصفين في يوم كذا وكذا تحرضين[3] على الحرب وتقولين كيت وكيت؟ قالت: بلى، قد كان ذلك، قال معاوية: فما الذي حملك على ذلك ؟ قالت : حسبك يا أمير المؤمنين ! فقد مات الرأس وبقي[4] الذنب ولن يعود ما ذهب ، والدهور عجب ولا يعتب من عتب ، ومن تفكر أبصر والزمان[5] ذو غِيَر ، والأمر يحدث بعده الأمر ؛ فقال معاوية : لله أنت يا زرقاء فهل تحفظين كلامك بصفين ؟ فقالت : لا والله ما أحفظه ، وإنما كان ذلك تحريضاً نطق به اللسان ؛ فقال معاوية : لكني والله أحفظه عليك حتى ما يشذ عليَّ منه شيء ، ووالله يا زرقاء ! لقد شاركت علياً في كل دم سفكه بصفين ، فقالت الزرقاء : أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك فمثلك بشّر بخير ؛ فقال معاوية : أو يسرك ذلك يا زرقاء ؟ فقالت : نعم والله لقد سرني وأنى لي بتصديق ذلك ! ثم قال : والله يا زرقاء ! إن وفاءكم لعلي بعد موته لأعجب من محبتكم له في حياته ، وقد جئنا بك يا زرقاء وجشّمناك السفر البعيد ، ولكن اذكري حاجتك ، فقالت الزرقاء : هيهات ! إني لا أسأل رجلاً عتب عليّ شيئاً أبداً ، ومثلك أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلبة ؛ قال معاوية :

---

(١) العقد : فإني لا آتيه .

(٢) الصبح : قالت : ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً .

(٣) العقد والصبح : تحضين .

(٤) العقد والصبح : ويتر .

(٥) العقد والصبح : والدهر .

صدقت يا زرقاء ! وأنا عند ما ذكرت . ثم أمر لها معاوية ولمن معها بجوائز حسنة ومال كثير وردها إلى الكوفة .

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : فلما أصبح[1] القوم وثب معاوية فعبى أصحابه ثم عقد الرايات ، فكان يخص بها قريشاً[2] دون غيرهم ، مثل عمرو بن العاص ، وعبيد الله[3] بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعتبة بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم ، وبسر بن [أبي] أرطاة ، والضحاك بن قيس وأشباههم من الناس . قال : فغضبت اليمن من ذلك[4] ، ثم وثب رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث حتى وقف بين يدي معاوية ثم قال : إني قد قلت أبياتاً فاسمعها ، فقال معاوية : هاتها يا أخا السكون ! فأنشأ الرجل يقول :

معاويّ أحييتَ فيها الإحَن ... وأحدثت في الشام ما لم يكن

عقدتَ لعمرو وأشباهه[5] ... وما الناسُ حولك إلا اليمن

فلا تخلطنّ بنا غيرنا ... كما شِيب بالماء محض اللبن

وإلا فدعنا على حالنا ... فإنّا وآباءنا لم نُهَن[6]

ستعلم إن جاش بحر العراق ... وأبدى النواجذ منه إذن[7]

ونادى عليٌّ بأصحابه ... ونفسك إذ ذاك عند الذقن

بأنا شِعارك دون الدثار ... وأنا الرماح وأنا الجُنن

أتتك الرجال من إمدادنا ... تجود إليك الفلا من عدن

ومن سرو حميرَ قد أقبلوا ... ومن حضرموت ومن ذي يزن

فدبوا إليك دبيب الجراد ... على صعبها والذلول المحن

فأمسوا بأرضك ما يطلبون ... إليك الغداة سوى مرتهن

---

(١) بالأصل : أصبحوا . خطأ .

(٢) في وقعة صفين ص ٤٢٤ : « مضر » .

(٣) بالأصل : عبد الله خطأ .

(٤) زيد في وقعة صفين : وأرادوا ألا يتأمر عليهم أحد إلا منهم .

(٥) وقعة صفين ص ٤٢٥ : عقدت لبسر وأصحابه .

(٦) وقعة صفين : وإنا وإنا إذاً لم نهن .

(٧) وقعة صفين : في الفتن .

قال : فقال معاوية : والله يا معشر اليمن ! ما خلطت بكم إلا ثقاتي ، والذي لكم فهو لي . فرضيت اليمن بذلك وسكتوا .

وبلغ ذلك أهل العراق ، فوثب المنذر بن الجارود[1] العبدي إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا لا نقول كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية ، ولكنا نقول زاد الله في هداك وسرورك ، ووالله ما نظرت إلينا ساعة قط إلا بنور الله ، قدّمت رجالاً وأخرت رجالاً ، فعليك أن تقول وعلينا أن نفعل ، أنت الأب ونحن البنون ، فإن تهلك فهذان الحسن والحسين أئمتنا من بعدك حتى الممات ـ والسلام ـ . قال : ثم أنشأ يقول :

أبا حسن أنت شمسُ النهارِ ... وهذان في الداجيات[2] القمرْ
وأنت وهذان حتى الممات ... بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة ... يقصر عنها أكف البشر
يخبر بالناس عن فضلكم ... وفضلكم اليوم فوق الخبر
عقدتَ لقوم ذوي نجدة ... من أهل الحياء وأهل الخطر
مساميحُ في الحرب عند الوغاء ... كرامٌ وإخواننا من مضر[3]
ومن حي ذي يمن عصبةٌ[4] ... يقيمون في الحادثات الصعر
فكل يسرك في قومه ... فمن قال لا لا بفيه الحجر
ونحن الفوارس يومَ الزبيرِ ... وطلحةَ إذ قيل أودى غدر
ضربناهم قبل نصف النهار ... إلى الليل حتى أبدنا الوطر[5]
فلم يأخذ الضرب إلا الرؤوسَ ... ولم يأخذ الطعن إلا الثغر
فنحن أولئك في أمسنا ... وكنا كذلك فيمن غبر

قال : فلم يبق أحد في ربيعة إلا أتحف صاحب هذا الشعر وأهدى إليه على قدر ما أمكنه .

---

(١) عن الإصابة ، وبالأصل : « جابود » تحريف . وفي وقعة صفين ص ٤٢٥ قام الأعور الشني .

(٢) وقعة صفين : الحادثات .

(٣) البيت في وقعة صفين :

مساميح بالموت عند اللقاء ... منا وإخواننا من مضر

(٤) وقعة صفين : جلة .

(٥) وقعة صفين : قضينا الوتر .

قال : ودنا القوم بعضهم من بعض ، وخرج بسر بن [أبي] أرطاة الفهري وفي يده راية سوداء لمعاوية وهو يرتجز ويقول[1] :

أكـرم بـنـجـد طـيّـب الإيـمـانْ جاؤوا يـكـونـوا ولـيّ الـرحـمـنْ

إنـي أتـانـي خـبـر أشـجـانـي إنّ عـليّـاً قـتـل ابـن عـفـان

خليفة الله على المثاني

قال : فخرج إليه سعد بن قيس الهمذاني وهو يقول :

بـؤسـاً لجـنـد ضـائـعـي الإيـمـان مـسـتـوسـقـين كـاتـسـاق الـضـان

تـهـوى إلـى راعـي لـهـا وسـنـان أسـلـمـهـم بـشـرٌ إلـى الـهـوان

إلى سيوف لبني همذان

قال : والتقيا بطعنتين طعنه الهمذاني في صدره أثخنه منها ، فولى بسر منهزماً وولت خيله متطيرين ؛ وخرج رجل من أصحاب معاوية أيضاً يقال له الأدهم بن لام القضاعي وهو يقول شعراً ، فخرج إليه حجر بن عدي الكندي[2] وهو يرتجز ويقول شعراً يجاوبه ، ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله ؛ ثم نادى : هل من مبارز ؟ فخرج إليه الحكم بن أزهد[3] بن فهد وهو يقول شعراً ، فخرج إليه حجر بن عدي وهو يجاوبه على شعره[4] ، قال : ثم حمل عليه حجر بن عدي فضربه ضربة فقتله ؛ قال : فخرج إليه من بعده ابن عم له يقال له مالك بن مسهر القضاعي وهو يقول شعراً ، قال : فخرج إليه حجر بن عدي وهو يجاوبه على شعره ، ثم حمل عليه حجر بن عدي فقتله .

---

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٢٢٨ ونسبت إلى عمرو بن العاص . باختلاف يسير .

(٢) هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي . وفد على النبي فأسلم ، قتل سنة ٥١ أو ٥٣ (الإصابة) .

(٣) الأخبار الطوال ص ١٧٥ : أزهر .

(٤) ومما قاله :

أنـا الـغـلام الـيـمـنـي الـكـنـدي قـد لـبس الـديـبـاج والافـرنـدي

أنـا الـشـريـف الأريحي الـمـهـدي يـا حـكـم بـن أزهـر بـن فـهـد

لـقـد أصـبـت غـارتـي وحـدي وكـرتـي وشـدتـي وجـدي

أثبت أقاتلك الغداة وحدي

ثم خرج من بعده فارس من فرسان الشام يقال له عامر بن نوزة العامري على فرس له حتى وقف بين الجمعين ما يبين منه شيء لكثرة ما عليه من السلاح وهو يقول :

من ذا يبارز عامريّ الصابر　　الماجد الطيّب ثم الطاهرِ
في الذروة العليا رهطِ عامر　　ليس بكذّاب ولا بفاجر

قال : فهمّ حجر بن عدي بالخروج إليه فسبقه الأشتر وهو يقول :

وافاك من طالبتُ يا عامرُ　　فاثبتْ فأنتَ الفاجر الخاسرُ
وأنت لا شك من الكوافر　　وجاحدٌ أنت برب قادر

قال : فحمل عليه عامر والتقيا[1] للطعان ، فطعنه الأشتر طعنة فتق بها درعه ووصل السنان إلى خاصرته فجدله قتيلاً . قال وخرج آخر من أهل الشام فما نطق بحرف حتى شد عليه الأشتر فقتله ، وخرج إليه آخر فقتله ، حتى قتل جماعة .

قال : واشتد ذلك على معاوية ، فأقبل على مروان بن الحكم فقال : ويحك يا مروان ! إن الأشتر قد غمني[2] وأبلغ مني فاخرج إليه في هذه الخيل التي بين يديك فقاتله ، فقال مروان بن الحكم : ادع لها عمرو بن العاص فإنه شعارك ودثارك ؛ فقال معاوية وأنت[3] روحي دون جسدي ؛ فقال : لو كنت عندك كذلك لألحقتني به في العطاء وألحقته بي في الحرمان ؛ فقال : يا هذا ! قنعني[4] الله عنك ؛ فقال مروان : أما إلى اليوم فلا .

ثم أقبل معاوية على عمرو فقال : يا أبا عبد الله ! أحب أن تخرج إلى الأشتر في خيلك هذه التي معك ، فقد غمني أمره في هذا اليوم ، وقد قتل جماعة من فرسان الشام ؛ فقال عمرو : إذاً أخرج إليه ولا أقول كما قال مروان ؛ فقال معاوية : وكيف تقول ذلك وقد قدمتك وأخرته وأدخلتك وأخرجته وأعطيتك وأحرمته ! فقال عمرو : ولا عليك يا معاوية ! فوالله لقد قدمتني كافياً وأدخلتني ناصراً[5] .

---

(١) بالأصل : التقوا خطأ .
(٢) عن وقعة صفين ص ٤٣٩ وبالأصل : « أغمني » .
(٣) وقعة صفين : وأنت نفسي دون وريدي .
(٤) وقعة صفين : يغني الله عنك .
(٥) وقعة صفين : ناصحاً .

قال : ثم خرج عمرو نحو الأشتر في زهاء أربعمائة رجل من أبطال أهل الشام ؛ قال : ونظرت مذحج إلى عمرو وقد خرج إلى الأشتر في هذه الخيل ، فصار إلى الأشتر زهاء مائتي رجل من النخع وقبائل مذحج ؛ وتقدم عمرو بن العاص أمام الخيل وهو يرتجز ويقول :

يا ليت شعري كيف لي بمالك ... كم حالك قد حيّه وحالكِ[1]
وفاتكٍ قد قدتُه[2] وفاتك ... ونابل فتكته وباتكِ
وفارسٍ طاحَ[3] بوجهٍ حالكِ ... هذا وهذا عُرضة المهالك

قال : فقصده الأشتر وهو يقول :

يا ليت شعري كيف لي بعمروٍ ... ذاك الذي أوجبتُ فيه نذري
ذاك الذي أطلُبه بوتري ... ذاك الذي فيه شفاء صدري
ذاك الذي إن ألقه لعمري ... تغلي به عند اللقاء قدري

قال : وحملت الخيلان بعضها على بعض ، وأفضى الأشتر إلى عمرو ليطعنه ، فراوغه عمرو فلم تغن المراوغة شيئاً ؛ فطعنه الأشتر طعنة أراد بها بطنه فوقعت الطعنة في السرج ، فكسر القربوص وانقطع الحزام واللبب ، وانكسر الرمح في يد الأشتر وسقط عمرو على وجهه ، فانهشم أنفه واندقت رباعيته ؛ وجالت الخيل بين الأشتر وبين عمرو ، فانفلت عمرو لما به . فقال له مروان : أبا عبد الله ! ما شأنك ؟ فقال عمرو : قد ترى ما أنا فيه ؛ فقال : لا عليك فإنك قد أخذت مصر بهذا وأشباهه .

قال : فغضب لعمرو غلام من حمير[4] ، ثم خرج نحو الأشتر وهو يقول :

إن كان[5] عمرو قد علاه الأشتر ... فذاك والله لعمري مفخرُ
يا عمرو يكفيك الطعانِ حمير ... واليحصبيُّ بالطعان أمهر
دون اللواء اليوم موت أحمر ... وأسمرٌ فيه سنان أزهر

---

(١) وقعة صفين ص ٤٤٠ : كم كاهل جنبته وحارك .

(٢) وقعة صفين : وفارس قتلته .

(٣) وقعة صفين : ومقدم آب .

(٤) في وقعة صفين : غلام من يحصب .

(٥) وقعة صفين : إن يك .

قال : فنظر إليه الأشتر فإذا هو غلام حدث ، فاستحيى أن يقدم عليه وتنحى وأقبل على ابنه إبراهيم وقال : يا بني ! اخرج إلى هذا الفتى فإنه من أقرانك ! قال : فخرج إليه إبراهيم بن الأشتر وهو يقول :

يا أيها السائل عني لا ترُعْ ... اثبتْ فإني من عرانين النخعْ
لكي[1] ترى طعن العراقيّ الجذع ... أو أن تراني في الوغى كيف أقع[2]

قال : وتطاردا جميعاً ، وشد عليه إبراهيم بن الأشتر فطعنه طعنة دق منها ظهره . واختلط الفريقان فاقتتلوا قتلاً شديداً وكثر القتل في أهل الشام ، واستحيوا أن يولّوا الأدبار ، فلم يزل يصابر بعضهم بعضاً إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين .

وانصرف[3] أهل الشام يومهم ذلك حتى إذا أصبح[4] القوم وثبوا فعبوا صفوفهم .

قال : فدعا معاوية برجل من سادات أهل الشام من بني عبس يقال له عقيل بن مالك ، وكان من نسّاك أهل الشام ، فقال معاوية : خبرني عنك ، ما الذي يمنعك من قتال علي وأصحابه وأنت فارس أهل الشام ؟ فقال : يمنعني والله من ذلك شك قد خامر قلبي يوم التقى عمرو بن العاص وعمار بن ياسر وذو الكلاع وأبو نوح ؛ ثم أنشأ يقول :

أهمُّ بطعن القوم ثمّ يكفّني ... عن القوم جزل في الفؤاد دخيلُ
أخافُ التي فيها الهلاك وإنني ... عن الترك للحرب العوانِ ثقيل
أأطعنُ علياً بالصواب مُوَكّلا ... وذاك الذي يضنى إليه يؤول
وليس بأهل للخطاء وإنني ... لتلك التي تَسمُو بها لبخيل
وقلتُ لنفسي إذ خلوت ببثّها ... لك الخيرُ قولي في البلا وأقول
فجاءت بما لا ينبغي فرددتُها ... وردّي عليها ما علمتُ طويل
وقلتُ لها هاتي من الناس مثلَه ... فجاشتْ وقالت إنهم لقليل

---

(١) وقعة صفين ص ٤٤١ : كيف .
(٢) وقعة صفين : أطير في يوم الوغى ولا أقع .
(٣) بالأصل : انصرفوا .
(٤) الأصل : أصبحوا .

فقلتُ له هذا ومن علمتْ له — مطايا لها بالرقمتين ذميل
أأعطى عليّاً ما يريدُ نبيّه — وليس إلى هذا الجواب سبيل
وقالوا عليّ قد تناولَ حزمه — لها في صدور السامعين غليل
فقلتُ ألا لله درّ أبيكم — وللناس إلا سائل وسؤول
ألا أخبرونا والحوادث جمّة — أما كان للقوم الشهود عقول
أيرضى علياً أهل بدر وأنه — عليهم حراماً إنّ ذا لجليل
فيا ليت شعري ما الذي أنا صائر — إليه إذا ما قيل مات عقيل

قال : ولم يلبث الرجل إلا قليلاً حتى مات ، فقال أهل الشام : إن معاوية قد قتله .

قال : ودنا بعضهم من بعض وقد تعالى النهار ، وكان أول من تقدم إلى الحرب الأصبغ بن نباتة[1] وكان من خيار أصحاب علي رضي الله عنه ، فتقدم وفي يده راية صفراء وهو يقول :

حتى متى ترجو البقا يا أصبغُ — إنّ الرجاء بالقنوط يدمغ
أما ترى أحداث دهر تنبغ — وهامة تحت العجاج تبلغ
فادبغ هواك والأديم يدبغ — والرفق فيما قد[2] علمت أبلغ
اليوم شغل وغداً لا يفرغ — إن ساغ هذا فلذاك أسوغ

قال : ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى خضب الراية من دماء أهل الشام ، وأزال معاوية عن مكانه ، ثم رجع إلى موقفه .

وبرز رجل من أصحاب معاوية يقال له عوف بن مجزأة المرادي حتى وقف بين الجمعين وهو يرتجز ويقول :

بالشام عمرو ليس فيه خوف[3] — بالشام عدل ليس فيه حيف
بالشام جود ليس فيه سوف — أنا المرادي ورهطي رؤف[4]

---

(١) كان الأصبغ بن نباتة شيخاً ناسكاً عابداً ، وكان من ذخائر علي وممن قد بايعه على الموت ، وكان من فرسان أهل العراق ، وكان عليّ (رض) يضن به على الحرب والقتال .

(٢) في وقعة صفين ص ٤٤٣ : قد تريد أبلغ .

(٣) وقعة صفين ص ٤٥٠ : بالشام عمرو ليس فيه خوف .

(٤) كذا ولعله « زوف » وزوف أبو قبيلة وهو زوف بن زاهر بن عامر بن عوبثان .

أنا ابن مجزاةٍ واسمي عوف   هل من عراقي عصاه سيف

قال : فخرج إليه رجل من أهل الكوفة يقال له الكعبر[1] بن جدير الأسدي وهو يقول :

الشام محل والعراق تمطر   الشام فيها أموري مغرورُ
إمام سوء وطليق معذر   أنا العراقي واسمي كعبر[1]
ابن جدير وأبوه المنذر

قال : ثم حمل كعبر[1] على الشامي فقتله ؛ والتفت فإذا هو بمعاوية على تلّ عظيم قد وقف في نفر من أصحابه[2] ، فقنع كعبر[3] فرسه وحمل نحو معاوية ، فقال معاوية : هذا رجل مستأمن إلينا، لا شك في ذلك ، حتى صار كعبر قريباً من معاوية ، حمل على خيله فجعل يطعن في أعراضها ، ثم يحمل على معاوية لا يريد غيره ؛ وقام أهل الشام في وجهه بالسيوف والرماح فلم يقدر عليه ، فقال كعبر : يابن هند ! أنا الغلام الأسدي ؛ ثم قنع فرسه ورجع إلى عسكره . فقال له عليّ : ويحك يا كعبر ! ما الذي أردت أن تصنع ؟ فقال : رجوت والله يا أمير المؤمنين أن أطعن معاوية طعنة أريح البلاد والعباد منه . قال : فتبسم علي رضي الله عنه ثم قال : لله درك يا كعبر . قال : ثم أنشأ كعبر يقول في ذلك :

قتلتُ المرادي الذي جاء باغياً   ينادي وقد ثار العجاجُ نزالِ
يقول أنا عوف بن مجزاة والذي[4]   لقي ابن مجزاة لضيغمُ أشبال
فقلت له لما علا القومَ صوتُه   مُنيتَ بمشبوح الذراع طوال
فأوجرتُه في معظم النقع صعدةً   ملأتُ بها رعباً قلوب رجال
وغادرته يكبو صريعاً لوجهه   ينادي مرادي في مكّرٍ مجال
وقنعت مهري آخذاً جهد حربه   أضربه في حومة بشمالي[5]
أريد به التّل الذي فوق رأسه   معاوية الجاني لكل خبال

---

(١) في وقعة صفين : العكبر . و

(٢) انظر ما مرّ .

(٣) وقعة صفين : في أناس من قريش .

(٤) وقعة صفين ص ٤٥٢ : والمنى   لقاء ابن مجزاة بيوم قتال .

(٥) وقعة صفين : فقدمت . . . حد جريه   فأضربه

مجدا ومهري يعرف الجري جامحاً ... بفارسه أو تاركاً لضلال[1]
فلما رأوني أصدق الطعنَ فيهمُ ... جلا عنهمُ رجمَ الغيوم[2] فعالي
وقام رجال دونه بسيوفهم ... وقام رجال دونه بعوالي
فلو نلتُه نلتُ التي ليس بعدها ... من الأمر شيء غير قيلٍ وقال
ولو متُّ في نيل له ألفَ ميتة ... لما قلتُ قد نالت ولست أبالي

قال : وأقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وفي يده رمح له في رأسه عذبة سوداء وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن سيف الله ذاكم خالدُ ... أضربْ بكل[3] مفصل وساعدِ
بالجهد لا بل فوق جهد الجاهد ... ولستُ[4] فيما نابني بالراقد

قال : فقصده جارية بن قدامة السعدي وهو يقول :

اثبتْ لصدر الرمح يا بن خالد ... أتاك ليث مخدّر كالجاردِ[5]
من أسْد خفّانَ طويلِ الساعد ... بنصر خير راكع وساجد
من حقه عندي كحق الوالد ... ذاك عليٌّ كاشف الأوابد

ثم طعنه طعنة خرق درعه ووصل السنان إلى جسمه ، فرجع إلى معاوية مجروحاً .

وخرج أبو الأعور السلمي نحو أصحاب علي وهو يرتجز ويقول :

اليوم يوم قبله ما قبلَه ... إني لحاذي كل حاذٍ بغلَه
وباسطٌ قبلَ الجذار رحلَه ... ألا ولا أعدو قبولا فعله

قال : فقصده زياد بن كعب بن مرحب الهمذاني وهو يقول :

يا أيها الشامي رويداً إنني ... أنصر شيخاً غير ذي تلوّنِ
ليس ابن هند ما حييتُ معتني ... إني من الذين عن تيقن

---

(١) وقعة صفين : بفارسه قد بان كل ضلال .
(٢) وقعة صفين : الغيوب .
(٣) وقعة صفين ص ٣٩٥ : كل قدم .
(٤) وقعة صفين : ما أنا .
(٥) وقعة صفين ص ٣٩٥ : اثبت لليث ذي فلولٍ حارد .

قال : ثم طعنه الهمذاني طعنة رده إلى معاوية جريحاً .

قال : فصاح معاوية : يا أهل الشام ! لا تقصدوا بحربكم غير همذان ، فإنهم أعداء عثمان بن عفان . قال : فسمع ذلك سعيد بن قيس الهمذاني ، فجمع بني عمه من همذان وحلفاءهم ومواليهم ثم حمل وحملوا معه على جمهور أصحاب معاوية ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ؛ فأنشأ زياد بن كعب الهمذاني[1] يقول في ذلك :

ألا يـابن هنـد قـرّت العين إذ رأتْ ... فـوارسَ من همذان زيـد بن مالـكِ[2]
على صـافنـات[3] لـلقـاء عـوابسٌ ... طوالُ الهـوادي مشـرِفـاتُ الحـوارك
مـوقّـرةٌ في الـطعن في نَقَـراتهـا ... يجُلن ويجلبن القنـا بـالسنـابـك[4]
رمـاك عليٌّ يـابن هنـد بجَحْفَلٍ[5] ... فـلو لـم يـفُـتـه كنـتَ أول هـالـك
فكـانت لـه في يـومـه عنـد ظنّـه ... وفي كـلِ يـوم أسـود[6] اللون حـالـك
وكـانت بحمـد الله في كـل كـربـة ... حَصـونـاً وعـزًّا للرجـال الصعـالـك
ونحن خصبنا البِيضَ من حي حميرٍ[3] ... وكنـدةَ والحيّ الخفـاف السكـاسـك
وعـكٍّ ولـخمٍ سـائـلين سيـاطَهـم ... حَـذارِ العـوالي كـالإمـاء العـوارك[8]
فـقلنـا حـمـاةَ الـشـام لا درُّ درُّهـم ... بسُمْـر العـوالي والسيـوف البـواتـك
يمـانون قـد ذاقوا الحمـام وقد مضوا ... على شـرّ دين في جحيم المهـالـك

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فجعل أبو سماك الأسدي يجول في القتلى ومعه إداوة من ماء وشفرة قد وضعها في حجزته ، فإذا وجد الرجل الجريح وبه رمق يقعده ويقول : من أمير المؤمنين ؟ فإن قال : علي بن أبي طالب غسل عنه الدم وسقاه من مائه ، وإن سكت وجأه بالشفرة أبداً حتى يموت .

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٣٨ « حجر بن قحطان الوادعي » والوادعي نسبة إلى وادعة بطن من همدان (الاشتقاق ص ٢٥٣) .

(٢) في وقعة صفين : ألا يا بن قيس . . . فوارس همدان بن زيد بن مالك .

(٣) وقعة صفين : على عارفات .

(٤) وقعة صفين : يجلن ويحطمن الحصى بالسنابك .
والموقرة : المصلبة الممرنة .

(٥) وقعة صفين ص ٤٣٨ : عباها علي لابن هند وخيله .

(٦) وقعة صفين : كاسف الشمس حالك .

(٧) وقعة صفين : ونحن حطمنا السمر في حي حمير .

(٨) العوالي : أعالي الرماح . والعوارك : الحوائض .

قال : وأصبح[1] القوم وتعبوا للحرب ، وكان علي رضي الله عنه لا يعدل بربيعة أحداً من شدة محبته لهم ، فشق ذلك على مضر ، فأظهروا الفسح لمعاوية وأبدوا ما في أنفسهم لمعاوية ، فأنشأ الحضين بن المنذر الربعي يقول في ذلك :

رأت مُضرٌ صارت ربيعةُ دونها ... شعارَ أمير المؤمنين وذا الفضلُ
وأبدوا إلينا ما تجنّ صدورُهم ... علينا من البغضاء هذا له أصل
فقلتُ لهم لمّا رأيتُ رجالَهم ... عيونُهمُ خُزرٌ كأنّ بهم ثقل[2]
إليكم إليكم لا أبا لأبيكُم ... فنحن لنا شكلٌ وأنتم لكم شكل[3]
ونحن أناسٌ خصّنا الله بالتي ... وأنّا لها أهلاً وأنتم لها أهل
فأبلوا بلانا أو اقرّوا بفضلنا ... ولن تلحقونا الدهر ما حنّت الإبل

قال : فغضبت مضر من قول الحضين بن المنذر ، فقام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني[4] في وجوه بني كنانة فسكنهم ، وقام عمير بن عطارد بن حاجب في وجوه بني تميم ، وقام قبيصة بن جابر في وجوه بني أسد ، وقام عبد الله بن الطفيل العامري في وجوه هوازن ، فسكن كل رئيس من هؤلاء الرؤساء قومه أن لا يغضبوا فيكون بين ربيعة ومضر ما لا يحسن إذ كانوا إخوة وبني أعمام .

ثم تكلم أبو الطفيل الكناني فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا والله ما نحسد قوماً خصهم الله بالخيرات إن أخذوه[5] وشكروه ، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا وأنك لهم دوننا ، فأعفهم من القتال أياماً ، واجعل لكل امرىء منا يوماً نقاتل فيه ، فإننا إذا اجتمعنا في الحرب اشتبه عليك بلاؤنا في القتال[6] .

قال : فتقدم أبو الطفيل عامر بن واثلة في قومه من بني كنانة ، فقاتلوا وطاعنوا فأحسنوا الطعان والضراب ، وجعل أبو الطفيل يرتجز ويقول :

---

(١) بالأصل : وأصبحوا .
(٢) في وقعة صفين ص ٣٠٩ : بدت بهم قطو كأن بهم ثقل .
(٣) وقعة صفين : فإن لكم شكلاً وإن لنا شكل .
(٤) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي ، رأى الرسول (ص) وكان مولده يوم أحد ، وعمر إلى أن مات سنة عشر ومائة ، وهو آخر من مات من الصحابة . (الإصابة) .
(٥) وقعة صفين ص ٣٠٩ : أحمدوه .
(٦) زيد في وقعة صفين ص ٣٠٩ : فقال علي : ما طلبتم يوم الأربعاء ، وأمر ربيعة أن تكف عن القتال ، وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام .

قد صابرتْ في حربها كنانهْ — والله يجزيها بها جِنانهْ
من أفرغ الصبر عليه زانه — أو غلّب الشرَّ[2] عليه شانه
أو كفر اللَّهَ فقد أهانه — غداً يعضُّ من نَدِمْ بنانه

قال : فقاتلوا قتالاً شديداً حتى أنكوافي أهل الشام يومهم ذاك إلى الليل ، إلى أن أقبل أبو الطفيل إلى علي رحمة الله عليه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك قد أخبرتنا أن أفضل[2] القتل الشهادة وأحظى الأمر الصبر ، وقد والله صبرنا حتى أصبنا بجماعة من قومنا ، فقتيلنا شهيد وحقنا[3] ثائر ، فاطلب بمن بقي بثأر من مضى ، فإننا وإن كنا قد ذهب صفونا وبقي كدرنا فإن لنا ديناً لا يميل به الهوى ؛ قال : وأثنى عليه خيراً وجزاه وقومه خيراً .

فلما كان من الغد تقدم عمير بن عطارد التميمي في قومه من بني تميم وجعل يقول : يا بني تميم ! إنني أتبع في آثار أبي الطفيل فاتبعوا أنتم آثار بني كنانة ! ثم تقدم برايته وجعل يرتجز ويقول :

قد صابرتْ في حربها تميمُ — إن تميماً حقها[4] عظيمُ
لها حديث ولها قديم — إن الكريم نسلهُ كريم

ثم حمل مع قومه فطعن برايته حتى خضبها ، وقاتل أصحابه قتالاً شديداً حتى أمسوا .

وأقبل عمير إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين! إنه قد كان ظني بقومي حسناً وقد رأيت منهم فوق ظني بهم ، قاتلوا على كل جهة وبلغوا الجهد في عدوهم ؛ فقال له علي رضي الله عنه : صدقت قد كان ذلك ، ثم أثنى عليه وعلى قومه خيراً .

فلما كان من الغد تقدم قبيصة بن جابر في قومه من بني أسد ، ثم قال : يا بني أسد ! أما أنا فلا أقصر عن فعل صاحبي ، وأما أنتم فذلك إليكم ؛ ثم تقدم برايته فخضبها من دم أهل الشام وجعل يرتجز ويقول :

---

(١) وقعة صفين : الجبن .
(٢) وقعة صفين : أشرف .
(٣) وقعة صفين : وحينا .
(٤) وقعة صفين ص ٣١٠ : خطبها .

قد حافظت في حربها بنو أسدْ ... ما مثلُها تحت العجاج مِن أحدْ
أقربُ من يُمن وأنأى من نكد ... كيما يبارزْ لي ثبيراً وأُحد[1]
لسنا بأنكاس ولا بِيضَ البلد[2] ... لكننا أمجد من حيّ معد[3]
كنتَ ترانا في العجاج كالأسد ... يا ليت روحي قد أبانت[4] عن جسد

قال : فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى أمسوا .

ثم أقبل قبيصة إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! إن استهانة النفوس في الحرب أبقى لها في الدنيا ، والقتل خير لها في الآخرة . فلما كان من الغد خرج عبد الله بن الطفيل العامري في قومه من هوازن، فقاتلوا قتالاً حسناً حتى ضجّ أهل الشام من طعانهم وضرابهم ، وجعل عبد الله بن الطفيل يرتجز ويقول :

قد صابرت[5] في حربها هوازن ... أولاك قومٌ لهُمُ محاسن
قوم لهم صبر[6] وجاش ساكن ... طعنٌ مداريكٌ وضربٌ واهن
هذا وهذا كلَّ يوم كائن

قال : واشتد القتال بينهم إلى الليل .

ثم أقبل عبدالله بن الطفيل إلى علي فقال : كيف رأيت فعلنا في عدونا يا أمير المؤمنين ! والله ! لقد استكرهوني على الانصراف فاستكرهتهم على الرجعة ؛ قال : فأعجب علياً ذلك منه وأثنى عليه وعلى قومه خيراً ؛ فأنشأ أبو الطفيل يقول :

تحامتْ كنانةُ في حربها ... وحامت تميمٌ وحامت أسدْ
وحامت هوازنُ من بعدها ... فما حام منّا ومنهم أحد
لقينا الفوارس يوم الخميـ ... ـس والعيد والسبت قبل الأحد
وأمدادهم خلف أذنابهم ... وليس لنا من سوانا مدد

---

(١) وقعة صفين ص ٣١١ : كأننا ركنا ثبير أو أحد .
(٢) وقعة صفينن : « لسنا بأوباش » وبيضة البلد مثل في الذلة والقلة ، وهي بيضة النعام التي يتركها .
(٣) وقعة صفين : لكننا المحة من ولد معد .
(٤) وقعة صفين : نأى .
(٥) وقعة صفين ص ٣١٢ : قد ضاربت .
(٦) وقعة صفين : حبي لهم حزم .

لقينا قبائل أنسابهم … إلى حضرموتٍ وأهل الجنَد[1]
فلما تنادوا بآبائهم … دعونا معدّاً ونعم المعد
فظِلنا نُفلّق هاماتِهم … ولم نك فيها ببيض البلد
ونعم الفوارس يوم الوغى[2] … فقل من عديدٍ وقل في عدد
وقل في طعان كفرغ الدلاء … وضرب عظيم كنار الوقد
ولكن عصفنا بهم عصفة … وفي الحربِ[3] بشرٌ وفيها نكد
طحنّا الفوارسَ يوم العجاج … وسُقنا الأراذل[4] سوق النقد
وقلنا عليٌّ لنا والد … ونحن له في وُلاة الولد

قال : فاشتد هذا الشعر على معاوية وغمه غماً شديداً ، ثم إنه جلس ذات يوم وذلك بعد صفين وعنده يومئذ عمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم فذكروا هذه القصيدة ، فما منهم أحد إلا وشتم أبا الطفيل أقبح الشتيمة ؛ وبلغ ذلك أبا الطفيل فأنشأ يقول :

أيشتمني عمرو ومروان ضلةً … لرأي[5] ابن هند والشقي سعيدُ
وحولَ ابن هند شائعون كأنهم … إذا ما استقاموا في الحديث قرود
يعضّون من غيظ عليّ أكفَّهُم … وذلك غمّ لا أحبُّ شديد
وما سبّني إلا ابن هند وإنني … بتلك التي يشجى بها لرَصُود
كما بلغت أيامُ صفّينَ نفسه … تراقبه والشامتون شهود
فلم يمنعوه والرماح تنوشه … وطاعتهم رحبُ البنانِ عنود
وطارت لعمرو في الفجاج[6] شظية … ومروان من وقع السيوف بعيد
وما لسعيد همةٌ غير نفسه … وكلّ التي يخشونها ستعود
فتخطؤهم والحرب خطأ كأنهم … حمام وبازي في الهوى وصيود

---

(١) الجند : بالتحريك ، قسم من أقسام اليمن ، وهي من أرض السكاسك بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً .
(٢) وقعة صفين ص ٣١٢ : يوم اللقاء .
(٣) وقعة صفين : يمن .
(٤) وقعة صفين : الزعانف .
(٥) وقعة صفين لابن مزاحم : بحكم .
(٦) عن وقعة صفين ص ٣١٣ ، وبالأصل : العجاجة .

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : فلما كان من غد وثب معاوية ليعبّي أصحابه كما كان يعبيهم من قبل ، فرأى فيهم تثاقلاً عن الحرب لما قد عضّهم من السلاح ، فقال : يا أهل الشام ! إنه قد قربكم لقاء القوم من الفتح ولا عليكم ، فإنكم إنما لقيتكم كتائب أهل العراق وقد قتل منكم ومنهم ، وما لكم عليّ من حجة وقد عتقت نفسي لصاحبهم فلا تعجلوا ؛ قال : ثم أنشأ يقول :

لعمري لقد أنصفتُ والنَصف عادةٌ ... وعاينَ طعناً في العجاج المعائنُ
ولولا رجائي أن تبوءوا بنهزة ... وأن تغسلوا عاراً وعتْه الكنائن
لناديتُ في الهيجا رجالاً سواكمُ ... ولكننا تحمي الملوكَ البطائن
أتدرون مَن لاقيتمُ فلّ جيشكم ... ويفصل ما بين الرجال التباين[1]
لقيتم صناديد العراق ومَن بهم ... إذا ضاعت الأظعانُ يُحمى الظعائن[2]
وما منكمُ من فارس دون فارس ... ولكنه ما قدّر الله كائن

قال : فقال[3] القوم : لقد صدق معاوية ، والله لقد لقينا أسوداً وأفاعي ! قال : ثم خفوا للحرب .

وعبى عليّ أصحابه كما كان يعبيهم في كل يوم ، ثم خرج منقطعاً من أصحابه حتى وقف على تلّ هناك وجعل يرتجز ويقول :

أنا عليٌّ فاسألوا بي تخبروا ... ثم ابرزوا لي في الوغى وادبروا
سيفي حُسامٌ وسناني يزهر ... منّا النبي الطاهر المطهّر
وحمزة الخير ومنا جعفرُ[4] ... له جناحٌ في الجنان أخضر
وفاطمٌ عرسي وفيها مَفخرُ ... هذا لهذا وابنُ هندٍ مُحجر
مذبذبٌ مطردٌ مؤخّر

قال : فسمع معاوية كلام علي رضي الله عنه فقال : والله ! لقد دعاني إلى

---

(١) وقعة صفين ص ٤٣٣ : لقيتم جيوشاً أصحرتها العرائن .

(٢) وقعة صفين ص ٤٣٣ : إذا جاشت الهيجاء تحمى الظعائن .

(٣) الأصل : فقالوا خطأ .

(٤) يريد جعفر بن أبي طالب ، أخو علي وكان أسن منه بعشر سنين ، قتل يوم مؤتة سنة ٨ هـ (الإصابة) .

النزال حتى لقد استحييت من قريش[1] ؛ قال : فقال له أخوه عتبة : اله عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه، فإنك تعلم أنه قد قتل غلامك حريثاً وفضح عمرو بن العاص وليس أحد من العرب يقدم على مبارزة علي رضي الله عنه إلا وهو من نفسه آيس ، فإياك ومبارزته ! فإنه والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياة بعدها أبداً .

قال : وجعل[2] اهل الشام ينهون معاوية عن مبارزة عليّ ؛ فقام أبرهة بن الصباح الحميري فقال : يا هؤلاء ! أظن أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاككم ، ويحكم ! خلوا بين الرجلين فليقتتلا ، فأيهما[3] قتل صاحبه ملنا معه جميعاً . فبلغ قوله علياً رضي الله عنه فقال : صدق أبرهة ، والله ما سمعت بخطبة مذ وردتُ الشام أنا بها أشد سروراً مني بهذه الخطبة ! قال : فقال معاوية لأصحابه : نحّوا هذا واجعلوه في آخر الصفوف ، فإني أظنه مصاباً في عقله ؛ فقالت أهل الشام : لا والله يا معاوية ! ما أبرهة بالمصاب في عقله وإنه لأكملنا عقلاً ورأياً وديناً وفهماً ، ولكنك كاره في مبارزة علي . قال : فجعل معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم يشتمون أبرهة بن الصباح ويلومونه على ما قال ؛ فأنشأ أبرهة في ذلك يقول :

وقال أبرهة الصباح قولاً ... فخالفه معاوية بن حربِ
لأن الحق أوضح من غرورٍ ... وأنّ الحق يدفع كل كرب[4]
فكم بين المنادى من بعيد ... ومن يغشى الحروب بكل عضب
ومن يبغي اللقاء ومن يلاقي ... باسماح الطعان ولفح ضرب[5]
أيشتمني معاوية بن حرب ... وما شتمي له سخط بربي
وعمروٌ إن يفارقه بقول ... لأنَّ ذراعه بالعذر رحب
وإني إن أفارقهم بديني ... لفي سعة إلى شرقٍ وغرب

قال : فأرسل معاوية إلى أبرهة بن الصباح فترضاه ببرّ بعثه إليه ، فرضي .

---

(١) زيد في وقعة صفين : وإني والله لا أبرز إليه ، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية له .

(٢) بالأصل : وجعلوا خطأ .

(٣) عن وقعة صفين ص ٤٥٧ وبالأصل : فليقتتلوا ، فأيهم .

(٤) في وقعة صفين ص ٤٥٧ :

لأن الحق أوضح من غرور ... ملبسة غرائضه بحقب
فخلوا عنهما ليشى عراك ... فإن الحق يدفع كل كذب

(٥) في وقعة صفين : ومن يرد البقاء ... ... وصفح ضرب .

قال : وأقبل بسر بن [أبي] أرطاة على غلام له يقال له لاحق فقال له : ويحك يا لاحق ! إني أرى معاوية قد كاع عن مبارزة عليّ وقد عزمت أنا على مبارزته فلعلي أقتله فأذهب بشهرته في العرب إلى آخر الدهر ، فما الذي عندك من الرأي ؟ فقال له لاحق : عندي من الرأي أنك إن كنتَ واثقاً بنفسك وإلا فلا تبرز إليه ، فإنه والله لأسد الأسود الشجاع المطرق ؛ ثم أنشأ الغلام يقول[1] :

فأنت له يا بسر إن كنتَ مثله ... وإلا فإنّ الليث للضبع آكلُ
فإنك يا بسر بن أرطاة جاهلٌ ... بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاويةُ الوالي وعقبةُ بعده ... وسيفُ أبي سفيان للقرن ناكِل
أولئك أولَى منك يا بسر إنه ... عليٌّ فلا تقربه أمّك هائل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي نفسه شغلٌ لنفسك شاغل
وما بعده في آخر الليل عاطف[2] ... ولا قبله في أول الخيل حامل

قال : فقال بسر لغلامهٔ : ويحك يا لاحق ! وهل هو إلا الموت ، والله لا بد من لقاء الله على أيّ الأحوال كان ذلك في موت أو قتل .

قال : ثم خرج بسر بن أرطاة إلى عليّ وهو ساكت لا ينطق بشيء خوفاً من أن يعرفه عليّ إذ هو تكلم . قال : ونظر إليه علي ، فحمل عليه فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته ، وصرف علي وجهه عنه ؛ ووثب بسر قائماً وسقطت البيضة عن رأسه ، فصاحت أصحابه : يا أمير المؤمنين ! إنه بسر بن [أبي] أرطاة ، فقال علي رضي الله عنه : دعوه ، فقد كان معاوية أولى بهذا الأمر من بسر .

قال : فضحك معاوية من بسر ثم قال : لا عليك يا بسر ! ارفع طرفك ولا تستحي ، فقد نزل بعمرو مثل الذي نزل بك . قال : فصاح رجل من أهل الكوفة : ويلكم يا أهل الشام ! أما تستحون ؟ لقد علّمكم عمرو بن العاص في الحروب كشف السوءات ؛ ثم إنه أنشأ وجعل يقول[3] :

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٠ الغلام هو ابن عم لبسر جاء من الحجاز يخطب ابنته ، ويفهم من رواية ابن مزاحم أن هذا الغلام حاول اقناع بسر بعدم مبارزة علي (رض) . وذكر الأبيات باختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) عاطف : أراد به الذي يحمي المنهزمين (راجع اللسان مادة عطف) .

(٣) نسبت الأبيات عند ابن مزاحم إلى النضر بن الحارث .

أفي كـل يـوم فـارسٌ ذو كـريهـة[1] لـه عـورة وسط العجـاجـة بـاديـهْ
يـكـفُّ لـهـا عـنـه عـلـيٌّ سنـانَـهْ ويضحـك منهـا في الْخلاء معـاويـه
بـدتْ أمسِ من عمـرو فنكّس رأسَـه وعـورة بسـر مثلهـا حـذو حـاذيـه
فقـولا لعمـرو وابن أرطـاة أبصـرا سبيلَكمـا لا تـلقيـا الـليثَ ثـانيـه
فـلا تحمـدا إلا الخنـا وخصـاكمـا هـمـا كـانتـا والله لـلنفس واقيـه
فلولاهمـا لـم تنجـوا من سنـانـه وتلك بمـا فيهـا من العـود نـاهيـه

قال : فكان بسر بن [أبي] أرطاة مـرة يضحك من عمـرو ، ثم صار عمـرو يضحك منه . وكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها عليّ تنحى ناحية .

قال : وتحامى أهل الشام علياً وخافوه خوفاً شديداً ، ونظر لاحق غلام بسر إلى ما نزل ببسر ، فكأنه أحب أن يكون له ذكر في أهل الشام ، فخرج على فرس له وجعل يجول في ميدان الحرب وهو يقول :

قُـل لـعـليّ قـولَـه ونـافـره أرديتَ شيخاً غـاب عنه نـاصـره
أرديتَ بـسـراً والـغـلام ثـائـره وكـلّمـا أتـى فـليس يـاسـره

قال : فحمل عليه الأشتر وهو يقول :

في كـل يـوم رجـلُ شيخٍ بـادرهْ وعـورةُ وسطَ الـعجـاج ظـاهـرهْ
أبـرزهـا طـعـنـة كـفٍّ آثـره عمـرو وبسـر رميـا بـالفـاقـره[2]

قال : ثم طعنه الأشتر طعنة كسر منها صلبه ، فسقط عن فرسه واضطرب ساعة ومات .

وحمل الأشتر والأشعث بن قيس وعدي بن حاتم وسعيد بن قيس وعمرو بن الحمق وسليمان بن صرد وجارية بن قدامة[3] في قريب من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق على أهل الشام ، فقلعوهم عن مواضعهم حتى ألحقوهم بسوادهم ، وقتل منهم بشر كثير ؛ ثم انصرفوا عنهم وقد أمسوا ، فحجز الليل بين الفريقين .

قال : وأرسل معاوية إلى كل قرشي في عسكره فدعاهم في جوف الليل ثم

---

(١) في وقعة صفين : تنذبونه .
(٢) الفاقرة : الداهية تكسر فقار الظهر .
(٣) بالأصل : حارثة بن مقدام ، خطأ ، وقد مرّ .

قال : العجب منكم يا معشر قريش ! إنه ليس لأحد منكم في هذه الحروب مقال[1] يطول به لسانه غداً على الناس فيقول : فعلتُ في يوم صفين كذا وكذا . قال : فقال الوليد بن عقبة : ولا أنا يا معاوية ؟ فقال : ولا أنت والله يا وليد ولا غيرك من قريش الشام ! وما رأيت أحداً منكم خرج إلى حرب القوم إلا رجع مفضوحاً ، فَشوْهاً لي ولكم ! أبهذا يؤخذ الأمر من مثل عليّ وأصحابه ؟ والله لقد وقوا علياً بأنفسهم ووقاهم عليّ بنفسه[2] .

قال : فقال له مروان : إنك قد تكلمت فاسمع الجواب ، قال معاوية : هات حتى أسمع ! فقال مروان : إننا إن فاخرناهم فالفخر فيهم التقوى ، وإن كان في الجاهلية فالملك لليمن ، وإن كانت لقريش فإن العرب قد أقرّتْ بالفخر لبني عبد المطلب وعليّ من بني عبد المطلب ، فبما ذا تفاخره ؟ فقال معاوية : إنني لم آمركم بمفاخرته وإني أمرتكم بمثاقفته ؛ قال : فسكت مروان . فتكلم عتبة بن أبي سفيان فقال : أما أنا فإني أخرج إلى جعدة بن هبيرة[3] ، فقال مروان : بخ بخ ! جعدة رجل من بني مخزوم ، أبوه هبيرة بن أبي وهب المخزومي وأمه هانىء بنت أبي طالب ، ولكن خبرني عنك إذا أنت لقيت جعدة بن هبيرة فماذا أنت صانع ؟ فقال عتبة : ألقاه بالكلام وأقاتله بالحسام ؛ قال : فسكت مروان .

وأصبح[4] الناس ، فأرسل عتبة إلى جعدة فدعاه حتى واقفه ، واجتمع الناس لكلامهما[5] ؛ فقال عتبة : يا جعدة ! إني قد علمت أنه ما أخرجك علينا إلا حب علي بن أبي طالب ، وإننا والله ما نزعم أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان ، ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به ، فاسأل خالك أن يعفو لنا عنها ؛ فوالله ما بالشام رجل به طرف[6] إلا وهو أجدّ في حربكم من معاوية ولا بالعراق والحجاز من له مثل جدّ علي ، وما أقبح بعليّ أن يكون ملك نفسه وهو أولى الناس

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٢ : فعال .

(٢) العبارة في وقعة صفين : فقال الوليد : كلا بل وقاهم علي بنفسه .

(٣) وهو ابن أخت علي (رض) ، أمه أم هانىء بنت أبي طالب ، وأبوه هبيرة بن أبي وهب المخزومي . وكان لجعدة في قريش شرف عظيم ، وكان له لسان ، وكان من أحب الناس إلى علي .

(٤) بالأصل : وأصبحوا خطأ .

(٥) بالأصل : واجتمعوا الناس لكلامهم خطأ .

(٦) كذا بالأصل ، والصواب بالقاف . وطرق : بالكسر القوة .

بالناس . حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب .

قال : فقال جعدة : أما حبي لخالي فوالله إنه لو كان كل[1] خال مثله لنسيتَ أباك ؛ وأما فضل عليّ على معاوية ، فهذا شيء لا يختلف فيه مؤمن ؛ وأما رضاكم اليوم بالشام ، فقد رضيتم بها أمس [ولم نقبل] ؛ وأما جِدّ أهل الشام في حربنا وجِدّ أهل الحجاز والعراق مع علي ، فإن علياً مضى به يقينه وقصر معاوية شكه ، وقصد أهل الحق خير من جدّ أهل الباطل ؛ وأما قولكم إن علياً أطوع لنا من معاوية لكم ، فوالله ما نسأله إن سكت ولا نرد عليه إن قال ! لأنه ليس في عسكرنا أحد إلا وعليّ أفضل منه ، وفي عسكركم من هو أفضل من معاوية ؛ وأما قتل العرب فإن الله تعالى قد كتب القتل والقتال ، فمن قتله الحق فإلى الله والجنة ، ومن قتله الباطل فإلى النار .

قال : فغضب عتبة بن أبي سفيان وعبس على جعدة وشتمه ، ثم صاح بأهل الشام ، وصاح جعدة بأهل العراق ، وحمل[2] الفريقان بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأسلم عتبة خيله وانهزم هزيمة قبيحة والسيف في قفاه ، وتبعه أصحابه حتى صاروا إلى معاوية . فقال معاوية : يا عتبة ! إننا لا نغسل من هذه الفضيحة رؤوسنا أبداً ، كلمت جعدة فأربى عليك في الكلام ، وقاتلته فقاتلك وفضحك ؛ فقال عتبة : صدقت ، ولست أعود إلى مثلها أبداً ، فوالله لقد قاتلت وأعذرت وما كان لي على أصحابي في الحرب من عتب ، ولكن أبى الله إلا ما أراد . قال : فحظي جعدة عند عليّ بذلك ، وأنشأ النجاشي يقول :

إن شتم الكريم يا عتبُ خطبٌ[3] ... فاعلَمنه من الخطوب عظيمُ
أمه أم هانىءٍ وأبوه ... من لؤي بن غالب فالصميمُ[4]
ذاك منها هبيرة بن أبي وهـ ... ـب أقرّتْ بفضله مخزوم
كان في حربكم يُعدُّ بألف ... حين تلقى بها القرومَ القروم
وابنه جعدة الخليفة منه ... هكذا يخلف الفُروعَ الأروم

---

(1) في وقعة صفين ص ٤٦٤ : لك .
(2) بالأصل : وحملوا .
(3) يشير إلى شتم عتبة لجعدة قبل القتال ، وفحشه في ذلك .
(4) في وقعة صفين ص ٤٦٥ : من معد ومن لؤي صميم .

كل شيء تريده فَهْوَ فيه … حسبٌ ثاقبٌ ودين قويم

وخطيبٌ إذا تمعّرت الأوجـ … ـه يشجى به الألدُّ الخصيم

وحليمٌ إذا الخنا[1] حلّه الجهـ … ـل وخفّتْ من الرجال الحلوم

وشكيم الحروب قد علم النا … س إذا حام[2] في الحروب الشكيم

وصحيح الأديم[3] من كل عيب … [و] إذا كان لا يصحّ الأديم

خاطبٌ للعظيم في طلب الحمـ … ـد إذا أعظم الصغير اللئيم

كلّ هذا بحمد ربك فيه … وسوى ذاك ساد[4] وهو فطيم

قال : وشمت مروان بن الحكم بعتبة بن أبي سفيان ، وكذلك الوليد بن عقبة وغيرهم من قريش الشام وعيّروه بهزيمته وفضيحته حتى قيل فيه هذه الأبيات[5] :

ما زلتَ تنظر في عطفيك من جهل … لا يرفع الطرف منك التيهُ والترفُ[6]

لا تحسب الناس إلا فقعَ قرقرةٍ … وقد علاك بها التكثار والصلف[7]

حتى لقيت بلا شك جحاجحة … حاموا على الدين والدنيا فما وقفوا

أشجاك جعدةُ خيلاً غيرَ راجعة … إلا وسُمر العوالي منكمُ جِيف

قد عاهدوا الله لن يثنوا أعنّتَها … عند الطعان ولا في قولهم خلف

لما رأيتَهمُ صبحاً حسبتَهمُ … أُسدَ العرين حمى أشبالَها الغرف[8]

ناديتَ خيلك إذ غضّ الثِقاف بهم[9] : … خيلي إليّ فما عاجوا ولا عطفوا

هلّا عطفتَ على قتلى مصرّعة … منها السكونُ ومنها الأزد والصدف

---

(١) وقعه صفين : الحبى .

(٢) في وقعة صفين : حلّ .

(٣) وقعة صفين : من نغل العيب .

(٤) وقعة صفين : كان .

(٥) في وقعة صفين ص ٤٦٥ وقال الشني في ذلك لعتبة : وذكرت الأبيات .

(٦) وقعة صفين : والصلف .

(٧) وقعة صفين : لا تحسب الناس . . . أو شحمة بزها شاو لها نطف .
والأبيات الثلاثة التالية باختلاف انظر وقعة صفين ص ٤٦٦ .

(٨) بالأصل : العرف تحريف . والغرف جمع غريف ، وهو الشجر الملتف .

(٩) بالأصل : النقاف تحريف . والثقاف خشبة تسوى بها الرماح والقسي بها خرق يتسع لهما ، ثم يغمز منهما حيث ينبغي أن يغمز وهما مدهونان مملونان أو مصهوبان على النار . والمراد هنا بعض الثقاف بهم : أي دخولهم في مأزق الحرب .

قــد كنتُ في منظر عن ذا ومستمــع ... يـا عتب لـولا سفـاهُ الـرأي والسـرف
فـاليـوم يُقــرع منـك السنُّ من نــدم ... مــا للمبــارز إلا الـعجــز والـكسـف

قال : وأصبح[1] القوم فعبى عليٌّ أصحابه وتقدمت الأنصار بين يديه براياتها وأعلامها ، فقال معاوية : من هؤلاء الذين خرجوا في هذه التعبية ؟ فقيل له : هؤلاء الأنصار . قال : فدعا معاوية بالنعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ـ ولم يكن معه من الأنصار غيرهما[2] ـ فقال لهما : يا هذان ! ماذا لقيت من قومكما الأوس والخزرج قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم وأقبلوا يدعون الناس إلى البراز ! حتى إني والله ما أسأل عن فارس من فرسان الشام إلا قيل : قتله فلان الأنصاري ، ألا ترجعون إلى أكل التمر والطفيشل[3] ويتركون الحروب لأهلها . قال : فغضب النعمـان بن بشير من ذلك ثم قال : يا معاوية ! لا تلم الأنصار على إسراعهم إلى الحرب ، فإنهم هكذا كانوا في الجاهلية ، وأما دعاؤهم الناس إلى النزال ، فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ ورأيت بلاءهم بين يديـه ؛ وأما التمـر فإنـه كان لنـا ، فلما ذقتمـوه غلبتمونـا عليه وشاركتمونا فيه ؛ وأما الطفيشل فإنه كان لليهود ، فلما ذقناه غلبناهم عليه .

قال : وبلغ ذلك قيس بن سعد بن عبادة ، فقال : يا معشر الأنصار ! إن ابن آكلة الأكباد قال كذا وكذا ، وقد أجاب عنكم صاحبكم النعمان بن بشير ، ولعمري لئن وترتموه في الإسلام فقد وترتموه في الجاهلية ، وأنتم اليوم مع ذلك اللواء الذي كان جبريل عليه السلام عن يمينه وميكائيل عن يساره ، واليوم تقاتلون مع لواء أبي جهل بن هشام ولواء الأحزاب .

قال : فقالت الأنصار : يا بن سيد الخزرج ! مرنا بأمرك فها نحن بين يديك .

قال : وكتب قيس بن سعد إلى معاوية .

يــابـن هنــد دع الـتـوثّـب فـي الـحــر ... ب إذا نحن في الحــروب ثــوينــا[4]
نـحن مــنــك الـغــداةَ أقــرب مـن أمسـ ... ـس وقــد قــرّب الـقنــا عـسكــرَينــا

---

(١) بالأصل : وأصبحوا .
(٢) بالأصل : غيرهم ، فقال لهم : خطأ .
(٣) الطفيشل ويقال طفشيل فارسي معرب ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل ، وفي القاموس : نوع من المرق .
(٤) وقعة صفين ص ٤٤٧ إذا نحن في البلاد نأينا .

نحن مَنْ قد رأيتَ فادن إذا شئـ ـتَ بمن شئتَ في الحروب[1] إلينا

إن برزْنا في الجمع نلقك في الجمـ ـع وندعو في حربنا أبوَينا[2]

أيّ هذين شئته فخذْنَهُ ليس منا وليس منك الهُوينا

ثم لا تبرح العجاجة حتى ينجلي حربُنا لنا أم علينا

ليت ما تطلب الغداةَ أتانا أنعمَ الله بالشهادة عينا

إننا إننا الذين لك بالفتـ ـح شهدنا وخيبراً وحُنينا

بعد بدر وتلك قاصمة الظهـ ـر وأحد وبالنضير ثنينا

يوم كان[3] الأحزاب قد علم النا سُ شفينا من قبلكم واشتفينا

قال : فلما انتهى هذا الشعر إلى معاوية أرسل إلى وجوه الأنصار الذين هم مع علي بن أبي طالب فشكا إليهم من قيس بن سعد . قال : فمشت الأنصار إلى قيس منهم البراء بن عازب وزيد بن أرقم وعبد الرحمن بن أبي ليلى وخزيمة بن ثابت والحجاج بن [عمرو بن] غزية وجماعة من الأنصار[4] ، فقالوا : يا هذا ! إن معاوية وإن كان عدواً لنا فإنه لا يريد شتمنا فكف عنه ولا تذكره ! فقال قيس[5] : كلا ! إني لا أمسك عن شتمه أبداً حتى ألقى الله .

وتحركت الخيل من نحو معاوية ، فظن قيس بن سعد أن معاوية فيها ، فاستوى على فرسه وحمل على خيل معاوية حتى خالطها ، ثم حمل على رجل منهم فقنعه بالسيف وهو يظن أنه معاوية ، فإذا هو غير معاوية ؛ ثم قنع آخر فقتله ؛ وقنع ثالثاً فقتله . قال : فتحاماه الناس وصاح معاوية : ويحكم يا أهل الشام ! إذا رأيتم هذا الرجل في الحرب فاحترسوا منه ، فإنه والله الأسد الضرغام ؛ قال : ورجع قيس بن سعد إلى موقفه . وخرج رجل من أصحاب معاوية يقال له المخارق بن عبد الرحمن وكان فارساً بطلاً حتى وقف بين الجمعين ، ثم سأل النزال ، فخرج إليه المؤمّل بن

---

(١) في وقعة صفين : العجاج .

(٢) في وقعة صفين :

إن برزنا بالجمع نلقك في الجمع وإن شئت محضة أسرينا

فالقنا في اللفيف نلقك في الخزرج ندعو في حربنا أبوينا

(٣) زيادة لاستقامة الوزن .

(٤) زيد في وقعة صفين ص ٤٤٨ : عقبة بن عمرو ، وأبو مسعود ، وعمرو بن عمير .

(٥) في وقعة صفين : فقال : إن مثلي لا يشتم ، ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله .

عبيد المرادي ، فقتله الشامي ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وحكّ وجهه الأرض وكبّ الرأس على وجهه ، ثم دنا منه فكشف عورته ونادى : هل من مبارز ؟ فخرج إليه مسلم بن عبد ربه الأزدي ، فقتله الشامي ثم فعل به كما فعل بالأول ، ثم نادى : هل من مبارز ؟ فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر واحتز رؤوسهم وكشف عوراتهم .

قال : فتحاماه[1] الناس خوفاً منه ، قال : ونظر إليه علي رضي الله عنه وقد فعل ما فعل ، فخرج إليه متنكّراً وحمل عليه الشامي وهو لم يعرفه ، فبدره عليّ بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقّه ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وقلّب وجهه إلى السماء ولم يكشف عورته ؛ ثم نادى : هل من مبارز ؟ فخرج إليه آخر فقتله عليّ رضي الله عنه وفعل به كما فعل بالأول ؛ فلم يزل كذلك حتى قتل منهم سبعة أم ثمانية وهو يفعل بهم كما يفعل بالأول ولا يكشف عوراتهم . فأحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية وردها عن معاوية عبد له يقال له حرب فكان فارساً لا يصطلى بناره ، فقال له معاوية : ويحك يا حرب ! اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره ، فإنه قد قتل من أصحابي من قد علمتَ ؛ قال : فقال حرب : جُعلت فداك ! إني والله أرى مقام فارس بطل ! لو برز[2] إليه أهل عسكرك لأفناهم عن آخرهم ، فإن شئتَ برزتُ إليه وأنا أعلم أنه قاتلي ، وإن شئت فابقني لغيره ؛ فقال معاوية : لا والله ما أحب أن تُقتل ! فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك . قال : وجعل يناديهم ولا يخرج إليه واحد منهم ، فرفع المغفر عن رأسه ثم قال : أنا أبو الحسن ! ثم رجع إلى عسكره . فقال حرب لمعاوية : جعلت فداك ! ألم أقل لك إني أعرف مقام الفارس البطل .

قال : ثم خرج فارس من فرسان أهل الشام يقال له كريب بن الصباح[3] حتى وقف بين الجمعين ثم سأل البراز ، فخرج إليه المبرقع[4] بن الوضاح[5] الخولاني فقتله الشامي ، ثم سأل البراز فخرج إليه شرحبيل بن طارق البكري فقتله الشامي ، ثم سأل البراز فخرج إليه الحارث بن الجلاح الحكمي فقتله الشامي ، فخرج إليه

---

(١) بالأصل : فتحاموه خطأ .

(٢) بالأصل : برزوا خطأ .

(٣) بالأصل : « صباح » وهو رجل من حمير من آل ذي يزن .

(٤) في وقعة صفين ص ٣١٥ المرتفع .

(٥) عن وقعة صفين ، وبالأصل : الوضاحي . وعند ابن مزاحم : الزبيدي بدل الخولاني .

عباس[1] بن مسروق الهمذاني فقتله الشامي ؛ ثم رمى جثتهم بعضها فوق بعض .

قال : فنظر عليّ رضي الله عنه إلى مقام فارس بطل ، فخرج إليه بنفسه حتى وقف قبالته فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا كريب بن الصباح الحميري ، فقال له علي رضي الله عنه : ويلك يا كريب ! إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ؛ فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فالله الله في نفسك ! فإني أراك فارساً بطلاً ، لك ما لنا وعليك ما علينا ؛ فقال : ما أكثر ما سمعنا منك هذا وأشباهه ، فادن مني ! فقال له علي : ويحك يا كريب ! ليدخلنك معاوية إلى نار جهنم ؛ فقال كريب : ادن مني إذا شئت ؛ ثم جعل يلوح بسيفه وهو يقول :

من يشتـري سيفي وهـذا أثـره ؟ أضـربـه ضـربـاً ولا أنـتـظـره

قال : فمشى إليه علي رضي الله عنه والتقيا[2] بضربتين ، ضربه عليّ ضربة قتله ؛ ثم وقف ونـادى : من يبارز ؟ فخـرج إليه الحـارث بن وداع[3] الحميري ، فحمل عليه عليّ فقتله ؛ فخرج إليه المـطاع بن المطلب القيني فحمـل عليه عليّ فقتله ؛ فلم يزل كذلك حتى قتل أربعـة من فرسـان الشام ، ثم نـزل إليهم فرمى بأجسادهم بعضهم على بعض ، وهو يقول : ﴿ الشهر الحرام [بـالشهر الحـرام] والحرمٰت قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[4] .

قال : ثم صاح علي رضي الله عنه : يا معاوية ! هلم إلى مبارزتي ولا تفنينّ العرب بيننا[5] ، فقال معاوية : لا حاجة لي في مبارزتك ، إنك قد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك .

قال : فصاح به رجل من أصحاب معاوية يقال له عروة بن داود الدمشقي فقال له : يابـن أبي طالب ! إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلمّ إلى مبارزتي ! فذهب عليّ ليبرز إليه ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك هذا الكلب ولا تخرج إليه فما هو لك

---

(١) في وقعة صفين ص ٣١٥ : عائذ .

(٢) بالأصل : التقوا .

(٣) وقعة صفين ص ٣١٦ : وداعة .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

(٥) وقعة صفين : ولا يقتلن الناس فيما بيننا .

بخصم[1] ؛ فقال علي ! لا يبرز إليه غيري إذ قد سألني ذلك . ثم حمل عليه عليّ رضي الله عنه فالتقى الضراب ، فضربه عروة بن داود فلم يصنع شيئاً ، وضربه عليّ فجدله قتيلاً ، ثم قال : انطلق الآن فأخبر قومك بالذي عاينت ، فوالذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق لقد عاينت النار ولقد أصبحت من النادمين . قال : فأنشأ ابن عم له يرثيه ويقول[2] :

فَقَدَتْ عروةَ الأراملُ والأيتـ ـتام يومَ الكريهة الشغباءِ
كان لا يشتم الجليس ولا ينـ ـكل يوم العظيمة النكباء[3]

أمكن اللّهُ من عليّ سريعاً ربُّ موسى وزمزمٍ والصفاء
يا لعين إلّا بكيت [على][4] عر وة يوم العجاج والترباء
فليبكيه نسوةٌ من بني عا مرَ مِنْ يثربٍ وأهلِ قباء
رحم اللّهُ عروةَ الخير ذا النجـ ـدة وابن القماقم النُجباء
أرهقتْه المنونَ في قاع صِفّيـ ـن صريعاً مُرَمّلاً بدماء[5]
غادرتْه سيوفُ بدر وأُحد [و][6] من التابعين والنقباء
تركوه بِقَاع صفّين مصرو عاً سلوا [ذا][6] الجواد بالحوْباء

قال : فجعل[7] أهل الشام يقول بعضهم لبعض : قبح الله البقاء والعيش بعد عروة بن داود ؛ فما له بأرض الشام من خلف . وأنشأ عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري في ذلك يقول[2] :

عروَ يا عروَ قد لقيت حماما إذ تقحّمْتَ في حِمى اللهواتِ
أعلياً لك الهوانُ تنادي ضَيْغَماً في أباطل الحومات
ليس لله فارسٌ كأبي الشبـ ـلين ما أنْ نهاب[8] كرَّ الكُماة

---

(١) أي ليس في مثل قدرك وقيمتك المعنوية والقتالية .
(٢) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٥٨ .
(٣) ينكل : نكل نكولاً : نكص وجبن .
(٤) زدناها لاستقامة الوزن . والترباء إحدى لغات التراب .
(٥) في وقعة صفين : صريعاً قد غاب في الجرباء .
(٦) بالأصل : فجعلوا خطأ .
(٧) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٥٩ .
(٨) وقعة صفين : إن يهوله المتلفات .

عـالمـاً بـالقضـاء محتسبـاً بـالـ ـخيـر يـرجـو الثـوابَ بـالبينـات[1]
ليس يخشى كـريـهـة في لـقـاءٍ لا ولا مـا يـكـون فـي الآفـات
فلقـد ذُقت فـي الجـحيـم نكـالا وضِـرابَ المقـامـع المُحمَيـات
يـابن داود قـد وَقَيْـتَ ابن هـنـد أن يكـون القَتيـلَ بـالمُقْـفـرات

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين .

وقد كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبغ بن ضرار[2] [الأزدي] يخرج بالليل من عسكر معاوية فيكون حارساً وطليعة لمعاوية ، قال : فندب له عليّ رضي الله عنه الأشتر وقال : إن قدرت عليه فخذه ولا تقتله وجيء به !

قال : فاحتال عليه الأشتر فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل ، ثم جاء به إلى رحله ليلًا فشد وثاقه ينتظر به الصباح ؛ قال : وأيقن الرجل بالقتل وكان مفوهاً شاعـراً ؛ فأنشأ يقول[3] :

ألا ليت هـذا الليـلُ أطبقَ سـرمـداً على النـاس لا يـأتـيهُـم بنـهـارِ
يـكـون كـذا حتى القيـامـة إنني أحـاذر في الاصبـاح ضـرمـةَ نـار
فيـا ليـلُ طبِّقْ إنَّ فيـك لـراحـة[4] وفي الصبـح قَتْلى أو فكـاكُ إسـاري
ولـو كنتُ تحت الأرض تسعين واديـاً لَـمَـا رَدَّعـني مـا أخـافُ حِـذاري
فيـا نفُس مـهـلًا إنّ للنـفس غـايـة فصبـراً على ما فـات[5] يابن ضِـرار
أأخشى ولي في القـوم رحمٌ قـريبـة من الأمْـر ما أخْشى والأشترُ جاري[6]
ولـو أنـه كـان الأسـيـرَ ببـلـدة أطـاع بـهـا شـمّـرتُ ذيـل إزاري
ولـو كُنْتُ جـار الأشعث الخيـر وكنى وفـرّ مـن الأمـر المـخـوف فـراري
وجـاري المـراديُّ العـظيمُ وَهـانىء وزحـرُ بنُ قيْسٍ مـا كـرهتُ نهـاري

---

(١) وقعة صفين : بالسابقات .
(٢) عن وقعة صفين ص ٤٦٦ وبالأصل : الأصبغ بن ضراب .
(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٦٧ .
(٤) في وقعة صفين : فيا ليل طبق إن في الليل راحة .
(٥) وقعة صفين : . . إن للموت غاية . . . ما ناب .
(٦) كذا بالأصل والوزن غير مستقيم ، والمصراع في وقعة صفين :

أبى الله أن أخشى والأشتر جاري

فـالا بـعثـني فـي الصبـاح بنَعْمـةٍ يـفـكّ بـهـا عَني فـقـبـري داري

قال : فلما سمع الأشتر هذه الأبيات كأنها حركته ، ثم غدا به الأشتر إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا رجل أخذته البارحة أسيراً بلا قتـال ، ووالله لو علمت أن قتله أحب إليك لقتلته ، وقد بات البارحة عندي وحرّكني بأبيات قالها ، فإن أحببت قتله فاقتله ، وإن[1] كنت فيه بالخيار فهبه لي ! فقال : هو لك يا مالك ! وإذا أصبت [منهم] أسيراً فلا تقتله ، فـإن أسير أهـل القبلة لا يفادى ولا يقتل . فرده الأشتر إلى رحله فأحسن إليه ورد عليه ما كان أخذ منه وأطلقه .

قال : وعزم[2] الفـريقان على الحـرب ، وأقبل معـاوية على هؤلاء الأربعـة الرهط : مروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعبد الله بن عـامر بن كريز ، وطلحة الطلحات[3] ؛ فقال : إن أمرنا وأمر عليّ لعجيب ليس منا إلا موتور ؛ أما أنا فإنه قتل أخي وخالي يوماً وشارك في قتل جدي ؛ وأما أنت يا وليد فإنه قتل أباك بيده صبراً يوم بدر ؛ وأما أنت يا طلحة ، فإنه قتل أخاك يوم أحد وقتل أباك يوم الجمل وأيتم أخوالك ؛ وأما أنت يا عبد الله بن عامر فإنه أسر أباك وأخذ مالك ، وأما أنت يا مروان ، فإنه قتل ابن عمك عثمان بن عفان ؛ ثم إنني أراكم قعوداً عنه ما فيكم أحد يغير ولا يأخذه بثأره . فقال مروان : فما الذي تحب أن نصنع يا معاوية ؟ فقال : أريد والله منكم أن تشجروه بالرماح فتريحوا العباد والبلاد منه ؛ فقال مروان : الآن والله قد ثقلنا عليك يا معاوية إذ كنت تأمرنا بالخروج إلى حية الوادي والأسد العادي[5] .

قال : ثم نهض مروان مغضباً ، وأنشأ الوليد بن عقبة في ذلك يقول :

يقـول لنـا مـعـاويـة بن حـرب أمـا فـيكـم لـواتـركـم طـليـبُ
يشـدّ عـلى أبـي حسـنٍ علـيٍّ بـأسـمـر لا يُهجنـه الكُـعـوب
فيهتـك مجمـعَ اللبـات منـه ونَقْـعُ المـوت[6] مُـطّردٌ يـثـوب

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٦٧ : وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا .
(٢) بالأصل : وعزموا تحريف .
(٣) هو ابن عبد الله بن خلف الخزاعي ، وقد قتل أبوه يوم الجمل مع عائشة (رض) .
(٤) الخبر في وقعة صفين باختلاف ص ٤١٧ .
(٥) الأبيات في كتاب وقعة صفين ص ٤١٧ .
(٦) وقعة صفين : ونقع القوم .

فقلتُ له أتلعب يابن حرب كأنك بيننا[1] رجل غريب
أتأمرنا بحيّة بطن وادٍ إذا نهشتْ فليس لها طبيب
وما ضبع يدّب ببطن وادٍ أتيح له به أسدٌ مهيبُ
بأضعف حيلة منا إذا ما لقيناه وذا منا عجيب
دعا في الحرب للهيجا رجالاً[2] تكادُ قلوبهم منه تذوب
كأن القوم لمّا عاينوه خلالَ النقع ليس لهم قلوب
لعَمرُ أبي معاوية بن صخر وما ظني بمُلحَقه العيوب
لقد ناداه في الهيجا عليٌّ فأسمعه ولكن لا يُجيب
سوى عمرو وَقَتْه خصيتاه نجا ولقلبه منها وَجيب
وبسرٌ مثله لاقى جِهارا فأخطأ نفسه الأجلُ القريب[3]

قال : فغضب عمرو من قول الوليد ثم قال : والله ما ظننت أن أحداً من الناس يعيّرني بفراري من عليّ وطعنته إياي ؛ ثم أقبل على الوليد بن عقبة فقال : إن كنت صادقاً فاخرج إلى عليّ وقف له في موضع يسمع كلامك حتى ترى ما الذي ينزل بك من صولته ؛ ثم أنشأ عمرو وجعل يقول[4] :

يُذكّرني الوليد لقا عليٍّ وصدرُ المرء محلاه الوعيدُ[5]
متى يذكر مشاهدةَ قريشٍ يَطِرْ من خوفه القلبُ الشديد
فأما في اللقاء فأين منه معاويةُ بن صخر والوليد
وعيّرني الوليدُ لقاءَ ليثٍ إذا ما زأر هابتْه الأسود
لقيتُ ولستُ أرهَبه[6] علياً وقد بلّتْ من العلق اللبود[7]
فأطلُبه ويطعَنني خِلاساً فماذا بعد طعنته أريد
فرُمْها منه يابن أبي مُعيط فأنت الفارس البطل النجيدُ

(١) وقعة صفين : يا بن هند كانك وسطنا .
(٢) وقعة صفين : دعا للقاه في الهيجاء لاقٍ .
(٣) هذا العجز ، في وقعة صفين ص ٤١٨ للبيت الثامن .
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤١٨ .
(٥) وقعة صفين : وبطن المرء يملؤه الوعيد .
(٦) وقعة صفين : أجهله .
(٧) صفين : الكبود .

فـأقسِمُ لـو سـمعتَ نـدا عليٍّ   لـطار القلبُ وانـتفـخ الـوريـد
ولـو لاقيتـه شُـقَّتْ جـيـوبٌ   عـليـك ولُـطِّمتْ فـيـهـا خـدود

قـال : ودنا القـوم بعضهم من بعض ، ودعا علي رضي الله عنه بهـاشم بن عتبة بن أبي وقاص فأعطاه الراية وقال : تقدم إلى أعداء القرآن وحزب الشيطان ! فأخذ هاشم الراية بيده وتقدم ؛ وكان هاشم أعور وذلك أنه أصيب بعينه يوم اليرموك في جيش عمر بن الخطاب .

قال : فتقدم هاشم وعليه درع له سابغ وعلى رأسه قلنسوة ديباج وهو يرتجز ويقول :

أعـورُ يـبـغـي أهـلُه خـلاصـا   مثـلَ القسيّ[1] لابسـاً دِلاصـا
يـريـد قـومـاً رُذَلا انـكـاصـا   لا جنّـة يـرجـو[2] ولا قصـاصـا
كـلّ امـرىء وإن كبـا وحـاصـا[3]   إقـدامـه في مَعْـمَعـةٍ قِـمـاصـا
ليس له من يومه مَناصا[4]

قال : فخرج إليه رجل من أصحاب معاوية[5] وجعل يشتم علياً ويقول القبيح ، فقال له هاشم : يا هذا ! إن لهَذا الكلامُ بعده الخصام ، فاتق الله ولا تشتم فإنك راجع إلى ربك وإنه[6] مسائلك عن هذا الموضع وعن هذا الكلام ؛ فقال الشامي : وكيف لا أشتمكم ولا ألعنكم وقد بلغني عن صاحبكم أنه لا يصلي وأنكم لا تصلون ! فقال له هاشم : يا هذا الرجل ! أما قولك إننا ما نصلي فوالله ما فينا أحد يؤخر الصلاة عن وقتها طرفة عين ؛ وأما قولك عن صاحبنا أنه لا يصلي فوالله إنه لأول ذَكَرٍ صلّى من

---

(١) في وقعة صفين ص ٣٤٧ : الفنيق .
(٢) وقعة صفين : لا دية يخشى .
(٣) كبا : انكب على وجهه . حاص : هرب .
(٤) في وقعة صفين : ليس يرى من موته مناصا .
(٥) وكان فتى شاب ، وجعل يرتجز ويقول :

أنـا ابـن أربـاب الـمـلوك غـسـان   والـدائـن الـيـوم بـديـن غـسـان
أنـبـأنـا أقـوامـنـا بـمـا كـان   أن عـلـيـاً قـتـل ابـن عـفـان

راجع وقعة صفين ص ٣٥٤ . الطبري ٦/٢٤ ابن الأثير ٢/٣٨٤ .
(٦) في الطبري : فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

هـذه الأمـة بعـد رسـول الله ﷺ ، وإنـه لأفقـه خلق الله في دين الله وأولاهم برسول الله ﷺ ، وليس معه أحد إلا وهو قارىء لكتاب الله عالم بحدود الله ، ولا يغرّنك هؤلاء الأشقياء المغرورون . فقال الشامي : يا هذا ! ما أظنك والله إلا وقد نصحتني في ديني ، ولكن هل من توبة ؟ قال : نعم ، إن تبتَ تاب الله عليك فإنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ؛ قال : فقنع الشامي فرسه وركض ، فصار إلى علي رضي الله عنه فكان معه .

قال : وتقدم هاشم بالراية نحو القوم وهو يقول :

يا لك يوماً مثل يوم اليرموك ... يا لك من طحن رحا دموكْ

يا لك منها من دم مسفوك ... بالسيد الضخم وبالصُعلوك

أمشي وسيفي مُشْبِهُ الفُلوك ... حتى أحلّ منزل المملوك

إنَّ الملوك ترحم المملوك

ثم حمل على صفوف أهل الشام فجرح منهم خلق كثير وقتل منهم جماعة ، ثم وقف ساعة ليستريح وهو في ذلك يقول شعراً ، فحمل عليه رجل من أصحاب معاوية يقال له حمزة بن مالك الهمذاني وهو يقول شعراً يمدح فيه نفسه ، فحمل عليه هاشم بن عتبة فطعنه طعنة فقتله ؛ وحملت[1] جماعة من أهل الشام فأحاطوا به فلم يزل يطاعن[2] بالراية حتى استشهد[3] ـ رحمه الله ـ .

قال : وحمل رجل من أصحاب عليّ رضي الله عنه يقال له شقيق بن ثور العبدي على أهل الشام ، فكشفهم عن هاشم بن عتبة لكيلا يسلبوه ، ثم أخذ الراية فرفعها وجعل يرتجز ويقول :

لا بأس قد قام بها شقيقُ ... إن شقيقاً في اللقا خليقُ

و[4] درعه فإنه فَتيقُ ... بالطعن في يوم الوَغى حقيقُ

ثم حمل فقاتل حتى قتل .

---

(١) بالأصل : حملوا خطأ .

(٢) فقتل يومئذ تسعة أو عشرة .

(٣) حمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط .

(٤) كذا بالأصل ، ولم نجد الرجز .

قال : وتقدم عتبة[1] بن هاشم المقتول فرفع الراية وجعل يقول[2] :

يا هاشم بن عتبة بن مالك · أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلان[3] بالسنابك · في أسودٍ من نقعهن حالك
أبشرْ بحور العين في الأرائك · والروح والريحان عند ذلك

قال : ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - .

قال : وتقدم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وهو يقول[4] :

يا هاشم الخير دخلتَ الجنهْ · قاتلتَ في الله عدو السنّهْ
وتارك الحق وأهل الظنَّهْ · أعظم ما نِلتَ به من مُنّهْ
صيرني الدهرُ كأني شنّه · يا ليت أهلي قد علوني رِنّه[5]
من ابنة وزوجة وكَنّه[6]

قال : ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً وجرح جراحة منكرة فرجع القهقرى إلى ورائه . وتقدم عبد الله بن بديل[7] بن ورقاء الخزاعي كالليث المغضب ، فجعل يحمل على ميمنة معاوية مرة وعلى ميسرته مرة أخرى ، وليس يظهر له أحد إلا قتله وهو يقول[8] :

أضربكم[9] ولا أرى معاوية · الأبرجَ[10] العين العظيمَ الحاوية

---

(١) كذا بالأصل ، وفي مروج الذهب ٢/ ٤٢٥ « تناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه وكر في العجاج وهو يقول : » وفي الأخبار الطوال ص ١٨٤ « دفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة » وانظر وقعة صفين ص ٣٥٦ وفيه أن عبد الله بن هاشم أخذ الراية . وذكر الأرجاز ص ٣٤٨ ونسبها إلى ابن هاشم ولم يسميه . نقول : وليس في ولد هاشم من اسمه عتبة .

(٢) الأرجاز في مروج الذهب ٢/ ٤٢٥ ووقعة صفين ص ٣٥٦ .

(٣) مروج الذهب ووقعة صفين : الخيلات .

(٤) وقعة صفين ص ٣٥٩ .

(٥) الرنة : صيحة النياحة .

(٦) في وقعة صفين : من حوبة وعمة وكنّه .

(٧) بالأصل : يزيد خطأ ، وقد مرّ تكراراً .

(٨) الشطران الأول والثاني في الطبري ٦/ ٢٣ ومروج الذهب ٢/ ٤٢٨ ونسبت إلى علي (رض) . وذكرت الأرجاز في كتاب صفين ص ٤٠٤ ونسبت إلى علي (رض) . وفي ص ٣٩٩ ونسبت إلى الأشتر . وقال المسعودي : وقيل إن هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم .

(٩) الطبري ووقعة صفين ص ٤٠٤ : أضربهم .

(١٠) الطبري : « الجاحظ » ووقعة صفين : « الأخزر » .

هـوتْ بـه في النـار أمُّ هـاويـة جـاوره فـيـهـا كـلابٌ عـاويـة

قال : فصاح معاوية : ويلكم يا أهل الشام ! هذا أسد من أسود خزاعة فاقصدوه بحربكم . قال : فأحاط به أهل الشام من كل ناحية فلم يزل يقاتلهم حتى قتل منهم جماعة وقُتل ـ رحمه الله ـ . فقال معاوية : لله دره ودر أبيه ! أما والله لو استطاعت نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلاً عن رجالها لفعلت .

قال : وتقدم عمرو بن الحمق الخزاعي حتى وقف في ميدان الحرب وهو يقول[1] :

جزى الله خيراً عُصبة[2] أيَّ عصبةٍ حسانَ وجوهٍ صـرِّعتْ نحو هـاشم

شَقيقٌ وعبـد الله فيـهـم ومعبـدٌ ونبهـانُ وابنـا هـاشمٍ والمكـارم[3]

وعـروةُ لا تبعدْ فقـد كـان فـارسـاً إذا الحـربُ هاجتْ بـالقَنا والصوارم[4]

إذا اختلف الأبـطال واشتبـك القنـا وكـان حديثُ القـوم ضربَ الجماجم

ثم حمل فقاتل أشد القتال ورجع إلى موقفه .

قال : وحميت أهل الشام وعزموا على الموت ، وتقدم سيد من ساداتهم يقال له حوشب ذو الظليم وهو يقول :

أهـل العـراق نـاسبـوا وانتسبـوا نـحن اليمـانيـون منـا حـوشبُ

أنـا الـظليم أين أيـن[5] المهـربُ فينـا الصفيـحُ والقنـا المغلّبُ[6]

والخيـلُ أمثالَ الـوشيح شُـذَّب[7] إن الـعـراق خـيـلُها مـذبـذب

في قـتـل عـثمـان وكـلٌّ مـذنـبُ هـذا عـليٌّ فـيـكـمُ مـحـبَّـب

---

(١) الأبيات في مروج الذهب ٢/٤٢٥ وكتاب صفين ص ٣٥٦ ونسبت إلى علي (رضي) .

(٢) مروج الذهب : عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم .

(٣) في مروج الذهب :

يـزيـد وعـبـد الله بـشـر بـن مـعـبـد وسـفيـان وابنـا هـاشم ذي المكـارم

(٤) مروج الذهب :

وعـروة لا يـنـفـد ثـنـاه وذكـره إذا اختـرطت يـومـاً خفـاف الصـوارم

(٥) وقعة صفين ص ٤٠٠ : منا .

(٦) كذا بالأصل « المغلب » والأوضح « المعلب » من علب السيف والرمح فهو معلوب وعلبه تعليباً أي حزم مقبضه بعلباء البعير ، وهي عصب العنق .

(٧) الوشيج : الرماح . وشذب لا معنى لها والصواب « شزب » جمع شازب أي الضوامر .

قال : فخرج إليه سليمان بن صُرد الخزاعي وهو يقول :

يا لك يوماً كاسفاً عصبصبا[1] يا لك يوماً لا يُواري كوكبا[2]
يا أيها الحي الذي تذبذبا لسنا نخاف ذا الظليم حوشبا
لأنّ فينا بطلاً مجرّبا ابنَ بديلٍ كالهِزَبْرِ مُغضبا
أمسى عليٌّ عندنا محبّبا نفديه بالأم ولا نبقي أبا

قال : ثم حمل عليه سليمان بن صرد فطعنه في بطنه طعنة أنفذ السنان من ظهره ، فسقط حوشب قتيلاً . قال : ودخل على معاوية من قتل حوشب مصيبة عظيمة .

قال : واشتد القتال بين الفريقين ، قال : وحملت خيل الأنصار على أهل الشام فهزموهم حتى ألحقوهم بحريم معاوية وقتلوا منهم بشراً كثيراً ، وقُتل ذو الكلاع الحميري فيمن قتل[3] ، واغتم[4] أهل الشام على ذي الكلاع أشد من غمهم على حوشب وحملت أهل العراق على القلب وفيه معاوية وسادات قريش فكشفوهم عن مواضعهم ، وعثرت بمعاوية فرس كانت تحته فسقط إلى الأرض ، وهمّ[5] به أهل العراق فحمله أهل الشام فأفلت سليب القلب لم يملك عقله ؛ فأنشأ رجل من الأنصار يقول[6] :

معاوي ما أفلتَّ إلا بجرعة من الموت[7] حتى تَحسب الشمس كوكبا
نجوتَ فقد أدمَيْتَ بالسوط حيّة[8] أزوما على فأس اللجام مشذّبا

---

(١) الكاسف : العبوس .
(٢) أي كأن نجومه ظاهرة لشدة ظلامه واحتجاب شمسه ، لما ثار من الغبار .
(٣) قتله رجل من بكر بن وائل يسمى خندف، ضربه بالسيف على عاتقه فقدّ الدرع وفرى عاتقه فخرّ ميتاً (الأخبار الطوال ص ١٧٩) .
(٤) بالأصل : واغتموا تحريف .
(٥) بالأصل : وهموا . تحريف .
(٦) في كتاب صفين ص ٤٠١ وقال جريش السكوني .
(٧) وقعة صفين : من الموت رعباً تحسب الشمس كولبا .
(٨) وقعة صفين : بطنه .
والأزوم : الشديد العض ، وفي اللسان : أزم الفرس على فاس اللجام : قبض. والمشذب: الفرس الطويل ليس بكثير اللحم .

فـلا تـكفـرَنْـهُ واعـلَمَنْ أنَّ مِثلهـا إلى مثلها عـالي بك الجـري أو كبا

فـإن تفخـروا بـابني بـديـل وهـاشم فنحن قتلنـا ذا الكـلاع وحـوشبـا[1]

ولـمـا رأيت الأمـر قـد جَـدَّ جِـدُّه وقـد كـان يـوماً يتـرك الـطفـل أشيبـا

صبـرنـا لكم تحت العجـاج نفوسَنـا وكـان خـلاف الصبـر جـدعـاً مُوَعَّبـا

ولـم تلف فـيهـا خـاشعـين أذلّـة ولم تـك منا في الـوغـاء مـذبـذبـا

كسـرنـا القنـا حتى إذا فني القنـا صبـرنـا وقلّبنـا الصفيح المجـرَّبـا

ولم يَسْرِ في الجمعين صـارَف وجهه ولا ثـانيـاً في رهبـة المـوت منكبـا

ولـم تـر إلا قـحف رأس وسـاعـد وسـاقـاً ظنيـنـاً أو ذراعـاً مخضّبـا

كـأنا وأهـل الشـام أسـد مشيحـة لـخفـان لا ينبينَ نـابـا ومخلبـا

قال : وانصرفت الفريقان يومئذ وقد نال أهل العراق من أهل الشام منالاً قبيحاً ، فأنشأ أبو حية الأنصاري[2] عاقر الجمل[3] يوم البصرة يقول في ذلك :

سـائـل حبيبـةَ معبد عن بعلهـا[4] وحـليلة الـلخـمـي وابـن كـلاع

واسـأل عـدوّ الله عـن أرمـاحنـا لـمّـا ثـوى مـتجـدّلاً بـالـقـاع

واسـأل معـاويـة المـولّي هـاربـاً والخيـلُ تعـدُو وَهْيَ جِـدّ سـراع

مـاذا يخبّـرك المخبِّـر صـادقـاً عنـا وعنهـم عـنـد كـل دفـاع

إن يصـدقـوك يخبـروك بـأننـا أهـل الندى مستسمعو للداعي[5]

نـدعـو إلى التقـوى ونـرعى أهلها بـرعـايـة المـأمـون لا المضيـاع

ونُسـنُّ لـلأعـداء كـلّ مثـقّـفٍ لُـدْنٍ وكـلّ مـهـنّـدٍ[6] قـطّـاع

قال : وجعل معاوية يسأل عن رجل بعد رجل من فرسان أهل الشام فليس يسأل عن أحد إلا قيل قُتِل ، حتى سأل عن الحارث بن المؤمل ـ وكان الحارث سيداً في أهل الشام ـ فقيل له قُتِل ؛ قال : ومن قتله ؟ فقيل له عبد الله بن هاشم[7] . فقال

---

(١) البيت في الطبري ٦/٢٤ وابن الأثير ٢/٣٨٤ من أبيات نسبت إلى الحجاج (بن عمرو) بن غزية .

(٢) اسمه عمرو ، وهو عمرو بن غزية (بفتح الزاي وتشديد الياء) بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري ، أبو حية (الإصابة) .

(٣) انظر فيمن عرقب الجمل (يوم وقعة الجمل ، وقد أشرنا إلى ذلك هناك) .

(٤) وقعة صفين ص ٣٧٩ : سائل حليلة معبد عن فعلنا .

(٥) في وقعة صفين : أهل الندى قدماً مجيبو الداعي .

(٦) وقعة صفين : مشطب .

(٧) وهو عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكان قد أخذ الراية بعد مقتل أبيه (مر ذلك قريباً) .

معاوية : أليس قد جرح عبد الله جراحات كثيرة ؟ قالوا : بلى ! ولكنه قاتل على ما به من الجراحات وهو الذي قتل الحارث بن المؤمل ؛ فقال معاوية : لئن أمكنني الله من عبد الله بن هاشم لأفعلنّ به ولأصنعنّ .

حديث عبد الله بن هاشم مع معاوية

قال : فلما كان بعد ذلك وأفضى الأمر إلى معاوية سأل عن عبد الله بن هاشم ، فقيل : إنه بالبصرة في بني ناجية عند عجوز تداويه من جراحاته ؛ فكتب إلى عامله بالبصرة أن اطلب عبد الله بن هاشم في بني ناجية ، فإذا قدرت عليه فاحمله إليّ في أسرع ما تقدر عليه . فلما ورد الكتاب على عامل البصرة بعث إلى بني ناجية فطلب عبد الله بن هاشم حتى ظفر به ، فحمله إلى معاوية وسلم ، فرد عليه السلام ونظر إليه ، فإذا هو عليل مدنف سقيم قد تغير عن حالته التي كان عليها ، فأمره بالجلوس ، فجلس . قال : ونظر عمرو فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا المحتال بن المرقال ، قال معاوية : نعم هذا المحتال بن المرقال ، فهات ما الذي ترى فيه ! فقال : دونك الضب المضني[1] والنحيف المعني ، والعصا من العصية ، وجزاء السيئة السيئة ، ولن تلد الحية إلا الحية . قال : فالتفت إليه عبد الله بن هاشم فقال : ما أنا بأول رجل خذله[2] قومه وأدركه يومه . قال عمرو : أمكنّي منه يا أمير المؤمنين حتى أشخب أوداجه على أثباجه[3] ، فلبئس ما فعل هذا بنا وأبوه وأخوه بصفين ؛ فقال له عبد الله : فهل[4] لا قلت ذا يابن العاص بصفين وأنا أدعوك إلى البراز ، وقد[5] أتتك هام الرجال من نقع الجريال ، وتضايقت بك المسالك ، وأشرفت فيها عليّ المهالك ! وأيم الله لولا أن مكانك مني للبّست[6] لك حافة أرميك منها بأحرّ من وقع الأسل ، فإنك لا تزال[7] تكسر ركبتك وتخبط في كرسيك خبط العشواء في الليلة الظلماء .

---

(١) في وقعة صفين ص ٣٤٨ : « المضب » والضب المضب الذي يلزم الشيء لا يفارقه . وأصل الضب : اللصوق بالأرض .

(٢) بالأصل : خذلوه تحريف .

(٣) أثباجه : جمع ثبج : الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر .

(٤) وقعة صفين : فهلا كانت هذه الشجاعة منك يابن العاص .

(٥) وقعة صفين : وقد ابتلت أقدام الرجال ، من نقيع الجريال .

(٦) وقعة صفين : لنشبت لك مني خافية ، أرميك . . .

(٧) وقعة صفين : لا تزال تكثر في هوسك وتخبط في دهشك وتنشب في مرسك .

قال : فأعجب معاوية ما سمع من ابن هاشم ، فأمر به إلى السجن ولم يقتله .

فأمر شاعر عمرو بن العاص إلى معاوية بهذه الأبيات[1] :

أمـرتـك أمـراً حـازمـاً فعصيْتَني　　　وكـان من التوفيق قتـلُ ابن هـاشِم

أليس أبـوه يـابن هنـد هـو الـذي　　　رمـاك عليٌّ يـوم جُـزٍّ الغـلاصم[2]

فقتّلنا[3] حـتى جَـرَتْ مـن دمـائنـا　　　بصفين أمثـالَ البحـور الخضـارم

فهـذا ابنُـه والمـرء يشبه شيخَـه[4]　　　ويـوشـك أن يُقـرع بـه سنُّ نـادم

قال : فبلغ ذلك عبد الله بن هاشم فكتب إلى معاوية بهذه الأبيات[5] :

معـاويَ إنَّ المـرءَ عمـراً أبتْ لـه　　　ضغينـة صدرٍ حـرُّها غيـرُ سـالمٍ

يَـرَى لَـكَ قَتْلي يـا بنَ هند وإنمـا　　　يرى ما يرى عمرو ملوكُ الأعـاجم

عـلى أنهـم لا يقتـلون أسـيـرهـم　　　إذا كـان فيهـم[6] منعـة للمسـالم

وقـد كـان منّـا يـوم صفـين نفـرة　　　عليـك جناهـا هـاشمٌ وابنُ هـاشم

مَضى من قضاء الله فيها الذي مضى[7]　　　ومـا مـا مضى إلا كـأضغـاث حـالِم

هي الـوقعة العُـظْمىٰ التي تعرفـونهـا　　　وكـلٌّ على مـا قـد مَضى غيرُ نـادم

فـإن تعف عني تعف عن ذي قَـرابـةٍ　　　وإن تـرَ قتلي تستحـلّ محـارمي

قال : فاستحيى معاوية من شعره ، ثم أنشأ يقول :

أرى العفـو عن عليـا قـريش وسيلة　　　إلى الله في اليـوم العبوس القمـاطر

ولست أرى قتلي الغـداة ابن هـاشم　　　بـإدراك ذحـل في تميـم وعـامـر

بـل العفـو منه بعـد مـا بـان ريشُـهُ　　　وزلت بـه إحدى الحـدود العواثـر

وكـان أبـوه يـومَ صفيـن جمـرةً　　　علينـا فـأردتنـا سيـوف المجـابـر

---

(١) في وقعة صفين ص ٣٤٩ : فبعث إليه عمرو بن العاص بأبيات يقولها له .

(٢) في وقعة صفين :

وكـان أبـوه يـا معـاويـة الـذي　　　رمـاك عـلى جـد يـحـز الـغـلاصـم

(٣) وقعة صفين : فما برحوا .

(٤) وقعة صفين : أصله　　　مستقرع إن أبقيته سن نادم .

(٥) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٤٩ .

(٦) وقعة صفين : منهم .

(٧) وقعة صفين : قضى الله فيها ما قضى ثمت انقضى .

قال : ثم أخرجه معاوية من محبسه ذلك وكساه وأحسن إليه ووصله بعشرة آلاف درهم ورده إلى البصرة مكرّماً .

ثم رجعنا إلى الخبز

قال : وأصبح[1] القوم فعبى علي أصحابه وعبى معاوية أصحابه ، ودنا[2] الفريقان بعضهم من بعض ؛ وفي ميمنة عليّ يومئذ مذحج ، وفي ميسرته بنو وائل من ربيعة ، وفي القلب مضر ؛ وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه :

ما عِلّتي وأنا جَلْدٌ حازمُ — وعن يميني مذحج القماقمُ
وعن شمالي وائل الخضارم — والقلب فيه مضر الجماجم
والحق في الناس قديم دائم[3]

قال : وتقدمت أصحاب معاوية مقنعين في الحديد على الخيل العتاق وبين أيديهم رجل يرتجز ويقول[4] :

أعوذ بالله الذي قد احتجبْ — بالنور والسبع الطباق والحجبْ
ليس كمثل الله شيء يُرتقبْ[5] — يا رب لا تهلك بأعلام العرب
أمن ذوات الدين منا والحسبْ — القائلون الفاعلون في الحقب
المانحون المطعمون في الجدبْ — يوماً عبوساً في عجاج منتقبْ[6]

قال : وأقبل معاوية على غلام له يقال له حرب فقال له : يا حرب ! إني ما عرفتك إلا مقداماً بطلاً ، فاحمل بين يدي حملة على أصحاب عليّ ، فإن أرضيتني

---

(١) بالأصل : وأصبحوا .

(٢) الأصل : ودنوا الفريقين تحريف .

(٣) سقط من وقعة صفين ص ٢٧٣ وأثبت مكانه :

وأقبلت همدان في الخضارم — مشي الجمال البزل الخلاجم
أقسمت بالله العلي العالم — لا أنثني إلا برغم الراغم

والأرجاز في ديوانه باختلاف .

(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣١٦ ونسبها إلى المخارق بن الصباح الحميري ، وكان قد قتل إخوة له ثلاثة وقتل أبوه وكان من أعلام العرب .

(٥) وقعة صفين : يرتهب .

(٦) وقعة صفين : والمطعمين الصالحين في السغب .

فأنت حر . قال : فتقدم حرب غلام معاوية وهو يرتجز ويقول :

إني أنا الحرب وما بي من خَوَر … لكنني قَرْمٌ أبيٌّ مشتهرْ
ذو صولة في المصميات الكفر … مولى ابن صخر وبه قد انتصر

قال : ثم حمل وقاتل أشد قتال ، فحمل عليه قنبر غلام علي رضي الله عنه فطعنه طعنة قتله . فاغتم معاوية لذلك غماً شديداً فقال له بسر بن [أبي] أرطاة : ما لي أراك منكسر القلب على حرب ! عليك بالتسلي عن حرب ، واستعمل الشجاعة والصبر ، فإنك كاتب النبي ﷺ وعامل عمر بن الخطاب وولي الخليفة المظلوم عثمان بن عفان ؛ فقال معاوية : صدقت ولكن علياً يطول عليٍّ بخصال شتى ، بقرابته من الرسول ، وقدمته في الإسلام ، وبأسه في الحرب ؛ فقال عمرو بن العاص : إنك إذا نظرت في هذا فإن له من الفضائل ما لا تحصى ، أبوه سيد في بني هاشم وأمه سيدة في بني هاشم ، وهو فقيه في حجر قريش ، وقد بايعه[1] المهاجرون والأنصار ، ولكن والله لنقاتلنه أو نرده على عقبيه صاغراً خزياً . قال : فلما سمع معاوية ذلك اشتد ظهره واجترى على الحرب .

فبلغ ذلك أصحاب علي رضي الله عنه ، قال : فقام قيس بن سعد بن عبادة إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يهولنك أمر ابن آكلة الأكباد ومن معه من أصحابه ، فوالله إنا لو قتلنا عن آخرنا حتى لا يبقى منا أحد لعلمنا أننا على بصيرة من ديننا ويقين من أمرنا ، فلا ترتفع بقول بسر بن [أبي] أرطاة فقبح الله بسراً وأصلاه نار جهنم . قال : فأثنى عليه علي رضي الله عنه وعلى قومه من الأنصار ثناء حسناً ؛ فأنشأ قيس بن سعد يقول :

نبئتُ بسراً أطال الله شقوتَهُ … قال المحالَ وعمراً دعوة العاصِ
في عصبة الشام منهم كل ذي جيفٍ … عاتي المقالة عند الحرب حياص
قرّوا طليقاً لأمر ليس رغبتهم … إلا الفجور على ذي رغبة حاصي
والراقصات بأشياخ محلّقة … صُلْع الرؤوس كبيض الرأل جرياص
ما في عليٍ لأهل الشام من طمع … ليث العرين وأفعى بين أعياص[2]

---

(١) بالأصل : بايعوه تحريف .
(٢) الأعياص من قريش وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .

كم من قتيلٍ لأهل الشام قد سلبتْ ... عنه الثياب كزقّ سائلٍ شاص[1]
قد كان يؤمل أن هاب العراق له ... عرسٌ سميطٌ تراها ذاتَ إخلاص
لا تحسبْنَ يابن هند في عداوتكم ... كالمرء سعد أبي الزهري وقّاص
أو تحسبنّي كعبد الله في نفر ... باعوا عليّاً بودّان ومِقلاص[2]
أو كابن مسلمة الراضي بشبهته ... لله فيما يماري ربَّه عاصي
فالحرب توقدها الأنصار مشعلةً ... والطيّبون رجالٌ غير إنكاص

قال : ثم صاح قيس بن سعد بالأنصار فحمل وحملوا معه على أهل الشام ، فقاتلوا قتالاً شديداً ورجعوا إلى مواضعهم .

ذكر مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب

قال : وأقبل معاوية على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقال له : يابن أخ ! هذا يوم من أيامك فلا عليك أن يكون منك اليوم بما يسر به أهل الشام ، قال : فخرج عبيد الله بن عمر وعليه درعان سابغان وعلى رأسه بيض وعمامة حمراء ، وهو متقلد سيف أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وقف بين الجمعين ودعا إلى البراز قال : فذهب محمد ابن الحنفية ليخرج إليه ، فصاح به علي : مكانك يا بني ! لا تخرج إليه ، فقال له : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن لو دعاني إلى البراز أبوه لخرجتُ إليه ؛ فقال علي رضي الله عنه : مه يا بني ! لا تقل في أبيه إلا خيراً .

قال : ونظر عبيد الله بن عمر أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على ميسرة عليّ ، وفي الميسرة يومئذ ربيعة بن عبد القيس وغيرهم من الناس ، فجعل يطعن في خيلهم وهو يقول[3] :

أنا عبيد الله سمّاني[4] عمرْ ... خير قريش مَن مضىٰ ومَن غبرْ
إلا رسول الله[5] والشيخ الأغر ... قد أبطأت عن نصر عثمان مضر[6]

---

(١) الشاصي : الذي إذا قطعت قوائمه فارتفعت مفاصله أبداً .
(٢) ودان : ثلاثة مواضع أحدها بين مكة والمدينة من نواحي الفرع بينها وبين هرشى ستة أميال .
(٣) الأرجاز في الأخبار الطوال ص ١٧٨ ووقعة صفين ص ٢٩٩ والاستيعاب ٢/٤٠٤ .
(٤) في المصادر : ينميني .
(٥) الأخبار الطوال : غير رسول الله . وفي وقعة صفين : إلا نبي الله . وفي الاستيعاب : حاشا نبي الله .
(٦) كذا بالأصل ووقعة صفين ، وفي الأخبار الطوال : أبطأ عن نصر ابن عفان مضر .

وسارعَ الحيُّ اليمانون الغرر ... والخيرُ في الناس قديماً يبتدر

قال : فخرج إليه عبد الله بن سوار العبدي[1] وهو يقول :

قد سارعتْ في حربها[2] ربيعهْ ... في الحق والحق لهم شريعهْ

ما نهتك الأستارَ كالقطيعة ... في العصبة السامعة المطيعه

حتى تذوق كأسها القطيعه

ثم طعنه العبدي طعنة في خاصرته جدله قتيلاً[3] ؛ فأنشأ الصلتان العبدي يقول في ذلك :

ألا يا عبيدَ الله ما زلتَ مُولعاً ... بنكرٍ لها تهدي اللقا[4] وتهدّدا

كأنّ حماة الحيّ بكر بن وائلٍ ... بذي الرمث[5] نيرانٌ تحرّقن غرقدا

وكنتَ سفيهاً قد تعوّدتَ عادةً ... وكل امرىء جارٍ على ما تعوّدا

فأصبحت مسلوباً على شرحالةٍ ... صريعاً يُرى وسط العجاجة مُفْردا

تشقّ عليك الدرع عرسٌ فجيعة ... مفجّعة تبدي الشجا والتلدُّدا[6]

فكانت ترى ذا الأمر قبلَ عيانه ... ولكنّ أمر الله أهدى لك الردا

وقالت[7] : عبيد الله لا تأت وائلاً ... فقلتُ لها : لا تعجلي وانظري غدا

فقد جاء ما منيتها فتسلّبتْ ... عليكِ وأضحى الحبُّ منها مقدّدا

(١) في وقعة صفين : حريث بن جابر الجعفي ، وذكر الأرجاز .

(٢) وقعة صفين ص ٢٩٩ : نصرها .

(٣) اختلفوا فيمن قتله فقالت همدان : قتله هاني بن الخطاب ، وقالت حضرموت قتله مالك بن عمرو الحضرمي ، وقالت ربيعة : حريث بن جابر الحنفي (الجعفي) .
انظر الطبري ٦/ ٢٠ ابن الأثير ٢/ ٣٨٠ الأخبار الطوال ص ١٧٨ مروج الذهب ٢/ ٤٢٧ وقعة صفين ص ٣٠٠ .

(٤) كذا بالأصل ، والأوضح « اللغا » أي الباطل .

(٥) وقعة صفين ص ٣٠٠ : بذي الرمث أسد قد تبوأن غرقدا .

(٦) التلدد : التلفت يميناً ويساراً في حيرة وتبلد .

(٧) يعني امرأته . وكان تحت عبيد الله أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي وبحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني ، وكان قد أخرجهما معه إلى الحرب في ذلك اليوم لينظرا إلى قتاله (شرح النهج لابن أبي الحديد ١/ ٤٩٩) وكانت ابنة قبيصة حاولت اقناعه بعدم المسير إلى القتال ، (وكان قد خرج في ذلك اليوم قومها وكانوا مع علي للقتال) فرماها بقوس فشجها ، وكانت قد قالت له : أخاف أن يقتلوك ، وكأني بك قتيلاً وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك . (مروج الذهب ٢/ ٤٢٧) .

قال : واختلفوا في قتله ، فقال قوم : قتله حريث بن خالد ، وقالت همذان : بل قتله هانىء بن الخطاب ، وقالت حضرموت : بل قتله هانىء[1] بن عمرو السبيعي ، وقالت بنو بكر : بل قتله محرز بن الصحصح وأخذ سيفه ذا الوشاح . والخبر الصحيح أن الذي قتله عبد الله بن سوار العبدي وصار سيفه إلى معاوية[2] .

وقد رثاه كعب بن جعيل التغلبي[3] في قصيدة له حيث يقول :

ألا إنما تبكي العيونُ لفارسٍ ... بصفين أخلت[4] خيلُه وهو واقفُ
تبدل من أسماء أسياف وائلٍ ... وكان فتى لو أخطأتْه المتالف
تركن[5] عبيد الله بالقاع مسلماً ... يمجُّ ذِعافاً والعروق نوازف[6]
ينوءُ وتغشاهُ نواجعُ[7] من دمٍ ... كما لاح في جيب القميص الكفائف
دعاهنّ[8] فاستسمعنَ من أين صوته ... فأقبلن عتبى والعيون ذوارف
وقد صيّرتْ حولَ ابن عمّ محمد ... لدى[9] الموت شهباء المناكب شارف
فما برحوا حتى رأى الله نصرها ... وحتى أنارتْ[10] بالأكف المصاحفُ
تموج ترى الرايات بيضاً[11] كأنها ... إذا أجنحتْ للطعن طيرٌ عواكف
جزى الله قتلانا بصفين خير ما ... أثيب[12] عباداً غادرتْها المواقف

فهذا شاعر معاوية قد قال فيه قصيدة ؛ وأما شاعر علي فلم يهجه ولكن قال فيه

---

(١) الأخبار الطوال : مالك .

(٢) انظر ما مرّ قريباً .

(٣) عن الطبري ٦/ ٢٠ وبالأصل « الثعلبي » وذكر بعض الأبيات ، وانظر الأخبار الطوال ص ١٧٨ ووقعة صفين ص ٢٩٨ .

(٤) في المصادر : أجلت .

(٥) في الأخبار الطوال : فاضحى ..

(٦) المصراع في الطبري : « تمج دم الخرقى والعروق الذوارف » وفي الأخبار الطوال : « تمج دماً منه والعروق النوازف » وفي وقعة صفين : دماه .

(٧) في الأخبار الطوال : ينوء وتعلوه سبائب . وفي وقعة صفين : ينوء وتغشاه شآبيب .

(٨) أي دعا نساءه . انظر ما مرّ في ذلك قريباً .

(٩) الأخبار الطوال : وقد ضربت حولٍ ابن عم نبينا من الموت . . .

(١٠) وقعة صفين : صبرهم وحتى أتيحت .

(١١) الأخبار الطوال : « حمرا » وفي وقعة صفين : فيه .

(١٢) الأخبار الطوال : جزى .

هذه الأبيات[1] :

يقول عبيد الله لما بدتْ له	سحابةُ موتٍ تقطر الموتَ والدما
ألا يا لقوم اصبروا إنّ صبركم	أعفّ وأجحى عفةً وتكرّما
فلما تدانى القوم للطعن حُشّدا	فخرّ[2] فلاقى التربُ كفّيه والفما
وخلّف أطفالاً يتامى أذلةً	وخلّف عرساً تسكب الدمع بالدما
وقد كان في الحرب المحلّة باغياً[3]	وقد كان يحمي غيره إن تكلما

ذكر ما كان بعد ذلك من القتال

قال : فلما قتل عبيد الله بن عمر وتقدّم معاوية بين يديه ثمانونعلماً، كل علم منها في يد رئيس من رؤساء عسكره ، وليس من علم إلا ومن ورائه خلق عظيم من أهل الشام ، ورئيس هؤلاء بجميعهم رجل من حمير يقال له أصبح بن ذي الجوشن .

قال : فصاح عليّ بأصحابه ، فتقدم عمار بن ياسر في نفر من سادات أهل العسكر حتى وقف[4] بين الجمعين وصاح بالناس ، فاجتمعع خلق عظيم من أصحاب علي رضي الله عنه ، فكبروا وحملوا على أهل الشام واختلط[5] القوم للقتال ، فتضاربوا بالسيوف حتى تقطعت وصارت كالمناجل ، وتطاعنوا بالرماح حتى تكسّرت . ثم جثوا على الركب فتحاثوا بعضهم في وجوه بعض ، ثم تعانقوا وتكادموا ثم افترقوا وتراموا بالحصى والحجارة ثم تحاجزوا . وقد قتل من الفريقين زهاء ألف رجل .

قال : فجعل الرجل من أهل الشام يمر على الرجل من أهل العراق فيقول : كيف آخذ إلى رايات بني فلان ؟ فيقول : ههنا لا حفظك الله ولا عافاك ! ويمر العراقي على الشامي فيقول : كيف آخذ إلى رايات بني فلان ؟ فيقول : لا هداك الله ولا كلاك . قال : فأنشأ همّام بن الأغفل الثقفي من أصحاب عليّ في ذلك يقول :

قد قرتِ العين من الفسّاقِ	ومن رؤوس الكفر والنفاقِ

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٢٩٩ ونسبت إلى كعب بن جعيل .

(٢) في وقعة صفين : فلما تلاقى القوم خرّ مجدلا صريعاً . . .

(٣) في وقعة صفين : حلالاً لها الخطاب لا تتقيهم .

(٤) بالأصل : وقفوا .

(٥) بالأصل : اختلطوا .

إذ ظفرتْ[1] كتائبُ العراق نحن قتلنا صاحب المرّاق
وقائد البغاة والشقاق ونحن أهل الدار والاخراق[2]
لما لففنا ساقهم بساق بالضراب والطعن مع العناقِ
وسَلْ بصفين لدى التلاق لقد لقيناهم على المصداق[3]
نجدّ بالسيف مع المرّاق ضرباً يُدَمّي عكرَ الأعناق[4]

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ، فرجع بعضهم عن بعض ؛ وأقبل إلى معاوية رجل من أجلاء أهل الشام[5] حتى وقف بين يديه ، فقال : يا معاوية ! إنه قُتل منا في هذا اليوم سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام ، ولم يُقتل من أصحاب عليّ إلا أقل من ذلك ، وأنت الذي تفعل بنا ذلك ؛ لأنك تولّي علينا من لا يقاتل معنا ، مثل عمرو بن العاص وبسر بن [أبي] أرطاة وعبد الرحمن بن خالد وعتبة بن أبي سفيان ، وكل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار ؛ فإن وليت علينا رجلاً مثله حتى نقاتل معه فذاك ، وإلا فلا حاجة لنا فيك ـ والسلام ـ . قال : ثم ولى مغضباً وأنشأ يقول :

معاوي إما تدعنا لعظيمةٍ فنحن لها إن لم نحام على الحِقَبْ[6]
فولّ علينا من يحوط ذمارنا من الحميريين الملوك على العرب
ولا تأمرنّا بالتي لا نريدها ولا تجعلنّا للهوى موضع الذنب
ولا تغضبنّا والحوادث جمة عليك فيفشو اليومَ في جهر[7] الغضب
أفي كل يوم لا يزالُ يقودنا إلى الموت فجفاج إذا الحربُ اقترب
يُحامي علينا ساعةً ثم يمتري بساقيه خرّاجَ الغبار من الكرب[8]

---

(١) في وقعة صفين ص ٣٨٣ : ظهرت .

(٢) كذا ، لعلها « والأحراق » إشارة إلى إحراق باب دار عثمان أثناء حصار أهل الأمصار له . راجع ذلك « حصار عثمان ومقتله » .

(٣) وقعة صفين : تنبأ بتبيانٍ مع المصداق .

(٤) كذا بالأصل « عكر » تحريف ، والصواب : عقر الأعناق أي أصلها .

(٥) هو المزعف اليحصبي ، من أجلاء القحطانيين . وقعة صفين ص ٤٤١ وقد نسب إليه الأبيات الآتية .

(٦) المصراع في وقعة صفين : يلبس من نكرائها الغرض بالحقب .

(٧) وقعة صفين : يحصب .

(٨) يشير إلى هروب عمرو بن العاص وقد ضربه الأشتر على وجهه ، فهرب راكضاً إلى عسكره .

يقـول لـه والمـوتُ أهـونُ جـرعـةً
عليـنـا من العـار المهـجَّن لـلحسب

عليـك العفـا مـا هبّت الـريـح إننـا
سنصبـرُ إن لم يصبر القـوم من هَـرَب

لِعمـروٍ وبسـر والجبـان ابن خـالـد[1]
وعتبـة الـفـرار في حـومـة الـلهب

على أن عمـرو البؤس في القـوم مثله
ولكن رماه (القدر)[2] بالشؤم والعطب

فـليس لـه حظّ سـمـيـن وإنـمـا
يعيش الفتى بـالحظ والدلو بـالكـرب

قال : فدعاه معاوية فترضّاه ، وقال : يا أخا حمير ! فإني لا أولّي عليكم إلا من تحبون بعد هذا اليوم ، وأنزل الأمر حيث تريدون .

قال : فلما كان من غد وثب معاوية فعبى أصحابه ثم قال : يا أهل الشام ! دعوا ما مضى ، إني أريد منكم اليـوم أن تجدّوا في حـربكم وتقدمـوا عزمكم وتفـرغوا مجهودكم ، وسلوني حوائجكم . قال : فوثب عك والأشعريون فقالوا : يا معاوية ! إننا قد قاتلنا معك علي بن أبي طالب ، ثم إن قلوبنا لتميل إليه لأننا لا نشك في حقه ولا نشك في باطلك ، غير أننا قوم من أهل الشام فلم تحب أن تخرج أيـدينا من طاعتك ، وقد علمتَ أنه ليس لنا ضياع ولا قُرى ، إنما نحن أصحاب إبل وغنم ، فنريد منك الفُرُض والقطائع والعقارات وإلا والله قلبنا أعنة الخيل إلى غيرك . فقال معاوية : نعم والله وكرامة لكم ، فهاتوا ما الذي تريدون ؟ قالت عك[3] : أما نحن فإننا نريد الفرض والعطاء ، وقـال الأشعريـون : نريـد منك أن تقـطعنا حَـورْان[4] والثنية[5] فيكون لنا ولعقبنا من بعدنا ؛ فقال معاوية : فإني قد فعلتُ ذلك وكـرامة لكم .

قال : وبلغ أصحاب عليّ ذلك ، فلم يبق خلق من أهل العراق ممن كان في قلبه مرض أو شك إلا وطمع في معاوية وشخص ببصره نحوه أو همّ أن يصير إليه ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . وعتبة بن أبي سفيان .

(٢) زيادة لاستقامة الوزن .

(٣) في وقعة صفين ص ٤٣٣ فقال ابن مسروق العكي : اجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين ، ومن هلك فابن عمه مكانه .

(٤) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهـة القبلة ، ذات قرى كثيـرة ومزارع وحـرار (معجم البلدان) .

(٥) الثنية : كذا بالأصل ، ولعل الصواب بثنية : وهي قرية بالشام بين دمشق وأذرعات (معجم البلدان) .

حتى فشا ذلك في الناس . قال : فوثب المنذر بن حفصة الهمذاني[1] إلى علي بن أبي طالب فقال : يا أمير المؤمنين : إن عكاً والأشعريين قد طلبوا من معاوية الفرض والعطاء والعقارات من حوران والثنية وغير ذلك ، قد باعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى ؛ ونحن قد رضينا بالآخرة من الدنيا ، وبالعراق من الشام ، وبك من معاوية ، ووالله إننا لنعلم أن آخرتنا لأشرف[2] من دنياهم ، وأن عراقنا لخير من شامهم ، وأن إمامنا لأهدى من إمامهم ، فعليك بالصبر واحملنا على الموت ، فها نحن بين يديك وتحت ركابك ؛ ثم أنشأ بعد ذلك يقول :

إن عكّاً سألوا الفرائض والأشـ ... ـعر سألوا[3] حوران والثنية
تركوا الدين للعقار وللفر ... ض فكانوا بذاك شر البرية
وسألنا حسن الثواب من اللـ ... ـه وصبراً على الجهاد ونية
فلكل ما سأله ويراه ... كلنا يحسب الخلاف خطية
ولأهل العراق أحسن في الحر ... ب إذا[4] كلّت الرجال نقيّة
ولأهل العراق اصبر في النقـ ... ـع إذا ثارت العجاج عشية
ولأهل العراق احمل للثقـ ... ـل إذا عمّت البلاد[5] بلية
ولأهل العراق أعرف بالله ... وبالدين والأمور السنية
ليس منا من لم يكن لك في اللـ ... ـه وليّاً يا ذا الولا والوصية
قد بذلنا النفوس في طاعة اللـ ... ـه لكيما تنال داراً علية
حبّذ القتل في السبيل فلا بـ ... ـدّ لنا من ورود حوض المنية
حسبنا منك ما يبلغنا اليو ... م إلى مثله ورب البنية

قال : فأدناه عليٌّ منه وقبّل بين عينيه ، وقال : أبشروا ! فإني أرجو من الله أن تكونوا ممن يجاور محمداً ﷺ غداً في جنة النعيم .

---

(١) كذا ، وفي الإصابة المنذر بن أبي حميصة الوادعي . والوادعي نسبة إلى وادعة وهي بطن من همدان (الاشتقاق) .

(٢) وقعة صفين ص ٤٣٦ : لآخرتنا خير . . .

(٣) وقعة صفين : سألوا جوائزاً بثنية .

(٤) في وقعة صفين : إذا ما تدانت السمهرية .

(٥) وقعة صفين : العباد .

قال : ودنا[1] القوم بعضهم من بعض ، فاقتتلوا ساعة وارتفع الرهج والقتام ساطعاً في السماء ، فقال عمرو بن العاص : ويحكم ! على من القتام والغبرة ؟ فقالوا : على ابنيك محمد وعبد الله ، قال : فصاح عمرو بغلامه وردان وقال : ويحك يا وردان ! قرّب إليّ اللواء ؛ فقال له معاوية : ليس على ابنيك بأس فلا تنقض الصف ! فقال عمرو : إني ولدتهم ولم تلدهم .

قال : وتقدم وفي يده اللواء وهو يرتجز ويقول :

هل تعنين وردان عني قُبَّرا	أو تعنين عن حبيب مسعرا
وابن خديج بيننا والمنذرا	إني أرى الموت أتاني أحمرا

خالطتُ جمعاً للمسمّى حيدرا

قال : فسمع عليٌّ شعره فجعل يرتجز ويقول :

يا عجباً لقد رأيتُ منكرا	كذباً على الله يشيب الشَعَرا
يسترقُ السمعَ ويغشى البصرا	ما كان يرضى أحمدُ لو خُيِّرا
أن يعدلوا وصيَّه والأبترا[2]	شَاني النبي واللعينَ الأحورا
كلاهما بجنده قد عسكرا	قد باع هذا دينه إذ فجّرا
من ذا بدُنيا بيعُه قد خسرا	بمُلك مصر إن أصابا ظفرا[3]
لا تحسبنّي يا بن عاصٍ غمرا[4]	سَلْ بيَ بدراً ثم سَلْ بي خيبرا
كانت قريشٌ يومَ بدرٍ جزَرا	إني إذا ما الموتُ يوماً حضرا
أضرمتُ ناري ودعوتُ قنبرا	قدّم لوائي لا تؤخّرْ حذرا
لن ينفع الحاذرَ ما قد حذرا	ولا أخا الحيلة عما قُدرا
دعوتُ همذان وأدعو حميرا	لو أنّ عندي يوم حربٍ جعفرا
أو حمزةَ الليثَ الهُمامَ الأزهرا	رأتْ قريشٌ نجمَ ليلٍ أنهرا

قال : ثم صاح عليّ بالأشتر فحمل في أهل الكوفة ، وصاح بعبد الله بن عباس

---

(١) بالأصل : ودنوا . خطأ .

(٢) الأبتر يعني به العاص بن وائل ، ولد عمرو ، وفيه نزل قوله تعالى ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وكان قد فحش على النبي (ص) بعد وفاة ابنه .

(٣) يشير إلى وعد معاوية لعمرو ـ إن هما ظفرا ـ بملك مصر طعمة له .

(٤) بالأصل: «عمرا» تحريف . والغمر بفتح أوله وثانيه من لم يجرب الأمور ، القليل الحنكة والخبرة .

فحمل في أهل البصرة ، وحمل عليّ في أهل الحجاز ؛ فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض .

قال : وجعل[1] أهل الشام ينظر بعضهم إلى بعض ، ولا يقدرون على الكلام لما هم فيه من الدهش والهموم . قال : وترك الناس راياتهم وتفرق[2] أصحاب عليّ ؛ فصار عليّ إلى رايات ربيعة فوقف معهم ، وجعل أصحابه يطلبونه فلا يقدرون عليه ؛ وأقبل الأشتر[3] جريحاً وهو يلهث من العطش ، فلما نظر إلى عليّ وهو واقف عند ربيعة كبّر ثم قال[4] : يا أمير المؤمنين ! خيل كخيل ورجال كرجال ، والفضل لنا إلى ساعتنا هذه والحمد لله ، فعُد إلى مكانك الذي كنت فيه فإن الناس إنما يطلبونك هنالك . قال : وأقبل الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم وغيرهم من أهل البيت وسيوفهم مخضوبة بالدماء ؛ وأنشأ الأشتر يقول :

كل شيء سوى الإمام صغيرٌ	وهلاك الإمام خطبٌ كبيرُ
قد أصبنا وقد أصيبت لنا اليو	مَ رجالٌ بُزْلٌ حماة صقور
واحدٌ منهم بألفٍ كبيرٌ	إنّ ذا مِنْ ثوابه لكثير
إنّ ذا الجمع لا يزال بخيرٍ	فيه نعمى ونعمة وسرور
من رأى عزةَ الوصيِّ عليٍّ	إنه في دجى الحنادس نور
إنه والذي يحج له النا	سُ سراج لذي الظلام منير
من رضاه إمامه دخل الجنـ	ـة عفواً وذنبُه مغفور
بعد أن يقضي الذي أمر اللـ	ـه به ليس في الهدى لخبير

قال : فقال عدي بن حاتم الطائي : يا أمير المؤمنين ! إن قوماً أنست بهم وكنت فيهم عند هذه الجولة[5] في هذه الحرب الشديدة لعظم حقهم عليك ، والله إنهم لصبروا عند الموت وعند اللقاء ؛ فقال علي رضي الله عنه : وإنهم لدرعي

---

(١) بالأصل : وجعلوا تحريف .

(٢) بالأصل : وتفرقوا .

(٣) في الأخبار الطوال ص ١٨٦ عدي بن حاتم .

(٤) نسب هذا القول في وقعة صفين إلى الأشعث بن قيس .

(٥) يريد ربيعة ، وكانت أكثر من صبر في تلك الساعة . انظر الأخبار الطوال ص ١٨٦ مروج الذهب ٢/٤٢٨ .

وسيفي ورمحي . قال : وأنشأ رجل من ربيعة يقول[1] :

أتانا أمير المؤمنين فحسبُنا ... على الناس طُرّاً أجمعين بها فضلا
على حين أن زلّت بنا النعلُ زلّةً ... ولم تترك الحربُ العوانُ لنا نُجلا
وقد أكلت منهم ومن فوارسا ... كما تأكل النيرانُ في الحطب الجزلا
فكنا له في ذلك الوقت جُنةً ... وكنا له من دون أنفسنا نصلا
فأبنا بفضل لم يرَ الناسُ مثلَه ... على قومنا طراً وكنا له أهلا
وقال لنا : أنتم ربيعةُ جُنتي ... ودرعي التي أُلقي بأعراضها النبلا
ورغّبه فينا عدي بن حاتم ... بأمر جميل صادق القول والفعلا
فإن يك أهل الشام أودوا بهاشم ... وأودوا بنبهانٍ وأبقوا لنا ثكلا
فابنُ بديلٍ فارسُ كلّ بهمة ... وغيث خزاعي به يُدفع المحلا
فهذا عبيد الله والمرء حوشب ... وذو كلع أضحوا برايته قتلى

قال : وجاء الليل فحجز بين الفريقين ؛ ومر زيد بن عدي بن حاتم بخال له من طيء يقال له حابس بن سعد فرآه قتيلاً ، فوقف عليه ينظر إليه وقال : ليت شعري من قتلك ! فقال رجل من بني حنظلة[2] من أصحاب علي رضي الله عنه : أنا قتلته ، قال : ولم قتلته ؟ قال : لأنه من أصحاب معاوية ؛ قال زيد : وإن كان من أصحاب معاوية فإنه خالي ، ثم شدّ عليه زيد بن عدي فضربه على أم رأسه فقتله ؛ ثم مرّ هارباً إلى معاوية فصار معه ، فسر معاوية بمصير زيد بن عدي إليه ؛ واغتمّ علي بن أبي طالب بقتل الحنظلي ولهرب زيد بن عدي . قال : واغتم عدي بن حاتم لذلك غماً شديداً ، وندم زيد بن عدي على ما فعل فأنشأ يقول :

تطاول ليلي واعتراني وساوسي ... ببيعي الهدى بالترّهات البسابس
فتركي عليّاً في صحاب محمد ... وقتلي أخا معن لمصرع حابس
فيا ليت شعري هل ليَ اليوم توبةٌ ... أُناصح فيها اللّهَ وهو آئسي
فإن تطمعوني اليوم أرجع تائباً ... ولا أتقي إلا جدار الدهارس

قال : فقام عدي بن حاتم إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! إن

---

(١) نسب الشعر للشني (وقعة صفين ص ٤٠٥ وذكرت فيه الأبيات) .

(٢) في وقعة صفين ص ٥٢٢ : من بكر بن وائل .

ابني زيداً لا كلاه الله قد قرّر بالظنة وهو موضع التهمة ، غير أني إذا ذكرتُ مكانك من الله عزَّ وجلّ ومن محمد ﷺ ومكاني منك اتسع[1] جناني وطابت نفسي ، ووالله لو وقع زيد في يدي لقتلته ، ولو كان ميتاً لما حزنت عليه ؛ ثم أنشأ عدي يقول :

أيا زيد قد جرّعتَني منك غُصّةً[2] ... وما كنتُ للثوب المدنّس لابسا
فلَيْتك لم تُخلف وكنت كمن مضى ... وليتك إذا لم تمض لم تر حابسا
ألا أن قد أغنى عدي بن حاتم ... غناك وأمسى بالعراقين دانسا[3]
وحامتْ عليه جرول وحماتها ... وأصبح في الأعداء تفري الفوانسا[4]
نكصتَ على العقبين يا زيد ردّةً ... وأصبحتَ قد جدّعتَ منّا المعاطسا
قتلتَ امرءاً من خير مرء بحابس ... فأصبحتَ مما كنت ترجوه آئسا

قال : فبلغ زيد بن عدي ما قال أبوه ، فخشي أن يقتل ، فهرب أيضاً من عند معاوية حتى لحق بخيل طيء ، ولم يأت أباه حتى مات .

قال : وأصبح القوم وقدم كعب على معاوية من حمص ، فقرّبه معاوية وأدناه وبرّه وكساه ؛ قال : فجعل كعب يحدث معاوية بالرخص ولا ينكر عليه ما هو فيه من قتاله علياً .

قال : وعبى علي رضي الله عنه أصحابه ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : ائذن لي أن آتي ميسرة عليّ فإنهم قوم من ربيعة وهم أخوالي ، فلعلي أردّ عنك بعضهم إذا أنا شككتهم في الذي هم فيه ؛ قال : فقال معاوية : أبا عبد الله ! أنا وأنت كما قال الأول : كبر عمرو عن الطوق[5] ، أما أنا فإني لا أحب لك أن تصير

---

(١) في وقعة صفين ص ٥٢٣ : ارتفع حناني ، وطال نفسي .
(٢) في وقعة صفين : يا زيد قد عصبتني بعصابة .
(٣) البيت في وقعة صفين :

ألا زاد أعداء وعق ابن حاتم ... أباه وأمسى بالفريقين ناكسا

(٤) البيت في وقعة صفين :

وحامت عليه مذحج دون مذحج ... وأصبحت للأعداء ساقاً ممارسا

(٥) هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جذيمة الأبرش . مثل يضرب في ارتفاع الكبير عن هيئة الصغير . انظر قصة المثل في أمثال الميداني ١/٥٦ ، أمثال الضبي ص ٦٨ ، الفاخر لابن عاصم ص ٧٣ ، الحيوان ٦/٢٠٩ القاموس (طوق) .

إليهم ، فإن أحببت ذلك وأتيتهم فكن منهم على حذر .

قال : فأقبل عمرو على بغلة له شهباء حتى دنا من ميسرة عليّ رضي الله عنه ، ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل أمي ! أنا عمرو بن العاص ، فليخرج إليّ رجل منكم ! قال : فخرج إليه رجل من عبد القيس يقال له عقيل بن ثويرة ، فقال له عمرو : من أنت يابن أخ ؟ فقال : أنا رجل من عبد القيس ، شهدتُ يوم الجمل ، فأبلاني الله بلاء حسناً ، وأنا اليوم على ما كنتُ عليه أمس ، ووالله إن لو كان بعدي رجل هو أعدى لك مني لما خرجتُ إليك ، ويلك ! أما تستحي وأنت شيخ قريش ؟ أنت تؤثر معاوية على عليّ ، وتبيع دينك بمصر ، وتنصر رجالاً من الطلقاء على رجل من سادات المهاجرين والأنصار ؛ قال : فتبسم عمرو ثم قال : يابن أخ ! أحبّ أن يخرج إليّ غيرك ؛ فقال الرجل : والله لا يخرج إليك إلا من هو مثلي في عداوتك ؛ ثم رجع إلى أصحابه .

وخرج إلى عمرو رجل من بني تيم يقال له طحل بن الأسود بن ردلج ، فقال له عمرو : من أنت يابن أخ ؟ فقال : أنا من لا يقيلك عثرتك ولا يقبل معذرتك ولا يرحم عبرتك ولا يبلعك ريقك ، أما والله لقد أخذت دنيا دنية فانية بآخرة عند الله باقية ، ولقد خالفت علياً وأنك لتعلم أنه خير من معاوية ؛ فقال عمرو : ليس لهذا دعوتك يابن أخ ! ولكن هل فيكم رجل من عنزة ؟ قال : نعم ، قال عمرو : فادعه[1] إليّ .

قال : فرجع الرجل وخرج إلى عمرو رجل من عنزة فانتسب له ، فرحب به عمرو ، فقال له العنزي : أما الترحيب فإني أرده عليك ، وأما السلام فإني لا أبالي به ، فلا تظن أني دون صاحبيّ اللذين خرجا إليك من قبلي ، فوالله ما خرجتُ إليك إلا وأنا أريد أن أجيبك بما يسوءك ، وأنا الذي أقول :

يضرب الشام يا إمامة بالحـ ... ـق وأهل العراق بالتمحيصِ
وابنَ هند يدعو إلى الـ ... ـنار وكعب يدعو إلى الترخيص
باعه القوم دينهم بمناه ... عرض بيع من البيوع رخيص
وعليٌّ يدعو العبادَ إلى اللـ ... ـه وفيما يقول عمرو نكوص

---

(١) بالأصل : فادعوه . تحريف .

وعـزيـزٌ عـليـه مـا عنت القـو ... مُ حـريصٌ وذاك غـيـر حـريص
يـا حُمـاةَ العـراق لا تسـأمـوا اليـو ... م في الضـرب والـطعـان القـريص
اطلقـوا هـذه النفـوسَ عن الفـر ... ش وقـربِ النسـا ولبسِ القميص
واحملوهـا على مبـاشـرة الـمـو ... ت فمـا عن لقـائـه من مـحيص
تغلبـوهم والـراقصـات على الشـا ... م بـحكـم الـوصـيّ لـلتـمـحـيص

فقال له عمرو : يا هذا ! إنه ما أتاني أحد أشد عليّ منك ، فأخرج إليّ رجلاً من بني هظيم .

قال : فرجع العنزي وخرج إلى عمرو رجل من بني هظيم فانتسب لعمرو ، فإذا هو من أخواله ، فقال له عمرو : إنه لم يلقني[1] أحد أحبّ إليّ منك ، لأنك من أخوالي ، فالقني بالجميل حتى أفارقك . فقال : قل ما تشاء ! فقال عمرو : إني إنما أتيتكم حمية مني لكم فلا تفضحوني ، واعلموا أن العرب لا بد لها من ذكر صفين بعد هذا اليوم ، فلا تنكسوا رأسي ، واكفوني أمركم ودعونا وعلياً وأصحابه ؛ قال : فقال له الرجل : يا عدو الله ! أتخطب إلينا عقولنا ؟ فقال عمرو : لا لعمر الله ما أخطب إليكم عقولكم ، ولكن شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري يزعم بأنكم لستم بأكفاء في الحروب ، فلهذا جئتكم ؛ قال : فقال له الهظيمي : اغرب ! قبحك الله وقبح كلاعاً كلها ، وقبح لما جئت به .

فانصرف عمرو إلى عسكره وأنشأ يقول :

نبـذت إلى أهـل العـراق رسـالـة ... وصلتُ بهـا أرحـام بكـر بن وائـلِ
وقلتُ لهـم إن اليـمـانيَّ نـاصـبٌ ... بهـا قـومَـه الأدنين دون القبـائـل
أنفتُ لكم إذ قـال ما قـال جاهـلاً ... ومـا ذاك في قحـطان أولُ جاهـل
كـرهتُ ضِـرابـاً للعُـداة فـإنمـا ... أراد بـذلك القـولِ قطعَ الـوسائـل
وإنـكمُ لـستـم بـأكـفـاء قـومـه ... وإن كفـاة القـوم أهـلُ الفضـائـل
فقـولـوا إذا لاقيتم القـول قـولـه ... ألا ليس منـا القـوم من لا يقـاتـل
وإلا فـأنتم بـالـذي قـال نفعـه ... يتيهـان للجـرعـاء أو شحم آكـل

قال : فطمعت ربيعة في ودّ عمرو بن العاص وجعل بعضهم يقول لبعض : إن

---

(١) بالأصل : لم يلقاني . تحريف .

ابن أختنا غضب لنا لما كان من كلام ابن ذي الكلاع الحميري ، قال : فوثب نعيم بن هبيرة الشيباني فقال : يا معشر ربيعة ! لا تغترّوا بمقالة عمرو بن العاص لكم ، فكما حرّضكم على أصحاب معاوية فكذلك قد حرّض أصحاب معاوية عليكم ، فاعلموا ذلك ؛ ثم أنشأ يقول في ذلك :

تمنّتْ رجال وُدَّ عمرو سفاهة ... وفي وده والراقصاتِ لنا الفنا
أراد وربِّ البيت حقاً فناءنا ... وقال لهم مثل الذي قاله لنا
يقول له دينٌ ودنيا قليلةٌ ... وفي الدين يابن العاص فيه لنا غِنا
فإن تك دنيا لا تدوم أخذتها ... بدينك فاصبرْ عند مختلف القنا
فلا تقبلوا منه الذي جاءكم به ... فإن ابن عاص الله ما زال مفتنا
إلى الله إلا أنّ صدرَك واغرٌ ... وإن ابن هند واغر الصدر بالقنا

قال : فدنا[1] القوم بعضهم من بعض ، وجعل عليّ يقول لأصحابه : تقدموا على بركة الله وعليكم بالسكينة والوقار ، وسيما الخير وزينة الإسلام ، فإنكم إنما تقاتلون ابن آكلة الأكباد والأبتر ابن الأبتر[2] والوليد بن عقبة شارب الخمر المجلود في الإسلام[3] ، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الهدى ودين الحق ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، إن هذا لخطب جليل ، إن فساقاً كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الإسلام وأهله متّهمين ، قد خدعوا شطراً من هذه الأمة ، فأشربوا قلوبهم حب الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالكذب والبهتان حتى نصبوا لنا الحرب ، وجدّوا في إطفاء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ؛ اللهم أقلل حدهم وشتت كلمتهم ! فإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت .

خبر غرار بن الأدهم

قال : وخرج رجل من أهل الشام يقال له غرار بن الأدهم ، ولم يكن بالشام رجل أفرس منه ولا أقدم في الحرب ، فجعل يجول بين الصفين ويطلب البراز ، فعرفه[4] الناس فتحاموه ولم يخرجوا إليه . قال : فبينا هو كذلك إذ نظر إليه رجل من

---

(١) بالأصل : فدنوا .

(٢) يريد : عمرو بن العاص .

(٣) مرّ ذلك ، راجع سبب عزله عن ولاية الكوفة .

(٤) بالأصل : فعرفوا . خطأ .

أصحاب علي رضي الله عنه يقال له العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، فقال غرار بن الأدهم : من ذلك الفارس ؟ فقيل له : العباس بن ربيعة الهاشمي ، قال : فناداه غرار بن الأدهم : يا عباس ! فوقف العباس فقال : قل ما تشاء ! فقال : هل لك في البراز ؟ فقال له العباس : هل لك في النزول ؟ فإنه آئس للقفول ؛ فقال : قد شئت ذاك .

قال : والعباس بن ربيعة على فرس له أدهم كالغُداف ، وعليه درع سابغ ، وفي يده سيف له ، وكأن عينيه سراجاً سليط ، وعيناه يبصّان من تحت المغفر كأنهما[1] عينا أرقم ؛ فرمى بنفسه عن فرسه ، ورمى غرار بن الأدهم بنفسه عن فرسه وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتُنا   أو تنزلون فإنا معشرٌ نزلوا

قال : ثم جمع كل واحد منهما[2] فضلات درعه في منطقته ، ودنا كل واحد منهما[2] من صاحبه ، وكفّ[3] أهل العسكر من أعنّة خيولهم ينظرون إلى الرجلين . قال أبو العز التميمي : فوالله ما شبّهتُهم إلا بما قال أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول :

فتنازلا وتوافقت[4] خيلاهما   وكلاهما بَطَل اللقاء مخدَّعُ[5]

قال : ثم إنهما تضاربا بسيوفهما[6] ، فما قدر واحدمنهما على صاحبه لكمال لأمته .

قال : وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ينظر إليهما فلا يقدر أحد على صاحبه .

---

(١) بالأصل : كأنهما . خطأ .

(٢) بالأصل : منهم .

(٣) بالأصل : وكفوا .

(٤) عن جمهرة أشعار العرب ص ١٣٢ وبالأصل : فتيان لا فتواقعت .

(٥) عن جمهرة أشعار العرب وبالأصل مشيع . ومخدع بالدال غير معجمة أي قد خدع في الحرب مرات حتى استحكم . ومن رواه بالذل معجمة قال : معناه مقطع في الحروب مرات يريد بذلك كثرة ما جرح .

والبيت من مرثية لأبي ذؤيب وقد قتل له ثمانية بنين ، وقيل هلكوا بالطاعون ومطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٦) بالأصل : « ثم إنهم تضاربوا بسيوفهم » تحريف .

قال : ونظر العباس بن ربيعة إليه وهو يتميز في الدرع الشامي أوتهن ـ فإن كان وهياً فإنه من السقوط ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** ﴾[1] ، وإن كان وهناً فإنه من الضعف ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت** ﴾[2] . قال : فنظر العباس بن ربيعة إلى ذلك الوهن في الدرع الشامي ؛ والتقيا[3] بضربتين ، ضربه العباس بن ربيعة على ذلك الوهن فقدّه نصفين .

قال : فكبر[4] أصحاب علي رضي الله عنه وخنس[5] أصحاب معاوية ؛ ثم عطف العباس بن ربيعة إلى فرسه فركبه واستوى عليه .

قال أبو العز التميمي : فقال له علي بن أبي طالب : يا أبا العز ! من المبارز لعدونا ؟ فقلت : ابن شيخكم العباس بن ربيعة ! قال : فصاح به عليّ : يا عباس ! يا عباس ! قال العباس : لبيك يا أمير المؤمنين ! فقال : ألم آمرك وآمر عبيد الله بن عباس أن لا تخلوا بمراكزكما[6] في وقت من الأوقات إلا بإذني ؟ فقال العباس : يا أمير المؤمنين ! أفيدعوني عدوي إلى البراز فلا أخرج إليه ؟ فقال علي : نعم إنّ طاعة إمامك أوجب عليك من مبارزة عدوك . قال : ثم حول وجهه إلى ناحية القبلة ورفع كفيه وقال : اللهم ! لا تنس هذا اليوم للعباس .

قال : والتفت معاوية إلى أصحابه فقال : ما الذي قتل غرار بن الأدهم ؟ فقيل له : العباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، فقال معاوية : أيها الناس ! من خرج إلى العباس فقتله فله عندي من المال كذا وكذا ؛ قال : فوثب رجلان لخميان من بني لخم من اليمن فقالا[7] : نحن نخرج إليه ؛ فقال : اخرجا[8] إليه فأيكما[9] سبق

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٦ .
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤١ .
(٣) بالأصل : « والتقوا » تحريف .
(٤) بالأصل : فكبروا .
(٥) بالأصل : وخنسوا .
(٦) بالأصل : بمراكزكم .
(٧) بالأصل : فقالوا .
(٨) بالأصل : اخرجوا .
(٩) بالأصل : فأيكم .

إلى قتله فله من المال ما قد بذلت له وللآخر مثل ذلك .

قال : فخرجا جميعاً حتى وقفا[1] في ميدان الحرب ، ثم صاحا بالعباس ودعاه إلى البراز ؛ فقال العباس : إن لي سيداً حتى استأذنه في ذلك .

قال : ثم جاء إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! هذان رجلان من أصحاب معاوية قد خرجا[2] ليدعواني إلى البراز ؛ فقال له علي : ودّ معاوية أنه لا يبقى من بني هاشم نافخ ضرمة ، ثم قال : إلى هٰهنا ! فتقدم إليه العباس ، فقال له علي : انزل عن فرسك واركب فرسي ، وهات سلاحك وخذ سلاحي . قال : ثم نزل علي رضي الله عنه عن فرسه ورمى سلاحه إلى العباس وأخذ سلاح العباس ، فلبسه واستوى على فرسه ، ثم خرج حتى وقف بين الجمعين كأنه العباس في زيه وسلاحه وفرسه ؛ قال : فقال له اللخميان : أذن لك سيدك ! فقال عليّ : ليخرج من الكذب : **﴿ اذن للذين يقٰتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير ﴾**[3] .

قال : فتقدم إليه أحد الرجلين فالتقيا بضربتين ، ضربه عليّ رضي الله عنه ضربة على مرق بطنه فقطعه نصفين . قال : فظن[4] الناس أنه أخطأه ، ثم تحرك الفرس فسقط الرجل قطعتين ، وغار فرسه وصار إلى عسكر عليّ رضي الله عنه .

قال : وتقدم الآخر فألحقه عليّ بصاحبه ، ثم جال في ميدان الحرب وهو يقول : **﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمٰت قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾**[5] .

قال : ثم رجع علي رضي الله عنه إلى موقفه وعلم معاوية أنه عليّ بن أبي طالب ، فقال : قبح الله اللجاج ! إنه لقعود ما ركبته إلا خُذلتُ . قال : فقال عمرو بن العاص : المخذول والله اللخميان لا أنت ، فقال : اسكت أيها الإنسان ! فليس هذه الساعة من ساعاتك ، فقال عمرو : إن لم تكن من ساعاتي فرحم الله

---

(١) بالأصل : « فخرجوا جميعاً حتى وقفوا » خطأ .
(٢) بالأصل : خرجوا خطأ .
(٣) سورة الحج الآية ٣٩ .
(٤) بالأصل : « فظنت » .
(٥) سورة البقرة الآية ١٩٤ .

اللخميين ، ولا أظنه يفعل ؛ فقال معاوية : إن لم يفعل فذاك أطبق لحجرك وأخسر لصفحتك .

قال : واختلط[1] الفريقان ، فجعلوا يقتتلون من غير مبارزة ، وراية بجيلة يومئذ في يد قيس بن مكشوح[2] فقال : يا معشر بجيلة ! خذوا هذه من يدي وادفعوها إلى غيري ، فإن غيري في هذا الوقت خير لكم مني ، فقالوا : ما نريد غيرك ؛ فقال قيس بن مكشوح : إذاً والله لا رجعت حتى أنتهز[3] بكم إلى صاحب الترس المذهَّب الذي[4] على رأس معاوية ؛ فقالوا : افعل ما أحببت فها نحن معك .

قال : فتقدم قيس بن مكشوح وهو يرتجز ويقول :

إن علياً ذو أناة وصارم ... جلد إذا ما حضر العزائم
لما رأى ما يفعل الأشائم ... قام قيام الذروة الأكارم[5]
لا تستوي أمية وهاشم

قال : ثم حمل بالراية حتى وصل إلى صاحب الترس المذهب ؛ وصاح معاوية : ويلكم دونكم الرجل ! فحمل عليه غلام لمعاوية رومي فضرب[6] يد قيس بن مكشوح فقطعها ، وضربه قيس بسيفه فقتله ، وأشرعت الأسنة إلى قيس بن مكشوح فقُتل رحمه الله ، وأخذ الراية بعده عبد الله بن قلع [الأحمسي] فقاتل[7] فقُتل ، وأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل فقتل ، فأخذها العباس[8] بن

---

(١) بالأصل : اختلطت .

(٢) هو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار . (انظر الإصابة ـ والاستيعاب) .

(٣) الطبري ج ١٤/٦ : انتهي .

(٤) وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس .

(٥) في وقعة صفين : قام له الذروة والأكارم .

(٦) الطبري : قدم .

(٧) زيد في الطبري ، وهو يقول :

لا يبعد الله أبا شداد ... حيث أجاب دعوة المنادي
وشد بالسيف على الأعادي ... نعم الفتى كان لذي الطراد
وفي طعان الخيل والجلاد

(٨) في وقعة صفين لابن مزاحم ص ٢٦٠ : « عياش » قال : وكانت راية غطفان العراق مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب بن زيد بن خلف بن رواحة .

شريك فجرح ، فأخذها مسروق بن سلم[1] فقُتل ، فأخذها صخر بن سمي فجرح ، فأخذها عبد الله بن بزار[2] فقُتل .

قال : فحملت جماعة من أصحاب علي رضي الله عنه ، فتقدم عتبة بن جويرية[3] فقال : أيها الناس ! إنكم قد ترون ما قتل من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنّ مرعى الدنيا قد أصبح هشيماً وأصبح شجرها حصيداً[4] وحلوها مر المذاق ، ألا ! وإني منبئكم بأمر صادق ، إني قد سَئِمْتُ من هذه الدنيا وعزفت نفسي عنها ، وقد كنت أتمنى الشهادة وأتعرّض لها في كل جيش[5] ، وفي وقتي هذا وقد طمعت أن لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله في قتال أعداء الله ! استبدلوا بالدنيا مرافقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

قال : فتقدم عتبة بن جويرية وتبعه أخواه[6] عوف وعبيد الله وهم يقولون : اللهم ! إننا نحتسب أنفسنا عندك ؛ ثم إنهم حملوا وهم ثلاثة نفر ، فخالطوا أهل الشام فقاتلوا حتى قتلوا منهم أعداد من قتل من أصحاب عليّ وقُتلوا بعد ذلك ـ رحمة الله عليهم ـ .

قال : ثم حملت أهل العراق كما كانوا يحملون من قبل واختلطوا ، وثار العجاج فلم يبصر أحد أحداً من شدة الغبرة ، وجعل حجر بن عدي يقاتل في تلك الغبرة وهو يقول[7] :

يا ربنا سلّمْ لنا عليّاً	سلّمْ لنا المهذّبَ التقيّا
المؤمن المسترشد المرضيّا	واجعله هادي أمةٍ مهديّا
لا أخطل الرأي ولا بغيّا	واحفظه ربي حفظك النبيا

---

(1) في وقعة صفين : مسروق بن الهيثم بن سلمة . قال : إن راية بني نهد بن زيد أخذها مسروق بن الهيثم بن سلمة فقتل .

(2) وقعة صفين : النزّال .

(3) عن وقعة صفين ص ٢٦٤ ، وفي الطبري ١٥/٦ عقبة بن حديد النمري . وقد صحح في مواضع الخبر .

(4) الطبري : « خضيداً » وفي وقعة صفين : وأصبح زرعها حصيداً .

(5) الطبري : « كل جيش وغارة » وفي وقعة صفين : في كل حين .

(6) في الطبري : وتبعه إخوته عبيد الله وعوف ومالك .

(7) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨١ .

فـإنـه كــان لــنـا ولـيـا	ثـم اتـخـذه بـعـده وصـيـا

قال : وجعل أبو شريح الخزاعي يقاتل وهو يرتجز ويقول[1] :

يـا رب اقصمْ[2] كلَّ من يـريدُنـا	وكِـدْ إلـهي كـل مـن يكـيدُنـا
حتى يُـرى مـعـتـدلاً عـمـودُنـا	إنّ عـلـيّـاً صـادقـاً يـقـودنـا
وهْـو الـذي بـفـهـمـه يـؤوُنـا[3]	عـن قُحَم الفتـنـة إذ تُـريـدنـا

قال : وجعل معقل بن قيس الرياحي يقاتل وهو يرتجز ويقول[4] :

يـا أيها السـائـل عن أصحـابي	إن كـنت تـبغي خبـرَ الـصـواب
أخبـرْك عنهم غيـر مـا كـذاب	فـإنـهـم أوعـيـة الـكـتـاب
فـقـاتـلوا يـا مـعشـر الأحـزاب	صبـراً على[5] الهيجـاء والضـراب

قال : وانجلت الغبرة عن القوم وقد قُتل من الفريقين بشر كثير ، وليس يرجع أحد عن أحد ، فلم يزالوا كذلك إلى أن أمسوا ، فحجز بينهم الليل ورجع بعضهم عن بعض ؛ وأبو واقف الليثي[6] يقول :

سـائـل بـنـا يـومَ لقـيـنـا الأزْدا	والـخـيـل تـعـدو سَـفـراً وورْدا
لمـا قـطعنـا كفَّهـا[7] والـزَّنـدا	فـاستبـدلـوا بغيـاً وبـاعـوا الرُشْـدا
وضـيـعـوا فـيـمـا أرادوا قـصـدا	سُـحقـاً لـهم في رأيهـم وبُـعـدا

قال : فانصرف حويرثة بن سُمّي العبدي وسيفه خضيب وهو يرتجز ويقول :

سـائـل بنـا يـومَ التقينـا الفجـرهْ	والخيـلُ تعـدو في قتـام الغبـرهْ
كم من قتيـل قد نحـرنـا منحـره[8]	بـالقـاع من صفين يـوم عسكـره

قال : وانصرف الحارث بن أبان العجلي وسيفه يقطر دماً وهو يرتجز ويقول :

---

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨٢ .
(٢) وقعة صفين : قاتل .
(٣) عن وقعة صفين ، وبالأصل يذودنا .
(٤) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٨٢ .
(٥) وقعة صفين : صبر لدى .
(٦) في وقعة صفين : أبو واقد الحارث بن عوف الخشني . (وانظر الإصابة باب الكنى) .
(٧) وقعة صفين : كفهم .
(٨) في وقعة صفين ص ٣٨٤ : قتلنا تخبره .

سـائلْ بنـا عكّاً وسـائل كَلْبـا والحميـريينَ وسـائـل شُعْبـا[1]
كيف رأوا طِعـانَها والضـربـا[2] إن لـم يكـن عنـد الـلقـاءِ غلبـا

قال : وانصرف عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي وقد أثخن بالجراحات وهـو يقول :

ألا أبـلغْ مـعـاويـةَ بـن حـربٍ أمـا لـك لا تنيب إلى الصـوابِ
أكُـلَّ الـدهـر مـرعـوسٌ جبـانٌ تُحـاربُ مَن يقـوم إلى الـكتـاب
فـإن تسلم وتبقى الـدهـر يـومـاً نزُرْك بجَحْفلٍ صَحْبَ الـطلاب[3]
وإلا فـالـتـي جـرَّبـتَ مـنـا لكم ضربٌ يشيِّب ذي الغراب[4]

قال : فبات الفريقان يتأوهان من ألم الجراحات ، وأقبل معاوية على عمرو بن العاص فقال : أبا عبد الله ! قد أكلتنا والله هذه الحروب ولا أرانا نأخذ العراق إلا بهلاك أهل الشام ، وأنت تعلم أن رئيس الناس مع علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس ، وهو رجل إن قال شيئاً لم يخرج علي من رأيـه ، فهل لـك أن تعمل في خديعته ؟ فلعله يأمر علياً أن يكف عن هذه الحروب ، فقد والله هلكت الناس ؛ فقال عمرو : إن مثل ابن عباس لا يخدع ، ولو طمعت فيه إذاً لطمعت في علي بن أبي طالب ؛ فقال معاوية : لا عليك إن تكتب إليه رقعة لطيفة وتنظر ما عنده فنعمل على حسب ذلك .

---

(١) يريد أهل شعب ، وشعب جبل باليمن ونازلوه هم آل ذي شعبين ، ومن نزل منهم الكوفة قيل لهم أيضاً : شعبيو الكوفة . ومن نزل منهم الشام يقال لهم الشعبانيون .
(٢) وقعة صفين ص ٣٨٥ : كيف رأونا إذا أرادوا الضربا .
(٣) وقعة صفين ص ٣٨٢ : شبه هضاب .
(٤) وقعة صفين : لكم ضربُ المهند بالذؤاب .

ذكر ما جرى من الكتب بين علي بن أبي طالب وبين معاوية وعمرو بن العاص وابن عباس لما عضهم سلاح أهل العراق

[كتاب عمرو بن العاص إلى ابن عباس]

قال : فكتب عمرو بن العاص إلى ابن عباس(١) : أما بعد ، فإن الذي نحن وأنتم فيه يابن عباس ليس بأول من قاده البلاء وساقه العاقبة(٢) ، وأنت رئيس هذا هذا الجمع بعد ابن عمك ، وقد أخذت هذه الحروب منا ومنكم ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت(٣) ! ولكنما نقول : ليتها لم تكن ! وقد طال هذا بيننا حتى لقد ظننا أن فيه الفناء ، وفي ذلك أقول(٤) :

طال البلاء فما يُرجى له آسٍ ... بعد الإله سوى قول(٥) ابن عباسِ
قولا له قول مسرور بحظوته ... لا تنس حظك إن التارك(٦) الناسي
يابن الذي زمزمٌ يُسقى الحجيج له ... أعظمْ بذلك من فخرٍ على الناس
كلّ لصاحبه قرن يساوره ... أُسْد العرين ضواري بين أخياس(٧)

(١) نسخته في الإمامة والسياسة ١٣١/١ من تحقيقنا ـ ووقعة صفين لابن مزاحم ص ٤١٠ ـ ٤١١ . باختلاف النصوص .

(٢) الإمامة والسياسة : وساقته العافية .

(٣) وقعة صفين : غارت .

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤١١ .

(٥) وقعة صفين : رفق .

(٦) وقعة صفين : الخاسر .

(٧) الأخياس : جمع خيس بالكسر ، وهو الشجر الكثير الملتف .

لـو قيسَ بينهمُ في الحـرب لاعتـدلـوا — الفخـر بالفخـر[1] ثم الرأس بـالـرأس
فـانظر فـدىً لك نفسي قبـل قـاصمـةٍ — لـلظهـر لـيس لـهـا داءٌ ولاَ آسـي
قالوا يرى الناسُ في ترك العراق لكمُ[2] — والـلَّهُ يعـلم مـا بـالسـلم من بـأس
فيـه الـبـقـاء وأمـرٌ لـيس يـنـكـره — إلا الجهـولُ ومـا النـوكى بـأكيـاس
إنّ العـراق وأهـلَ الشـام لن يجـدوا — طعمَ الحيـاة مـع المستغلق القـاسي
بشْـر وأصحـاب بسـر والـذين هـمُ — داء الـعـراق رجـالٌ أهـلُ وسـواس
قـومٌ عـراةٌ مـن الـخـيـرات كـلهـمُ — فمـا يُسـاوى بهم خلقٌ من النـاس[3]
أنت الشجـاء شجـاهـا في حلوقهم — مثـلَ اللجـام شجـاه مـوضـع الفـأس
فـاصـدعْ بـأمـرك أمـر القـوم أنهمُ — خِشـاش طير رأتْ طيـراً بـإحسـاس

قال : ثم عرض عمرو ذلك على معاوية ، فقال له معاوية : إني لا أردّ كتابك على رقّة شعرك .

قال : فلما انتهى كتابه إلى ابن عباس وقرأه أتى به علياً فأقرأه إيـاه ، قال : فضحك علي رضي الله عنه ثم قال : قاتل الله النابغة ! ما الذي غره منك ؟ يـابن عباس أجبه عن كتابه .

قال : فكتب إليه ابن عباس[4] : أما بعد ، فإني لا أعلم أحداً[5] من العرب أقل حياء منك ، وذلك أنك أتيت معاوية فبعته دينك بالثمن اليسير[6] ، ثم خبطت الناس في عشواء مظلمة طمعاً في الملك ، فلما لم تر شيئاً[7] أعظمت هذه الدنيا إعظام أهل الذنوب[9] ، وأظهرت فيها زهد أهل الورع ، فإن كنت تريد أن ترضي الله عزّ وجلّ بذلك فدع مصر وارجع إلى أهل بيت نبيك محمد ﷺ ؛ فأما ما ذكرت من أهل العراق وأهل الشام ، فإن أهل العراق بايعوا علياً وهو خير منهم ، وأهل الشام

(١) وقعة صفين : العجز بالعجز .
(٢) وقعة صفين : إني أرى الخير في سلم الشأم لكم .
(٣) وقعة صفين : فما يساوى به أصحابه كاسي .
(٤) نسخة الكتاب في الإمامة والسياسة ١٣٢/١ ووقعة صفين ص ٤١٢ ـ ٤١٣ باختلاف النصوص .
(٥) الإمامة والسياسة : رجلًا .
(٦) الإمامة والسياسة : الأوكس .
(٧) الإمامة والسياسة : فلما ترامينا .
(٨) الإمامة والسياسة : أعظمت الحرب والرماء إعظام أهل الدين .

بايعوا معاوية وهم خير منه ، ولستُ أنا وأنت سوى في الحرب ، لأني إنما أردت الله وأنت أردتَ مصر ، وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ، ولا أعرف الشيء الذي قربك من معاوية ـ والسلام ـ .

قال : ثم أقبل على [أخيه] الفضل بن عباس[1] فقال : أجب عني عمراً على شعره هذا ؛ فأجابه الفضل وهو يقول :

يا عمرو حسبك من خدعٍ ووسواسِ ... فاذهبْ فما لك في ترك الهدى آسِ[2]

إلا بـوادرُ طـعنٍ فـي نـحوركـمُ ... يشجي النفوس بها في النقع افلاس[3]

بـالسمهـريّ وضـربٍ في شـواربكم ... يُـردي الكمـاةَ ويـذري قبـةَ الـرأس

هـذا الدواء الـذي يشفي حمـاتكم[4] ... حتى تُـطيعـوا عليـاً وابنَ عبـاس

أمـا عـليٌّ فـإن الله فـضّـله ... فضـلاً لـه شـرفٌ عـالٍ على النـاس

إن تعقلوا الخيـلَ نعقلهـا مُخيّسـةً ... أو تبعثـوهـا فـإنّـا غيـرُ أنكـاس

قـد كـان منـا ومنكم في عجـاجتهـا ... من لا يفـرّ وليس الليثُ كـالجـاس[5]

قتـل العـراق وقتـل الشـام معضلة[6] ... هـذا بهـذا ومـا بـالحق من بـأس

لا بـارك الله في مصـر لقـد جلبـت ... شـراً وحظُّك منهـا حسوةُ الحـاسي[7]

يـا عمـرو إنـك عـارٍ من[8] مكـارمهـا ... والـراقصاتُ لأثـوابِ الخنـا كـأسي[8]

إن عادت الحربُ عدنا فـالتمسْ هرباً ... في الأرض أو سُلّماً في الأفق يا قاسي

قال : ثم عرض الفضل شعره على عليّ رضي الله عنه ، فقال علي : أحسنت ولا أظنه يجيبك بعدها بشيء إن كان يعقل ، ولعله أن يعود فنعود عليه .

قال : فلما وصل الكتاب والشعر إلى عمرو فأتى به معاوية فأقرأه إيـاه ، ثم

---

(١) بالأصل : « عياض » تحريف .

(٢) في وقعة صفين فليس لداء الجهل من آسي .

(٣) في وقعة صفين : إلا تواتر . . . يشجي النفوس ويشفي نخوة الراس .

(٤) وقعة صفين : جماعتكم .

(٥) وقعة صفين : ما لا يرد وكلٌ عرضة الباس .

(٦) وقعة صفين : قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة .

(٧) وقعة صفين : الكاس .

(٨) وقعة صفين : . . . من مغارمها والراقصات ومن يوم الجزا كاسي .

قال : ما كان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب ؛ فقال معاوية : صدقت أبا عبد الله ولكنك قد علمت ما مرّ علينا بالأمس من القتل والهلاك ، وأظن علياً سيباكرنا الحرب غداً ويعمل على المناجزة ، وقد رأيت أن أشغله أنا غداً عن الحرب بكتاب أكتبه إلى ابن عباس ، فإن هو أجابني إلى ما أريد فذلك ، وإلا كتبت إلى عليّ وتحملت عليه بجميع من في عسكره فإن أجاب ، وإلا صادمته وجعلتها واحدة لي أم عليّ ، فهذا رأيي وإنما أريد بذلك أن أجم الحرب أياماً ، فقد تعلم ما نزل بنا في هذه الأيام ، وإن كان عندك رأي غير هذا فهاته ، فقال عمرو : أما أنا فأقول إن رجاءك لا يقوم رجاءه ولست بمثله ، وهو رجل يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره ، وهو يريد الفناء وأنت تريد البقاء ، وليس يخاف أهل الشام من عليّ إن ظفر بهم ما تخاف أهل العراق إن ظفرتَ بهم ، وأظنك تريد مخادعة عليّ ، وأين أنت من خديعته ؛ فقال معاوية : فكيف ذلك ؟ ألسنا بني عبد مناف ؟ قال : فضحك عمرو ثم قال : بلى لعمري أنت وهو من بني عبد مناف كما تقول ولكن لهم النبوة من دونك ، فإن شئت فاكتب .

قال : فكتب معاوية إلى ابن عباس[1] : أما بعد ، فإنكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالإساءة منكم إلى أنصار عثمان ، فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها تيم وعدي قبل بني أمية[2] ، وقد وقع من الأمر ما ترى وأدالت هذه الحروب منا ومنكم حتى استوينا فيها، والذي أطمعكم فينا هو الذي أطمعنا فيكم ، والذي أيسنا منكم هو الذي أيسكَم منا ، وقد رجونا غير الذي كان وخشينا دون ما وقع ، ولستم تلاقوننا اليوم إلا بمثل ما كان بالأمس ولا غداً إلا بمثل اليوم ، وقد منعنا بما كان منا الشام ، ومنعتم بما كان منكم العراق ، فأبقوا على قريش واتقوا الله ربكم ، فإنما بقي من قريش ستة رجال : رجلان بالشام أنا وعمرو بن العاص ، ورجلان بالعراق علي وأنت ، ورجلان بالحجاز سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ؛ ومن هؤلاء الستة رجلان ناصبان لك ولابن عمك ، ورجلان واقفان عليكم سعد وابن عمر ، وأنت رأس هذا الجمع بعد ابن عمك ، ولو بايع[3] الناس لك بعد عثمان لكنا إلى طاعتك أسرع منا إلى علي ، فرأيك فيما كتبت إليك ـ والسلام ـ .

---

(١) نسخة الكتاب في الإمامة والسياسة ١٣٣/١ ووقعة صفين ص ٤١٤ باختلاف النصوص .

(٢) زيد في وقعة صفين : ولم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة .

(٣) عن الإمامة والسياسة ، وبالأصل : بايعوا .

قال : فلما انتهى كتاب معاوية إلى ابن عباس تبسم ضاحكاً ثم قال : إلى كم يخطب إليَّ معاوية عقلي وحتى [متى] أحجم[1] ما في نفسي ، ثم كتب إليه[2] : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما سطرت فيه ، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين استنصرك فلم تنصره حتى صرتَ إلى ما صرت إليه ، وبينك وبينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة ؛ وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي فأبو بكر وعمر خير من عثمان كما أن عثمان كان خيراً منك ؛ وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلنا إلا من خذلك ؛ وأما ذكرك الحرب فقد بقي لك منا ما ينسيك ما كان قبله وتخاف ما يكون بعده ؛ وأما قولك إني لو بايعني[3] الناس لأسرعتَ إلى طاعتي فقد بايع[4] الناس علياً وهو أخو رسول الله ﷺ وابن عمه ووصيه ووزيره وهو خير مني فلم تستقم له ، وإنما الخلافة لمن كانت له الشورى ، وأما أنت فليس لك فيها حق لأنك طليق وابن طليق ورأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد ـ والسلام ـ .

فلما انتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقرأه قال : هذا فعلي بنفسي ، والله لأجهدن أن لا أكاتبه سنة ؛ قال : ثم أنشأ يقول[5] :

دعوتُ ابن عباس إلى أخذ خطّة ... وكان امرءاً أُهدي إليه رسائلي
فأخلفَ ظني والحوادث جمة ... ولم يك فيما[6] نابني بمواصلي
ولم يك فيما جاء ما يستحقّه ... وما زاد أن أغلي عليه مراجلي
فقل لابن عباس أراك مُخوِّفاً ... بجَهْلك حلمي أنني غير غافل
فأبرقْ وأرْعَدْ ما استطعت فإنني ... إليك بما يُشجيك سَبْطُ الأنامل
وصفّين داري ما حييتُ وليس ما ... تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

قال : فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول :

(١) الإمامة والسياسة : أجمجم .
(٢) نسخته في الإمامة والسياسة ١٣٤/١ ووقعة صفين ص ٤١٥ .
(٣) عن الإمامة والسياسة ، وبالأصل : بايعوني .
(٤) بالأصل : بايعوا .
(٥) الأبيات في كتاب وقعة صفين ص ٤١٦ :
(٦) وقعة صفين : فيما قال مني بواصل .

ألا يـابن هنـد إنـي غيـرُ غـافـل	وإنـك ممـا تبتغي غيـرُ نـائـلِ[1]
أالآن لـمـا أخبت الحـربُ نـارهـا	عليـك وألقتْ بـركهـا بـالكـلاكـل
وأصبح أهل الشـام صرعى فكلهم[2]	كـفقعـة قـاع أو كـشحمـة آكـل
وأيـقنـت إنـا أهـل حق وإنـمـا	دعـوت لأمـر كـان أبـطل بـاطـل
دعـوتَ ابن عباس إلى السِلم خُدْعَـة	وليس لهـا حتى[3] يمـوتَ بقـائـل
فـلا سِلْم حتى يشجر الخيـل بـالقنا	وتُضـرَبْ هـامـاتُ الـرجـال الأوائل
وآليتَ : لا تـهْـدي إليـه رسـالـة	إلى أن يحولَ الحول من رأس قابل[4]
أردتَ بـهـا قـطع الجـواب وإنمـا	رَمـاكَ فلم يخطىء بثـأر المقـاتـل
وقـلتَ لـه : لـو بـايعـوك تبعتـه	فـهـذا عليٌّ خيـرُ حـاف ونـاعـل
وصـي رسـول الله مـن دون أهـله	وفـارسـه إذ قيـلَ : هَـل من مُنـازل
فـدونكـه إذ كنتَ تبـغي مـهـاجـراً	أشمَّ بنصـل السيف ليس بنـاكـل[5]

قال : ثم عرض الفضل شعره على عليّ رضي الله عنه ، فقال له : أنت أشعر العرب ـ أو قال : أنت أشعر قريش .

قال : فوصل الكتاب إلى معاوية فقرأه وفهم الشعر ، فلم يردعه ذلك إلى أن كتب إلى عليّ[6] : أما بعد فلو أنك علمت وعلمنا أن هذه الحروب تبلغ منك ومنا ما بلغت ما كان جناها على بعضنا بعض ، والآن فقد تهيأ لنا أن نصلح ما بقي وندع ما مضى ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني طاعة ولا تبعة فأبيت عليَّ ، وإني اليوم أسألك ما سألتك بالأمس ، فقد والله ذهب الأخيار والرجال وإنما نحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل .

فكتب إليه علي رضي الله عنه[7] : أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه أنك لو

(١) وقعة صفين ص ٤١٦ : وانك ما تسعى له غير نائل .
(٢) وقعة صفين : ضربين خيرة . والفقعة واحدة الفقع وهي ضرب من أردأ الكمأة .
(٣) وقعة صفين : حتى تدين بقابل .
(٤) يشير إلى قول معاوية بعدما وصله جواب ابن عباس على كتابه : أنه لن يكتب إليه إلا بعد سنة كاملة .
(٥) وقعة صفين : « أشم كنصل السيف عير حلاحل » .
(٦) نسخته في الأخبار الطوال ص ١٨٧ الإمامة والسياسة ١/١٣٧ وقعة صفين ص ٤٧١ باختلاف يسير بين النصوص .
(٧) المصادر السابقة ، ونهج البلاغة كتاب رقم ١٧ .

علمت وعلمنا أن هذه الحروب تبلغ منا ومنك ما بلغت لم نك نجنها على بعضنا بعض فنحن وإياك بعد من الحرب في غاية ولم نبلغ منها ما نريد ؛ وأما سؤالك[1] إياي الشام فلم أكن بالذي أعطيك اليوم ما منعتك بالأمس[2] ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة ؛ وأما قولك إننا بنو عبد مناف فلعمري إننا كذلك ولكن ليست أمية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا الطليق كالمهاجر ، ولا المبطل كالمحق[3] ، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها عز الذليل وذل العزيز ـ والسلام ـ .

ثم كتب النجاشي إلى معاوية بهذه الأبيات :

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... مُغلغلة يسيء بها الرفاقُ
أتطمع في العراق وساكنيه ... وقد جاشتْ بحومتها العراق
وناداه أبو حسن عليٌّ ... بحجته التي ليست تطاق
وأوطى الشام مسألة طحونا ... كذكر الطَّرْق يقدمها العتاق
أيا لله درك يابن هند ... وكأس الموت أقطع ما يذاق
فما لك في يدي الأمر حق ... وما لك في عواقبه حقاق
فقد ذهب الحياء فلا حياء ... وقد ذهب الخَلاق فلا خلاق
أتمنعه وأمرك فيه رحب ... ويعطيه وقد ضاق الخناق

قال : فلما وصل الكتاب والشعر إلى معاوية ندم إلى ما كتب به إلى علي ، وشمت به عمرو بن العاص وقال : قد نهيتك عن الكتاب إلى علي فلم تنته ولم تقبل ؛ قال : ثم أنشأ عمرو في ذلك يقول[4] :

ألا لله درك يابن هند ... ودر المرء عن ليث الأسود[5]
أتطمع لا أبا لك في علي ... وقد قرع الحديدَ على الحديد

---

(١) النهج : فأما طلبك إليّ .

(٢) زيد في نهج البلاغة : وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار . وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلستَ بأمضى على الشك مني على اليقين .

(٣) زيد في النهج : ولا الصريح كاللصيق ، ولا المؤمن كالمدغل .

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٧٢ .

(٥) وقعة صفين : ودرّ ، الأمرين لك الشهود .

وتـرجـو أن تـحـيـره بـشـك وتـرجـو أن يهـابك بـالـوعيـد
وقـد كشفت القنـاعَ وجـر ثـوبـاً يشيب لـرأسـه[1] رأس الـوليـد
لـه خيـل مُسبّلة[2] طـحـون فـوارسُـهـا تـلهّبُ كـالأسـود
يـقـول لـهـا إذا رجعـت إلـيـه وقـد ملّتْ طعـان القـوم عـودي
فـإن وردتْ فـأولـهـا ورودا وإن صـدرتْ فليس بـذي صـدود
ومـا هي من أبي حسـن بـركن ومـا هي من مسائـك بـالبعيـد
وقلتَ لـه مقـالـة مستـفـزّ[3] ضعيف الـرأي منقـطع الـوريـد
وعـز الشام حسبُـك يـابن هنـد من السـوءات والـرأي الـزهيـد
ولـو أعـطاكهـا مـا ازددْتَ عِـزاً ومـا لك في اسْتـزادك من مزيـد[4]
فلم تكسـر بـذاك الـرأي عُـوداً سـوى ما كـان لا بـل دون عُـود[5]

قال : فغضب معاوية من مقال عمرو ثم قال : يا هذا ! إنك لتعظم علياً حتى كأنه ليس الذي فضحك بالأمس ، فرميت بنفسك عن فرسك كاشفاً عن عورتك ؛ قال : فتبسم عمرو ثم قال : أما فضيحتي فإنه لم يفتضح أحد بارز علياً لا ، بل ذلك فخر له ، فإن شئتَ أن تبلو ذلك فتقدم ! قال : ثم أنشأ عمرو يقول في ذلك[6] :

معـاويَ لا تَشْمت بفـارس بُهْمَـة[7] لَقيَ فـارسـاً لا تعتـريـه الفـوارسُ
معـاويٌ لو أبصـرتَ في الحرب مقبـلاً أبـا حسن يهوي عـرتك[8] الـوسـاوس
وأيـقـنـتَ أن الـمـوت حـق وأنـه ليفنيك إن لم تمض في الحرب حابس
فـإنـك لـو لاقيتَـه كنـتَ بـومـة أتيـح لهـا صقـر من الجـو بـائس
ومـاذا بـقي لـليـوم بـعـد لـقـائـه وإن الـذي يـلقـى عـليـاً لآئس
دعـاك فصمّتْ دونـه الأذنَ خـائفـاً فنفسـك قـد ضـاقتْ عليهـا الأمـالس

(١) وقعة صفين : . . وجر حرباً يشيب لهولها .
(٢) وقعة صفين : له جأواء مظلمة .
(٣) وقعة صفين : مستكين .
(٤) وقعة صفين : ولا لك لو أجابك من مزيد .
(٥) وقعة صفين : لركنه ولا ما دون عود .
(٦) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٧٣ .
(٧) فارس بهمة : يقال فلان فارس بهمة ، كما يقال ليث بهمة ، والبهمة بالضم : الجيش .
(٨) وقعة صفين : دهتك .

ورويت أن الموت آخر[1] موعد — وأن الذي ناداك فيه الدهارس
وتشمت بي إذ نالني حد رمحه — وعضّضني ناب من الحرب ناهس
وإني امرؤ لاقاهُ لم يبق شِلْوهُ — بمعتركٍ تُسفى عليه الرامس
أبى اللّهُ إلا أنه ليثُ غابة — أبو أشبُل تُهدَى إليه الفرائس
فإن كنتَ في شك فارهَجْ عجاجة — وإلا فتلك التُرّهات البسابس

قال : وأصبح[2] القوم وهم بعد هذه الأمور على الحرب ، وصلى عليّ الغداة بغلس[3] ، ثم عبى أصحابه فتقدم[4] الناس براياتهم وأعلامهم ، وزحف إليهم أهل الشام في تعبيتهم[5] ، وخرج رجل من أهل العراق على فرس له كميتٍ لا يُرى منه إلا حماليق الحدق ، وفي يده رمح له ، فجعل يضرب بالرمح على رؤوس أصحاب علي ويقول : سووا صفوفكم ! والناس لا يعرفونه ، حتى إذا اعتدلت الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولّى ظهره إلى أهل الشام ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : احمدوا الله عباد الله واشكروه إذ جعل فيكم ابن عم نبيه محمد ﷺ ووصيه وأحب الخلق إليه ، أقدمهم هجرة وأولهم إيماناً ، سيفٌ من سيوف الله صبّه على أعدائه ، فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسّرت الرماحُ[6] وتثلّمت الصفاح وجالت الخيل بالأبطال ولا أسمع منكم إلا غمغمة أو همهمة .

قال : ثم حمل على أهل الشام ، فقاتل حتى كسر رمحه[7] ، ثم رجع فإذا هو الأشتر رحمه الله .

قال : فخرج رجل من أهل الشام حتى وقف بين الصفين ثم نادى بأعلى صوته : يا أبا الحسن ! إني أكلمك[8] ؛ قال : فخرج إليه علي حتى اختلف أعناقُ

---

(1) وقعة صفين : أقرب موعد .
(2) الأصل : أصبحوا .
(3) وذلك يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، وقيل عاشر شهر صفر .
(4) بالأصل : فتقدموا .
(5) وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعاً ، فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم .
(6) وقعة صفين ص ٤٧٤ وتكسر المران .
(7) في الأخبار الطوال ص ١٨٧ ثلاثة أرماح .
(8) الأخبار الطوال ص ١٨٧ : ادن مني أكلمك .

فرسيهما فقال له الشامي : يا أبا الحسن ! إن لك فضلاً وقدماً في الإسلام وهجرة وسابقة وأخوّة وقرابة من رسول الله ﷺ ، فلا يساميك أحد ولا يدانيك ، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء هذه الأمة وتأخير هذه الحروب إلى أن ترى في ذلك رأيك ؟ فقال علي : وما ذاك ؟ قال : أن ترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا فتخلّي بينك وبين العراق ، وتخلّي بيننا وبين الشام ؛ فقال علي رضي الله عنه : لقد علمتُ أنك إنما عرضتَ هذا نصيحة وشفقة ، ولكن قد أهمني هذا الأمر وأسهرني ، وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله عزَّ وجلّ ، أو يرضى من أوليائه إن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون له ، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في نار جهنم قال : فرجع الشامي وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون[1] .

ذكر مقتل عمار بن ياسر رحمه الله

قال : وزحف[2] الناس بعضهم إلى بعض ، فاقتتلوا بالسهام والنبل والرماح والسيوف وعمد الحديد ، فلم يسمع إلا وقع الحديد بعضه على بعض ، وهوله في صدور الرجال أشد هولاً من الصواعق . قال : ورفع عمار بن ياسر رأسه نحو السماء فجعل يقول : اللهم ! إنك تعلم أني لو كنتُ أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا الفرات[3] فأغرقها لفعلتُ ؛ اللهم ! وإنك لتعلم أني لو كنت أعلم أن رضاك في أن أضع سيفي[4] هذا في بطني[5] وأتكيء عليه حتى يخرج من ظهري لفعلتُ ؛ اللهم ! وإني لا أعلم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء القوم .

قال : ثم أقبل عمار بن ياسر على الناس فقال : أيها الناس ! إن هذه الرايات التي ترونها مع معاوية قد قابلناها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والله ما هي بأبرهن ولا أتقاهن ؛ ألا ! وإني مقتول في يومي هذا ، فإذا قتلت فحطوا عني سلاحي ، وكفنوني في ثيابي ، وزملوني بدمي ، وصلوا عليّ وواروني في حفرتي ،

---

(١) الخبر في الأخبار الطوال ص ١٨٨ ووقعة صفين ص ٤٧٤ باختلاف يسير في الرواية .
(٢) بالأصل : وزحفوا ، خطأ .
(٣) الطبري ٦/٢١ البحر .
(٤) الطبري : ظبة سيفي .
(٥) الطبري : صدري .

ودعـوني وربي ، فإن صـاحبكم مخاصم وإنمـا تختصم الأخيـار فمن فلج فلجت شيعته .

قال : ثم جعل يقول : أيها الناس ! هل من رائح إلى الله يطلب الجنة تحت ظلال السيوف والأسنة ؟ اليوم لقاء الأحبة محمداً وحزبه . قال : ثم تقدم إلى القوم وجعل يقول[1] :

نـحن ضـربنـاكم عـلى تنـزيلهْ فـاليـومَ نضـربُكم عـلى تـأويلهْ
ضـربـاً يُزيـل الهـام عن مقيله ويُـذهـل الـخليـل عـن خـليـله
أو يرجع الحق إلى سبيله

قال : ثم جعل يكابدهم حملة بعد حملة وهو يقول : يا أهل الشام ! والله لو هزمتمونا حتى تبلغوا بنا إلى سعفات هَجْر لعلمنا أننا على الحق وأنكم على الباطل .

قال : فاختلط[2] به أصحاب معاوية وحملوا عليه ، وحمل عليه ابن الجون السكوني فطعنه طعنة في شراسيفه[3] ، ورجع إلى أصحابه وهو لمـا به . فقـال : اسقوني شربة من ماء ! قال : فأتاه غلام له يقال له راشد بضَياحٍ من لبن ، فقال : أبا اليقظان ! اشرب هذا اللبن بدل الماء ؛ فلما نظر عمار إلى اللّبن كبّر وقال : بهذا أخبرني رسول الله ﷺ بأن آخر زادي اللبن من الدنيا[4] . قال : ثم شرب فخرج اللبن من جراحته ، فسقط عمار على قفاه ثم تشهد وقضى نحبه ـ رحمة الله ـ .

فقـال عمرو بن العاص لمعاوية : قد قتل عمار بن ياسر ! فقال معاوية : قتل عمار فكان ماذا ؟ فقال : ألا تعلم أن النبي ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية وإن آخر زادك من الدنيا اللبن »[5] . فقال معاوية : إنما قتله من جاء به إلى الحرب .

---

(١) الأرجاز في مروج الذهب ٢/٤٢٣ وقعة صفين ص ٣٤١ .

(٢) بالأصل : فاختلطوا .

(٣) في مروج الذهب ٢/٤٢٣ قتله أبو العادية العاملي وابن جون السكسكي . وفي وقعة صفين ص ٣٤١ : حمل عليه ابن جون السكوني وأبو العادية الفزاري ، فأما أبو العادية فطعنه ، وأما ابن جون فإنه احتز رأسه . (وانظر الكامل لابن الأثير ٢/٣٨١) .

(٤) رواه البيهقي في الدلائل ٦/٤٢٠ والإمام أحمد في مسنده ٤/٣١٩ والحاكم في المستدرك ٣/٣٨٩ .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٢/٥٥٢ والأحاديث بذلك مختلفة الأسانيد والطرق نقلها أيضاً في الدلائل ٢/٥٤٦ وما بعدها في باب ما أخبر به المصطفى (ص) عند بناء مسجده ثم ظهر صدقه بعد وفاته . وانظر البداية والنهاية ٧/٢٩٧ وما بعدها (من تحقيقنا) .

فقال عبد الله بن عمرو : وكذلك حمزة بن عبد المطلب يوم أحد إنما قتله النبي ﷺ ولم يقتله وحشي ؟ فقال معاوية لعمرو : نحّ عنا ابنك هذا الموسوس الذي لا يدري ما يقول .

قال : وجاء علي بن أبي طالب حتى وقف على عمار وهو مزمل بدمه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن امرؤ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء ؛ ثم قال علي : رحم الله عماراً يوم يبعث ورحم الله عماراً يوم يسأل ؛ فوالله لقد رأيت عمار بن ياسر وما يذكر من أصحاب النبي ﷺ ثلاثة إلا كان رابعاً ، ولا أربعة إلا كان خامساً ، إن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا موطنين ولا ثلاث ؛ فهنيئاً له الجنة ! فقد قتل مع الحق والحق معه ، ولقد كان الحق يدور منه حيث ما دار ، فقاتل عمار وسالب عمار وشاتم عمار في النار .

قال : ثم تقدم علي رضي الله عنه فصلى عليه وصلت عليه أصحاب علي بأجمعهم وأدخل إلى حفرته فدفن ؛ فأنشأ الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري يقول[1] :

يا للرجال لعظم الهول أرّقني[2] ... وهاج حزني أبو اليقظان عمارُ
أهوى له ابن جون في فوارسه ... من السكون وللهيجاء إعصار[3]
فاختلّ صدر أبي اليقظان مُعترضاً ... بالرمح قد أوجبت[4] فيه له النار
كانتْ علامة بغي القوم مقتلُه ... ما فيه شك ولا ما فيه إنكار[5]
قال النبي له تقتلْك شرذمة ... شيطتْ لحومهمُ بالبغي فجارُ
فاليومَ يعلم[6] أهل الشام أنهمُ ... أصحاب تلك وفيها النار والعار

قال : وحمل بعضهم على بعض ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل الأشتر يقاتل وهو يقول[7] :

---

(١) الأبيات في مروج الذهب ٢/٤٢٣ .
(٢) مروج الذهب : يا للرجال بعينٍ دمعها جاري .
(٣) مروج الذهب : يدعو السكون وللجيشين إعصار .
(٤) مروج الذهب : للرمح ، قد وجبت فينا .
(٥) ليس في مروج الذهب .
(٦) مروج الذهب : يعرف .
(٧) الأبيات في مروج الذهب ٢/٤٣١ - ٤٣٢ . ووقعة صفين ص ٣٦٤

إن تقتلوا منا أبا الـ ... ـيقظان شيخاً مسلما
فقد قتلنا منكم[1] ... لما غدا[2] ما أعلما
وذا الكلاع بعده ... ومعبداً إذ أقدما
أضحوا بصفين وقد ... لاقوا نكالاً مؤتما[3]

قال : وتقدم قيس بن [سعد بن] عبادة وجماعة من حماة الأنصار ، فقاتلوا قتالاً شديداً . قال : والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب واقف على فرسه يحرض الناس على القتال وهو يقول[4] :

يا شُرطة الله صبراً لا يهولكم ... جيشُ ابن حربٍ وإن الحرب قد ظهرا
وقاتلوا كلَّ من يبغي قتالكمُ ... فإنما النصرُ في الهيجا لمن صبرا
إن كان عمار قد أودى فلا تهنوا ... وقاتلوا القوم لا تولوهم الدبرا
شقوا الصفوف بحد السيف واحتسبوا ... في ذلك الخير وأرجوا النصر والظفرا
وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم ... أضحى شقياً وأضحى نفسه خسرا
فيكم وصي رسول الله قائدُكم ... ووُلده وكتاب الله قد نشرا
ولا تخافوا ضلالاً لا أبا لكم ... سيُحفظ الدينُ والدنيا لمن نصرا

قال : فقتل من أهل الشام يومئذ زيادة على عدد الحساب ، وجاء الليل فحجز بين الفريقين ؛ فأنشأ رجل من الأنصار وهو قيس بن [سعد بن] عبادة يقول[5] :

ما ضر من كانت الأنصار عصبتهُ ... أن لا يكون له من غيرهم أحدُ
قوم إذا حاربوا طالتْ أكفهمُ ... بالمشرفية حتى يفتح البلد
والناس حرب لنا في الله كلهم ... مستجمعون فما ناموا ولا فقدوا
هذا اللواء الذي كنا نحف به ... مع النبي وجبريل له مدد
فاليوم ننظره حتى يقيم له ... أهل السنان ومَن في دينه أوَد

---

(١) مروج الذهب : نحن قتلنا حوشبا .
(٢) مروج الذهب : قد .
(٣) مروج الذهب : مؤلماً .
(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٣٨٥ . باختلاف بعض الألفاظ .
(٥) بعض الأبيات في الاستيعاب (ثلاثة) ونسبت إلى قيس ، وبعضها الأبيات الثلاثة الأخيرة في وقعة صفين ص ٣٨٤ ونسبت إلى عرفجة بن أبرد الخشني .

أهل الصلاة قتلناهم ببغيهم ... والمشركون قتلناهم بما جحدوا

حتى تُطيعوا عليّاً إن طاعته ... دين عليه يُثيب الواحدُ الصمد

من ذا له في قريش مثلُ حالته ... في كلّ مَعمعة أو مثلُه أحد

لو عدد الناسُ ما فيه لما برحتْ ... تثني الخناصر حتى ينفد العدد

هلا سألت بنا والخيل سائحة[1] ... تحت العجاجة والفرسان تطّردُ

وخيل كلب ولخم قد أضر بها ... وقاعنا[2] إذ غدوا للموت فاجتلدوا

من كان أصبر فيها عند أزمتها ... إذا الدماء على أجسادها جسدوا[3]

قال : وجزع أهل الشام على قتلاهم جزعاً شديداً ، فقال معاوية بن حُديج[4] الكندي : يا أهل الشام! قبح الله العيش بعد حوشب وذي الكلاع ، والله لو ظفرنا بأهل العراق بعد هلاكهما[5] بغير مؤنة لما كان ظفراً ؛ فقال يزيد بن أنس : صدقت يابن حديج[4] أو تبكي على قتيل إلى أن تنجلي هذه الفتنة ، فإن يكن الأمر لنا فأوينا وبكينا ، وإن كان لغيرنا فأحرى أن لا نبكي على أحد . قال : وبلغ ذلك معاوية ، فأرسل إلى وجوه أهل الشام فجمعهم ثم قال : يا أهل الشام ! إنكم لستم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم ، والله ما ذو الكلاع فيكم بأجلّ[6] من عمار بن ياسر فيهم ، ولا حوشب ذو الظليم فيكم بأعظم من هاشم بن عتبة ، ولا عبيد الله بن عمر بن الخطاب فيكم بأعظم من عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فيهم ، وما الرجال إلا أشباه ، وما التمحيص إلا من عند الله ، فأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد قتل من القوم ثلاثة وبقي ثلاثة ، قتل عمار بن ياسر وكان فارسهم[7] ؛ وقتل هاشم بن عتبة وكان جمرتهم ؛ وقتل عبد الله بن بديل وكان فاعل الأفاعيل ؛ وبقي الأشتر والأشعث وعدي بن حاتم والله قاتلهم غداً إن شاء الله . قال : فقال معاوية بن حديج : يا معاوية ! إن تكن الرجال عندك أشباهاً فليست عندنا كذلك . قال وغضب

---

(١) في وقعة صفين : شاحبة .

(٢) الوقاع : المقاتلة .

(٣) وقعة صفين : « على أبدنها جُسُدُ » وهذا الأبيات الثلاثة نسبت منه إلى عرفجة بن أبرد الخشني .

(٤) عن وقعة صفين ص ٤٥٥ ، وبالأصل « جريج » تحريف .

(٥) بالأصل « هلاكهم » وفي وقعة صفين : « قتلهما » .

(٦) وقعة صفين ص ٤٥٥ : بأعظم .

(٧) وقعة صفين : فتاهم .

معاوية [من][1] ابن حديج من ذلك، فأنشأ بعض أصحابه يقول في ذلك[2] :

معـاوي قـد نِلْنَـا ونِيْلت سـراتُنـا ... وجُـدِّع أحيـاء الكـلاع ويحصبِ[3]
بـذي كـلع لا يـبـعـد الله دارَه ... وكـلُّ يمـانٍ قـد أصيب بحـوشبِ
ومـا عَـلِقتْ أرمـاحـنـا بـفـوارسٍ ... من القـوم إلا جـدع أنف مـرعب[4]
همـا مـا همـا كـانـا لكـل عـظيمةٍ ... متى مـا أقـولن فيهمـا لا أكـذّب[5]
وليس ابنِ قيس أو عـدي بن حـاتـم ... ولا أشـتـرُ أنـدادهمُ فـي التـجـرّب
ولـو قبلَتْ من هـالـك قبـل فـديـة ... فـديْـتُـهُـمَـا بـالـنفس والأمُ والأب

قال : ثم دعا معاوية بمعاوية بن حديج الكندي فقال : إن الأشعث بن قيس رجل من كندة وهو ابن عمك، وقد أحببتُ أن تكتب إليه تسأله فيه أن يدفع إلينا قتلة عثمان حتى نقتلهم به ونقعد في منازلنا، فقد والله أهلكتْنا هذه الحروب ؛ قال : فكتب معاوية بن حديج إلى الأشعث بن قيس : أما بعد فإنه لن يدخل في الإسلام من ملوك الجاهلية غيرك وغير ذي الكلاع، فأما أنت فنزلت العراق فكنت سيد أهلها، وأما ذو الكلاع فنزل الشام فساد أهلها ؛ ثم وقع هذا البلاء وأخذت أنت علياً، وأخذ ذو الكلاع معاوية، فكان معه إلى أن وافاه أجله ؛ والله ما أنت بالزاري على عثمان ولا بالراضي عن عليّ، وإننا لا نسألك أن تأخذ الشام بالعراق ولا معاوية بعليّ، لكنا نسألك أن تسأل علياً أن يدفع إلينا قتلة عثمان أو يحدث الله ذلك أمراً. قال : ثم كتب إليه بهذه الأبيات :

إنـمـا الشـام كـالـعـراق ولكـن ... دين أهـل العـراق غـيـر الشـام
فـلهـم ديـنـهـم وحـبّ عـليّ ... ولـنـا ديـنـنـا وحـب الإمـام
أفـلا حـاكـم يُـمـيّـز مـا بـيـ ... ـن الفـريقين قبـل يـوم الخصـام
قـد تـرى أنّ بـالـعـراق رجـالاً ... بـمـسـمـيـين مـن رؤوس الأنـام

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) في وقعة صفين : وقال الحضرمي في ذلك شعراً.
(٣) ذو الكلاع ويحصب : قبيلتان (انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم).
(٤) وقعة صفين ص ٤٥٦ : منى قومهم منا بجدع موعب.
(٥) وقعة صفين :

همـا همـا كـانـا، معـاوي، عصمـة ... مـتـى مـا أقـلـه جـهـرة لا أكـذب

كسعيد ومالك وعدي وشريح وذاك فدس اللجام
وزياد وشيخ كندة حجر وابن قيس زحر فغير كهام
لا يراوون بالقبيح ولا يطـ ـمع فيهم منا ذوو الأحلام
ثم فيها أخذُ الحلال من اللـ ـه وقرع السخا وترك الحرام
لا يباري بها سواك من النا س فخذها يابن الملوك العظام

قال : فكتب إليه الأشعث : أما بعد فقد ذكرتني من نعم الله تعالى على ما أسأله المزيد ، وأنا أذكرك من نعم الله عليك ما تعرف ذلك ، وأسألك أهون ما تسألني ، أنت المطاع في أهل الشام فاركب وصِرْ إلى من تخلف عن صاحبي وصاحبك من المهاجرين والأنصار فاسألهم عن الرجلين ، وإن كان عليّ أحق بهذا الأمر من معاوية اعتزلته وأعنتنا عليه ، وأن كان معاوية أحق بهذا الأمر من عليّ اعتزلتهُ وأعنتكم عليه ؛ وأما قولكم إني لست بالزاري على عثمان ولا بالراضي عن عليّ ، فما أغناني عن عثمان وأرضاني عن علي ، وإنما أنا قاتلك مع إمام هدى قد بايعه[1] المهاجرون والأنصار ، وأنت تقاتلني مع رجل استخلفه[2] أهل الشام ليس لهم نصيب في الخلافة ولا في الشورى - والسلام -. قال: ثم كتب إليه بهذه الأبيات :

ويابن حديج وكنت امرءاً مطاع المقال عظيم الحسبْ
ويابن حديج وأنت امرؤ وَرِيُّ الزناد قويم السبب
تَمُتُّ بكم كندةٌ في بنيها وكندة خير ملوك العرب
فهذا المتوّج من نسلهم ونعم الخليفة ممن ذهب
فكان أبوه مليكاً لهم وكان أبوك مكان الذنبْ
هي النار تأكل ما أطعمَتْ إذا أوقدوها وأنت الحطب
دعوتَ ابن قيس إلى خطّةٍ دعاك إلى مثلها فاقترب
فإما أجبتَ ففيها التُقى وإما أبيت ففيها العتب

قال : فلما ورد الكتاب على معاوية بن حديج وفهم شعره غضب ، ثم قال لمعاوية : إنه ما عرّضني لهذا سواك ؛ قال : فقال عتبة بن أبي سفيان : إن الأشعث بن قيس لا يخدع بالكتب ، ولكن أتأذن لي في كلامه شفاهاً ؟ فقال معاوية :

---

(١) بالأصل : بايعوه ، خطأ .
(٢) بالأصل : استخلفوه ، خطأ .

ذاك إليك[1] .

قال : وكان عتبة لا يطاق لشأنه[2] ، فأقبل حتى وقف قريباً من عسكر عليّ رضي الله عنه ثم نادى : أين الأشعث بن قيس ؟ فصاحت الناس : أبا محمد ! هذا عتبة بن أبي سفيان يدعوك ؛ قال : فقال الأشعث بن قيس : إن عتبة غلام مترف ولا بد من كلامه ، ثم أقبل حتى وقف قبالته وقال : هات يا عتبة ما عندك ! فقال عتبة : يا هذا ! إن معاوية لو كان لاقياً من أصحاب عليّ لقيك أنت خاصة لأنك رأس أهل العراق وسيد قبائل كندة ، وقد سلف إليك من عثمان ما سلف ، ولست كأصحابك ، أما الأشتر فإنه ممن قتل عثمان ، وأما عدي فإنه ممن خصّص[3] على قتله ، وأما سعيد بن قيس فإنه قلد علياً[4] دينه ، وأما شريح بن هانىء وزحر بن قيس فإنهما لا يعرفان[5] شيئاً غير الهوى ، فلا تكن ممن حامى عن العراق تكرّماً وقاتل أهل الإسلام[6] حمية وقد[7] بغضنا من بغض ما أرادوا[7] ، إننا لا ندعوك إلى ترك عليّ ونصر معاوية ، وإننا ندعوك إلى البقية[8] التي فيها صلاحك وصلاحنا ـ والسلام ـ .

قال : فقال له الأشعث : إني قد فهمتُ مقالتك يا عتبة ! فأما قولك إن معاوية لا يلقاني فوالله إن لو لقي[9] لما عظم عني ولا صغرتُ عنه ؛ وأما قولك أني رأس أهل العراق وسيد في كندة ، فإن الرأس الآمرُ والسيد المطاع ، فهذان جميعاً لعليّ بن أبي طالب ؛ وأما ما سلف إليّ من عثمان فوالله ما زادني عمله غماً ولا ولايته شرفاً[10] ؛

---

(1) في الإمامة والسياسة ١٣٦/١ أن لقاء عتبة والأشعث كان بطلب من معاوية حيث قال لعتبة : الق الأشعث وألن له كلاماً ، فإنه إن رضي بالصلح رضيت العامة .

(2) في وقعة صفين ص ٤٠٨ « لا يطاق لسانه » .

(3) أي ممن حرض على قتله .

(4) بالأصل : « علي » تحريف .

(5) بالأصل : « فإنهم لا يعرفون » تحريف .

(6) الإمامة والسياسة : الشام .

(7) العبارة في الإمامة والسياسة : وقد والله بلغنا منك ما أردنا ، وبلغت منا ما أردت .

(8) البقية : الإبقاء . تقول العرب للعدو إذا غلب « البقية » أي ابقوا علينا ولا تستأصلونا . قال الأعشى :

قالوا البقية والخطى يأخذهم

(9) الإمامة والسياسة : لقيني .

(10) الإمامة والسياسة : « ولا عمله غنى » وفي وقعة صفين : « ولا عمله عزاً » .

وأمّا عيبك لأصحابي فإنه لا يقرّبك إليّ ؛ وأما محاماتي عن العراق فإنه من نزل بيتنا حميناه ؛ وأما البقية فلستَ أحوج إليها منا وسترى رأينا في ذلك إن شاء الله تعالى ـ والسلام ـ .

قال : وانصرف عتبة إلى أخيه معاوية بغير شيء ؛ فأنشأ النجاشي شاعر علي رضي الله عنه في ذلك يقول :

يـابـن قـيس وحـارث ويـزيـد ... أنـت والله رأس أهـل الـعـراقِ
أنـت والله حيـة تَـنـفـث الـسـ ... ـمّ قـليـل لهـا غِـنـى الـديـارق

أنت كـالشمس والرجـال نجـوم ... لا يـرى ضـوؤهـا مع الإشـراق
قـد حميتَ العـراق بـالأسَـل السمـ ... ـر وبـالبيض كـالبـروق الـرقـاق

وأجبنـاك إذ دعـوت إلى الشـا ... م على لـوبٍ[1] كالسحـوب العتاق
فـوردنـا كـأسَ المنيّـة في الـغـ ... ـمة بالضـرب والطعـان الدقـاق[2]

لا تـرى غـيـر أذرع وأكـف ... ورؤوس بـهـامـهـا أفـلاق
كلمـا قلت قـد تصـرمت الحـر ... بُ سقـانـا كـأس المنيـة سـاقي
قـد قضيت الـذي عليـك من الحـ ... ـق وسـارت بهـا قـلاص الـرقـاق
وبقي حقـك العـظيم على الـنـا ... س وحق الملوك صعب المـراقـي
أنـت حـلوٌ لـمـن تـقـرّب بـالـوُ ... دّ ولـلـشـانـئـيـن مُـرّ الـمـذاق
أتـرى عـتـبـة الـلعـيـن تـراه ... فـوقَ ضخم من الحمـول نِسـاقِ
لابس تـاج جـدّه وأبـيـه ... لـو وقـاه مـن[3] الـمـنـيـة واق

قال : ثم أقبل معاوية على النعمان بن بشير فقال : أبا قيس ! إنني عارف بما تريد أن يكون من الأنصار خاصة بعد عمار بن ياسر ، ولكن هل يتهيأ لك أن تكلم

---

(١) في وقعة صفين ص ٤٠٩ : « القب » والسحوق بالفتح : النخلة الطويلة .
(٢) البيت في وقعة صفين :

وسعـرت الـقـتـال في الـشـام بـالـبـيـ ... ـض الـمـواخـي وبـالـرمـاح الـدقـاق

(٣) وقعة صفين : ردى .

القوم فلعلهم يجيبون إلى أمر من الأمور ؛ فقال النعمان : عليَّ ذلك وأنا صائر إلى القوم[1] .

قال : ثم أقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عسكر علي رضي الله عنه ثم نادى : أيها الناس ! أين قيس بن سعد بن عبادة ؟ فليخرج إليّ ، أنا النعمان بن بشير ! قال : فأقبل قيس بن سعد حتى وقف قبالته ، ثم قال : هات يابن بشير ما عندك ، فقال النعمان : يا قيس ! إنه قد أنصف القارة من راماها[2] ، وقد أنصف من دعا إلى الحق، بأنكم يا معشر الأنصار قد أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقاتلتم[4] أنصاره يوم الجمل ، فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً أيضاً لكان الأمر في ذلك هيناً ، ولكن خذلتم حقاً ونصرتم باطلاً ، ثم لم ترضوا بذلك حتى[3] بغيتم على أهل الشام أشد البغي ، ودعوتم إلى النزال[4] ، ثم لم ينزل لعلي بن أبي طالب أمر قط له ما بعده إلا وهوّنتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر ، والآن فقد أخذت الحرب منا ومنكم ، فاتقوا الله في البقية ـ والسلام ـ .

قال : فضحك قيس بن سعد ثم قال[5] : ما كنت أظن أنك يا نعمان تحتوي على مثل هذا الكلام وتقوم هذا المقام ، أما ذكرك عثمان فقد خذله من هو خير منك ومن أبيك ؛ فأما أهل الجمل فإننا قاتلناهم على النكث ، لأنهم نكثوا بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن بايعوه فقاتلناهم على ذلك ؛ وأما معاوية فوالله لو اجتمعت له العرب قاطبة لقاتلته الأنصار خاصة ؛ وأما ما ذكرت من الحروب فنحن في هيجها كما كنا مع رسول الله ﷺ نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا[6] طليقاً وأحزابياً ! وانظر أين المهاجرون والأنصار ، وأين التابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وانظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك مسلمة بن

---

(١) الخبر في الإمامة والسياسة ١/١٣٠ ـ ١٣١ باختلاف وزيادة . ووقعة صفين ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٢) مثل . مر التعليق عليه .

(٣) الإمامة والسياسة : « وقتلكم » .

(٤) الإمامة والسياسة : حتى أشعلتم الحرب ودعوتم إلى البراز .

(٥) الإمامة والسياسة ١/١٣١ ووقعة صفين ص ٤٤٩ .

(٦) الإمامة والسياسة : إلا طليقاً اعرابياً ، أو يمانياً مستدرجاً .

مخلد ، والله ما أنتما بدريين ولا عقبيين ولا لكما في الإسلام سابقة ، ولئن شغبت علينا اليوم فقد شغب علينا أبوك من قبلك في سقيفة بني ساعدة[1] ، فاعزبْ عني قبّحك الله من ابن عم وقبح ما جئت به .

قال : فانصرف النعمان بن بشير إلى عسكره وهو يقول : لقد كنت غنياً عن كلامك يـابن سعـد بن عبادة . قال : وانصرف قيس بن سعد إلى عسكره وهو يقول :

والـراقصـاتُ بكـل أشعث أغبـر	خُـوص العيون تحثُّهـا الـركبـانُ
مـا ابنُ مخلّد مفلتـاً أسيـافنـا	عـمن[2] نـحـاربـه ولا نـعـمـان
تـركـا العيـانَ وفي العيـان كفـايـة	لـو كان يـدفع صـاحبيـك[3] عيـان
وجـدا معـاويـة بن صخـر شبهـه	فـيهـا الـتلبُّس والـبيـان يُـهـان
ذكـرا ابن عفـان فقلت ألا أربعـا	مـا أنـتمـا سـفهـاً ولا عـثـمـان
مـا تعـدل الأنصـار عنه سـاعـة	والحق فـي الأنصـار والـبـرهـانُ
وجدتْ قريشـاً في الحوادث منطقاً	هـذا الـشـقـيّ وصـهـره مـروان
لم تبسُـطوا كفّـاً لنصـرة هـالـك	لا لا ولا عـصـبت عـليـنـا بـنـان

ذكر القوم الذين أنفذهم معاوية
إلى علي بن أبي طالب يكلمونه في وضع الحرب

قال : وأصبح[4] الناس عازمين[5] على الحرب ، فلم يعبّ[6] معاوية أصحابه كما كان يعبّيهم من قبل ، لكنه وجّه إلى علي بجماعة من قريش وغيرهم من أهل الشـام يكلمونـه ، منهم عمرو بن العـاص وعتبة بن أبي سفيـان وعبـد الـرحمن بن

(١) وكان بشير بن سعد لما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد ، وكان بشير من سادات الخزرج وخطب في الأنصار ومما قاله : إن محمداً رسول الله (ص) رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم (انظر الإمامة والسياسة ٢٦/١) .

(٢) وقعة صفين ص ٤٤٩ : « في من » ويريد بابن مخلد : مسلمة بن مخلد الأنصاري .

(٣) وقعة صفين : تركا البيان . . . لو كان ينفع صاحبيه .

(٤) بالأصل : وأصبحوا .

(٥) بالأصل : عازمون تحريف .

(٦) بالأصل : فلم يعبى .

خالد بن الوليد وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وجماعة من عرب الشام ، فأقبلوا حتى وقفوا قريباً من عسكر علي رضي الله عنه . ثم بعثوا إليه يسألونه أن يأذن لهم في كلامه ؛ فقال عليّ رضي الله عنه ما أمنعهم من ذلك . قال : فأقبلوا حتى دخلوا العسكر ، ثم صاروا إلى عليّ وهو في خيمته ، فسلّموا ، فردّ عليهم السلام ، ومجلسه يومئذ غاصٌّ بالمهاجرين والأنصار ؛ فقال : تكلموا بما أحببتم ! فقال عمرو بن العاص : بل أنت فتكلّم يا أبا الحسن ! فإنك أول من آمن بربنا وبقي حقك العظيم على الناس ، وأنت أول من صدّق بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، وصلى إلى قبلتنا ، ووحّد الله قبلنا ؛ فقال علي : إن أول كلامي أن أثني على الله ربي أحسن الثناء طول الحياة وبعد الممات ، وأحمده على طول العافية وحسن البلاء ، وفي كل حال من شدة ورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين ، فأدّى عن الله ما أمره ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، فصلى الله عليه وسلم كثيراً ؛ ثم إن الله تبارك وتعالى قد ابتلانا أيتها الأمة بما ترون ، والمستعان بالله ولا قوة إلا بالله ، وبعد فالله يعلم أني كنت كارهاً أن أتولى شيئاً من أمور أمة محمد ﷺ ؛ ولكن قوماً أنكروا على عثمان فاجتمعوا على قتله ، فقتلوه وأنا جالس في منزلي لا آمر ولا ناه ، وإنما قتلوه وتذاكروا عني بالبيعة فكرهت ذلك ، ثم إن توكلت على الله وأحببت أن يكون بقية عمري في صلاح أمور الأمة ، فبايعت القوم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، ثم إن جماعة ممن بايعني غدر بي ونكث بيعتي ، فقد حكم الله بيني وبين بعضهم ، والله للباقين بالمرصاد ؛ ألا ! وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبي الله ، فإن تجيبوا إلى ذلك فارشد أصبتم وللخير وفقتم ، وإن تأبوا ذلك لم تروا من الله إلا بعداً ـ والسلام ـ .

قال : فلما فرغ علي من كلامه تكلم عمرو بن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن عثمان ـ رضي الله عنه وجعل ما أصابه كفارة لذنوبه ـ قد كان أفضل أصحاب محمد ﷺ حسباً ونسباً وقدماً وصهراً ، فالله حسيب قاتله وخاذله ، وأيم الله إننا لنعلم أن علياً ومن معه من المهاجرين والأنصار قد كانت لهم سوابق قديمة عظيمة وفضل لا يجهل ، وقد رأينا رأياً نسأل الله تعالى فيه التوفيق لما يحب ويرضى ، ولعل الله تبارك وتعالى يحقن دماءنا ويصلح ذات البين ، وهؤلاء أشرافنا من أهل الشام قد اجتمعوا لذلك ، وكذلك أشراف أهل العراق مجتمعون يا أبا الحسن وأنتم يا معشر من حضر .

قال : فقال علي : تكلموا بما تريدون حتى ننظر ما الذي تطلبـون . قال :
فتكلـم شرحبيـل بن السمط فقال : أما بعد فيا معشـر أهل العـراق ! إن الله تبارك وتعالى قد جعل بيننا حقوقاً عظاماً من الأرحام الماسة والأنساب القـريبة والأصهـار الشابكة ، وقد علمنا يا أبا الحسن ! أن لك سابقة مع رسول الله ﷺ وصهراً وقرابة وفقهاً في الدين وبأساً وتجربة وشرفاً قديماً والله يعلم ، وإنك لتعلم أنا قـد اقتتلنا لحمية الجاهلية بالسيوف الهندية ، لأنها جارات القرب وحصون الحومات ، وأنها بيضة الروم ؛ وأما حرماتكم فإنها بيضة فارس ، وقد رأينا أن تنصرف عنا يا أبا الحسن أنت ومن معك ، فنخلّي بينكم وبين عراقكم وحجازكم وتخلونا بيننـا وبين شامنـا ونحقن دماء المسلمين ؛ والله يعلم أنني قد أتيت بغاية النصيحة وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

قال : فقال علي رضي الله عنه : والله لقد نظرت في هذا الأمر فضربت ظهره وبطنه وأنفه وعينه حتى لقد منعني النوم ، فما وجدته يسعني إلا قتالكم أو الكفر بما جاء به محمـد ﷺ ، وأيم الله لوددت أنني فـديت حقن دماء المسلمين بمهجتي ، ولكن قولوا لصاحبكم هذا حتى يخرج إلى هذه الصحراء . ثم إني أدعو الله ويدعو هو أيضـاً أن يقتل المحق منـا المبطل ، ثم إني أبـارزه فأينـا قتل صـاحبـه ملتم معـه بأجمعكم ؛ فوالله لا يقاتل مع معاوية أحد إلا أكبه الله غداً في نار جهنم .

قال : فالتفت الشامي إلى أصحابه فقال : ما يقعدكم ؟ انهضوا ! فلا والله ما عند هذا الرجل إلا السيف .

قال : فوثب[1] أهل الشام وهم يقـولون : هلكت العـرب ورب محمد . ثم رجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك ، فعلم معاوية أن علياً لا يجيبه إلى شيء مما يريد .
قال : وبات[2] الفريقان ليلتهم تلك ، وليس فيهم أحد ينام لما قد عزموا عليه من مباكرة الحرب .

---

(١) بالأصل : فوثبوا .
(٢) الأصل : وباتوا .

ذكر تحريض أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب على القتال

قال[1] : وخطب علي رضي الله عنه أصحابه بعد أن صلى عشاء الآخرة فقال : الحمد لله الذي يبرم ما قضى وقدر ، فما أبرم فلا ينقضه الناقضون ، وما نقض فلن يبرمه المبرمون ، مع أن الله تعالى لو شاء لما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول[2] حق الفاضل ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد ، وقد ساقتنا وهؤلاء المقادير[3] إلى هذا المكان ، ونحن من الله تعالى بمنظر[4] ومستمع ، ولو شاء الله لانتقم وكان معه التغيير[5] ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ألا ! وإنكم تقاتلون عدوكم غداً فاطلبوا الليلة القيام وأكثروا فيها من تلاوة القرآن واذكروا الله واسألوه النصر ، وعليكم بالحذر والحزم والصبر وكونوا صادقين ، ألا ! وقد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، فإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر[6] لكن القوم على غير دين حتى بلغوا فيكم ما بلغوا ، وأنا غاد عليهم غداً ومحاكمهم إلى رب العالمين .

قال : فوثب[7] الناس إلى سيوفهم فجعلوا يستحدونها ، وإلى رماحهم فجعلوا يسنون أسنتها ، وإلى نصالهم فجعلوا يسوون نصالها[8] . قال : ووقع أمر ليس بالهزل ، وجعل رجل من أصحاب علي يرتجز ويقول[9] :

---

(١) الطبري ٦/٧ ـ ٨ باختلاف .
(٢) الطبري : ذا الفضل فضله .
(٣) الطبري : الأقدار فلفّت بيننا في هذا المكان .
(٤) الطبري : بمرأى ومسمع .
(٥) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .
(٦) الأصل : صبروا .
(٧) الأصل : فوثبوا .
(٨) العبارة في الطبري ٦/٨ : ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها .
(٩) الأرجاز في الطبري ٦/٨ ونسبها إلى كعب بن جعيل التغلبي . (وهو شاعر أهل الشام ، ومن أصحاب معاوية) .

قـد قلتُ والعين سِجـالٌ تنسكب قـد أمست الأمـة في أمـر عجبْ
والملك مجمـوع غـداً لمن غلب والقول عندي صدقه غيـر كذب[1]
إن غـداً يـهلك أعـلام الـعـربْ غـداً نُـلاقي ربنـا فنحتسب
يـا رب لا تشمتْ بنا ولا تعب[2] من يجعـل الأنداد ربّاً والصلب[3]
غـداً يكونـون رمـاداً قـد كتبْ بعـدَ الجمـال والحيـاء والحسب

ذكر تحريض معاوية أصحابه على القتال

قال : ووقع في عسكر معاوية الخوف والحذر والفزع لما قد عزموا عليه إذا أصبحوا ، وجعل معاوية يقول لأصحابه : يا أهل الشام ! اعلموا أنكم تقاتلون غداً إخوانكم من العرب ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا قوماً تطلبون ما عند الله بقتال قوم بغوا عليكم وفللوا من بلادهم حتى نزلوا ببيضتكم ؛ وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم الخليفة عثمان ، فإنه خليفتكم وصهر نبيكم ؛ وإما أن تكونوا تذبون عن حريمكم وحرمكم ، يولوكم بتقوى الله والصبر الجميل . فأنشأ رجل من أصحاب معاوية يقول[4] :

ألا ليت هـذا الليـل أطبق سـرمـدا علينـا وإنّـا لا نـرى بـعـده غـدا
فـإن يـك ليلي خـائبـاً لصباحـه وجـدتُ إلى برج الكـواكب مَصْعدا[5]
وأمـا فـراري فـي البـلاد فـليس لي فـرارٌ[6] وإن جـاوزتُ جـابَلْقَ مبعـدا
حـذارُ عـليٍّ إنّـه غيـر مـخـلفٍ يـداً لـه[7] مـا لبى الملبّون مـوعـدا
فـإني بـه في الليـل ينفض رأسـه على ظهـر خَـوّار الـرحـالـة أجـردا

---

(١) الطبري : فقلت قولاً صادقاً غير كذب .
(٢) وقعة صفين ص ٢٢٦ : تصب .
(٣) وقعة صفين : من خلع الأنداد كلّاً والصلب .
(٤) هو معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم وكان من أصحاب معاويـة ، وكان مبغضاً لمعاوية وأهل الشام ، وكان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامري ويبعث بهـا إلى عليّ ، وكانت أبياته هذه ليذعر أهل الشام ويفزعهم ، وكان معاوية لا يتهمه (وقعة صفين ص ٤٦٨) .
(٥) البيت في وقعة صفين :
ويـا لـيـتـه إن جـاءنـا بـصـبـاحـه وجـدنـا إلى مجـرى الكـواكب مصعـدا
(٦) وقعة صفين : مقام .
(٧) وقعة صفين : مدى الدهر .

يخوض غمارَ الموت في مرجحَنَة ينادون في نقع العجاج محمدا
من أصحاب بدر والنضير وخيبر وأحد يروّون الصفيح المهنّدا
ويومَ حنين جالدوا عن نبيهم جموعاً من الكفار[1] حتى تبدّدا
فقل لابن هندٍ ما الذي أنتَ صانع أتثبت أم ندعوك في الحرب قُعْدُدا[2]

قال : فبلغ معاوية شعره فهمّ بقتله وقال : قاتله الله ! لو أصاب خلف جابلق[3] مكاناً لجاز إليه ؛ قال : فهرب صاحب هذا الشعر في جوف الليل فصار إلى علي رضي الله عنه فكان معه .

قال : ودخل على معاوية من صباح علي وحربه غم شديد وضاق به ذرعاً ، فجعل يشجع نفسه وهو يقول :

يُخوّفني أبو حسن عليٌّ بياضَ الصبح والوقتُ الصباحُ
فابرق ما استطعت فإن قرني حديد لا يُفلّله النِطاح
ودون الشام قد عاينْت طعناً ويعدَ الطعن ضرباً أو كفاح
فإن يقصر غيابك لا أطله وإن تجمَح ففي رأسي جماح
ستأتيكم ململمة طحون كركن الطوق مسبلة رَداحُ
تشيب الناهد العذراء منها فوارسُها بأيديها الرماح
وليس الحربُ يخشوه إذا ما تعاظمت الأمور ولا الجراح
ويذهب ما بقي منا ومنهم وودّوا إننا طُحنا وطاحوا
ألم يك في الذي سلفتْ دليلٌ على أن الوعيد هو الرياح
وإنا لم نزل نغدوا عليهم ورُحنا في مساءتهم وراحوا
تباعاً هكذا شهراً وعشراً كأنّ دماءنا سيلٌ مباح
فما فلّوا لنا حدّاً بحدّ وما منا حريم مستباح
إذا عدّوا لهم يوماً عددنا لنا يوماً يفوز به القداح

قال : فلما تقارب الصبح هبت الناس وتحركوا وصهلت الخيل التي عولت من

(1) وقعة صفين : فريقاً من الأحزاب .

(2) القعدد : بضم القاف والدال ، الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكاره .

(3) جابلق : بأقصى المغرب ، ومدينة من رستاق أصبهان (معجم البلدان) .

الحرب ، وجعل[1] الناس يعقلون ويسبقون ويسرجون ويوثقون آلات ، فأنشأ الأشتر وهو يقول[2] :

قد دنا الفضل للصباح وللسـ ... ـلم رجالٌ وللحروب رجالُ
فرجال الحروب كل خِدَبٍّ ... مقحم لا يهيجه[3] الأهوالُ
يضرب الفارسِ المدجّج[4] في النقـ ... ـع إذا فلّ في الوغى الأكفال[5]
يابن هند شدّ الحيازيمَ للمو ... ت ولا يذهبن بك الآمال
إنّ في الصبح إن بقيتَ لأمر ... يتعوّذْ من شرّه الأبطال[6]
فاصبروا للطعان بالأسل السُمْـ ... ـر وضربٍ يجري به الأمثال
إن تكونوا قتلتم البقر[7] البيـ ... ـض وغالت أولاكُمُ الآجال
فلنا مثلُهم وإن عظُم الخطـ ... ـبُ قليلٌ أمثالُهم أبدال
يحصبون الوشيخ في رهج النقـ ... ـع وللموت بينهم أذيال
طلبوا الفوز في المعاد وفي ذا ... يُستهان النفوسُ والأموال

قال : فكان معاوية إذا ذكر هذا الشعر يقول : شعر منكر قاله فارس العراق .

ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها وصفة ليلة الهرير

قال : وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس ، ودعا علي رضي الله عنه بدرع رسول الله ﷺ فلبسه وبسيف رسول الله ﷺ فتقلده وبعمامة رسول الله ﷺ فاعتجر بها ، ثم دعا بفرس رسول الله ﷺ فاستوى عليه[8] ؛ وجعل

---

(١) بالأصل : وجعلوا .
(٢) وقعة صفين ص ٤٦٩ .
(٣) وقعة صفين : لا تهدّه .
(٤) وقعة صفين : المدجج بالسيف .
(٥) فلّ : هزم . والأكفال : جمع كفل بالكسر ، هو من الرجال الذي يكون في مؤخر الحرب ، يحصر همته في التأخر والهرب والفرار إذا حمي الوطيس .
(٦) وقعة صفين : تتفادى من هوله الأبطال .
(٧) وقعة صفين : النفر .
(٨) واسمه « المرتجز » ويقال إنه ركب بغلة رسول الله (ص) « الشهباء » .

يقول : أيها الناس ! من يبع[1] نفسه يربح هذا اليوم ، فإنه يوم له ما بعده من الأيام ، أما والله ! أن لولا أن تعطل الحدود وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، ألا ! إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ، والصبر خير عواقب الأمور ، ألا ! أنها إحَن بدرية وضغائن أحدية وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبد شمس : ﴿ **فقاتلوا ائمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾[2] .

قال : فقالت المهاجرون والأنصار : يا أمير المؤمنين ! إننا كنا نقاتل معك إلى الساعة على بصيرة ويقين أنك على الحق الواضح ، والآن فقد ازددنا بصيرة ويقيناً بعد إذ قتل بين يديك مثل عمار بن ياسر ، فتقدم أمامنا وها نحن من ورائك .

قال : فتقدم عليٌّ ومعه نيف على عشرة آلاف[3] من بني مذحج ممن يريد الموت قد وضعوا أسيافهم على عواتقهم ما يبين منهم إلاّ الحدق ، وعلي رضي الله عنه يقدمهم وهو يقول :

دُبّوا دبيب النمل لا تفوتوا ... واصبحوا في حربكم وبيتوا
كي ما تنالوا الدين[4] أو تموتوا ... أو لا فإني طال ما عصيتُ
قد قلتم لو جئتنا فجئت ... ليس لكم ما شئتم فشئت
بل ما يريد المحيي المميت

قال : وتبعه عدي بن حاتم الطائي وهو يقول :

أبعد عمار وبعد هاشم ... وابن بديل فارس الملاحم
ترجو البقا من بعد يابن حاتم[5] ... فقد عضضنا امس بالأباهم
فاليومَ لا يُقرَعُ سنٌّ نادم ... لا بدّ أن يحمى حمى المحارم
ليس امرءٌ من يومه بسالم

قال : وتبعه مالك الأشتر وهو يقول :

---

(١) بالأصل : يبيع .

(٢) سورة التوبة الآية ١٢ .

(٣) وقعة صفين ص ٤٠٣ : ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً .

(٤) وقعة صفين : حتى تنالوا الثأر .

(٥) وقعة صفين ص ٤٠٣ : نرجو البقاء مثل حلم الحالم .

حـربٌ بـأطـراف القنـا تـأجّـجُ[1] يـهـلك فـيـهـا الـبـطل الـمـدجَّـجُ
يقـدمهـا[2] هـمـذانهـا ومـذحـج قـومٌ إذا مـا حسمـوهـا انضجـوا
سـيـروا لـبـرّ الله[3] لا تـعـرّجـوا ديـنٌ قـويـم وسـبـيـل مـنـهـجُ

قال : ثم حمل عليّ رضي الله عنه في هؤلاء العشرة آلاف حملة رجل واحد ، فما بقي لأهل الشام صف إلا انتقض وهمدت الناس واحمرت حوافر الخيل بالدماء .

قال : والتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : أبا عبد الله اليوم صبراً وغداً فخراً ؛ فقال عمرو : صدقت يا معاوية ! ولكن اليوم حق والحياة باطل ، وإن حمل عليّ في أصحابه حملة أخرى فهو البراز .

قال : والتفت الأشتر إلى بني عمه فجعل يحرّضهم وهو يقول : يا لمذحج ! عضضتم بصم الجندل ، فما أرضيتم ربكم ولا نكبتم له في عدوكم ، وأنتم أبناء العرب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصياح ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران ، ومذحج الطعان . ثم حمل وحملت معه قبائل العرب من مذحج ، فتحيرت أهل الشام من فعالهم ؛ والأشتر يومئذ على فرس له أدهم ذنوب ، في يده صفيحة له يمانية ، إذا طأطأها خلْتَ فيها لهيباً[4] ، وإذا رفعها يغشى البصر[5] من شعاعها ، فهو يضرب بها قدماً قدماً ، فلا يصمد لكتيبة إلا كشفها وهو يقول :

أهـلي فـداكم قـاتـلوا عـن دينـكـم فـالـجبـن عن أعـدائـكم يـشيـنكـم
والله إن نـاصـحـتُـم يـعـيـنـكـم فـاحمُـوا حِمـاكم وامنعـوا قـطينكم

قال : ثم حمل فطاعن حتى كسر رمحه على قربوص سرجه ووقف وهو يقول :

نـحن بـنـو الحـرب بـهـا غـذينـا الـغـمـرات ثـم تـنـجـلـيـنـا[6]

(١) وقعة صفين ص ٤٠٤ : حرب بأسباب الردى تأجج .
(٢) وقعة صفين : يكفيكها .
(٣) وقعة صفين : روحوا إلى الله .
(٤) في وقعة صفين ص ٢٥٤ : خلت فيها ماء منصباً .
(٥) يغشى البصر أي يذهب به ، وفي قوله تعالى : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وترد : يعشى ، والعشا : ضعف الإبصار .
(٦) في أمثال الميداني : هو للأغلب العجلي . وفيه : غمرات ثم ينجلين ، وانظر جمهرة العسكري في الكلام على هذا المثل .

قال : فقال رجل من أصحاب عليّ لله درّ هذا الرجل لو كانت له نية ، ولكن أظن أنه إنما يقاتل هذا القتال رياء وسمعة ، ولا أظنه يريد بفعاله هذا ما عند الله .

قال : فبلغ كلامه الأشتر ، فغضب من ذلك ثم أنشأ يقول :

أيها الجاهل المسيء بي الظن ... ليس مثلي يجوز فيه الظنونُ
لستُ ممن باع الهدى بهواه ... إنّ من باع دينَه مغبون
إنما يطلب المتاعَ من النا ... س سفيهٌ في رأيه مفتونُ
حسبي الله في الحوادث والرمـ ... ـحُ وسيفٌ مهنّد مسنون
ودِلاص مثل الإضاء وطرف ... أعوجيٌّ كأنه مجنون
وهوايَ الذي يقرّبه العيـ ... ـنُ وبالحق قد تقرّ العيون
إن مثلي من الرجال قليلٌ ... حين يبدو من النساء البرين
هكذا كنتُ يا فوارس لخمٍ ... وكذا في الذي يكونُ أكون

قال : فندم اللخمي على ما قال في الأشتر ، ثم أنشأ يقول :

أصابت ظنوني في رجال كثيرةٍ ... واخطأتُ في ظني بأشترِ مالكِ
وما كان فيما قلتُ إثمٌ وإنما ... ترضّيته أن لا أعود لذلك
ظننتُ به ظني بعمروٍ فإنه ... وصاحبه راما عظيم المهالك

قال : وزالت الشمس وذهب وقت الصلاة والحرب قائمة على ساق ؛ قال : وصاح عليّ رضي الله عنه بالمهاجرين والأنصار فقال : إن الفرار عن الحرب في مثل هذا اليوم إرداد عن الحق ورغبة عن دين الإسلام ، أما سمعتم الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجٰهدين منكم والصٰبرين ونبلوا أخباركم ﴾[1] فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة ؟

قال : فكان أول من تقدم أبو الهيثم بن التيهان[2] وجعل يرتجز ويقول :

أجمدُ ربي وهو الحميد ... ذاك الذي يفعل ما يريدُ
ذاك الذي عذابُه شديدُ ... من ينجُ منه فهو السعيد
هذا عليٌّ ما له نديد ... دين قويمٌ وهو الرشيد

---

(١) سورة محمد الآية ٣١ .

(٢) عن الطبري والإصابة ، وفي الأصل : « النبهان » تحريف . واسمه مالك بن التيهان .

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله ! فرثته امرأة من الأنصار فأنشأت تقول شعراً[1] .

قال : ثم تقدم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فجعل يرتجز ويقول[2] :

قد مرّ يومان وهذا الثالثُ ... هذا الذي يبحَث فيه الباحثُ
هذا الذي يلهث فيه اللاهث ... يوم عبوس والعبوس كارث
كم ذا يُرجّى أن يعيش الماكث ... والناس موروث وفيهم[3] وارث
هذا عليٌّ مَن عصاه ناكث

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله ! فقالت فيه ابنته منيعة[4] هذه الأبيات :

عينُ جُودي على خزيمة بالدمـ ... ـع قتيلِ الأحزاب يومَ الفراتِ
قتلوا ذا الشهادتين عيانا[5] ... أدرَكَ الله منهم بالترات
قتلوه في فتية غير عُزْل ... يُسرعون الركوبَ للدعوات
نصروا أحمدَ الموفّقَ ذا العد ... لِ فدانوا بذاك حتى الممات
قبح[6] الله معشراً قتلوهُ ... ورموه[7] بالخزي والآفاتِ

قال : وتقدم خالد وخلدة ابنا أبي خالد الأنصاري[8] ، فجعل خالد يرتجز ويقول :

---

(١) وفي وقعة صفين ص ٣٦٥ : وقالت أمينة الأنصارية ترثي مالكاً :

منع اليوم أن أذوق رقادا ... مالك إذ مضى وكان عمادا
يا أبا الهيثم بن تيهان إني ... صرت للسهم معدنا ووسادا
إذ غدا الفاسق الكفور عليهم ... إنه كان مثلها معتادا
أصبحوا مثل من ثوى يوم أحدٍ ... يرحم الله تلكم الأجسادا

(٢) وقعة صفين ص ٣٩٨ .

(٣) وقعة صفين : ومنهم .

(٤) وقعة صفين ص ٣٦٥ : ضبيعة .

(٥) وقعة صفين : عتواً .

(٦) وقعة صفين : لعن .

(٧) وقعة صفين : ورماهم .

(٨) في أسد الغابة ٧٨/٢ خالد بن أبي خالد غير منسوب . ممن شهد مع علي (رض) من صحابة النبي (ص) .
وورد فيه ١٢٢/٢ خلدة الأنصاري الزرقي . صحابي .

هذا عليٌّ والهدى يقودُه من خير عيدان قريشٍ عوده
لا يسأم الطعنَ ولا يؤوده لكنّه يلهبها وقوده
وكل مَن يُقرن به يسوده

قال : وجعل خلدة يرتجز ويقول[1] :

هذا عليّ والهدى أمامه هذا لوا نبيّنا قدّامه
يقحمه عند الوغى إقدامُه[2] لا عيبه يخشى ولا أثامه
لا يكره الطعنَ ولا يسامه منه غداه وبه إدامه

ثم حملا فقاتلا حتى قتلا جميعاً رحمهما الله[3] .

قال : ثم تقدم جندب بن زهير وهو يقول :

أقول لمّا قد رأيت المعمعهْ واختلط الجمعانِ وسطَ البلقعهْ
هذا عليّ والهدى حقاً معهْ يا ربّ فاحفظه ولا تضيّعهْ
فإنه يخشاك ربي فارفعه ومن أراد كيدَه فضعضعه
إذا رامه بالبغي منه فاقمعه واسفكْ إلهي دمه وجعجعه
صهرُ النبي المصطفى قد طاوعه أول من بايعه وتابعه
نحن نصرناه على من نازعه

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه .

قال : وبكى الأشتر فقال له علي رضي الله عنه : ما يبكيك ؟ لا أبكى الله عيناك ! فقال : أبكي يا أمير المؤمنين لأني أرى الناس يقتلون بين يديك وأنا لا أرزق الشهادة فأفوز بها ، فقال له علي رضي الله عنه : أبشر بالخير يا مالك ! ثم تمثل عليّ رضي الله عنه بهذا البيت :

أيّ يوميك من الموت تفر يوم لا يقدر أو يومَ قدرْ[4]

---

(١) الأرجاز في وقعة صفين ص ٣٩٨ ونسبها إلى خالد بن خالد الأنصاري .

(٢) وقعة صفين : يقحمه في بقعة اقدامه .

(٣) بالأصل : « ثم حملوا فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً رحمهم الله » . وفي وقعة صفين أن خالد طعن ساعة ثم رجع .

(٤) في مروج الذهب ٢/٤٢٨ :

من أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر

قال : ونظر[1] أصحاب عليّ إلى قوم من أصحاب معاوية قد وقفوا على تل عظيم ، فحلموا عليهم حتى خالطوهم ، ثم ضاربوهم حتى أزالوهم عن ذلك التلّ ، وقتلوا منهم جماعة ؛ فأنشأ المعدل بن نائل العجلي يقول :

لستُ أنسى مقام غسان بالتـ ... ـلّ ولو عشتُ ما أظلّ الغمامُ[2]

إنهم للخيول أحلاسُ صدق ... عند هيجائها وعند الضرامِ

سادةٌ قادةٌ [هُم و] إذا اغْصَوْ ... صَبَ يوم القراع خير الكهامِ

فهم الناسُ إن ذكرت أناساً ... وهم الغُرّ في ذُرى الأعلامِ

ناوشونا غداةَ سرنا إليهم ... بالعوالي وبالسيوف الدوامي

فتولّوا ولم يُعينوا جميعاً ... عند وقع السيوف عند الزحامِ

وأصبنا بكل كهلٍ كريمٍ ... صادق البأس سيّد قمقامِ

ذكر صفة ليلة الهرير

قال : وقامت الفرسان في الركب فاصطفقوا بالسيوف وارتفع الرهج وثار[3] القتام وتضعضعت الرايات وحطت الألوية[4] ، وغابت الشمس[5] وذهبت مواقيت الصلاة حتى ما كان في الفريقين أحد يصلي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة ، ولا كانت الصلاة إلا بالتكبير والإيماء نحو القبلة .

قال : وهجم عليهم الليل واشتدت الحرب ، وهذه ليلة الهرير ، فجعل بعضهم يهرّ على بعض ، ويعتنق بعضهم بعضاً ، ويكرم بعضهم بعضاً[6] .

قال : وجعل عليّ رضي الله عنه يقف ساعة بعد ساعة ويرفع رأسه إلى السماء وهو يقول[7] : اللهم ! إليك نقلت الأقدام وإليك أفْضَت[8] القلوب ورفعت الأيدي

---

(1) بالأصل : ونظروا .

(2) في البيت اقواء .

(3) مروج الذهب ٤٣١/٢ : « وارتفع القتام » . والقتام الغبار المتصاعد من شدة المجاولة خلال المعركة .

(4) وضلّت الألوية والرايات . وفي مروج الذهب ٤٣١/٢ : وتقطعت الألوية والرايات .

(5) مروج الذهب : وكسفت الشمس .

(6) في مروج الذهب : وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعاً على الأرض عن فرسيهما .

(7) نهج البلاغة كتاب رقم ١٥ : إذا لقي العدو محارباً . ووقعة صفين ص ٤٧٧ . باختلاف النصوص .

(8) أفضت : انتهت ووصلت (شرح محمد عبده ـ نهج البلاغة) .

ومدت الأعناق وطلبت الحوائج وشخصت الأبصار ، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ! ثم إنه حمل في سواد الليل وحملت الناس معه ، فكلما قتل بيده رجلاً من أهل الشام كبر تكبيرة حتى أحصى له كذا كذا تكبيرة . قال أبو محمد[١] : أحصي له خمسمائة تكبيرة وثلاث[٢] وعشرون تكبيرة[٣] ، في كل تكبيرة له قتيل ؛ قال : وكان إذا علا قَد وإذا وسط قطَّ .

قال : وجعلت المشايخ من أهل الشام ينادون في تلك الغمرات : يا قوم ! الله الله في البقية ! الله الله في الحرم والذرية ! والناس يقتتلون ليلتهم تلك حتى أصبحوا ، وقد قتل من القوم تلك الليلة ستة وثلاثون ألفاً من جحاجحة العرب ، وليس فيهم أحد يكيع عن صاحبه . قال : فطلعت الشمس وتعالى النهار وذلك في يوم الجمعة والسيوف تأخذ هام الرجال .

ذكر رفع المصاحف على رؤوس الرماح

قال : فقال معاوية لعمرو بن العاص : الله ويحك أبا عبد الله ! أين حيلك التي كنت أعرفها منك ؟ فقال عمرو : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن تسكن هذه الحروب ، فقد أبيد أهل الشام ، وإني لأعلم إن دام هذا الحرب يومنا هذا لم يبق بأرض الشام أحد يحمل سلاحنا ؛ فقال عمرو : إن أحببت ذلك فأمر بالمصاحف أن ترفع على رؤوس الرماح ثم ادعهم[٤] إليها ، فإنك إن فعلت ذلك لم يقاتل أحد أحداً ؛ فهذه حيلتي ومكيدتي التي لم أزل أدخرها لك ، فعجّل برفع المصاحف ، قال : فلما سمعت أهل الشام ذلك قال بعضهم لبعض : صدق عمرو ، وهذه حيلة ما سبقه إليها أحد .

قال : فأمر معاوية بالمصاحف فرفعت على رؤوس الرماح ، وصاح[٥] أهل الشام : يا علي ! يا علي ! اتق الله اتق الله ! أنت وأصحابك في هذه البقية ، هذا

---

(١) هو ابن الأعثم الكوفي ، المؤلف .
(٢) بالأصل : ثلاثة .
(٣) في مروج الذهب ٢/٤٣١ : كان جملة من قتل علي بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم .
(٤) الأصل : ادعوهم .
(٥) بالأصل : وصاحوا .

كتاب الله بيننا وبينكم . قال : ثم أتوا بالمصاحف وبالمصحف الأعظم وهو مصحف عثمان بن عفان ، فربطوه على أربعة أرماح[1] ثم رفعوه ونادوا : يا أهل العراق ! هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فالله الله في البقية والحرم والذرية الصغار ! قال : وجعل رجل ينادي بأعلى صوته وهو يقول[2] :

(فـ) أهل[3] العراق أجيبوا الدعاءَ ... فقد بلغتْ غاية الشدةِ
وقد أودت الحربُ بالعالمين ... وأهلَ الحفائظ والنجدةِ
فلسنا ولستم من المشركينَ ... ولا المجمعين على الردّة
ولكن أناسٌ لقوا مثلهم ... لنا عدّةٌ ولهم عدّةُ[4]
فقاتل كل على وجهه ... يقحّمه الجد والجدّةُ[4]
فإن تقبلوها ففيها البقاءَ ... وأمنُ الفريقين والبلدةِ
وإن تدفعوها ففيها الفناءُ ... وكل بلاء إلى المدّة[5]
فحتى متى محضُ هذا الشقاءِ[6] ... ولا بدّ أن يخرج الزبدةُ[4]
ثلاثة رهط هم أهلها ... وإن رعدت فيهم رعدة[7]
سعيدُ بنُ قيس وكبش العراقِ ... وذاك المسودُّ من كندة

ذكر امتناع القوم من القتال

قال : فعندها وثب الأشعث إلى عليّ فقال[8] : يا أمير المؤمنين ! أجب القوم إلى كتاب الله ، وإلا والله لم يرم معك يمانيّ بسهم ولم يضرب معك بسيف ولم يطعن معك برمح ؛ فقال علي : ويحك والله ما رفعوا لكم هذه المصاحف إلا خديعة ومكيدة ! فقال الأشعث : لا والله ما نأبى ذلك أبداً ، فإن شئت فأذن لي أن آتي

---

(١) في الأخبار الطوال ص ١٨٩ : ربط على خمسة أرماح ، يحملها خمسة رجال وانظر وقعة صفين ص ٤٧٨ .
(٢) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٨٣ لإنسان من أهل الشام .
(٣) وقعة صفين : رؤوس .
(٤) في البيت اقواء . وفي وقعة صفين جعل القافية في الأبيات ساكنة .
(٥) وقعة صفين : مدة .
(٦) وقعة صفين : وحتى متى مخض هذا السقاء .
(٧) وقعة صفين : وإن يسكتوا تخمد الواقدة .
(٨) قارن مقالة الأشعث مع مروج الذهب ٤٣٣/٢ الأخبار الطوال ص ١٩٠ وقعة صفين ص ٤٨٢ الطبري ٢٨/٦ .

معاوية فأسأله عن هذه المصاحف لماذا رفعت ؟ فقال عليّ رضي الله عنه[١] : ذاك إليك .

قال : فأقبل الأشعث حتى وقف قريباً من معاوية ، ثم قال : يا معاوية ! لماذا رفعتم هذه المصاحف ؟ فقال : رفعناها لكي نتفق نحن وأنتم عليها . قال : فرجع الأشعث إلى علي فأخبره بذلك .

قال : ثم تقدم رجل من أهل الشام على فرس له أبلق ، وفي يده مصحف قد فتحه ، ثم وقف بين الجمعين[٢] وجعل يقرأ : **﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتٰب يدعون إلى كتٰب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون * ﴾**[٣] ، وقوله : **﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * ﴾**[٤] ، وقوله تعالى : **﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظٰلمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون * ﴾**[٥] .

قال : وماجت الناس في عسكر علي ، فقالت[٦] جماعة : قد أكلتنا هذه الحروب وقلت الرجال . وقال قوم : نقاتل اليوم على ما قاتلنا أمس وإن لم يبق منا إلا القليل .

قال : ثم وثب شقيق بن ثور البكري[٧] فقال : يا أهل العراق ! إنكم تعلمون أننا كنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله عزَّ وجلّ[٨] ، فإن رددناه[٩] عليهم حلّ لهم منا

---

(١) الطبري : ائته إن شئت فسله .

(٢) هو أبو الأعور السلمي (الأخبار الطوال ص ١٨٩) .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٣ .

(٤) سورة النور الآية ٤٨ .

(٥) سورة النور الآيات ٤٩ - ٥١ .

(٦) بالأصل : فقالوا .

(٧) كذا بالأصل ووقعة صفين ص ٤٨٥ وفي الأخبار الطوال ص ١٨٩ : النكري وفي الإمامة والسياسة ١٣٩/١ سفيان بن ثور .

(٨) زيد في الأخبار الطوال : فردوا علينا ، فاستحللنا قتالهم .

(٩) عن الأخبار الطوال ، وبالأصل : ارددنا .

ما حلّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله ، وأن علياً رضي الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكلتنا هذه الحروب ، ولسنا نرى إلا البقاء في الموادعة ـ والسلام ـ .

قال : ثم وثب هانىء أو كردوس بن هانىء البكري[1] فقال : أيها الناس ! إننا ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا برئنا من علي منذ توليناه ، وقد علمنا أن قتلانا شهداء وأحياءنا أبرار ، وأن علياً لعلى بينة من ربه وما أحب إلا الإنصاف ، وكل محق منصف ، فمن سالمه نجا ومن خالفه هلك[2] .

قال : ثم وثب خالد بن معمر السدوسي فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا ما أخرنا هذه المقالة إلا أن يكون[3] أحدى أولى بهذا الكلام منا غير أننا جعلناه ذخراً لنا ، وقلنا أحب الأمور إلينا ما كفينا مؤنته ، فأما إذ سبقنا إلى الكلام فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك إليه القوم ، فإن رأيت ذلك فأجبهم إليه وإن لم تر ذلك فرأيك أفضل .

قال : ثم وثب الحضين بن المنذر[4] وكان أصغر القوم سناً فقال : أيها الناس ! إنما بُني هذا الدين على التسليم فلا تعملوا فيه بالقياس ، ولا تهدموه بالشبهة[5] ، وأمير المؤمنين فهو المصدّق بما قال والمأمون على ما فعل ، فإن قال : لا . قلنا : لا ، وإن قال : نعم ، قلنا : نعم .

قال : فوثب رفاعة بن شداد البجلي وكان من أفاضل أصحاب عليّ رضي الله عنه ، فقال : أيها الناس ! إنه لا يفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه في أول أمرنا ، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعد بلاء شديد وقتل ذريع ، وإن تكن الأخرى أثرناها عجاجة[6] ، فهذه سيوفنا في

---

(١) في الإمامة والسياسة ١٣٩/١ والأخبار الطوال ص ١٨٩ : كردوس بن هانىء البكري (وهو من ربيعة) .

(٢) الإمامة والسياسة : هوى .

(٣) الإمامة والسياسة : ١٤٠/١ : يكون أحد أولى به منا .

(٤) عن الطبري والأخبار الطوال ومروج الذهب ، وبالأصل : « الحسن بن المنور » وفي الإمامة والسياسة : الحضين .

(٥) وقعة صفين ص ٤٨٥ : بالشفقة .

(٦) وقعة صفين ص ٤٨٨ : جذعة .

رقابنا وأرماحنا في أكفنا ؛ ثم أنشأ يقول[1] :

تـطاول ليلي بـالهمـوم الحـواضـر ... وقتلى أصيبت من رؤوس العشـائـر[2]

بـصفّينَ أمسـوا والحـوادث جـمـةٌ ... يهيـل عليهـا التـربَ ذيـلُ الأعـاصـر

فـإنـهُم في ملتقى الحـرب بُكـرةً ... وقـد جـالت الأبـطال دون المشـاعـر

فـإن تـك أهـل الشـام نـالـوا سـراتَنـا ... فقـد نيـل منهم مثلُهم جَـزْرَ جـاذر[3]

وفـار سجـالُ الـدمـع منـا ومنهُـم ... يُـبَكِّـيْـنَ قـتْـلَى غيـرَ ذاتِ مـقـابـر

فـإن يستقلّ اليـوم مـا كـان بيننـا ... وبينـهُم إحـدى الـليـالي الـغـوابـرِ

ومـاذا علينـا أن تُـريـحَ سيـوفَنـا ... إلـى مُـدّة من بيضـنـا والمـغـافـر

ومن نصبنـا وسطَ العجـاج جبـاهنـا ... كفـاحـاً كفـاحـاً بـالسيوف البـواتـر[4]

وطعنـاً إذا نـادى المنـادي أن اركبـوا ... صـدور المذاكي بـالـرمـاح الخـواطـر

ونحن ضـربنـاهم على رأس أمـرنـا ... فـإن حكمـوا فينـا حكـومـةَ جـائـر

أثـرنـا التي كـانـت بصـفـين بُكـرةً ... ولم نـكُ في تـسعيـرهـا بعـواثـر

وإن حكمـوا بـالحق كـانت سـلامـة ... وإلا أثـرنـاهـا بـيـوم قـمـاطـر[5]

قال : ثم وثب إلى علي يومئذ زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شائلين سيوفهم على عواتقهم قد اسودت خيولهم[6] من كثرة الغبار ، ومعهم عصابة من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج ؛ فقال له رجل منهم[7] : يا علي ! أنت تعلم أننا إنما قتلنا عثمان بن عفان حين غلبنا وأبى علينا أن يعمل بما في كتاب الله أو نجيب إليه ، وأجب القوم إلى ما دعوك إليه من كتاب الله فقد أنصفوك ، وإلا والله دفعناك إليهم برغمك أو قتلناك كما قتلنا عثمان بن عفان والله لنفعلَنَها بك إن لم تجب القوم إلى كتاب الله .

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤٨٨ .

(٢) في وقعة صفين : المعاشر .

(٣) وقعة صفين : مثل جزرة جازر .

(٤) وقعة صفين : لوقع السيوف المرهفات البواتر .

(٥) وقعة صفين : ورأي وقانا منه من شؤم ثائر .

(٦) في وقعة صفين ص ٤٨٩ : اسودت جباههم من السجود .

(٧) في الطبري ٦/٢٧ فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك .

(وانظر الإمامة والسياسة ١/١٤٨ وقعة صفين ص ٤٨٩ ، الأخبار الطوال ص ١٩١) .

قال : فنظر علي رضي الله عنه ساعة ثم قال : يا هؤلاء ! إني أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من أجاب إليه ، ولا يحل لنا إلا الإجابة إليه ، غير أني كنت أمس أميراً فأصبحتُ اليوم مأموراً ، وكنت أمس ناهياً فأصبحت منهياً ، وأراكم قد أحببتم البقاء وكرهتم الحرب ، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون . قالوا : فابعث إذاً إلى الأشتر فادعه[1] إليك فإنه ما يفتر عن الحرب .

قال : وكان الأشتر رحمه الله أشرف على دخول عسكر معاوية فأرسل إليه علي رضي الله عنه رسولاً[2] أن ارجع ، فقال الأشتر للرسول : قل لأمير المؤمنين : ليس هذا وقت ينبغي لك أن تزيلني فيه عن موقفي .

قال : فارتفع الرهج وعلت الأصوات من ناحية الأشتر ، فقال القوم : إننا إنما سألناك أن ترد الأشتر ولم نسألك أن تأمره بالحرب ؛ فقال علي رضي الله عنه : وكيف علمتم أني أمرته بالحرب ؟ هل رأيتموني وأنا أسارّ الرسول ؟ ألم أكلمه وأنتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك . قال : فقال علي رضي الله عنه لرجل من أصحابه[3] : اذهب إليه فقل له : ويحك ! أقبل فإن الفتنة قد وقعت[4] .

قال : فجاءه الرسول بالرسالة من عند علي رضي الله عنه ، فقال الأشتر : لعل أمير المؤمنين إنما يدعوني لأجل هذه المصاحف التي رفعت ؟ قال الرسول : نعم فارجع ؛ فقال الأشتر رحمه الله : أما والله لقد علمت[5] حين رفعت أنها ستلقي اختلافاً وفرقة ، وأنها مشورة ابن النابغة[6] عمرو بن العاص ؛ ثم قال للرسول : ويحك ! أمهلني ساعة فإني قد تقاربت من الفتح ؛ فقال له الرسول : أفتحب أن تظفر وأمير المؤمنين بمكانه ذلك ؟ فقال الأشتر : سبحان الله ! لا والله ما أحب ذلك ؛ قال : فارجع فإن القراء قد قالوا له : ابعث إلى الأشتر فليأتك وإلاّ قتلناك كما قتلنا عثمان .

---

(١) بالأصل : فادعوه .

(٢) هو يزيد بن هانىء السبيعي (الطبري ٦/٢٧ الأخبار الطوال ص ١٩٠ وقعة صفين ص ٤٩٠) .

(٣) هو يزيد بن هانىء أيضاً ، وكان قد عاد من عند الأشتر وأخبر علياً برد الأشتر وجوابه .

(٤) عن الأخبار الطوال والطبري ، وبالأصل : وقفت .

(٥) الطبري والأخبار الطوال : لقد ظننت بها حين رفعت .

(٦) الطبري : ابن العاهرة .

قال : فانصرف الأشتر مغضباً وهو يقول : يا أهل العراق ! يا أهل الرهن[1] والوهن ! ويلكم الآن حين علوتموهم بالطعن والضرب وعلموا أنكم قاهرون رفعوا لكم هذه المصاحف خديعة ومكراً ، ثم دعوكم إليها ! فقال الأشعث بن قيس : يا هذا ! إننا قاتلناهم لله عزَّ وجلّ ، وندع الساعة قتالهم لله عزَّ وجلّ ؛ قال : فقال الأشتر : ويحكم ! فأمهلوني ساعة فلقد أحسست بالفتح وأيقنت بالظفر ؛ فقالوا : لا ، قال : فأمهلوني عدوة فرسي[2] ، فإني قد طمعت في النصر ، فقالوا : إذاً ندخل معك في خطيئتك ، فإنهم قد دعونا إلى كتاب الله عزَّ وجلّ ، فقال الأشتر : إنه قد قتل أماثلكم[3] وبقي أراذلكم ، وقد كنتم إلى الساعة محقين ، فإن تركتم قتالكم تكونوا مبطلين[4] ؟ قال : فصاحت به القراء وغيرهم من الناس وقالوا : دعنا منك يا أشتر ، فإننا لا نطيعك ولن نطيع صاحبك ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح ندعى إليها . فقال الأشتر : لا والله ولكن خدعتم فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . ثم أقبل على أولئك القراء فقال : يا أصحاب الجباه السود ! كنا نظن أن صلاتكم[5] زهادة في الدنيا وتشوقاً في الآخرة ، وأنا والله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا ، فقبحاً لكم وبُعداً كما بَعِد القوم الظالمون .

قال : فسبوه وسبهم ، وضربوا بسياطهم وجه فرسه وضرب بسوطه وجوه دوابهم ، وهموا به وهمّ بهم ؛ وأعانه[6] بنو عمه ، وكادت الفتنة أن تقع بين القوم حتى سكنهم عليّ وقال : كفوا عنه ما لكم وله .

قال : فتكلم رجل من أصحاب علي رضي الله عنه وقال : يا هذا ! إن أمير المؤمنين قد قبل الحق ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلا ذلك فلا تقتل نفسك ؛

---

(١) الطبري والأخبار الطوال : الذل .

(٢) في الأخبار الطوال : امهلوني فواقاً . والفواق بضم الفاء وبفتحها ما بين الحلبتين من الوقت ، فالناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ، ثم تحلب .

(٣) الأخبار الطوال : خياركم .

(٤) في الأخبار الطوال ص ١٩٠ : قال : ويحكم ، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقي أراذلكم ، فمتى كنتم محقين ، أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكتم ؟ فما حال قتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم ، أفي الجنة أم في النار ؟ وانظر عبارة الطبري ٦/٢٨ ووقعة صفين ص ٤٩١ .

(٥) في الأخبار الطوال : إن صلاتكم عبادة وشوق إلى الجنة .

(٦) بالأصل : وأعانوه .

فقال الأشتر : إن كان أمير المؤمنين قد رضي فقد رضيتُ بما رضي به أمير المؤمنين .

قال : فكان معاوية بعد ذلك يقول : والله لقد رجع عني الأشتر يوم رفع المصاحف وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من عليّ ، وقد هممت ذلك اليوم بالهرب ولكن ذكرت قول عمرو بن الأطنابة حيث يقول[1] :

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيحِ
وإعطائي[2] على المكروه مالي[3] ... وضربي هامة البطل المشيحِ[4]
وقولي كلما جشأتْ وجاشت[5] ... مكانكِ تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ ... وأحمي بعدُ عن عِرضٍ صحيح
بذي شطبٍ كلون الملح صافٍ ... ونفسٍ ما تقرّ على القبيح

ثم رجعنا إلى الخبر

قال : فقال علي رضي الله عنه : أيها الناس ! إنه ليس مع كتاب الله تعالى أمر ولا مع حكمه حكم ، هذا كتاب الله قد دعانا القوم إليه وأنا أحب أن أحيي ما أحيى القرآن وأميت ما أمات القرآن ، وقد علمتم أننا كنا مع رسول الله ﷺ في يوم الحديبية فأردنا أن نقاتل إنكاراً للصلح حتى نهانا عن ذلك رسول الله ﷺ ، فإن أهل الشام إنما دعونا إلى كتاب الله عزَّ وجلّ اضطراراً ونجيبهم اعذاراً ، واسكنوا حتى ننظر ما الذي يريدون أن يصنعوا .

قال : فوثب حريث بن جابر البكري فقال : أيها الناس ! إنكم قد سمعتم كلام أمير المؤمنين فاسمعوا كلامي ، إن أمير المؤمنين لو كان خلوّاً من هذا الأمر لكان المفزع[6] إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه[7] ! إنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر

---

(١) الخبر في الكامل للمبرد ١٤٣٤/٣ وأمالي القالي ٢٥٨/١ عيون الأخبار ١٢٦/١ ومعجم المرزباني ص ٢٠٤ وديوان المعاني ١١٤/١ . ورواية الأبيات في حماسة البحتري ولباب الآداب ص ٢٢٣ . والطبري ١٣/٦ .

(٢) في الكامل للمبرد : واجشامي ، وفي معجم المرزباني : وإكراهي . وفي عيون الأخبار ولباب الآداب واللسان : واقدامي . وفي الطبري : وإعطائي .

(٣) المبرد : نفسي .

(٤) المشيح : أشاح الرجل إشاحة فهو مشيح : حاذر من الأمر .

(٥) جشأت وجاشت : نهضت نفسه إليه .

(٦) الإمامة والسياسة ١١٩/١ المرجع .

(٧) الإمامة والسياسة : وسابقه .

الذي دعاهم إليه أمس ، ولو ردّه عليهم لكنتم عليه أعتب[1]، فلا يلحد في هذا الأمر إلا ورجع على عقبيه أو يستدرج الذين تعرضوا بيننا وبين من طعن على أمير المؤمنين بعد هذا الأمر إلا بالسيف ؛ ثم أنشأ يقول :

أتـى نبـأ مـن الأنبـاء ينـمـي ... وقـد يشقى من الخبـر الخبيـرُ
وقـد جـاء معـاويـة بـن حرب ... بـأمـر قـد تضيـق بـه الصـدور
فمـا أحيى القـرآن [و] وحْيَ لكـن ... متى حـاروا فمـخّ القـوم زيـر
فـلا تعجـلْ معـاويـة بن حـرب ... وإن سـرورَ مـا تـهـوى غـرورُ
فـإنـك والخـلافـةُ يـابـن حـرب ... لـكـالحـادي ولـيس لـه بعـيـر

قال : ثم وثب جماعة من بني بكر بن وائل ، منهم حريث بن جابر وخالد بن معمر وشقيق بن ثور وكردوس بن عبد الله[2] إلى علي رضي الله عنه فقالوا : ما ترى يا أمير المؤمنين ؟ إن أجبت القوم أجبنا وإن أبيت أبينا ، وها نحن بين يديك . فقال علي : أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله[3] ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنا أعرف بهم منكم ، لأني[4] قد رأيتهم صغاراً وصحبتُهم كباراً ، وكانوا شرَّ أطفال وشر رجال ، وقد علمتُ أن رفع هذه المصاحف إنما هـو وهن[5] وخديعة ومكيدة ، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فآبى أن أقبله ، لأني إنما قاتلتهم ليدينونا[6] بحكم القرآن ، لأنهم قد كانوا عصوا الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه ، فلم ينتهوا ونقضوا[7] عهده ونبذوا كتابه ، غير أني أراكم قد اجتمعتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم .

---

(1) الإمامة والسياسة : أعيب .

(2) كذا بالأصل هنا ، وقد مر قريباً كردوس بن هانىء .

(3) في الأخبار الطوال ص ١٩٠ : « عباد الله ، إنا أحرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنتم » وفي وقعة صفين ص ٤٩٠ : « أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه » .

(4) الطبري ٢٧/٦ ومروج الذهب ٤٣٣/٢ : قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً ، فكانوا شر أطفال وشر رجال .

(5) الطبري : « خديعة ودهناً ومكيدة » ومروج الذهب : خديعة ودهاء ومكيدة .

(6) الطبري ومروج الذهب : ليدينوا .

(7) الطبري : ونسوا عهده .

قال : فجزاه القوم خيراً ، فأنشأ الصلتان العبدي في ذلك يقول :

شقيق بن ثـور قـام فينـا بـخـطـبـة ... يحث بهـا[1] الركبـان أهـل المشـاعـرِ
وهيهـات أن يأتي[2] الخـطيب بمثلهـا ... جـزى الله خيـراً من خـطيب ونـاصـر
وقـد قـام فينـا خـالـد بن معـمـرٍ ... وكـردوس الحـامي ذمـار العشـائـر
بمثـل الـذي حـامى بـه حـذو فعله ... وقـد بيّن الشـورى حـريث بن جـابـر
فلا يعدمنك[3] الدهـر ما هبّت الصبـا ... ولا زلـت مسـقيـاً بـأسـحم مـاطـر
ولا زلـت تـدعـى فـي ربـيعـة أوّلاً ... بـاسمـك في إحـدى الليـالي الغـوابـر

قال : فبينا الناس كذلك إذ أقبل أبو الأعور السّلمي من عند معاوية على برذون له أشهب[4] والمصحف على رأسه حتى وقف قريباً من عسكر علي رضي الله عنه ثم نادى بأعلى صوته : لن يعطي واحد منا للآخر الطاعة ، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير ، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه وإننا نتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى ، وإننا سنحاسب ونسأل عن هذا الموطن ولا يحاسب بما نحن فيه غيرنا وغيركم ، وقد جئتكم في أمر لنا ولكم فيه حياة وعذر وصلاح وحقن الدماء وألفة الدين وذهاب الفتن[5] أن نجعـل القرآن بيننـا وبينكم حكماً ويحكم بيننـا حكمان مرضيان : أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم ، يحكمان[6] بما في كتاب الله عزَّ وجلّ فإنه خير لنا ولكم ، ونقطع هذه الفتن ، فاتق الله يا علي فيما دعيت إليه وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله ـ والسلام ـ .

قال : فصاحت به الناس : إننا قد رضينا بحكم القرآن . فقال أبو الأعور : فالحمد لله على ذلك ، ووفقنا وإياكم لصالح الأمور . ثم انصرف إلى العسكر فأنشأ عبد الله بن حجر في ذلك يقول :

دعـانـا عـليّ إلـى خـطة ... فـكنّـا لـه خـيـر أنـصـارهـا

---

(١) وقعة صفين ص ٤٨٧ : يحدثها .
(٢) وقعة صفين : بما لم يقف فينا .
(٣) وقعة صفين : فلا يبعدنك .
(٤) وقعة صفين ص ٤٩٣ : أبيض .
(٥) وقعة صفين : ذهاب للضغائن والفتن .
(٦) بالأصل : يحكمون .

رضينا بإيرادها في الورود	وبعد الورود بإصدارها
على كل حالٍ رضينا بها	بإظهار أمر وإضمارها
ولسنا نُريد بها غيرها	ولسنا نكون من أشرارها
فمن ألحد اليوم في رأيه	رمته المنايا بأقدارها
دعاه ابن هند إلى خطة	أقرّ بها بعد إنكارها
وأظهر فيها رضىً بالقرآن	وليس له غير إظهارها
وفيها بقاء إلى مدّة	ووضع الحروب لأوزارها
فإن قلتَ لا قلتُ لا مثلها	واحذاؤها حذو مقدارها
وما الناس إلا رجال العراق	وبالشام مرعى لأعيارها
وبالشام اعداد أهل العراق	وليس لها مثل أخيارها
وما العيش إلا بأحقافها	وما الكف إلا بأظفارها

قال : فغمد[1] الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على الحكم . فقال عمرو لمعاوية : كيف رأيت رأيي ، لقد كنت غرقت في بحر العراق وأنقذتك ؛ فقال معاوية : صدقت أبا عبد الله ولمثلها كنتُ أرجوك .

ذكر ما كان بعد ذلك بينهم من المكاتبة

قال : ثم كتب علي رضي الله عنه إلى معاوية[2] : أما بعد ، فإن أفضل ما يشتغل به المرء المسلم اتباع ما يحسن به ويستوجب فضله ويسلم من غيه ، وإن البغي والباطل ليسعان بالموالي موارد الهلكة ، واحذر الدنيا يا معاوية فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى الله فوته[3] ، وقد رام قوم[4] أمراً بغير حق فأكذبهم الله[5] ومتعهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ ، فاحذر يوماً يغتبط فيه من حمد عاقبة أمله وعمله ويندم من أمكن الشيطان من قياده ،

(١) بالأصل : فغمدوا .

(٢) الأخبار الطوال ص ١٩١ باختصار . نهج البلاغة كتاب رقم ٤٨ .

(٣) في نهج البلاغة : « ما قضي فواته » هو دم عثمان والانتصار له . ومعاوية يعلم أنه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان (رض) (شرح محمد عبده) .

(٤) نهج البلاغة : أقوام .

(٥) قال محمد عبده في شرح النهج : أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان يريد بهم أصحاب الجمل .

وأراك قد دعوتني إلى حكم القرآن وقد علمتُ أنك لست من أهل القرآن ولا حكمه أردت ، والله المستعان وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا ، فبيننا وبينك حكم القرآن ، ومن لم يرض بالقرآن فقد ضل ضلالاً مبيناً[1] ـ والسلام على عباد الله الصالحين ـ .

قال : وكتب معاوية : أما بعد ، فعافانا الله وإياك فإني إنما قاتلتُ على دم عثمان وكرهت التدهين في أمره وإسلام حقه ، وقلت إن أدرك به ناراً فبها ونعمة ، وإن تكن الأخرى فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم ، وبعد فقد بان لك الذي فيه صلاحنا والألفة بيننا ، وإنما استربت بالعفو بعد صلاح الأمة ، وإنما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغى عليه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فدعوت إلى كتاب الله بيني وبينك ، وعلمت أنه لا يجمعنا وإياكم على الحق إلا القرآن ، نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن ـ والسلام[2] ـ .

قال : ثم كتب علي رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص[3] : أما بعد ، فإن الدنيا شاغلة[4] عن غيرها ، ولم يصب أحد[5] منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً يزيده رغبة فيها ، ولن يستغني صاحبها بما نال منها ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، والسعيد من وعظ بغيره ، وإن الذي تنازعت فيه من الدنيا فإنها غرارة ، فلا تحبط أجرك ولا تحام معاوية وباطله ـ والسلام ـ .

قال : فكتب إليه عمرو[6] : أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق ، وقد أنصف من جعل القرآن إماماً ودعا الناس إلى أحكامه ، وقد جعلنا القرآن حكماً وأجبنا إليه ، وصبر الرجل منا نفسه على ما حكم به عليه القرآن ، واصبر أبا حسن فإننا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن ـ والسلام ـ .

---

(١) الأخبار الطوال : بعيداً .

(٢) وقعة صفين ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ باختلاف بعض الألفاظ .

(٣) الأخبار الطوال ص ١٩١ وفي نهج البلاغة كتاب رقم ٤٩ ونسب من علي (رض) إلى معاوية بن أبي سفيان وليس إلى عمرو بن العاص .

(٤) في النهج والأخبار الطوال : مشغلة .

(٥) النهج والأخبار الطوال : صاحبها .

(٦) الأخبار الطوال ص ١٩١ ووقعة صفين ص ٤٩٨ .

قال : فأقبل الأشعث بن قيس إلى علي رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني أرى الناس قد رضوا[1] وسرَّهم أن يجيبوا أهل الشام إلى ما دعوهم إليه من كتاب الله عزَّ وجلّ ، فإن شئتَ صرتُ إلى معاوية فأسأله[2] عما يريد وأنظر ما يسأل ! فقال علي رضي الله عنه : ذلك إليك ، ائته إن شئت .

قال : وأقبل الأشعث حتى دنا من أهل الشام ، ثم قال : يا معاوية ! إنكم قد رفعتم هذه المصاحف وقد أجبناكم إلى حكمها ، فهات ما الذي تريدون ؛ فقال معاوية : أريد أن نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، فتبعثون رجلاً منكم ترضون به . ونبعث نحن أيضاً رجلاً منا ، ثم نأخذ عليهما[3] العهد والميثاق أن يعملا[4] بما في كتاب الله ، ثم إننا نتبع ما اتفقا[5] عليه ؛ فقال الأشعث : ما أرى بها بأساً وهذا هو الحق . ثم رجع إلى علي فأخبره بمقالة معاوية[6] .

---

(١) الطبري ٦/٢٨ : ما أرى الناس إلا قد رضوا .

(٢) الطبري : فسألته ما يريد ، فنظرت ما يسأل .

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : عليهم .

(٤) عن الطبري ، وبالأصل : يعملوا .

(٥) من الطبري ، وبالأصل : اتفقوا .

(٦) انظر مروج الذهب ٢/٤٣٤ .

كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي

(المتوفى نحو سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م)

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الحكمين

قال : ثم اجتمع[1] قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام بين العسكرين ومعهم المصحف ، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن . قال : فرضي الفريقان[2] جميعاً بالحكمين ، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة .

فقال[3] أهل الشام : قد رضينا بعمرو بن العاص .

وقال الأشعث بن قيس والذين[4] صاروا خوارج بعد ذلك : فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، فإنه وافد رسول الله ﷺ إلى اليمن ، وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر بن الخطاب . فقال علي رضي الله عنه : ولكني لا أرضى أبا موسى ولا أوليه هذا الأمر . فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن[5] ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكوّاء : فإننا لا نرضى إلا به ، لأنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه . فقال علي رضي الله عنه : فإنه ليس لي برضاً[6] وقد كان فارقني وخذل الناس عني ، ثم

---

(١) بالأصل : اجتمعوا .

(٢) بالأصل : فرضيوا الفريقين .

(٣) بالأصل : فقالوا .

(٤) الطبري ٦ / ٢٨ : وأولئك القوم الذين .

(٥) في الطبري ٦ / ٢٨ والإصابة : حصين . وهو زيد بن حصين الطائي وكان من أصحاب البرانس المجتهدين .

(٦) الطبري : بثقة .

هرب حتى آمنته بعد أشهر ؛ ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكماً لي . فقال[1] القوم : والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس ، إلا أننا لا نريد رجلاً هو منك وأنت منه[2] . فقال علي رضي الله عنه : فأنا أجعل الأشتر حكماً ؛ فقال الأشعث : وهل سعر الأرض علينا إلا الأشتر[3] ! فقال الأشعث : حكمه أن يضرب الناس بعضهم بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد .

فقال له الأشتر : أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلاً لها . فقال الأشعث : والله ما فرحت بتلك الرئاسة ولا حزنت لذلك العزل .

فقال علي رضي الله عنه : ويحكم ! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا[4] الأمر أحداً[4] هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص ، وإنه لا يصلح للقرشي [إلا مثله][5] ، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به ، فإن عمراً لا يعقد عقدة إلا حلها ، ولا يبرم أمراً إلا نقضه ، ولا ينقض أمراً إلا أبرمه . فقال الأشعث ومن معه : لا والله لا يحكم فينا مضريان أبداً حتى تقوم الساعة ! ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن ؛ فقال علي رضي الله عنه : إني أخاف أن يخدع يمانيكم ، فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء ؛ فقال الأشعث : والله لأن يحكما[6] ببعض ما نكره وأحدهما[7] من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضريان . فقال علي رضي الله عنه : وقد أبيتم إلا أبا موسى ؟ قالوا : نعم . قال : فاصنعوا ما أردتم[8] ،

---

(١) بالأصل : قالوا .

(٢) عبارة مروج الذهب ٢ / ٤٣٤ : والله لا يحكم فينا مضريان . يريد عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس .

(٣) في مروج الذهب : « وهل هاج هذا الأمر إلا الأشتر » . ويظهر أن بالأصل هنا سقط ، فالمعنى لم يكتمل ، وهذا ما يظهر من العبارة التالية . وتمام العبارة في الأخبار الطوال ص ١٩٢ : وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟ قال علي : وما حكمه ؟ .

(٤ - ٤) عن وقعة صفين ص ٥٠٠ وبالأصل : هذا الأمر أحد .

(٥) عن كتاب وقعة صفين ، سقطت من الأصل .

(٦) عن وقعة صفين ، وبالأصل ، لئن يحكمون .

(٧) بالأصل : واحدهم .

(٨) في الأخبار الطوال ص ١٩٣ : ما أحببتم . وفي مروج الذهب ٢ / ٤٣٤ : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه .

اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم ! قال : وأنشأ خريم[1] بن فاتك الأسدي في ذلك يقول :

لو كان للقوم رأي[2] يعصمون[3] به ... عند الخطوب[4] رموكم بابن عباس
لله در أبيه أيما رجل ... ما مثله للقضا والحكم في الناس[5]
لكن رموكم بشيخ[6] من ذوي يمن ... لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس[7]
إن يخل عمرو به يقذفه في لجج ... يهوي به البحر[8] تيساً بين أتياس
أبلغ لديك علياً غير عاتبه ... قول امرىء لا يرى في الحق من بأس
ما الأشعري بمأمون أبا حسن ... خذها إليك وليس الفخذ كالرأس[9]

قال : فقال الأحنف بن قيس التميمي[10]: يا أمير المؤمنين ! إن أبا موسى رجل من اليمن وعامة بني عمه مع معاوية ، وقد رميت بعمرو بن العاص وهو داهية العرب ، فاجعلني حكماً فإني أرجو أن لا يعقد عمرو عقدة إلا حللتها ، ولا يحل عقدة إلا عقدتها ، وإلا فتابعت من شئت غير أبي موسى وابعثني معه ! فقال علي رضي الله عنه : يا أحنف ! إن القوم قد أبوا إلا أبا[11] موسى والله بالغ في ذلك أمره .

قال : ثم بعث[12] القوم إلى أبي[11] موسى فدعوه ، وقد كان معتزلاً عن

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٤٣ والأخبار الطوال ص ١٩٣ ووقعة صفين ص ٥٠٢ أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي .

(٢) من المصادر .ء

(٣) كذا بالأصل ومروج الذهب ووقعة صفين ، وفي الأخبار الطوال يهتدون .

(٤) في الأخبار الطوال : بعد القضاء . وفي وقعة صفين : من الضلال .

(٥) وقعة صفين : ما مثله لفصال الخطب في الناس .

(٦) مروج الذهب : بوغد .

(٧) تقول العرب لمن خاتل : ضرب أخماساً لأسداس ، وهو مثل أصله أن شيخاً كان في إبله ومعه أولاده رجالاً يرعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم ، فقال لهم ذات يوم : ارعوا إبلكم بربعا ، فرعوا ربعاً نحو طريق أهلهم ، فقالوا له : لو رعيناها خمساً ، فزادوا يوماً قبل أهلهم ، فقالوا : لو رعيناها سدساً ، ففطن الشيخ لما يريدون ، فقال : ما أنتم إلا ضرب أخماس لأسداس ، ما همتكم رعيها ، إنما همتكم أهلكم .

(٨) في وقعة صفين : النجم .

(٩) في وقعة صفين : فاعلم هديت وليس العجز كالراس .

(١٠) الأخبار الطوال ص ١٩٣ الإمامة والسياسة ١ / ١٣١ وقعة صفين ٥٠١ باختلاف بين النصوص وزيادة .

(١١) بالأصل : « أبو » خطأ .

(١٢) بالأصل : بعثوا .

القتال[1] ؛ فأقبل إليه مولى له فقال : إن القوم قد اصطلحوا . فقال : الحمد لله رب العالمين ! قال : فإنهم قد جعلوك حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم أقبل أبو موسى حتى دخل إلى عسكر علي .

وأقبل الأشتر إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ! آتني[2] بعمرو بن العاص ، فوالله الذي لا إله إلا هو لئن ملأت عيني منه لأقتلنه .

قال : وأقبل حريث الطائي وهو جريح مثقل حتى وقف على علي رضي الله عنه وهو لما به ، فبادره علي ورحب به ، ثم قال له : كيف أنت يا أخا بني سنبس ؟ فقال : جريح دَنِفٌ كما تراني ، والذي بقي من عمري أقل مما مضى منه ، ولكني أتيتك يا أمير المؤمنين في وقتي هذا لحق أقضيه ؛ فقال علي : قل ما تشاء ؛ فقال : جعلني الله فداك ! أحكمٌ بعد حكم القرآن ؟ وأمر بعد أمر القرآن ؟ وأمر الله يصب دماءنا ودماءهم ، ومعنا حكم الله علينا وعليهم ، فما الذي حملك على إجابة القوم على الحكم ؟ امض على أمر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . قال : فحثى قوم من أولئك القراء في وجهه التراب وهموا بقتله ، فقال : كفوا عن الرجل ! قال : فتنحى من بين أيديهم وتفل فأحس بالموت ، فأنشأ يقول :

يسائلني عليّ كيف حالي ... وحالي أنني دنف جريحُ
وما لي والذين حذى مقرّي ... سوى أني لسوءتها أصيح
وإني لا أقرّ بها وإني ... لأهل الدين والدنيا نصيح
أبا حسن هداك الله دعها ... ومتن أديمها منها صحيح
أتطمع في معاوية بن حرب ... وعمرو إن ذا منا قبيح
وقولهما ومن حجت إليه ... خفاف البزل في البيدا ربيح

قال : ثم لم يلبث أن مات رحمه الله ، وبلغ علياً شعره فقال : رحم الله أخا طيء ولا عرفه قبيحاً من عمله .

---

(١) وكان أبو موسى قد اعتزل القتال بأرض من أرض الشام يقال لها « عرض » وهي بلد ما بين تدمر والرصافة الشامية .

(٢) في الطبري ٦ / ٢٨ : ائتني .

ذكر كتبة كتاب الصلح بينهم وما جرى في ذلك

قال : ثم وضع[1] الناس السلاح والتقوا في المنصف بين العسكرين ودعوا بالكاتب ، فجاء عبيد الله[2] بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ وهو كاتب علي واجتمع الناس من أهل العراق وأهل الشام .

فقال علي رضي الله عنه لكاتبه : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان » ؛ فقال معاوية : فإن كنتَ أمير المؤمنين كما زعمتَ فعلام أقاتلك ؟ فقال علي رضي الله عنه : الله أكبر ! كنت مع رسول الله ﷺ في يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة ، ثم اتفق أمره وأمرهم على الصلح بعد ذلك فدعاني لأكتب ، فقلت : ما أكتب يا رسول الله ؟ فقال : اكتب « هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة » ، فقال أبو هذا أبو سفيان بن حرب[3] : يا محمد ! إني لو أقررتُ أنك رسول الله لما قاتلتك ، ولكن اكتب لنا صحيفتك باسمك واسم أبيك ، فكتبت ذلك[4] بأمر رسول الله ﷺ ، فقال : يا علي ! إن لك يوماً مثل هذا ، أنا أكتبها للآباء وتكتبها للأبناء[5] ؛ وإني الآن أكتبه لمعاوية كما كتب النبي ﷺ لأبي سفيان[6] ، قال : فقال : عمرو بن العاص : يا سبحان الله ! ونقاس[7] نحن إلى الكفار ونحن مؤمنون ! فصاح به عليّ صيحة وقال : يابن النابغة ! لو لم تكن للمشركين[8] ولياً وللمؤمنين عدواً لم تكن في الضلالة رأساً وفي الإسلام ذنباً ، أو لست ممن قاتل محمداً عليه السلام وفتن أمته من

---

(١) بالأصل : وضعوا .

(٢) كذا في الإصابة والوزراء والكتاب للجهشياري ص٢٣ ، وبالأصل وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٩ عبد الله .

(٣) كذا بالأصل ، وهو خطأ فادح ، والمشهور أن الذي عارض النبي (ص) يوم الحديبية عن الكفار سهيل بن عمرو وليس أبو سفيان .
انظر في صلح الحديبية الطبري ٣ / ٧٩ سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٠ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤ .

(٤) العبارة في الطبري ٣ / ٧٩ : هذا ما صلح عليه محمدُ بن عبد الله سهيلَ بن عمرو . . . وعبارة اليعقوبي ٢ / ٥٤ : باسمك اللّهم ، من محمد بن عبد الله . . .

(٥) العبارة في وقعة صفين ص ٥٠٨ : فاليوم اكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله (ص) إلى آبائهم سنة ومثلاً . وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٠ : فقال يا علي : أما انك ستسام مثلها فتعطي .

(٦) كذا ، خطأ ، انظر ما مرّ .

(٧) وقعة صفين ص٥٠٨ : ومثل هذا شبهتنا بالكفار ونحن مؤمنون ؟ (الطبري ٦ / ٢٩) .

(٨) الطبري : للفاسقين .

بعده ؟ أو لست الأبتر ابن الأبتر عدو الله وعدو رسوله وأهل بيت رسوله ؛ قم من ههنا يا عدو الله فليس هذا بموضع يحضره مثلك . قال : فوثب عمرو ساكتاً[1] لا ينطق بشيء حتى قعد ناحية .

قال : فقال عبد الله بن خباب[2] وكان من الفرسان الأبطال وكان له فضل ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك أمرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها منك بالتسليم منا لأمرك ، وهذه من[3] تلك الأمور ، ونحن اليوم أصحابك أمس ، وأراك كارهاً لهذه القضية ، وأيم الله ما المكثر المنكر بأعلم من المقتر المقل[4] ، وقد كانت الحرب أخذت بأنفاس هؤلاء القوم ، فلم يبق منهم إلّا رجاء ضعيف وصبر مستكره ، فاستغاثوا بالمصاحف وفزعوا إليها من حر أسنتنا وحد سيوفنا فأجبتهم إلى ما دعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً وآخرنا عهداً بنبينا محمد ﷺ ، وإلا فهذه سيوفنا[5] في رقابنا ، ورماحنا في أكفنا وقلوبنا في أجوافنا ، وقد أعطيناك تبعتنا غير مستكرهين ؛ والأمر إليك والسلام .

ثم وثب صعصعة بن صوحان العبدي فقال[6] : يا أمير المؤمنين ! إنه قد شرحت الطاعة قلوبنا ونفدت في جهاد عدونا بصائرنا ، وأنت الوالي المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، وأنت أعلمنا بربنا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، وسيدنا بعد نبينا ، وأقربنا منه قرابة ، فصلى الله عليه ورضي عنك ، فانفذ لرأيك نتبعه ، وإن أبيت هذه القضية فلا ضيم عليك ولا خذل ، ولو عصاك[7] الناس كلهم لأطعناك ، فإن أجبت إلى ما دعيت إليه فنحن لك على السمع والطاعة إلى ما أمرت ، فاستخر الله واعزم على ما عزم عليه رأيك ـ والسلام ـ .

قال فسر عليّ بقوله وأثنى عليه خيراً .

---

(١) عبارة الطبري : فقام ، فقال : لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد اليوم . فقال له علي : وإني لأرجو أن يطهر الله عزّوجلّ مجلسي منك ومن أشباهك .
(٢) في الإمامة والسياسة ١ / ١٤٠ عبد الله بن حجل (العجلي) .
(٣) الإمامة والسياسة : مثل .
(٤) الإمامة والسياسة : المقل المعترف .
(٥) الإمامة والسياسة : سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحنا .
(٦) الإمامة والسياسة ١ / ١٤٢ باختلاف .
(٧) الأصل : عصوك .

ثم تكلم المنذر بن الجارود العبدي فقال[1] : يا أمير المؤمنين ! إننا قد سمعنا مقال معاوية وعمرو بن العاص ، غير أنه إذا جاء أمر لا يدفع فامتثل الأمر فيه الرضا ، وقد كنا نرى أن ما زادنا من هؤلاء القوم نفعهم وما نفعنا ضرهم . وإن في ذلك أمرين تعجيل هوى أو تأخير مساءة إلى أن ترى غير ذلك ، فإن رأيته ففينا من البقية ما تفلّ به الحد وترد به الكلب ، وليس لنا معك إصدار ولا إيراد ـ والسلام ـ .

قال : ثم وثب الحارث بن مرة فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا منا من يقول ما لا يفعل ، ومنا من يهوى ما لا يستطيع ، وليس ينفعك إلا من فعل واستطاع ، وقد والله ذهب الفاعل وضعف المستطيع ، ولسنا نحرك من شيء إن كنت قاتلت معاوية لله وقاتلك للدنيا ، فقد والله بلغ أهل الدين من الدنيا حاجتهم ، وإن كانوا بلغوا منا دون ما بلغنا منهم فإن كنت كرهتَ هذه القضية وأردت قتالهم فمن مضى بمن مضى ومن بقي بمن بقي ـ والسلام ـ .

قال : فجعل كل إنسان يتكلم بما يحضره من الكلام ، حتى قام شريك الأعور الهمداني والأحنف بن قيس[2] وحارثة بن قدامة السعدي ، فتكلموا وحرضوا ، وخاف معاوية أن ينتقض عليه الأمر ، غير أنه ينظر إلى وجوه القوم فيعرفهم بأعيانهم وهو في ذلك حنق عليهم ؛ حتى قام عبد الله بن سوار[3] وهو الذي قتل عبيدالله بن عمر فسكن القوم وقال : اسكنوا حتى أتكلم مع أمير المؤمنين بما أريد .

ثم أقبل على علي فقال : يا أمير المؤمنين ! والله إننا لنعلم أنك ما أوردت ولا أصدرت إلا ومعك من الله عزَّ وجلّ برهان وحجة ، ونحن ممن يأمر ولا يؤمر عليه ، فإن كنت عزمت لم تفل ، وإن كنت لم تعزم فالمشورة لله رضا ، وليس أول أمر كآخره ، لأنه قد نكدر صفونا وقل جدنا ، وذهب أهل البصيرة والصبر منا ، وبقي أهل الشك والعلل ، وفينا أئمة جور ورجال هدى وهم قليل والأمر إليك .

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ / ١٤٢ .

(٢) ومما قاله الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إن الناس بين ماضٍ وواقف ، وقاتل وساكت ، وكل في موضعه حسن ، وإنه لو نكل الآخر عن الأول لم يقل شيئاً إلا أن يقول اليوم ما قد قيل أمس ، ولكنه حق يقضى ، ولم نقاتل القوم لنا ولا لك ، إنما قاتلناهم لله ، فإن حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله ، فإنك أولى بالحق ، وأحقنا بالتوفيق ، ولا أرى إلا القتال .
(الإمامة والسياسة ١ / ١٤٣) .

(٣) كذا ، وقد مرّ التعليق حول الاختلاف فيمن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب .

قال : فوثب الأشتر مغضباً ثم قال : يابن سوار ! ما هذا الكلام الضعيف والرأي السخيف ؟ اسكن ودعني أكلم أمير المؤمنين ، إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولك عند الله الخلف ، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نظرك[1] ، [وقد بلغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأي][2] ، فإن أجبت إلى هذه القضية فأنت الإمام الرشيد والبطل المجيد ، وإن أبيت ذلك فاقرع[3] الحديد على الحديد واستعن بالله العزيز الحميد . قال : فقال له علي رضي الله عنه : اجلس ! فقد قضيت ما عليك .

قال : وعجب[4] القوم من كلام الأشتر ومن إيجازه .

قال : ومعاوية وعمرو بن العاص ومن معهما[5] من قريش وغيرهم من أهل الشام سكوت ، ما فيهم أحد يتكلم عن معاوية ولا ينطق بشيء . فقال علي رضي الله عنه لكاتبه : اكتب « هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان » . فقال أبو الأعور السلمي : نبدأ بمعاوية ثم علي ؛ فقال له الأشتر : لا ولا كرامة لك ولا لمعاوية ، بل نبدأ بعلي قبل معاوية ، ونقدمه عليه وعلى غيره لأنه أسبق الناس إيماناً وهجرة وأدنى إلى العلية . فقال معاوية : يا أشتر ! قدم من شئتَ وأخر من شئتَ .

قال : فكتب الكاتب[6] .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعة علي وأهل الشام من شيعة معاوية ، أنهم ينزلون على حكم كتاب الله ، وأن كتاب الله بين علي ومعاوية من فاتحته إلى خاتمته . وأن يحيوا ما أحيى القرآن ويميتوا ما أمات القرآن ، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وأن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ / ١٤٣ نصرتك . وفي وقعة صفين ص ٤٨٢ : بصرك .
(٢) ما بين معكوفتين نسب هذا الكلام في الإمامة والسياسة ١ / ١٤٣ إلى عمرو بن الحمق .
(٣) الإمامة والسياسة : فافرج .
(٤) بالأصل : وعجبوا .
(٥) الأصل : معهم .
(٦) انظر وثيقة التحكيم في الطبري ٦ / ٢٩ - ٣٠ مروج الذهب ٢ / ٤٣٥ الأخبار الطوال ص ١٩٤ - ١٩٥ وقعة صفين ص ٥٠٤ ، ابن الأثير ٢ / ٣٨٨ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٢ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ باختلاف وزيادة ونقصان بين النصوص .

قد أخذا[1] على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما[2]، بما أنزل الله في كتابه ، فإن لم يجدا[3] في كتاب الله فبالسنة الجامعة غير المتفرقة ، وأن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمنا من الجندين جميعاً على دمائهما وأموالهما ، وأن الأمة لهما[4] أنصار على ما تقاضيا[5] عليه ، والعهد والميثاق على الفريقين جميعاً أن يرضوا بما في هذه الصحيفة ، وأن يرجع أهل العراق إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم ، وأن يكون المجتمع للحكم بدومة الجندل[6] ، والمدة بين علي ومعاوية سنة كاملة ـ والسلام » .

قال : وكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام بخط عبيد الله[7] بن أبي رافع كاتب عليّ ؛ وكتب أهل الشام بهذا كتاباً لأهل العراق بخط عمار[8] بن عباد الكلبي كاتب معاوية ؛ وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام ، وشهود أهل الشام على أهل العراق[9] .

ذكر أول من يسرى من أصحاب علي بن أبي طالب بعد ذلك

قال : فلما كتب الكتابان[10] جميعاً وختموا وثب رجل من أصحاب علي رضي

---

(١) بالأصل : أخذوا .
(٢) بالأصل : يحكموا .
(٣) بالأصل : يجدوا .
(٤) بالأصل : لهم .
(٥) بالأصل : تقاضوا .
(٦) اختلفوا في مكان اجتماع الحكمين فقيل بدومة الجندل ، وهو المنصف بين العراق والشام . وقيل بغيرها بأذرح . انظر مروج الذهب ٢ / ٤٣٨ الطبري ٦ / ٣١ معجم البلدان مادتي (دومة الجندل واذرح) الأخبار الطوال ص ١٩٧ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٢ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ .
(٧) تاريخ اليعقوبي : عبد الله .
(٨) الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٣ عمرو بن عبادة . وفي وقعة صفين ص ٥٠٧ وكتب عمر ، وفي ص ٥١١ وكتب عميرة . ولم يذكر الطبري في كتاب معاوية من اسمه عمار أو عمر بن عباد أو عبادة . وانظر كتاب الوزراء للجشهياري ص ٢٤ ـ ٢٥ وفيه ذكر لكتاب معاوية وليس بينهم أيضاً من اسمه عمر أو عمرو أو عمار .
(٩) انظر في شهود أهل العراق وشهود أهل الشام الطبري ٦ / ٢٩ الأخبار الطوال ص ١٩٤ معجم البلدان ٤ / ١٠٩ ذيل وثيقة التحكيم في وقعة صفين ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ .
(١٠) بالأصل : الكتابين .

الله عنه من ربيعة من بني يشكر[1] واستوى على فرسه ثم قال : اسقوني ماء ! فسقي ؛ فلما شرب وروي جعل يرتجز ويقول :

أشرب من مائكم عليّ ... قد كان رأيي نصرة الوصيّ
والفارس الشهم مع النبيّ ... حتّى رضىً بأمره الدنيّ
في ذاك منه فرقة الوليّ

ثم حمل على أصحاب علي فقاتلهم ساعة ووقف وقال : اسقوني ماء ! فسقي ؛ فلما روي جعل يرتجز ويقول :

أشرب من مائكم معاوية ... وكلكم مأواه نار حامية
وأمكم تهوي بكم في الهاوية ... أرجو من الله جناناً عالية
فيها ظلال وقطوف دانية

ثم حمل ، فكان مرة يحمل على أصحاب معاوية ، ومرة يحمل على أصحاب علي وهو ينادي بأعلى صوته : ألا ! إني قد خلعت علياً ومعاوية ، وبرئت من حكمهما[2] ولا حكم إلا لله ولو كره المشركون . ثم حمل على أصحاب علي فقاتل حتى قتل . قال : وكان هذا اليشكري أول من يتسرى ؛ فأنشأ النجاشي[3] شاعر عليّ يقول في ذلك :

ما كان أغنى اليشكري عن التي ... أقاد[4] بها جمراً من النار حاميا
غداة ينادي والفوارس جمة[5] ... خلعت علياً مرة[6] ومعاويا
ويطعن في أهل العراق برمحه ... وتلك التي جرت عليه الدواهيا
ويثني على أهل الشام حتى كأنهم ... بناتُ طيور الماء أبصرن بازيا
إذا شدّ نادى الحكم لله وحده ... وفي الحكم أن تجنى عليه العواليا

---

(١) كذا بالأصل والإمامة والسياسة ١ / ١٥٣ وفي الأخبار الطوال ص ١٩٦ أن أول من حكم رجلان من عنزة اسمهما جعد ومعدان قالا : لا حكم إلا لله ثم شدا على أهل الشام فقاتلا حتى قتلا . وانظر الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٦ وروايته مختلفة وانظر البيان والتبيين ٢ / ٢٠٦ ومروج الذهب ٢ / ٤٣٦ .

(٢) بالأصل : حكمهم .

(٣) في الكامل للمبرد - فقال شاعر من همدان وذكر البيتان الأول والثاني فيه . ٣ / ١١٠٦ - ١١٠٧ .

(٤) في الكامل : تصلى .

(٥) الكامل : والرماح تنوشه .

(٦) الكامل : بادياً .

فمـا زال هـذا دابـه في نهـاره		إلى أن رأيت الليل أسود داجيا
رأى شبهـة فيهـا لقـوم ضـلالـة		ودلاه أصحـاب الغرور الأمـانيا
فضـل ضلالاً لم يـر الناس مثله		وأصبـح يهوي في جهنم ثـاويـا

قال : فلما فرغ من الكتابين وختما وثب الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي وشـريح بن هـانىء المذحجي وزحـر بن قيس الجعفي والأحنف بن قيس التميمي ومن أشبههم من فرسان علي فقالوا : يا معاوية ! إياك أن تظن بنا ميل الحق ، فإننا اليوم على ما كنا بالأمس ، غير أنكم استغثتم بالمصاحف ودعوتمونا إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ فأجبناكم إلى ذلك ، فإن حكم الحاكمان بالحق . وإلا فنحن راجعون إلى حربنا أو لا يبقى منا ومنكم واحد . فقال معاوية : افعلوا ما أحببتم .

قال : ونادى معاوية في أهل الشام أن يرجعوا إلى شامهم ، ونادى علي في أهل العراق بالرحيل إلى العراق .

ذكر وصية القوم لأبي موسى بالاحتياط في أمره والحذر من دهاء خصمه

قـال : وأقبل أبـو موسى الأشعـري إلى علي رضي الله عنه فقـال : يا أميـر المؤمنين ! إني لست آمن الغوائل فابعث معي قوماً من أصحابك إلى دومة الجندل ، قال : فبعث معه علي رضي الله عنه شريـح بن هانىء في خمسمـائة[1] رجـل من أصحابه ؛ فلما صار في بعض الطريق أقبل عليه شريح فقال له : أبا موسى ! إنك قد نصبت لأمر[2] لا يجبر صدعه ولا يستقال عثرته[3] ، فاعلم أنك قلت شيئاً لك أم عليك ، لزمك[4] حقه وزال عنك باطله ، فاتق الله وانظر كيف تكون ، فإنـك قد

---

(١) في الطبري ٦ / ٣٧ أربعمئة . وانظر مروج الذهب ٢ / ٤٣٨ . وفي الأخبار الطوال ص١٩٧ : في أربعة آلاف من خاصته .

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٣ لأمر عظيم .

(٣) الإمامة والسياسة : لا تستقال فلتته . وفي وقعة صفين ص ٥٣٤ : لا يستقال فتقه . وفي نسخة : لا تستقال فتنته .

(٤) في شرح النهج ١ / ١٩٥ يثبت حقه ويرى صحته وإن كان باطلاً .
وفي الإمامة والسياسة : يثبت حقه ويزيل باطله .

رميت بعمرو بن العاص وهو رجل لا دين له ، لأنه باع دينه بدنياه ، فإياك أن يخدعك فإنه خداع مكار ـ والسلام ـ .

قال : ثم أنشأ شريح بن هانىء يقول[1] :

أبا موسى رميت بشر خصم ... فلا تدع[2] العراق فدتك نفسي
ولا تخدع بشيء من مقال ... فإن اليوم في الأغدا كأمس[3]
وإن غداً يجيء بما عليه ... يدور الأمر من سعد ونحس
فلا[4] يخدعك عمرو، إن عمراً ... عدو الله ، مطلع كل شمس
له خدع يحار العقل فيها ... مموّهة مزخرفة بلَبْس
ولا[5] تجعل معاوية بن حرب ... كشيخ في الحوادث غير نكس
هداه الله للإسلام فرداً ... سوى عرس[6] النبي وأيِّ عرس

قال : فقال أبو موسى : ما ينبغي لقوم اتهموني أن يبعثوني[7] لكي أدفع عنهم باطلاً ، والله اني لأرجو أن ينقضي هذا الأمر وأنا على رضى من الفريقين جميعاً إن شاء الله .

قال : وسار أبو موسى في أصحابه ، وكان شرحبيل بن السمط مع عمرو بن العاص في خيل عظيمة من خيول الشام ، فسبقوا إلى دومة الجندل . وأقبل أبو موسى في أصحابه ومعه أيضاً قوم يشيعونه ، فقال لهم : انصرفوا رحمكم الله فإني لست أبقي غاية في النصيحة لهذه الأمة إن شاء الله تعالى . قال : فودعه[8] الناس ، وفيمن[9] ودعه يومئذ الأحنف بن قيس ، فقال له الأحنف : اعرف خطر هذا

---

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٣٤ .
(٢) وقعة صفين : فلا تضع .
(٣) البيت في وقعة صفين :
واعط الحق شامهم وخذه ... فإن اليوم في مهل كأمس
(٤) وقعة صفين : ولا .
(٥) وقعة صفين : فلا .
(٦) وقعة صفين : بنت .
(٧) وقعة صفين : يرسلوني .
(٨) بالأصل : ودعوه .
(٩) في وقعة صفين ص ٥٣٦ : وكان آخر من ودع أبا موسى .

المسير[1] فإن له ما بعده ، واعلم بأنك إن ضيعت العراق فلا عراق ، فاتق الله فإنه يجتمع لك أمر الدنيا والآخرة ، وانظر إذا لقيت عمرو بن العاص فلا تبدئه بالسلام حتى يكون هو الذي يبدؤك ؛ وإن سألك أن تقعد معه على فراشه فلا تفعل فإن ذلك خديعة منه لك ؛ وانظر لا يدخلك إلى بيت له مخدع ويكون قد عبى لك فيه رجالاً يسمعون كلامك ويشهدون عليك وأنت لا تعلم ؛ وإن لم يستقم لك عمرو على ما تريد فخيّره من شاء غيرك يكلمه ولا تكلمه أنت . فقال أبو موسى : إني قد سمعت كلامك وعرفت نصيحتك فارجع راشداً يرحمك الله !

فرجع الأحنف إلى علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! لقد بعثت رجلًا ما ينكر[2] ؛ فقال علي : إن الله بالغ أمره .

قال : وكتب النجاشي[3] شاعر علي رضي الله عنه إلى أبي موسى بهذه الأبيات :

أبا موسى جزاك الله خيراً ... عراقك إن حظك بالعراقِ[4]
وإن الشام قد نصبوا إماماً ... من الأحزاب معروف النفاقِ
وإنا لا نزال لهم عدواً ... أبا موسى إلى يوم التلاق
فلا تجعل معاوية بن صخر[5] ... إماماً ما مشت قدم بساق
ولا يخدعك عمرو إن عمراً ... أبا موسى لداهية الرفاق[6]
وكن منه على حذر وانهج ... سبيلك[7] لا تزلُّ بك المراقي
ستلقاه أبا موسى مليّاً ... بمُرّ القول مسترخي الخناق
ولا تحكم بأن سوى علي ... إماماً إن هذا الشر باق

قال : وبلغ معاوية ما كتب به النجاشي إلى أبي موسى فكتب هو أيضاً إلى

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٤ ووقعة صفين : اعرف خطب هذا الأمر .
(٢) عبارة كتاب الصفين ص ٥٣٧ : يا أمير المؤمنين ، أخرج والله أبو موسى زبدة سقائه في أول مخضه ، لا أرانا إلا بعثنا رجلًا لا ينكر خلعك .
(٣) في وقعة صفين ص ٥٣٧ : الشني . وذكر الأبيات .
(٤) وقعة صفين : في العراق .
(٥) وقعة صفين : حرب .
(٦) وقعة صفين : أبا موسى تحاماه الرواقي .
(٧) وقعة صفين : طريقك .

عمرو بن العاص هذه الأبيات :

يـا عمـرو انـك قد وليت حكـومة	فـاحكم فـإنك في الحكـومة جـائـرُ
واجعـل مكيـدتـك التي تعنى بهـا الـ	ـعـرب الـخليفـة ان حـظك وافـر
وادفـع أبـا مـوسى بكفـك دفعة	تـذهب بـه اليـمّ الخِضَمّ الـزاخـر
فيعـزّ شـامـك أنهـا لـك جنـة	أو لا فـإنك يـابن عـاص خـاسـر

ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه

قال : والتقت الناس بـدومة الجنـدل ، فأقبـل أبو مـوسى ، فلما رآه عمـرو استقبله ، فسلم عليه أبو موسى ، ومد أبو موسى يده إلى عمرو فصافحه وحياه وضمه إلى صدره ، ثم قال : يا أخاه ! طال عهدي بك فقبح الله أمراً فرق بيننا ! قال : ثم أقعده عمرو على فراشه وأقبل عليه يحدثه ساعة ، ثم دعا عمرو بالطعام فأكـلا[1] جميعـاً ، وانصرف أبـو موسى إلى رحله . ثم[2] لم يـزالا يجتمعان في كـل يـوم فيتحدثان وينصرفان ، فأقاما[3] على ذلك أياماً كثيرة ، حتى ارتابت الناس وغمهم ذلك[4] .

قال : فوثب عدي بن حاتم الطائي فقال : أما والله يا عمرو ! إنك لغير مأمون بالعيب[5] ، فأما أنت يا أبا موسى فغير مأمون الضعف . فقال له عمرو بن العاص : والله يا عدي ! ما لك ولا لغيرك مع كتاب الله ورد ولا صدر ، فأمسك عنك يا هذا . قال : ثم أقبل عمرو على أبي موسى ، فقال : والله لقد كنت أحب أن لا يشهد هذا الأمر من يفسده علينا . قال : وخاض[6] الناس في أمر عمرو وأبي موسى ، فقال بعضهم لبعض : إن أبا موسى خالع صاحبه علياً على ما تـرى ، فأنشـأ رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يقول[7] :

---

(١) بالأصل : فأكلوا .
(٢) بالأصل : « ثم لم يزالوا يجتمعون في كل يوم فيتحدثون وينصرفون ، فأقاموا . . » .
(٣) انظر الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٥ .
(٤) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٥ : الغناء .
(٥) بالأصل : خاضوا .
(٦) في وقعة صفين ص ٥٣٦ : وبعث الصلتان العبدي ، وهو بالكوفة بأبيات إلى دومة الجندل .

لعمرك لا ألقى مدى الدهر خالعاً علياً بقول الأشعري ولا عمرو[1]
ولسنا نقول الدهر ذاك إليكما[2] وفي ذاك لو قلناه قاصمة الظهرِ
ولكن نقول الأمر لله وحده[3] إليه وفي كفيه عاقبة الأمر
وما اليوم إلا مثل أمس وإننا لفي رقرق[4] الضحضاح أو لجة البحر

قال : وبلغ معاوية أن عمراً يريد الأمر لنفسه ، فضاق لذلك ذرعاً ولم يدر ما يصنع ، فدعا بالمغيرة بن شعبة[5] ، وقد كان أتاه زائراً من الطائف ، فقال له : ويحك يا مغيرة ! أشر عليَّ فقد بلغني أن عمراً يريد الأمر لنفسه : فقال له المغيرة : إنه لو وسعني أن أشير عليك أو آمرك لوسعني أن أنصرك على عليّ ، ولكن عليّ أن آتيك بخبر الرجلين جميعاً عمرو وأبي موسى .

قال : ثم خرج المغيرة من عند معاوية وسار حتى أتى دومة الجندل ، فدخل على أبي موسى كأنه زائر له فحدثه ساعة ثم قال : يا أبا موسى ! ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره هذه الدماء فلم يكن مع علي ولا معاوية ؟ فقال أبو موسى : أولئك والله خيار الناس ممن قد خف[6] ظهره من مظالم العباد .

قال : ثم تركه المغيرة وأقبل حتى دخل على عمرو بن العاص ، فحدثه ساعة ثم قال : أبا عبد الله ! ما تقول فيمن اعتزل هذه الدماء ولم يدخل نفسه في شيء من هذه الأمور ؟ فقال عمرو : أولئك من أشرار خلق الله لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً .

قال : فخرج المغيرة إلى معاوية فقال : أما أبو موسى فإنه خالع صاحبه علياً ، لا أشك في ذلك على ما سمعتُ في ذلك من كلامه ؛ وأما عمرو[7] فإنني قد سمعت

---

(١) بعده في وقعة صفين :
فإن يحكما بالحق نقبله منهما وإلا أثرناها كراغية البكر
(٢) وقعة صفين : إليهما .
(٣) وقعة صفين : الأمر والنهي كله .
(٤) وقعة صفين : وشل .
(٥) خبر المغيرة بن شعبة مع معاوية ـ باختلاف ـ في الأخبار الطوال ص ١٩٨ وفي وقعة صفين ص ٥٤٠ .
(٦) الأخبار الطوال : خفت ظهورهم من دماء إخوانهم ، وبطونهم من أموالهم .
(٧) العبارة في الأخبار الطوال : فهو صاحبك الذي عرفته ، وأحسب سيطلبها لنفسه أو لابنه عبد الله ، ولا =

كلاماً يدل على أنه يريد أمراً . قال : فاغتم معاوية لذلك ثم كتب إلى عمرو هذه الأبيات [1] :

بـدا الأمـر مـا لا تبتلعـه[2] الأضـالـع	وكـل امـرىء يـومـاً إلى الله[3] راجـع
فيـا عمـرو قـد لاحت عيـون كثيـرة	فيا ليت شعري عمرو ما أنت صانع؟
وقـال رجـال إنّ عمـراً يـريـدهـا	فقلتُ لهم: عمـرو لي اليوم تـابـع[4]
وانـك قـد أبـطأت فيهـا وبـادرت	عليـك[5] بتحقيق الـظنـون الأصـابـع
فـأسـرع بهـا أو ابط من غيـر ريبـة	يكـون بهـا في البيـد والنقـع سـاطـع
بـك اليوم في عقـد الخـلافـة ظـالـماً	ومَن دون مـا ظنـوا بـك اليـوم مـانـع

قال : وصاح[6] الناس على أبي موسى وعمرو بن العاص ، وقالوا : إنكما قد أبطأتما[7] بهذا الأمر وإننا نخاف انقطاع المدة ولم تصنعا[8] شيئاً فتعود الحرب إلى ما كانت .

قال : فعندها أقبل عمرو حتى دخل على أبي موسى فقال له : أبا موسى ! إنني قد علمت أنه ليس أهل العراق بأوثق من أهل الشام في دم عثمان ، وقد عرفتَ حال معاوية وشرفه في بني أمية[9] ولكن هات ما عندك ! فقال أبو موسى : أما عثمان فلو شاهدته يوم قتل لنصرته ، وأما معاوية فليس بأشرف في بني أمية من علي في

= اراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه . (انظر وقعة صفين ص ٥٤٠) .

(١) الأبيات في وقعة صفين ص٥٤٣ .

(٢) وقعة صفين : نفى النوم ما لا تبتغيه .

(٣) وقعة صفين : إلى الصدق .

(٤) وقبله في وقعة صفين :

ويا ليت شعري عن حديث ضمنته   أتحمله يا عمرو؟ ما أنت ضالع

(٥) في وقعة صفين : فإن تك قد أبطأت حتى تبادرت   إليك .

(٦) بالأصل : وصاحوا .

(٧) بالأصل : انكم قد أبطأتم .

(٨) بالأصل : لم يصنعوا .

(٩) وقعة صفين ص ١٣٦ : بني عبد مناف . وزيد فيه : وابن هند ، وابن أبي سفيان . والعبارة في الأخبار الطوال ص ١٩٩ : بيته بعد في قريش ما قد علمتَ . . . وهو مع هذا أخو أم حبيبة زوج النبي (ص) ، وهو أحد أصحابه .

هاشم[1] ؛ فقال عمرو : صدقت أبا موسى ولكن قد علم الناس أنك لست بأنصح لأهل العراق مني لأهل الشام ، ولا بأنصح لعلي مني لمعاوية ، فالحق لا يشبهه شيء ، فإن قال قائل بأن معاوية من الطلقاء وكان أبوه من الأحزاب فقد صدق ، وإن قال قائل إن علياً أقر قتلة عثمان عنده وقتل أنصاره يوم الجمل فقد صدق ، ولكن هل لك أن تخلع صاحبك علياً وأخلع أنا صاحبي معاوية ونجعل هذا الأمر في يد عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فإنه رجل زاهد عابد ولم يبسط في هذه الحروب لساناً ولا يداً ؟ فقال أبو موسى : أحسنت رحمك الله وجزاك بنصيحتك خيراً ! فنعم ما رأيت[2] . قال عمرو : فمتى تحب أن يكون ذلك الأمر ؟ فقال أبو موسى : ذاك إليك ، إن شئت الساعة وإن شئت غداً فإنه يوم الاثنين وهذا يوم مبارك . قال : وانصرف عمرو إلى رحله .

فلما كان من الغد أقبل إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدهم للذي يريد أن يصنع . قال : فدخل على أبي موسى واجتمعت الناس لاستماع الكلام ، فقال عمرو : أبا موسى ! أنشدك الله من أحق بهذا الأمر ؟ من وفي أو من غدر ؟ فقال أبو موسى : لا بل من وفى . قال : فما تقول في عثمان أقتل ظالماً أو مظلوماً ؟ فقال أبو موسى : بل مظلوماً . قال[3] : فما تقول في قاتله أيقتل به أم لا ؟ فقال أبو موسى : بل يقتل به . قال عمرو : فمن يقتله ؟ قال : يقتله أولياء عثمان ، لأن الله عزَّ وجلّ قال : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ﴾[4]. قال عمرو : فهل تعلم أن

---

(١) زيد في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦ ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية ، كان أخوال ذي أصبح (انظر الأخبار الطوال ص ١٩٩ ووقعة صفين ص ٥٤١) .

(٢) اتفقوا على أن الحكمين اتفقا على خلع علي ومعاوية . واختلفوا فيما جرى بعد ذلك . فقيل إن أبا موسى هو الذي أشار على عمرو بن العاص بخلع الرجلين وتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأن عمرو بن العاص أشار على أبي موسى إلى تولية ابنه عبد الله . فقال له أبو موسى : إن ابنك رجل صدق ولكنك غمسته في هذه الفتنة فرفض عمرو رأي أبي موسى ، واتفقا على خلع الرجلين (علي رض ومعاوية) وجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاؤوا ومن أحبوا (انظر الطبري ٦ / ٣٩ الأخبار الطوال ص ٢٠٠ مروج الذهب ٢ / ٤٤١ وقعة صفين ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦) .

(٣) في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٦ : فما الحكم فيمن قتل؟

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٣٣ .

معاوية من أولياء عثمان ؟ فقال أبو موسى : نعم ، هو من أولياء عثمان[١] . قال عمرو : أيها الناس ! اشهدوا على مقالة أبي موسى . قال أبو موسى : نعم . فاشهدوا ثم اشهدوا على ما أقول إن معاوية من أولياء عثمان ، قم يا عمرو ! فاخلع صاحبك ، فإننا على ما كنا عليه أمس . فقال عمرو : سبحان الله ! أقوم أنا من قبلك[٢] وقد قدمك الله عليَّ في الإيمان والهجرة[٣] ، لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت ، وأقوم أنا من بعدك .

قال : فوثب أبو موسى قائماً وقد اجتمعت الناس[٤] ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن خير الناس خيرهم لنفسه ، وإن شر الناس شرهم لنفسه ، وقد علمتم ما كان من الحروب التي لم تبق على بر ولا تقي ولا محق ولا مبطل ؛ ألا ! وإني قد رأيت أن نخلع علياً ومعاوية ونجعل هذا الأمر في عبد الله بن عمر بن الخطاب[٥] ، فإنه رجل لم يبسط في هذه الحروب لساناً ولا يداً ؛ ألا ! وإني قد خلعت علياً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي ـ والسلام ـ .

وقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ! هذا

---

(١) في الأخبار الطوال ص ١٩٩ : وأما قولك إن معاوية ولي عثمان ، فأولى منه ابنه عمرو بن عثمان .

(٢) وكان عمرو بن العاص ـ ومنذ اللقاء الأول بأبي موسى ـ قد قدّمه إن في الكلام أو الجلوس ، وكرّمه كثيراً ، وقد عوده أن يقدمه في كل شيء وقد اغتره بذلك ليقدمه فيبدأ بخلع علي . وكان عمرو قد حاك خدعته بدقة وأحاط بأبي موسى من كل جانب ، والرجل غافل لا يدري كيف تجري الأمور ، وما يخطط عمرو وما يرسم في ذهنه حتى أن معاوية نفسه شكك بنية عمرو واسترابه .

(٣) زيد في الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ : وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله ووافد رسول الله إليهم . وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه ، وسنة نبيه ، وصاحب مغانم أبي بكر وعمر .

(٤) عندما قام أبو موسى ليتكلم ، قام إليه عبد الله بن عباس وقال له يحذره : ويحك إني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدّمه قبلك ، فيتكلم بذلك الأمر قبلك ثم تتكلم أنت بعده ، فإن عمراً رجل غدار ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت به في الناس خالفك ، فقال له أبو موسى : إنا قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله .

(الطبري ٥ / ٧٠ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ الأخبار الطوال ص ٢٠٠ وقعة صفين لابن مزاحم ص ٥٤٥) .

(٥) كذا ، وقد مرت الإشارة إلى أنهما اتفقا على أن يعيدا الأمر شورى بين المسلمين يختارون عليهم شخصاً يتفقون عليه . (انظر الصفحة السابقة حاشية رقم ٢) .

عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري ، وافد رسول الله ﷺ . وعامل عمر بن الخطاب ، وحكم أهل العراق وقد خلع صاحبه علياً من الخلافة كما زعم أنه خلع خاتمه من أصبعه ، ألا ! وإني قد أثبت معاوية في الخلافة كما أثبت خاتمي هذا في أصبعي ـ ثم قعد[1] ـ .

فقال أبو موسى : عليك غضب الله ، فوالله ما أنت إلا كما قال الله تعالى ﴿ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾[2] .

قال : وتشاتموا جميعاً ، وضج[3] الناس وقالوا : هذه خديعة ونحن لا نرضى بهذا . ودخل عمرو من ساعته إلى رحله ، وكتب إلى معاوية بهذه الأبيات[4] :

أتتك الخلافة في حذرها[5] ... هنيئاً مريئاً تقرّ العيونا
تزفّ إليك زفاف[6] العروس ... بأهون من طعنك الدارعينا
فما الأشعري سواري[7] الزناد ... ولا خامل الذكر في الأشعرينا
ولكن أتيحت له حيلة[8] ... يظل الشجاع لها مستكينا
فقالوا وقلتُ وكنت امرءاً ... أرى الرفق[9] بالخصم حتى يلينا
فخذها ابن هند على بأسها ... فقد دافع الله ما تحذرونا
وقد دافع الله عن شامكم ... عدواً شنيئاً وحرباً زبونا

قال : وشتم وشمت أهل الشام بأهل العراق .

---

(١) انظر في مقالتيهما الطبري ٦ / ٤٠ الأخبار الطوال ص ٢٠١ مروج الذهب ٢ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ـ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

(٣) الأصل : وضجوا .

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤٧ .

(٥) وقعة صفين : مزفوفة .

(٦) وقعة صفين : كزف .

(٧) وقعة صفين : بصلد .

(٨) وقعة صفين : حية .

(٩) وقعة صفين : أجهجه .

ذكر ما قيل فيه بعد ذلك

قال : فقام سعيد بن قيس الهمذاني فقال : أما والله إن لو اجتمعتما على الهدى لما زدتمانا[1] على ما نحن فيه ، وإن ضلال عمرو بن العاص وأبي موسى ليس لنا بلازم[2] ، وإننا اليوم على ما كنا بالأمس عليه .

قال : وتكلم[3] أصحاب علي رضي الله عنه مثل كلام سعيد بن قيس ؛ وأما الأشعث بن قيس فإنه سكت ولم ينطق ، فقال له الأشتر : أما والله يا أشعث ! إني لأعلم أنك راضٍ بهذا الحكم ؛ قال : فغضب الأشعث من ذلك ثم أنشأ يقول[4] :

ألا ليت من يـرضى من النـاس كلهم ... بعمـرو وعبـد الله في لجـة البحـر
رضينـا بـحكـم الله لا حكـم غيـره ... وبـالله ربـاً والـنـبـيـيـن والـنـذر
وبـالأصلع[5] الهـادي عليّ إمـامنـا ... رضينا بذاك الشيخ في العسر واليسر
فـمـن قـال لا قـلنـا بـلى إن أمـره ... لأفضـل مـا يعـطاه في ليـلة القـدر
ومـا لابن هنـد بيعـة في رقـابنـا ... ومـا بيننـا غيـر المشقفـة السمـر
وضـرب يـزيـل الهـام عن مستقـره ... وإني عليـه آخر الـدهـر من عمـري
رضينـا بـه حـيـاً وميـتـاً لأنـه ... إمام هدى في الوقف والنهي والأمر[6]

قال : فوثب رجل من أصحاب معاوية يقال له شداد بن أسد البجلي[7] فقال : يا أهل العراق ! اتقوا الله ربكم . فإني أخاف أن نرجع إلى ما كنا عليه من الحرب ، وقد علمتم أننا إن عدنا فهو والله الفناء ، وقد شخصت الأبصار إلى هـذا الصلح

---

(١) الأصل : زدتمونا .

(٢) وقعة صفين : وما ضلالكما بلا زمنا . والعبارة في شرح النهج ١ / ١٩٧ : فقام سعد بن نصر الهمداني وقال : والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه ، وما ضلالكما بلازم لنا ، وما رجعتما إلا بما بدأنا به وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ والأخبار الطوال ص ٢٠٢ .

(٣) بالأصل : وتكلموا تحريف .

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤٨ باختلاف بعض الألفاظ .

(٥) في صفة علي (رض) أنه كان أصلع ليس في رأسه شعر إلّا خفاف من خلفه .

(٦) زيد في وقعة صفين :

أبـت لـي أشـيـاخ الأراقـم سـبـة ... أسب بهـا حتى أغيّب فـي القبـر

(٧) في وقعة صفين ص ٥٤٨ : يزيد بن أسد القسري .

وأشرفت الأنفس على اللقاء[1] ، وأصبح كل امرىء منكم وهناً يبكي على قتله[2] ، فاتقوا الله واحقنوا دماءنا ودماءكم .

قال : وبلغ ذلك علياً ، فقال : أما أنا قد أخبرتكم الأمر قبل أن يكون ، وقد جهدنا أن يكون الحكم غير أبي موسى ، فأبيتم عليَّ وجئتموني به مبرنساً[3] وقلتم : قد رضينا به فاتبعت رأيكم ؛ والآن فلا سبيل إلى حرب القوم إلى انقضاء المدة التي كانت بيننا وبينهم .

قال : فعندها رجعت أهل العراق إلى عراقهم وهم عازمون على معاودة الحرب إذا انقضت المدة ، ورجع أهل الشام إلى شامهم وهم على ذلك من أهل العراق . وصار أبو موسى الأشعري إلى مكة ، فأقام بها حياء من علي بن أبي طالب .

ذكر ما سئل أمير المؤمنين من القضاء والقدر فيما جرى عليهم من الأمور

قال فوثب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجل من أهل الكوفة ، فقال[4] : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن مسيرنا إلى أهل الشام وقتالنا إياهم أكان بقضاء من الله وقدر ؟ فقال علي : ويحك يا شيخ ! والله خالق الحبة وبارىء النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر . فقال الرجل : فعند الله أحتسب غناي يا أمير المؤمنين ! فقال عليّ : ولم ذلك ؟ فقال : لأني ما أرى لي ههنا من الأجر شيئاً . فقال علي رضي الله عنه : بلى يا شيخ ! لقد أعظمَ الله لكم الأجر على ما سيركم وأنتم سائرون ، وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون . ثم قال علي رضي الله عنه : ويحك يا شيخ ! لعلك تظن أن ذلك إنما كان قضاء لازماً وقدراً حتماً[5] ؟ قال : أظن يا أمير المؤمنين ! فقال علي رضي الله عنه : ليس ذاك كما ظننت ، إنه لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ،

---

(١) وقعة صفين : الفناء .

(٢) وقعة صفين : قتيل .

(٣) مبرنساً : لابساً البرنس ، والبرنس ، قلنسوة طويلة أو جبة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

(٤) نهج البلاغة : قصار الحكم رقم ٧٨ .

(٥) نهج البلاغة : حاتماً .

وذهب[1] الوعد والوعيد[2] ، ولم يكن يأتي من الله لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن . فقال الرجل : كيف هذا يا أمير المؤمنين ؟ بينه لي حتى أعلم . فقال علي : ويحك ! إن الله تبارك وتعالى أمر[3] تخييراً ونهى تحذيراً وكلف يسيراً ، لم يعص مغلوباً ولم يكلف تعنتاً ، ولم يرسل الأنبياء عبثاً[4] ، ولم ينزل الكتب لعباً[4] ، و ﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾[5] . قال : فوثب الرجل من بين يديه مستبشراً ، ثم أنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان مشتبهاً ... جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة ... ما كنت ذاكرها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلاً الرب أوقعه ... فها عبدت إذاً يا قوم شيطانا
ولا أراد ولا شاء الفسوق ولا ... قتل الولي له ظلماً وعدوانا
نفسي الفداء لخير الناس كلهم ... بعد النبي عليّ الخيرُ مولانا
أخي النبي ومولى المؤمنين معاً ... وأول الناس تصديقاً وإيمانا
وبعل بنت نبي الله فاطمة ... أكرم بها شرفاً سرّاً وإعلانا

ابتداء ذكر الغارات بعد صفين

حدثنا عبد الله بن محمد البلوي[6] ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء القرشي المدني قال : حدثني نصر بن خالد النحوي ومحمد بن خالد الهاشمي عن أبيه ، عن أبي مخنف بن يحيى بن سعيد الأزدي قال : لما كان من أمر صفين ما

---

(١) نهج البلاغة : وسقط .

(٢) قال محمد عبده في شرح النهج : القضاء علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها . والقدر إيجاده لها عند وجود أسبابها ، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله . فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر ، ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل ، والله يعلمه فاعلاً باختياره إما شقياً به وإما سعيداً . والدليل ما ذكره الإمام .

(٣) نهج البلاغة : أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً .

(٤) نهج البلاغة : لعباً . . . عبثاً . وزيد في النهج : ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً .

(٥) سورة ص ، الآية ٢٧ .

(٦) عن ميزان الاعتدال ، وبالأصل البكوي .

كان ، وحكم[1] الحكمان ما حكما ، ورجع[1] أهل الشام إلى الشام وأهل العراق إلى العراق ؛ واستقر علي بن أبي طالب بالكوفة . وجاء معاوية برجل يقال له الضحاك بن قيس الفهري ، وهو صاحب شرطة معاوية ، فضم إليه خيلاً عظيمة من خيل أهل الشام ، ووجه به نحو أهل العراق وأمره أن يأخذ على طريق السماوة[2] من بلاد بني كلب بن وبرة حتى ينقض على الكوفة وسوادها فيغير على ما قدر عليه[3] .

قال : فأقبل الضحاك في خيل أهل الشام حتى نزل الثعلبية[4] ، ثم صار منها إلى القُطْقُطانة[5] ؛ وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فدعا برجل من أصحابه يقال له حجر بن عدي الكندي ، فضم إليه ألف فارس[6] وأمره بالمسير إلى الضحاك (بن قيس) . فسار حجر بن عدي يريد الضحاك ، والضحاك في وقته ذلك قد أغار على البلاد وقتل رجلاً من خيار أصحاب علي (رضي الله عنه) يقال له عمرو بن مسعود العلائي[7] وقد كان مقيماً بالثعلبية[8] ، فقتله الضحاك بن قيس ؛ فلما بلغه أن حجر بن عدي ـ قد توجه إلى ما قبله أقبل على أصحابه ، فقال : إنكم قد قتلتم رئيساً وقد نزلتم قريباً من بلادهم وديارهم ، فارتحلوا عنهم ، فإن تبعوكم وأصبتم منه عشرة فذاك الذي تريدون ، وإن تكن الأخرى ولم يتبعوكم رجعتم إلى بلادكم سالمين .

---

(١) بالأصل : « وحكموا الحكمين ما حكموا ، ورجعوا » تحريف .

(٢) السماوة : سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها . وهي التي بين الكوفة والشام .

(٣) وكان معاوية قد بلغه أن علياً تحمل إليه مقبلاً فهاله أمره فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام يستنفرهم ويأمرهم بالتجهز للحرب ثم جاءتهم عيونهم بأن علياً اختلف عليه أصحابه وأنه قد رجع عنكم إلى فئة أنكرت عليه أمر الحكومة . ثم جاءت معاوية أخبار أن علياً قد خرج عليه القراء والنساك فخرج إليهم يقاتلهم فعند ذلك دعا معاوية الضحاك وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليهما ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى ولا تقيمن لخيل بلغك أنك قد سرحت إليها لتلقاها فتقاتلها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل (الغارات لابن هلال الثقفي ص ٢٩٠ وما بعدها ـ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٥٣) .

(٤) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة . قد كانت قرية فخربت (مراصد الاطلاع) .

(٥) القطقطانة بالضم ثم السكون : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطفّ .

(٦) في الغارات للثقفي ص ٢٩٣ : أربعة آلاف .

(٧) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٥ : « ابن عميش » وفي الغارات للثقفي ص ٢٩٢ : عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي وهو ابن أخ عبد الله بن مسعود .

(٨) في الغارات للثقفي : قتله في طريق الحاج عند القطقطانة . (انظر الطبري ٦ / ٧٨) .

قال : فسار القوم راجعين يريدون الشام ، وأتبعهم حجر بن عدي في خيل أهل الكوفة ، فلحقهم في بلاد كلب[1] ، فقاتلهم فقتل من أهل الكوفة أربعة نفر وقتل من أهل الشام سبعة نفر[2] ، وانكشفوا منهزمين ، فلم يتبعهم حجر لكنه رجع إلى عليّ بالكوفة فأخبره ذلك ، ورجع الضحاك بن قيس إلى معاوية مغلولاً مهزوماً .

قال : ثم دعا معاوية أيضاً برجل من سادات أهل الشام يقال له يزيد بن شجرة الرهاوي[3] فقال : يا يزيد ! إني أريد أن أوجه بك إلى مكة لتقيم للناس الحج بها ، وتبقي عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتأخذ لي هنالك البيعة بالسمع والطاعة والبراءة من علي . فقال يزيد بن شجرة : أفعل يا أمير المؤمنين ! قال : فقال له معاوية : إني قد رضيت هديك ورأيك ومذهبك[4] ، ولست أوجهك للحرب ، إنما أوجهك لتقيم للناس الحج ، فاتق الله في الحرم ، إن قدرت أن تخرج عامل عليّ رضي الله عنه من الحرم بلا قتال فلا تقاتل ؛ فقال له يزيد بن شجرة : ما كنت لأحيف يا أمير المؤمنين بلداً ﴿ من دخله كان آمناً ﴾[5] .

قال : فضم إليه معاوية ثلاثة آلاف فارس من وجوه أهل الشام ، ثم أوصاه أيضاً فقال : يا يزيد ! أوصيك واعلم بأنك تأتي مكة ، ومكة حرم الله وأمنه ، وأهل مكة قومي وعشيرتي ، ومكة هي بيضتي التي تفلّقت[6] عني ، فاتق الله فيهم ، فإني أحب

---

(١) في الطبري ٦ / ٧٨ والغارات للثقفي ص ٢٩٤ : بتدمر . (وهي مدينة مشهورة قديمة في برية الشام) .

(٢) في الطبري والغارات للثقفي : قتل من أصحاب حجر رجلان (عبد الرحمن وعبد الله الغامدي) وقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً .

(٣) الرهاوي نسبة إلى رهاء كسماء حي من مذحج (القاموس) ، قال في الإصابة : مختلف في صحبته ، كان معاوية يستعمله على الجيوش ، مات سنة ٥٨ في أواخر خلافة معاوية .

(٤) وكان يزيد بن شجرة الرهاوي قد قال لمعاوية : إني لا أسير لك في هذا الوجه حتى تسمع مقالتي وتشفعني بحاجتي . قال : فإن ذلك لك ، فقل ما بدا لك ، فقال : . . . أما بعد فإنك وجهتني إلى قوم أرجو أن يجمعك الله ، ومجمع الصالحين ، فإن رضيت أن أسير إليهم فأعمل فيهم برأيي وبما أرجو أن يجمعك الله وإياهم سرت إليهم ، وإن كان لا يرضيك عني إلا الغشم وتجريد السيف ، وإخافة البريء ، ورد العذر ، فلست بصاحب ما هناك ، فاطلب لهذا الأمر غيري (الغارات لابن هلال الثقفي ص ٣٤٥) .

(٥) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٦) في الغارات : انفلقت .

إصلاحهم وبقاءهم ، وأكره حربهم وقتالهم ، فاحفظ فيهم وصيتي وسر على بركة الله وعونه .

قال : فقال يزيد بن شجرة : اللهم ! إنك تعلم أني لست أعظم مجاهدة من سعى على خليفتك عثمان بن عفان وهتك حرمته ، ولا منابذة من بغى عليه ، اللَّهم ! فإن كنت قضيت بين هذا الجيش وبين أهل حرمك حرباً فاكفني ذلك .

قال : وسار يزيد بن شجرة يريد مكة ، وبمكة يومئذ قثم بن العباس بن عبد المطلب من قبل علي بن أبي طالب ، فقام في أهل مكة خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيها الناس ! إنه قد أظلكم جيش من ظلمة أهل الشام الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، يريدون الإلحاد في حرم الله ، فتسالمون أم تحاربون ؟ قال : فسكت الناس ولم يجبه أحد منهم بشيء ؛ فقال قثم بن العباس : إنكم قد أعلمتموني بما في أنفسكم ، فأنا خارج عنكم إلى بعض هذه الشعاب فأكون هنالك إلى أن يقضي الله بما يحب ويرضى . قال : فقال له شيبة بن عثمان العبدري[2] - من بني عبد الدار بن قصي : يا هذا ! أنت الأمير ونحن الرعية سامعون لك مطيعون ، فإن قاتلت قاتلنا معك ، وإن كففت كففنا معك[3] . قال : فقال قثم بن العباس : هيهات يا أهل مكة ! المغرور من غررتموه ، إن الجنود لا تهزم بالوعد ، ولست أرى معك أحداً يدفع ولا يمنع ، فأعتزل عنكم فأكون في بعض هذه الشعاب وأكتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فإن جاءني من المدد ما أقوى به عليهم ناهضتهم ، وإن تكن الأخرى لم أقاتل وصبرت لأمر الله عزَّ وجلّ . فقال له أبو سعيد الخدري[4] : أيها الأمير ! إن للحرم حرمة عظيمة ، والقوم إن قدموا لم يعجلوا بالقتال ، فأقم ولا تبرح من مكة ، فإذا وافوك ورأيت قوة عليهم فاعمل برأيك ، وإن لم تر قوة تنحيت من بين أيديهم إلى بعض هذه الشعاب ، فتكون قد أعذرتَ وقضيتَ ما عليك .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ الغارات للثقفي ص ٣٤٧ ، باختلاف النصوص .

(٢) هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري نسبة إلى بني عبد الدار الحجبي نسبة إلى حجابة بيت الله الحرام ، وهم جماعة من بني عبد الدار لهم حجابة الكعبة ومفتاحها . وكان شيبة من مسلمة الفتح . توفي سنة ٥٩ (الإصابة - تهذيب التهذيب) .

(٣) انظر مقالته في الغارات للثقفي ص ٣٤٧ .

(٤) انظر مقالة أبي سعيد الخدري لقثم في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ والغارات للثقفي ص ٣٤٧ .

قال : فأقام قثم بن العباس بمكة ، وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه وهو يومئذ بالكوفة ، فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيها الناس ! قد بلغني أن معاوية قد وجه إلى الموسم بجند من أهل الشام الغلف[2] القلوب ، الصم الأسماع ، الكمه الأبصار ، الذين يلبسون[3] الحق بالباطل ، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ، أولياء الشيطان الرجيم ، ووزراء الجبابرة المعتدين ، فسارعوا رحمكم الله إلى جهادهم مع التقي الأمين معقل بن قيس ، واحتسبوا في ذلك الأجر وصالح الذكر ، فإنه لا يفوز بالخير إلا عامله . ولا يجزي جزاء السوء إلا فاعله ، ولن يصلح الله عمل المفسدين . قال : فانتدب له يومئذ ألف وسبعمائة رجل من فرسان العرب ، وفيهم يومئذ الريان بن ضمرة بن هودة الحنفي[4] وأبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ومن أشبههم من الناس .

قال : فخرج[5] القوم من الكوفة في أول يوم من ذي الحجة ، وقد فات الوقت وقدم يزيد بن شجرة صاحب معاوية إلى الحرم قبل التروية بيومين ، فنادى في الناس : أيها الناس ! أنتم آمنون ، فإننا لم نقدم ههنا لقتال ، وإنما قدمنا للحج ، فالناس كلهم في أمان إلا من قاتلنا ونازعنا وعرض في سلطاننا .

قال : واتقى يزيد بن شجرة أن يكون بين الناس قتال ، فقال لأصحابه : انظروا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ! فقيل له : أبو سعيد الخدري ، فقال : عليَّ به ؛ فأتي به إلى يزيد بن شجرة ، فسلم وجلس ، فقال له يزيد : أبا سعيد ! يرحمك الله إني إنما وجهت إليكم لأجمع[6] ولا أفرق ، ولو شاء أن أفعل لفعلت ، لأنه ما عند أميركم امتناع[7] ولا عند أهل البلد أيضاً ، ولو شئت أن آخذ أميركم أسيراً حتى أمضي به إلى الشام لفعلت ، ولكني أكره الإلحاد في الحرم ؛ فقولوا لأميركم أن

---

(١) في نهج البلاغة أن هذا الكلام جاء ضمن رسالة بعثها علي (رض) إلى عامله على مكة انظر كتاب رقم ٣٣ . وفيه زيادة .
(٢) نهج البلاغة : العمي القلوب .
(٣) نهج البلاغة : يلتمسون .
(٤) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٧ الريان بن ضمرة بن هودة بن علي الحنفي .
(٥) الأصل : فخرجوا .
(٦) أي لأشهد صلاة الجمعة .
(٧) في الكامل لابن الأثير : لما فيه أميركم من الضعف .

يعتزل الصلاة بالناس ، فأعتزلها أنا أيضاً ، ويختار الناس رجلاً يصلي بهم ، فإننا نكره ما قد علمت ، والله يا أبا سعيد ! ما[1] يدعوني إلى هذا الذي سمعته مني إلا التماس العافية . فقال له أبو سعيد : جزاك الله من رجل خيراً ! فما رأيت[2] من أهل الشام رجلاً أحسن منك نية ولا أفضل منك رأياً .

قال : ثم أقبل أبو سعيد إلى قثم بن العباس ، فكلمه في أمر الصلاة ، فقال قثم : قد فعلت ذلك . وتراضت الناس بشيبة بن عثمان العبدري ، فصلى بأهل الموسم وأقام لهم الحج .

فلما قضى[3] الناس حجهم أقبل يزيد بن شجرة فقال : يا أهل الشام ! اعلموا أن الله تبارك وتعالى قد رزقكم خيراً وصرف عنكم شراً ؛ فأما الخير الذي رزقكم فطاعة إمامكم وحجكم وقضى نسككم ، وأما الشر الذي صرفه عنكم فكف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ، فانصرفوا الآن مأجورين سامعين مطيعين .

قال : فصدرت أهل الشام عن مكة يريدون الشام ، وأقبلت خيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تقبل ميلاً لمواقعة أهل الشام ، فإذا قد لقيهم بعض الأعراب فأخبروهم بأن أهل الشام قد رحلوا عن مكة يريدون الشام ؛ قال : فنزل معقل بن قيس الطريق إلى مكة وعارضهم في المسير ، وأهل الشام قد نزلوا بوادٍ يقال له وادي القرى[4] .

فلما تقارب معقل بن قيس من وادي القرى قال : إن أهل الشام قد نزلوا على الماء بلا شك ، فإذا رأيتموهم فشدوا عليهم ، فإذا أنا قتلت فأميركم من بعدي أبو الطفيل عامر بن واثلة ، فإن أصيب فالريان بن ضمرة ، فإن أصيب فظبيان بن عمارة ، فإن أصيب فأبو الرداح الشاكري .

قال : وسارت الخيل حتى وافوا وادي القرى ، فإذا أهل الشام قد رحلوا ، وقد بقي منهم عشرة نفر قد كانوا تخلفوا لحوائج لهم ، فأخذهم أصحاب علي رضي الله

---

(١) في الغارات للثقفي ص ٣٥٠ : والله ما يحملني على ما تسمع إلا رضوان الله والتماسه واحترام الحرم ، فإن ذلك أقرب للتقوى وخير في العاقبة .
(٢) عند الثقفي : ما رأيت رجلاً من المغرب أصوب مقالاً ولا احسن رأياً منك .
(٣) بالأصل : قضوا .
(٤) وادي القرى : بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى .

عنه أسارى ، وأخذوا أموالهم وأسلحتهم ودوابهم . قال : وبلغ ذلك أهل الشام فقالوا لأميرهم يزيد بن شجرة : أيها الأمير ! ما ترى ؟ أترجع إلى إخواننا فتستنقذهم من أيدي أهل العراق ؟ فقال يزيد بن شجرة : لا أرى ذلك لكم رأياً ، لأني لا أدري أتكون لنا أم علينا . قال : فكاعت أهل الشام عن أهل العراق .

فأقبل معقل بن قيس راجعاً إلى الكوفة ، فأخبر علياً بما كان من أمر القوم ، فقال علي كرم الله وجهه لأصحابه : احبسوا هؤلاء الأسارى ، فإن لنا في يد معاوية أسارى ، فإذا أطلقهم أطلقنا نحن هؤلاء إن شاء الله .

قال : وسار يزيد بن شجرة إلى معاوية فأخبره بحاله وقصته ، فقام إلى معاوية قوم من عشائر المحبسين بالكوفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إن إخواننا لو كانوا ماتوا أو قتلوا لاحتسبناهم ، ولكنهم أسارى بالعراق في حبس علي رضي الله عنه فما الحيلة في ذلك ؟ فقال لهم معاوية : اسكتوا ! فلستم بأحرص على تخليصهم مني ولا تعجلوا .

قال : ثم بعث أيضاً معاوية برجل من أصحابه يقال له الحارث بن نمر[١] التنوخي في ألف رجل من حماة أهل الشام وأمره بالغارة على بلاد الجزيرة ممن هم في طاعة علي رضي الله عنه . قال : فأقبلت خيل أهل الشام حتى بلغت تخوم صفين ودارا[٢] ، فأغاروا على قوم من بني تغلب ممن كانوا في طاعة علي رضي الله عنه ، فأسروا منهم ثمانية[٣] نفر ، وانصرفوا راجعين[٤] إلى الشام ؛ وقام رجل من أهل الجزيرة يقال له عتبة بن الوعل ، فجمع قومه من بني تغلب ، ثم صار إلى جسر منبج[٥] ، فعبر الفرات وأغار على أوائل الشام ، فغنم غنائم كثيرة ورجع إلى بلاد الجزيرة ؛ وأنشأ يقول :

---

(١) كذا بالأصل وابن الأثير ٢ / ٤٢٨ وفي الغارات للثقفي ص ٣٤٦ نمير . وهو من فرسان أهل الشام . والتنوخي نسبة إلى تنوخ ؛ وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر فأقاموا هناك فسموا تنوخاً . والتنوخ : الإقامة .

(٢) دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

(٣) في الكامل لابن الأثير : سبعة نفر .

(٤) بالأصل : راجعون .

(٥) منبج : بلد قديم . وهي مدينة واسعة كبيرة ذات خيرات كثيرة . بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ .

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... فإني قد أغرت كما تغيرُ

صبحنا منبجاً بالخيل تردى ... شوازب في أياطلها ضمير

بكل سميدع ماض جسور ... على الأهوال في ضنك يسير

وكل مجرب بطل همام ... لدى الهيجاء مطلبه عسير

وفتيان يرون الصبر مجداً ... بأيديهم مهندة ذكور

قال : ثم كتب علي رضي الله عنه إلى معاوية[1] : أما بعد ، يا معاوية ! فإن الله عدل لا يجور . وعزيز لا يغلب ، يجزي بالإحسان إحساناً ، وهو بصير بما تعمل العباد ، واعلم بأنك لم تخلق للدنيا والخلود فيها ، بل أنت راجع إلى ربك فملاقيه ، فاتق الله يا معاوية ! وانصف من نفسك ولا تطغينّك الأماني الباطلة والغرور ، فإني مؤل[2] بالله ألية صدق[3] لئن[4] جمعتني وإياك داراً لأزايلنك أبداً أو يفتح الله بيننا بالحق وهو خير الفاتحين ، فأطلق من في يديك من إخواننا حتى نطلق من في أيدينا من أصحابك ، فإني قد بعثت إليك في ذلك مولاي سعداً[5] ـ والسلام ـ .

قال : فلما وصل كتاب علي إلى معاوية أطلق من كان في يديه من أصحاب عليّ ، وأطلق عليّ أيضاً من كان في يديه من أصحاب معاوية .

قال : وظن علي رضي الله عنه أن معاوية لا يغير عليه بعد ذلك ، فلما كان بعد شهر أقل أو أكثر وجّه معاوية أيضاً برجل من أصحاب الشام يقال له سفيان بن عوف الغامدي[6] في خيل عظيمة ، وأمره بالمسير والغارة على أداني العراق والقتل من قدر

---

(١) الكتاب في نهج البلاغة باختلاف النص ـ كتاب رقم ٥٥ .

(٢) نهج البلاغة : « أولي » أي أحلف بالله حلفة غير حانثة .

(٣) نهج البلاغة : ألية غير فاجرة .

(٤) العبارة في النهج : لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(٥) هو سعد بن الحارث الخزاعي له إدراك ، كان على شرطة علي بالكوفة وكان مناديه في الناس وقد ولاه على أذربيجان ثم انضم إلى الحسن بن علي ثم تبع الحسين بن علي وقتل معه في كربلاء .

(٦) عن فتوح البلدان ص ١٨٨ وبالأصل « العامري » تحريف . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٧٣ . وانظر ترجمته في الإصابة . قال ابن حجر : صحب النبي (ص) وله بأس وسخاء . واستعمله معاوية على الصوائف وكان يعظمه . توفي سنة ٢ أو ٣ أو ٥٤ .

وانظر خبر غارته في الطبري ٦ / ٧٨ والغارات لابن هلال الثقفي ص ٣٢٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد م ١ / ٣٣٥ وانظر الكامل للمبرد ١ / ٢٩ فيه بعض الرواية وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٦ .

عليه من شيعة علي [1] .

قال : فسارت خيل الشام [2] حتى انتهت إلى بلد يقال له هيت [3] ، وبه يومئذ رجل من قبل علي رضي الله عنه يقال له كميل بن زياد النخعي ؛ فلما بلغه أن خيل الشام قد تقاربت من هيت خلف عليها رجلاً من أصحابه في خمسين فارساً وسار يريد خيل أهل الشام . قال : فلما أبعد كميل بن زياد عن مدينة هيت أقبل صاحب معاوية وهو سفيان بن عوف الغامدي [4] على هيت وأغار على أطرافها ولم يتبعه أحد [5] .

ثم سار إلى الأنبار [6] وبها رجل من أصحاب علي يقال له أشرس بن حسان البكري [7] فلم يشعر إلا وسفيان بن عوف قد كبسه في أهل الشام فقتله وقتل جماعة من أصحابه [8] ، ثم أغار على الأنبار وأخذ منها ما أخذ ، وولّى منصرفاً إلى الشام .

قال : وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فهمّ أن يسير إليه بنفسه ، ثم إنه لم ير ذلك رأياً [9] ، فدعا بسعيد بن قيس الهمذاني فضم إليه خيلاً من فرسان الكوفة ، وأمره أن يطلب القوم .

قال : فخرج سعيد بن قيس في طلب سفيان وأصحابه [10] حتى بلغ أرض عانات [11] فلم يقدر عليه ، وبعث سعيد بن قيس رجلاً من أصحابه يقال له هانىء بن الخطاب [12] في طلب القوم ، فبلغت الخيل إلى أداني الشام حتى أشرفت على

---

(١) انظر مقالة معاوية ووصيته لسفيان بن عوف في الغارات للثقفي ص ٣٢١ والطبري ٦ / ٧٨ .
(٢) في الطبري ٦ / ٧٨ : ستة آلاف .
(٣) هيت : في مراصد الإطلاع : هيت بالكسر ، سميت باسم بانيها هيت البندي ويقال البلندي على الفرات فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة .
(٤) بالأصل : « العامري » وقد مرّ .
(٥) في الطبري : سار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً (وانظر الغارات للثقفي) .
(٦) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ .
(٧) في اسم عامل علي (رض) على الأنبار خلاف : قيل أشرس بن حسان البكري ، وقيل حسان بن حسان . انظر المصادر السابقة (الصفحة السابقة حاشية رقم ٥) .
(٨) قتل مع ثلاثين رجلاً من أصحابه (الطبري ٦ / ٧٨) .
(٩) يفهم من عبارة الطبري والغارات لابن هلال الثقفي أن الناس لم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله .
(١٠) في ثمانية آلاف (الغارات للثقفي ص ٣٢٤) .
(١١) عانات : قرى بالفرات وهي آلوس وسالوس وناووس (مراصد الاطلاع) .
(١٢) مرّ ذكره فيمن نسب إليه قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب .

صفين ، فلم يقدروا على سفيان ، فانصرف سعيد بن قيس إلى عليّ فأخبره بذلك ؛ فأنشأ رجل من أهل الكوفة يقول :

أرى ابن أبي سفيان مرخي جنوده يغير علينا ضلة وتحامقا
وبين الفتى في الحرب يوماً إذا سرت بوارق خيلاً يتبعن بوارقا
سيلقى رجالاً من صحاب محمد بأيديهم بيضٌ يجن عقائقا
فتبغي نجاة يا معاويَ منهم ولست بناج أو تموت منافقا

قال : ثم كتب عليّ إلى كميل بن زياد يلومه على فعله وتضييعه مدينة هيت وخروجه عنها .

فلما كان بعد ذلك بأيام وجّه معاوية أيضاً برجل من أهل الشام يقال له عبد الرحمن بن أشيم[1] في خيل من أهل الشام إلى بلاد الجزيرة ، فأقبل عبد الرحمن بن أشيم هذا في خيله من أهل الشام يريد الجزيرة ، وبالجزيرة يومئذ رجل يقال له شبيب بن عامر . قال : وشبيب هذا هو جد الكرماني[2] الذي كان بخراسان وكان بينه وبين نصر بن سيار ما كان ، وكان هذا شبيب مقيماً بنصيبين[3] في ستمائة رجل من أصحاب علي رضي الله عنه ، فكتب إلى كميل بن زياد : أما بعد ، فإني أخبرك أن عبد الرحمن بن أشيم قد وصل إليّ من الشام في خيل عظيمة ، ولست أدري أين يريد ، فكن على حذر - والسلام - .

قال : فكتب إليه كميل : أما بعد ، فقد فهمتُ كتابك وأنا سائر إليك بمن معي من الخيل - والسلام - .

قال : ثم استخلف كميل بن زياد رجلاً يقال له عبد الله بن وهب الراسبي ، وخرج من هيت في أربعمائة[4] فارس كلهم أصحاب بيض ودروع ، حتى صار إلى شبيب بنصيبين ، وخرج شبيب من نصيبين في ستمائة رجل ، فساروا جميعاً في ألف فارس يريدون عبد الرحمن ، وعبد الرحمن يومئذ بمدينة يقال لها كَفَرْتُوثا[5] في

(١) عند ابن الأثير ٢ / ٤٢٨ عبد الرحمن بن قباث بن أشيم .
(٢) الكرماني هو علي بن جديع بن شبيب بن عامر الأزدي (يرد ذكره في حوادث سنة ١٣٠ هـ).
(٣) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .
(٤) الكامل لابن الأثير : ستمئة فارس .
(٥) كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ .

جيش لجب من أهل الشام ، فأشرفت خيل أهل العراق على خيل أهل الشام . قال : وجعل كميل بن زياد يرتجز ويقول :

يا خير من جرّ له خير القدرْ ... فالله ذو الآلاء أعلى وأبرْ
يخذل من شاء ومن شاء نصرْ

قال : وجعل شبيب يرتجز ويقول :

تجنبوا شداتِ ليث ضيغِم ... جَهْمُ محيّا عَقْرُبانٌ شدقمُ
يغادر القرن صريعاً للفم ... بكل عضب صارم مصمم

قال : واختلط[1] القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من أصحاب كميل رجلان عبد الله بن قيس القابسي ومدرك بن بشر الغنوي ، ومن أصحاب شبيب أربعة نفر ؛ ووقعت الهزيمة على أهل الشام فقتل منهم بشر كثير[2] ، فولوا الأدبار منهزمين نحو الشام .

فقال كميل لأصحابه : لا تتبعوهم فقد أنكينا فيهم ، وإن تبعناهم فلعلهم أن يرجعوا علينا ، ولا ندري كيف يكون الأمر .

قال : ثم رجع شبيب بن عامر إلى نصيبين[3] ، ورجع كميل بن زياد إلى هيت ، وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فكتب إلى كميل بن زياد : أما بعد ، فالحمد لله الذي يصنع للمرء كيف يشاء ، وينزل النصر على من يشاء إذا شاء ، فنعم المولى ربنا ونعم النصير ، وقد أحسنت النظر للمسلمين ونصحت إمامك ، وقدماً كان ظني بك ذلك فجربت والعصابة التي نهضت بهم إلى حرب عدوك خير ما جُزي الصابرون والمجاهدون ، فانظر لا تغزونّ غزوة ولا تجلون إلى حرب عدوك خطوة بعد هذا حتى تستأذنني في ذلك ـ كفانا الله وإياك تظاهر الظالمين ، إنه عزيز حكيم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

---

(١) بالأصل : واختلطوا .
(٢) زيد في الكامل لابن الأثير : وأمر (أي كميل بن زياد) أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح .
(٣) قبل عودته إلى نصيبين عبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك ، فوجه إليه معاوية حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه وعاد إلى نصيبين (الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٨) .

قال : ثم كتب إلى شبيب بن عامر بمثل هذه النسخة ليس فيها زيادة غير هذه الكلمات : واعلم يا شبيب أن الله ناصر من نصره وجاهد في سبيله ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ـ .

خبر أهل اليمن وتحريك شيعة عثمان بن عفان بها وخلافهم على عليّ بن أبي طالب

قال : وتحركت شيعة عثمان بن عفان وخالفوا علياً رضي الله عنه وأظهروا البراءة منه[1] ، قال : وباليمن يومئذ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب[2] من قبل علي بن أبي طالب وكان مقيماً بصنعاء[3] ؛ فأرسل إلى جماعة من هؤلاء الذين خالفوا علياً فدعاهم ثم قال : يا هؤلاء ! ما هذا الذي أنتم فيه من السعي في الفساد ؟ وما أنتم والطلب بدم عثمان ؟ وإنما أنتم قوم رعية ، وقد كنتم قبل اليوم لازمين بيوتكم ، فلما سمعتم بذكر هذه الغارات رفعتم رؤوسكم وخالفتم علينا ! قال فقالوا : يا أمير ! إنا لم نزل نرى مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان .

قال : وأمر عبيد الله بن العباس بحبس رجال منهم فحبسوا . وبلغ ذلك قوماً من أهل اليمن ممن كان يرى مخالفة علي رضي الله عنه ، فكتبوا إلى عبيد الله بن عباس أن خلّ سبيل من في سجنك من إخواننا ، وإلا فلا طاعة لك ولا لصاحبك علينا ! قال : فأبى عبيد الله أن يخلّي سبيلهم .

قال : فاستعصى أهل اليمن ومنعوا زكاة أموالهم وأظهروا العصيان ، وكتب عبيد الله بن عباس بذلك إلى عليّ[4] وأخبره بما هم فيه أهل صنعاء من الخلاف

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٢٧٩ أن قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله ، لم يكن لهم نظام ولا رأس ، فبايعوا علياً على ما في أنفسهم ، . . . فلما اختلف الناس على علي بالعراق ، وقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وكثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان ومنعوا الصدقات وأظهروا الخلاف (انظر الغارات لابن هلال الثقفي ص ٤٠٤) .

(٢) كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ، رأى النبي (ص) وسمع منه ، وحفظ عنه .

(٣) صنعاء : من مدن اليمن .

(٤) في شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٠ وكتاب الغارات للثقفي أن عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران عامل علي على الجند ، وقد أخرجوه عنها ، كتبا إلى علي (رض) يخبرانه بخبر أهل اليمن . وانظر نسخة الكتاب فيه وفي كتاب الغارات للثقفي ص ٤٠٥ .
وانظر فيهما أيضاً رد علي (رض) على كتابهما .

والعصيان . فدعا عليّ بيزيد بن أنس[1] الأرحبي ، فقال : ألا ترى إلى صنع قومك باليمن ومخالفتهم عليّ وعلى عاملي ؟ فقال يزيد بن أنس : والله يا أمير المؤمنين ! إن ظني بقومي لحسن طاعتك ، وإن شئت سرت إليهم بنفسي ، وإن شئت كتبت إليهم ونظرت ما يكون من جوابهم ، فإن رجعوا إلى طاعتك ، وإلا سرتُ إليهم فكفيتك أمرهم إن شاء الله . فقال علي : أكتب إليهم .

قال : ثم كتب علي رضي الله عنه[2] : أما بعد ، فقد بلغني جرمكم وشقاقكم واعتراضكم على عاملي[3] بعد الطاعة والبيعة ، فاتقوا الله وارجعوا إلى ما كنتم عليه ، فإني أصفح عن جاهلكم ، وأحفظ قاصيكم ؟ وأقوم فيكم بالقسط ، وإن لم تفعلوا فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾[4] . قال : ثم بعث بكتابه هذا إليهم مع رجل من همذان يقال له الحر بن نوف بن عبيد .

قال : فأقبل الهمذاني بالكتاب إلى أهل اليمن ، ثم صار إلى مدينة من مدنهم يقال لها الجَنَد[5] ، وأهل الجَنَد قد كتبوا إلى معاوية وسألوه أن يوجه إليهم بأمير من قبله . قال : فقدم عليهم رسول عليّ فأقرأهم الكتاب ثم قال : اعلموا أن أمير المؤمنين علياً أراد أن يوجه إليكم يزيد بن أنس[6] في الخيل والرجال ، ثم إنه لم يحب أن يعجل عليكم ، فاتقوا الله ربكم ولا تفسدوا في أرضكم ولا تقاتلوا إمامكم . قال : فتكلم قوم من كبرائهم فقالوا : يا هذا ! إنا قد سمعنا كلامك ، فاذهب إلى عليّ رضي الله عنه فليبعث إلينا من شاء ، فإنا على بيعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[7] .

قال : ثم كتبوا إلى معاوية : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ! فالعجل العجل ! وجه

---

(١) في كتاب الغارات ص ٤٠٦ والإصابة : يزيد بن قيس . وفي الإصابة : له إدراك وكان رئيساً كبيراً . . . كان مع علي في حروبه وولاه شرطته ثم ولاه بعد ذلك أصبهان والري وهمدان .

(٢) نسخته في كتاب الغارات للثقفي ص ٤٠٧ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٠ .

(٣) في المصدرين : واعراضكم عن دينكم ، وتوثبكم بعد الطاعة واعطاء البيعة .

(٤) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٥) الجند : ولاية باليمن . واليمن ثلاث ولايات : الجند ومخاليفها وصنعاء ومخاليفها وحضرموت ومخاليفها . والجند مدينة منها (مراصد الاطلاع) .

(٦) يزيد بن قيس . مر التعليق حوله .

(٧) كذا وفي كتاب الغارات ص ٤٠٨ وشرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨١ فقالوا : نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا عبيد الله وسعيداً .

إلينا من قبلك لنبايعك على يديه وإلا كتبنا إلى علي فاعتذرنا إليه مما كان منا ـ والسلام[1] ـ .

خبر بسر بن [أبي] أرطاة الفهري[2] وما قتل من شيعة علي بن أبي طالب بأرض اليمن

قال : فعندها دعا معاوية بسر بن [أبي] أرطاة الفهري وهو أحد فراعنة الشام ، فعقد له عقداً وضم إليه أربعة[3] آلاف رجل من نجبة رجال أهل الشام ، ثم قال له : سر إلى اليمن سيراً عنيفاً حتى تأخذ بيعة الناس ، فإنهم قد خالفوا علياً ، وانظر أن تجعل طريقك على مكة والمدينة ، فلا تنزلن بلداً أهله في طاعة عليّ إلا بسطت لسانك عليهم حتى يظنوا أنك محيط بهم وأنه لا نجاة لهم منك ، ثم اصفح عنهم بعد ذلك وادعهم إلى البيعة [لي][4] فمن أبى عليك فاستعمل السيف ، واقتل كل من نابذك حتى تدخل أرض اليمن .

قال : فخرج بسر بن [أبي] أرطاة في أربعة آلاف فارس من دمشق يريد المدينة ، وعلى المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما أحس بخيل بسر أنها قد شارفت المدينة خرج منها هارباً خوفاً على نفسه ؛ قال : وخرج أهل المدينة إلى بسر يستقبلونه خوفاً منه على أنفسهم ، فلما نظر إليهم صاح بهم وانتهرهم ، ثم قال : شاهت الوجوه ! إن الله تعالى ضرب لكم مثلاً **﴿ قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾**[5] فقد وقع بكم هذا المثل وأنتم أهل

---

(١) زيد في كتاب الغارات : وفيه :

معاوي ألا تسرع السير نحونا ... بايع علياً أو يزيد اليمانيا

(يريدون يزيد بن قيس الأرحبي) .

(٢) هو بسر بن أبي أرطاة ـ أو ابن أرطأة ـ بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

انظر خبر مسيره إلى اليمن في الطبري ٦ / ٨٠ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٠ الغارات للثقفي ص ٤٠٩ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٧٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧ .

(٣) الطبري واليعقوبي وابن الأثير : ثلاثة آلاف .

(٤) عن كتاب الغارات . وانظر وصية معاوية لبسر في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٧ وكتاب الغارات ص ٤١١ وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٢ .

(٥) سورة النحل الآية ١١٢ .

لذلك لأن بلادكم هذه قد كانت مهاجر نبيكم ﷺ ومنازل الخلفاء من بعده ، فلم تشكروا نعمة الله ربكم ، ولم ترعوا حق أئمتكم حتى قتل خليفة الله بين أظهركم ، فكنتم بين قاتل وخاذل وشاتم[1] ومتربص ؛ أما والله لأفعلن بكم الأفاعيل ولأجعلنكم أحاديث كالأمم السالفة ، يا أشرار الأنصار وحلفاء اليهود ! ويا أسماء العبيد ! إنما أنتم بنو النجار وبنو دينار وبنو سالم وبنو زريق وبنو طريف وبنو عجلان ، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي صدور المؤمنين ! قال : ثم دخل المدينة فصعد المنبر وتكلم بنظير ذلك الكلام ، حتى خاف أهل المدينة أن يوقع بهم ، فقال له حويطب بن عبد العزى[2] وهو على المنبر : أيها الأمير ! عشيرتك وقومك وأنصار نبيك وليسوا بقتلة عثمان ، فالله الله إليهم ! قال : فلم يكلمه بسر بن [أبي] أرطاة بشيء غير أنه مكث وكف عن بعض الكلام ، وأمر بدور قوم من الأنصار فحرقت[3] وهدمت ، ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ؛ ثم أرسل إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ليأتيه فلم يفعل ، وذلك أنه كان شيخاً كبيراً ، فهمّ بقتله ، حتى أرسلت إليه أم سلمة زوج النبي ﷺ وسألته الأمان له ، فقال بسر : لا والله لا أؤمنه حتى يبايع معاوية ، قال : فبايع جابر بن عبد الله معاوية على الكره منه[4] ، وأقام بسر بالمدينة أياماً حتى أخذ البيعة لمعاوية ، ثم نادى في الناس فجمعهم ثم قال : يا أهل المدينة ! إني قد صفحت عنكم وما أنتم لذلك أهل ، لأنه ما من قوم قتل إمامهم بين أظهرهم فلم يدفعوا عنه بأهل أن يعفى عنهم ، وإن نالتكم العقوبة في الدنيا فإني أرجو أن لا تنالكم رحمة الله عزَّ وجلَّ في الآخرة ، ألا ! وإني استخلفت عليكم أبا هريرة فاسمعوا له وأطيعوا ، وإياكم والخلاف ! فوالله لئن عدتم لمعصية لأعودن عليكم بالهلاك وقطع النسل .

---

(١) كتاب الغارات وشرح ابن أبي الحديد : شامت .

(٢) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود العامري أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وكان من المؤلفة قلوبهم عاش ١٢٠ سنة ومات سنة ٥٤ (الإصابة) .

(٣) من الدور التي أحرقت : دار زرارة بن جرول أحد بني عمرو بن عوف ، ودار رفاعة بن رافع الزرقي ، ودار أبي أيوب الأنصاري (كتاب الغارات لابن هلال ص ٤١٤ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٤) .

(٤) وقد قال لأم سلمة لما قالت له أرى أن تبايع ، قال : ماذا ترين ؟ إن هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل (الطبري ٦ / ٨٠ وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وكتاب الغارات ص ٤١٥) .

ثم سار من المدينة يريد مكة ، وبها يومئذ قثم بن العباس[1] ، فخرج عنها هارباً خوفاً على نفسه ؛ حتى إذا أشرف بسر بن [أبي] أرطاة على مكة خرج إليه أشراف أهلها ، فلما نظر إليهم انتهرهم وشتمهم ، ثم قال : أما والله لولا خلة واحدة أوصاني بها أمير المؤمنين معاوية لما تركت منكم أحداً يمشي على وجه الأرض . قال : فقال له أشراف مكة : أيها الأمير ! فإنا نذكرك الله في بيضتك وعشيرتك وأهل حرم الله وحرم رسوله ﷺ ؛ قال : فسكت بسر ولم يتكلم بشيء .

وسار حتى جاز بئر ميمون[2] جعل الناس يهربون بين يديه خوفاً منهم على أنفسهم ، قال : ونظر بسر إلى غلامين من أحسن الغلمان هيئة وجمالاً وهما هاربان فقال : عليّ بهما ! فأتي بهما حتى وقفا بين يديه ، فقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا قثم وهذا أخي ابنا عبيد الله[3] بن عباس بن عبد المطلب ، فقال بسر : الله أكبر ! أنتما ممن أتقرب بكما وبسفك دمائكما إلى الله تعالى ! قال : ثم أمر بهما فذبحا ذبحاً[4] ، وبلغ ذلك أمهما[5] فجزعت عليهما طويلاً ثم أنشأت تقول[6] :

ها من أحس بابني اللذين هما قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف[7]

---

(١) مرت الإشارة إليه وانظر أسد الغابة .

(٢) بئر ميمون : بمكة منسوب إلى ميمون بن الحضرمي حفرها بمكة في الجاهلية وعندها قبر أبي جعفر المنصور (معجم البلدان) .

(٣) بالأصل : عبد الله خطأ .

(٤) في اسميهما ، ومتى قتلا والمكان الذي قتلا به أقوال : قيل أحدهما عبد الرحمن والآخر قثم . وقيل سليمان وداود وقيل كان قتلهما باليمن ، وقيل كانا عند رجل من بني كنانة بالبادية وقيل إنه ذبحهما على درج صنعاء . وقيل عند بئر ميمون .
قارن مختلف هذه الأقوال في الطبري ٦ / ٨٠ ـ ٨١ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣١ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧ تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ الاستيعاب ١ / ٩٥ الغارات للثقفي ص ٤٢٠ .

(٥) هي أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ ، وقيل هي عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان . (انظر المصادر السابقة) .

(٦) الأبيات في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ ابن الأثير ٢ / ٤٣١ الغارات ص ٤٢٠ شرح النهج لابن أبي الحديد ١ /٢٨٦ الاستيعاب ١ / ٦٥ باختلاف بعض الألفاظ ـ قارن معها .

(٧) تشظى : تطاير شظايا . والصدف غشاء الدرة واحدها صدفة .

مـن دل والـهـة حـرّى مـدلـهـة ... على جبينين ضـلا إذ غـدا السلف[1]
هـا من أحس بـابنـي اللذيـن همـا ... مخ العـظام فمخي اليـوم مـزدهف[2]
نبئت بسـراً ومـا صـدّقتُ مـا زعمـوا ... من إفكهم ومن القـولّ الـذي اقتـرفـوا
أنحى على ودجي ابـنيّ مـرهـفـة[3] ... مـن الشـفـار كـذاك الإثم يـقـتـرف

قال : ثم دخل عدو الله إلى مكة فطاف بالبيت وصلى ركعتين وقـام فقال : الحمد لله الذي جمع لنا أمرنا ، وأعز دعوتنا ، وكبت[4] عدونا بالقتل والتشريد ، هذا علي بن أبي طالب بناحية من العراق في[5] قلة وذلة ، قد سلبه اليوم جزيل عطائه[5] وأسلمه اليوم بجريرته ، وهذا معاوية بن أبي سفيان ولي الأمر والطالب بدم الخليفة عثمان بن عفان ، فبايعوه ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً . قال : فبايع الناس معاوية بالكره منهم ، وهم في ذلك ناقمون على بسر بن [أبي] أرطاة لوقعته في علي بن أبي طالب .

قال : وأقام بسر بن [أبي] أرطاة بمكة أياماً ، ثم عاد ودعا بشيبة بن عثمان العبدري[6] واستخلفه على أهل مكة ، وقال : يا أهل مكة ! اعلموا أني قد صفحت عنكم بعد أن كان رأيي استئصالكم ، فإياكم والخلاف ! فوالله لئن خالفتم لأقتلن[7] الرجال منكم ، ولأحوين الأموال ، ولأخربن الديار ، ولأفنين الصغار والكبار .

قال : ثم سار يريد الطائف[8] ، حتى إذا دنا منها خرج إليه المغيرة بن شعبة فاستقبله وكلمه في قومه ، فقال : أيها الأمير ! إنه لم يزل يبلغنا عنك منذ خرجت من الشام شدتك على عدو أمير المؤمنين عثمان بن عفـان ، وكنت في ذلك محمـوداً عندنا ، وإنك أيها الأمير متى كان عدوك ووليك عندك في منزلة واحدة تأثم في ربك

---

(١) الوله ذهاب العقل .
(٢) مزدهف : أي قد ذهب به .
(٣) مرهفة يقال أرهف السيف أي رققه فهو مرهف ، قاطع .
(٤) في كتاب الغارات : وأذلّ .
(٥ ـ ٥) في كتاب الغارات : في ضنك وضيق ، قد ابتلاه الله بخطيئته ، واسلمه . .
(٦) بالأصل : العبدي تحريف . وقد مرّ .
(٧) في كتاب الغارات : لأقصدن منكم إلى التي تبير الأصل ، وتحرب المال ، وتخرب الديار .
(٨) في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ١ / ٢٨٥ والغارات للثقفي ص ٤١٨ أن المغيرة كتب إلى بسر حين علم بخروجه من مكة إلى الطائف . ونسخته فيهما باختلاف يسير .

وتعرى[1] الناس بك . قال : فأمسك بسر ولم يؤذ أحداً من أهل الطائف ، ثم نزل ودعا برجل من أصحابه فأرسله إلى قبالة[2] وبها يومئذ قوم من شيعة علي رضي الله عنه ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا عن آخرهم[3] .

قال : ثم سار بسر إلى نجران[4] وبها يومئذ رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له عبد المدان فسماه النبي ﷺ عبد الله[5] ، وكان من شيعة علي رضي الله عنه ، فقتله بسر بن [أبي] أرطاة وقتل ابناً له يسمى مالكاً ، فأنشأ بعض بني عمه يقول[6] :

فلولا أن أخاف صيال بسر ... بكيت على بني عبد المدان[7]

قال : ثم جعل بسر يتهدد أهل نجران بالقتل ويقول لهم[8] : يا إخوان اليهود والنصارى ! أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب لأرجعن عليكم بالخيل والرجال ثم لأكثرن فيكم القتل ، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر .

قال : ثم سار بسر بن [أبي] أرطاة إلى بلاد همذان وبها قوم من أرحب من شيعة علي بن أبي طالب ، فقتلهم عن آخرهم .

---

(١) في كتاب الغارات : وتغري بك عدوك .

(٢) كذا ، وفي الغارات وشرح النهج ومعجم البلدان : تبالة ، وهي موضع ببلاد اليمن . بينها وبين الطائف ستة أيام .

(٣) كذا بالأصل ، ويفهم من غارات ابن هلال أنهم انقذوا في آخر لحظة وكانوا قد أخرجوا ليقتلوا فجاء كتاب بسر بالعفو عنهم ص ٤١٩ وانظر شرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨٥ .

(٤) نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة (انظر مراصد الاطلاع) .

(٥) في الطبري ٦ / ٨٠ عبد الله بن عبد المدان الحارثي . وفي كتاب الغارات ص ٤٢٣ : عبد الله الأصغر بن عبد المدان ، وكان يقال له عبد الحجر .
(سمي بالأصغر لأن له أخاً اسمه عبد الله وكلاهما من الصحابة) .

(٦) في كتاب الغارات لابن هلال ص ٤٢٣ : « فبكاهما شاعر قريش » وفي الإصابة ترجمة عبد الله بن عبد المدان ذكر الشاعر وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان صديقاً لعبد الله .

(٧) البيت في كتاب الغارات :
ولولا أن تعنفني قريش ... بكيت على بني عبد المدان
وبعده فيه :
لهم أبوان قد علمت معدّ ... على ابنائهم متفضلان

(٨) انظر مقالته في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٩ والغارات لابن هلال ص ٤٢٣ .

ثم سار إلى جيشان[1] وبها يومئذ خلق من شيعة علي رضي الله عنه ، فقتلهم عن آخرهم .

ثم سار يريد صنعاء وبها يومئذ عبيد الله بن عباس من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما بلغه خبر بسر دعا برجل يقال له عمرو بن أراكة[2] فاستخلفه على صنعاء وخرج عنها هارباً ، وأقبل عدو الله حتى دخل صنعاء فأخذ عمرو بن أراكة فضرب عنقه صبراً ، وجعل يتلقط من كان بصنعاء من شيعة عليّ فيقتلهم حتى لم يبق منهم أحد .

وخرج من صنعاء يريد حضرموت فلما دخلها جعل يسأل عن كل من يعرف أحداً من موالاة علي فيقتله حتى قتل خلقاً كثيراً . قال : ثم أقبل إلى رجل من ملوكهم يقال له عبد الله بن ثوابة وهو في حصن له ، فلم يزل يختدعه ويحلف له حتى استنزله من حصنه ثم أمر بقتله ، فقال له ابن ثوابة : أيها الرجل ! إني لا أعلم ذنباً لنفسي يوجب القتل فعلامَ تقتلني ؟ فقال له بسر : بقعودك عن بيعة معاوية وتفضيلك علي بن أبي طالب ؛ فقال ابن ثوابة : فذرني حتى أصلي ركعتين أختم بهما عملي ؛ فقال بسر : صلّ ما بدا لك فإني قاتلك . قال : فصلى عبد الله بن ثوابة ركعتين فعجل عن إتمامهما ، وقطع بالسيف إرباً إرباً .

وبلغ ذلك علي بن أبي طالب[3] فاغتم لذلك غماً شديداً ، ثم إنه نادى الناس فجمعهم ثم خطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال[4] : أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى لا يخفى عليه ما العباد عاملون في ليلهم ونهارهم ، فاتقوا الله عباد الله في أمره ونهيه ، وبعد فإني أخبركم أن بسر بن [أبي] أرطاة عدو الله قد توجه إلى أرض اليمن من قبل معاوية ، وقد سلك طريق الحجاز في جمع عظيم من أهل الظلم والعدوان ، وفعل كذا وكذا وأحرق وهدم ، وما بسر برح الله بسراً فلقد باع الآخرة بالدنيا ،

---

(1) جيشان : مخلاف باليمن شمالي لحج وغربي بلاد يافع .

(2) كذا بالأصل وكتاب الغارات ص ٤٢٤ وشرح النهج لابن أبي حديد ١ / ٢٨٧ وفي الطبري ٦ / ٨٠ وابن الأثير ٢ / ٤٣١ واليعقوبي ٢ / ١٩٨ إن عبيد الله بن العباس استخلف عبد الله بن عبد المدان . وانظر ترجمة لابن اراكة ـ أو ابن أبي اراكة في الاستيعاب والإصابة .

(3) أبلغه الخبر ابن قيس بن زرارة الشاذي (الشاكري نسبة إلى بني شاكر فخذ من همذان) عن كتاب الغارات للثقفي ص ٤٢٧ .

(4) قارن مع تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وكتاب الغارات ص ٤٢٧ وص ٤٢٨ .

فلينتدب له منكم أهل الجنة والجهاد وطلاب الأجر والثواب ، فإن ترك المجاهدة المستحق للجهاد نقص في الدين مع الذل والصغار . قال : فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقال لهم علي : ما لكم لا تردون جواباً ولا ترجعون قولاً ؟ أدعوكم إلى جهاد عدوكم سراً وجهراً فلم يزدكم دعائي إلاّ فراراً ، أتتناشدون الأشعار وتتسلون عن الأسفار ؟ تربت يداكم لقد نسيتم الحرب والاستعداد لها فأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها . قال : فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقال : أو ليس من العجب أن معاوية يأمر فيطاع ويدعو فيجاب ، وآمركم فتخالفون وأدعوكم فلا تجيبون ، ذهب والله أولو النهى والفضل والتقى الذين كانوا[1] يقولون فيصدقون ويدعون فيجيبون ويلقون عدوهم فيصبرون ، وبقيت في حثالة قوم لا ينتفعون بموعظة ولا يفكرون في عاقبة ، لقد هممت أن أشخص عنكم فلا أطلب نصركم ما اختلف الجديدان[2] ، وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم وكأني بكم وقد ولاّكم من بعدي من يحرمكم عطاءكم ويسومكم سوء العذاب ، والله المستعان وعليه التكلان . فلما فرغ علي رضي الله عنه ونظر أنه ليس يجيبه أحد انصرف إلى منزله .

خطبة ثانية

قال : فلما كان من الغد عاد إلى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[3] : أيها الناس ! والله لقد خشيتُ أن[4] يدال هؤلاء القوم منكم لمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل ، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم ، واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، استعملت فلاناً ففعل ذلك ، ولو ائتمنت أحدكم على قدح[5] لخشيت أن يذهب بعلاقته ؛ أيها الناس ! استعدوا للجهاد في عدوكم الذي قد شنّ عليكم الغارات في كل وجه ليلاً ونهاراً ، وذروا التثاقل والصمم ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾[6] .

قال : فما أجابه أحد منهم بشيء ، فقال علي كرم الله وجهه : إني قد كرهتهم

(١) في كتاب الغارات : كانوا يلقون فيصدقون ، ويقولون فيعدلون ، ويدعون فيجيبون .
(٢) الجديدان : الليل والنهار .
(٣) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٥ .
(٤) نهج البلاغة : ان هؤلاء القوم سيدالون منكم .
(٥) نهج البلاغة : قعب .
(٦) سورة الأنفال ، الآية ٢٢ .

وكرهوني[1] ، ومللتهم وملوني ، فأرحني منهم وأرحهم مني ، اللَّهم وابدلني بهم خيراً منهم وابدلهم بي شراً مني ، اللهم[2] أمت قلوبهم ميت الثلج في الماء .

قال : فوثب إليه جارية[3] بن قدامة السعدي فقال : يا أمير المؤمنين ! مرني بأمرك فإني لك حيث أحببت ، فقال علي رضي الله عنه : لعمري أنت لها ! فإنك ميمون النقيبة[4] مبارك الأثر حسن النية صادق[5] العشيرة . قال : ثم ضم إليه علي رضي الله عنه ألفي فارس وأمره بالمسير إلى بسر بن [أبي] أرطاة وأوصاه وصية وعهد إليه عهداً فقال : يا جارية[3] ! عليك بتقوى الله عزَّ وجلّ ، وإذا صرت إلى بلاد اليمن وإلى الموضع الذي أمرتك بالمسير إليه فلا تحتقر مسلماً ولا معاهداً ، ولا تغصبن لأحد مالاً ولا دابة ، وصلّ الصلوات الخمس لوقتها واذكر الله كثيراً .

قال : فخرج جارية[6] من العراق يريد مكة ، وبلغ ذلك بسر بن [أبي] أرطاة ، فخرج عن بلاد اليمن وصار إلى أرض اليمامة ، فأخذ عليهم بيعة معاوية وأشخص معه جماعة من أهل الشام يريد الشام ، وقد قتل من الناس بأرض اليمن وغيرها نيفاً عن ثلاثين ألف من شيعة علي بن أبي طالب ؛ وبلغ ذلك عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فخرج في طلبه في زهاء ألف رجل من نجبة فرسان اليمن ؛ فلحقه قبل أن يدخل الشام ، فواقعه فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وقتله[7] فيمن قتل وأحرقه بالنار ، وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة حتى صاروا إلى

---

(١) في نهج البلاغة : اللَّهم إني قد مللتهم وملوني ، وسئمتهم وسئموني . . .

(٢) في شرح النهج : اللَّهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء .

(٣) عن الطبري ٦ / ٨١ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ وشرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٨ والغارات لابن هلال ص ٤٢٧ .

(٤) بالأصل : التقية ، وما أثبتناه عن كتاب الغارات ص ٤٢٧ .

(٥) في كتاب الغارات : صالح .

(٦) بالأصل : حارثة .

(٧) كذا بالأصل . والرواية بيّنة الضعف ، وخطأها فادح من وجوه :

أولها : أن بسر بن أبي أرطاة عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ومات سنة ٨٦ (تهذيب التهذيب) .

ثانيها : لم ترد هذه الرواية في أي من المصادر التي أرخت لمسير بسر إلى اليمن (الطبري ـ اليعقوبي ـ شرح نهج البلاغة) .

ثالثها : أن عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران وبعد فرارهما أمام بسر خرجا يطلبان الكوفة حيث قدما على علي (رض) (الغارات لابن هلال) .

رابعها : أن المصادر تحدثت عن مسير جارية بن قدامة لملاقاة بسر بن أبي أرطاة باليمن وأنه أغذّ السير =

معاوية فخبّروه الخبر . قال : وخرج جارية[1] بن قدامة من العراق يقتل الخيل قتلاً وهو يرجو أن يدرك بسر بن [أبي] أرطاة ، حتى إذا صار في بعض الطريق بلغه ما قد نزل ببسر فحمد الله على ذلك ؛ ثم إنه سار حتى صار إلى مكة فدخلها مغضباً ، فقال : يا أهل مكة ! أخاف أن تكونوا من الذين ﴿ **إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون**﴾[2] قال : ثم أخذ بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[3] .

ثم سار من مكة إلى الطائف[4] فلم يرد أحداً من أهلها ولم يظلمه ، لكنه أخذ البيعة وجددها لعلي كرم الله وجهه ؛ فلم يزل كذلك حتى سكن الناس وأمنهم ووعدهم ومناهم ، فلم يعاقب أحداً ولا قتل أحداً إلا قوماً من اليهود قد كانوا أسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام ، فقتلهم وأحرقهم بالنار بعد القتل ؛ فأنشأ الجون بن قتادة يقول :

تهوّد أقوام بصنعاء بعد ما ... أقرّوا بآيات الكتاب وأسلموا
فسرنا إليهم في الحديد يقودنا ... أخو ثقة ماضي الخيار مصمم
قتلناهم بالسيف صبراً وبعده ... شببنا لهم ناراً عليهم تضرّم
حفرنا لهم لما طغوا وتمرّدوا ... أخاديد فيها للأراذل مجثم

قال : ثم رجع جارية بن قدامة من اليمن إلى مكة ، فأقام بها ثلاثة أيام حتى أخذ البيعة ثانية لعلي بن أبي طالب . ثم أقبل إلى المدينة ، فلما دخلها استقبله الناس يدعون له ، فقال : يا أهل يثرب ! أما أنا أعلم أن فيكم الشامت بما فعله

= حتى يلحق به حتى انتهى إلى بلاد اليمن ، ويلغ بسراً الخبر فأخذ طريقه على الجوف . واتبعه جارية حتى أخرجه من اليمن كلها وواقعه في أرض الحجاز . وأقام بعد ذلك جارية بجرش نحو شهر يستريح ، وتابع بسر سيره حتى وصل إلى معاوية .

خامسها : ما ورد عن المدائني أن عبيد الله بن عباس التقى مع بسرٍ في مجلس معاوية وتشاتما وتسابا (شرح النهج ١ / ٢٨٩) .

(١) بالأصل حارثة خطأ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٣) كذا ، ويستفاد من رواية اليعقوبي أن جارية قدم مكة وقد قتل عليّ (رض) فأخذ البيعة للحسن بن علي (٢ / ١٩٩ وانظر الطبري ٦ / ٨٧) .

(٤) كذا ، وفي الطبري وتاريخ اليعقوبي : ثم سار حتى أتى المدينة . . . قال لأهل المدينة : بايعوا الحسن بن علي فبايعوه ، وأقام يومه ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة .

بسر بن [أبي] أرطاة وأيم الله لو أني أعلم الشامت منكم بذلك لبدأت به كائناً من كان . قال : ثم رجع جارية[1] إلى الكوفة حتى دخل على علي[2] رضي الله عنه فخبره بما كان منه بأرض اليمن ومكة والمدينة .

خبر عبد الله بن عباس وزياد بن أبيه وأبي الأسود الدؤلي وما جرى بينهم

قال : ثم بعث علي إلى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة يأمره أن يخرج إلى الموسم فيقيم الحج للناس . قال : فدعا عبد الله بن عباس بأبي الأسود الدؤلي[3] فاستخلفه على صلاة البصرة ، ودعا بزياد بن أبيه فجعله على الخراج ، وتجهز عبد الله بن عباس وخرج إلى الموسم .

قال : وجرت بين أبي الأسود وزياد بن أبيه منافرة ، فهجاه أبو الأسود وقال فيه هذه الأبيات :

ألا بلغا عني زياداً رسالة ... يُحثّ إليه حيث كان من الأرض
فما لك من ورد إذا ما لقيتني ... يقطّع دوني طرفُ عينيَ كالمغضي
وما لي إذا ما أخلفَ الودُّ بيننا ... أمرّ القُوى منه (و) تعمل في النقض
ألم تر أني لا أكوِّن شيمتي ... يكوّن غول الأرض في الطول والعرض

قال : ثم بلغ أبا الأسود بعد ذلك [أن] زياداً يشتمه ويقول فيه القبيح ، فأنشأ يقول[4] :

نبئت أن زياداً ظل يشتمني ... والقول يُكتب عند الله والعملُ
قد[5] لقيت زياداً ثم قلت له ... من قبل ذلك ما جاءت به الرسل[6]

---

(١) بالأصل : حارثة .

(٢) انظر ما مرّ قريباً .

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس . . . بن الياس بن مضر بن نزار . من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم (انظر الأغاني ١٢ / ٢٩٧) .

(٤) الأبيات في الأغاني ١٢ / ٣١٢ .

(٥) الأغاني : وقد .

(٦) الأغاني : وقبل ذلك ما خبّت به الرسل .

حتّامَ تذكرني في كل مجتمع عرضاً وأنت إذا ما شئت تنتقل[1]
حتّامَ تشتمني حتّامَ تذكرني وقد ظلمتَ وتستعفى وتنتصل
ثم تعود وتنسى ما يوافقني والعذر يندم (و)النسيان والعجل

قال : وقدم عبد الله بن العباس من الحج ، فأقبل إليه زياد بن أبيه فشكى إليه أبا الأسود الدؤلي وذكر أنه قد هجاه ، فأرسل إليه ابن عباس فدعاه فقال : أما والله لو كنتَ من البهائم لكنت جملاً ، ولو كنت للجمل راعياً لما بلغت به المرعى ولا أحسنت القيام عليه في الماء ، ما لك وللأحرار ! تهجوهم وتقول فيهم القبيح وتذكر أعراضهم بما لا يجب ، اخرج عني ، فعل الله بك وفعل[2] !

قال : فخرج أبو الأسود من عند ابن عباس مغضباً ، ثم كتب إلى علي بن أبي طالب[3] : أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى قد جعلك يا أمير المؤمنين والياً مؤتمناً وراعياً مسؤولاً[4] ، ولقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للرعية ، توفر عليهم حقوقهم[5] وتزجر نفسك عن دنياهم ، ولا تأكل أموالهم ولا ترتشي في أموالهم[6] ؛ وان ابن عمك هذا قد أكل مال الله بغير حق ، فلم يسعني كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما ههنا واكتب إليّ برأيك فيما أحببت من ذلك - إن شاء الله - .

قال : فكتب إليه علي رضي الله عنه[7] : أما بعد ، فمثلك نصح الإمام والأمة ودل على الحق ، وقد كتبت إلى صاحبك فيما ذكرت من أمره ولم أعلمه بكتابك إليّ ، فلا تدعن إعلامي بما يكون بحضرتك ما فيه النظر لأمة محمد ﷺ فإنه واجب عليك في دينك - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته - .

---

(١) البيت في الأغاني :
حتام تسرقني في كل مجمعة عرضي ، وأنت إذا ما شئت منتفل
(٢) انظر رواية الطبري ٦ / ٨١ وابن الأثير ٢ / ٤٣٢ باختلاف .
(٣) كتاب أبي الأسود إلى علي (رض) في الطبري ٦ / ٨١ وابن الأثير ٢ / ٤٣٣ العقد الفريد ٤ / ٣٥٤ .
(٤) الطبري وابن الأثير : راعياً مستولياً .
(٥) الطبري : فيئهم ، وتظلف نفسك . . وعند ابن الأثير : وتكف نفسك .
(٦) الطبري وابن الأثير : أحكامهم .
(٧) الطبري ٦ / ٨٢ ابن الأثير ٢ / ٤٣٣ والعقد الفريد ٤ / ٣٥٥ .

قال : ثم كتب علي إلى عبد الله بن العباس[1] : أما بعد ، يابن العباس! فقد بلغني عنك أمور الله أعلم بها ، فإن تكن حقاً فلست أرضاها لك ، وإن تكن باطلاً فإثمها على من اقترفها ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فأعلمني في جوابه ما أخذت من مال البصرة ، من أين أخذته ، وفيم وضعته .

قال : فكتب إليه ابن عباس : أما بعد ، فقد علمتُ الذي بلغك عني ، وإن الذي أبلغك الباطل ، وإني لما تحت يدي لضابط وحافظ ، فلا تصدق أقوال الوشاة ما لم يكن ، وأما تعظيمك مرزأة ما رزأته[2] من هذه البلدة[3] ، فوالله لئن ألقى الله عزّ وجلّ بما في الأرض [من] لُجينها وعقيانها وعلى ظهرها من طلاعها أحب إليّ من أن ألقاه وقد أرقتُ دماء الأمة ؛ فابعث إلى عملك من أحببت فإني معتزل عنه - والسلام - .

قال : ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد في منزله ، فكتب إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكتاب يعذله فيه على غضبه ويكذب من سعى به إليه وأعاده إلى عمله .

خبر الخريت[4] بن راشد وخروجه على علي بن أبي طالب وخلافه عليه

قالوا : كان علي رضي الله عنه استخلف رجلاً يقال له الخريت بن راشد على بلاد الأهواز قبل خروجه إلى صفين[5] ، فلما كان بعد رجوع علي من صفين خالف

---

(١) نهج البلاغة كتاب رقم ٤١ ، ص ٥٨٠ إلى بعض عماله . باختلاف النص .

(٢) رزأ المال : إذا أصاب منه شيئاً .

(٣) وجاء كتاب ابن عباس جواباً لكتاب أرسله إليه علي (رض) يقول فيه (العقد ٤ / ٣٣١ من تحقيقنا) : أما بعد ، فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ، من أين أخذته ؟ وما وضعت منها : أين وضعته ؟ فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعيتك إياه ، فإن المتاع بما أنت رازمه قليل ، وتباعته وبيلة لا تبيد ، والسلام . وانظر نهج البلاغة كتاب رقم ٤١ والطبري ٦ / ٨٢ وابن الأثير ٢ / ٤٣٣ .

(٤) عن الطبري ٦ / ٦٥ وابن الأثير ٢ / ٤١٧ وبالأصل « الحريث » وقد صحح في كل مواضع الخبر . وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ الحارث بن راشد الناجي . ارتد وأصحابه إلى دين النصرانية .

(٥) في الطبري ٦ / ٦٥ أن الخريت بن راشد وثلثمئة من بني ناجية كانوا مقيمين مع علي بالكوفة وقد قدموا معه من البصرة - وقد شهدوا معه الجمل - ثم شهدوا صفين والنهروان . وكان خلافه على علي بعد تحكيم الحكمين ، وقد قابل علياً وقال له : لن أطيع أمرك ولا أصلي خلفك لأنك حكمت وضعفت عن الحق وركنت إلى القوم الذين ظلموا . =

عليه هذا الخريت وجعل يجمع الجنود ويدعو إلى خلع علي والبراءة منه ، حتى أجابه إلى ذلك خلق كثير ، ثم إنه احتوى على البلاد وجبى الأموال ، وبلغ ذلك علياً فدعا رجلاً من خيار أصحابه يقال له : معقل بن قيس الرياحي ، فضم إليه أربعة آلاف رجل ووجهه إلى الخريت .

قال : فسار الخريت في عشرة آلاف رجل من أهل الأهواز ومن بني ناجية ومواليهم[1] .

قال : ودنا القوم بعضهم من بعض ، فقال معقل بن قيس : أيها الناس ! أين الخريت بن راشد ؟ فليخرج إليَّ فإني أريد كلامه ؛ قال : فخرج إليه الخريت حتى واقفه ، ثم قال : أنا الخريت فهات ما الذي تريد ! فقال له معقل : ويحك لِمَ خرجت على أمير المؤمنين ودعوت الناس إلى خلعه والبراءة منه وقد كنتَ من خيار أصحابه وأوثق الناس عنده ؟ فقال : لأنه حكم في حق هو له ، فقال له معقل : ويحك ! أمن أهل الإسلام أنت ؟ قال : نعم ، أنا من أهل الإسلام ، فقل مابدالك. فقال له معقل : خبرني لو أنك خرجت حاجاً فقتلتَ شيئاً من الصيد مما قد نهى الله عزَّ وجلَّ عنه ، ثم أتيت علياً فاستفتيته في ذلك فأفتاك ، هل كان عندك رضىً ؟ فقال : بلى ، لعمري إنه عندي لرضى ، وقد قال النبي ﷺ : أقضاكم عليّ ؛ فقال له معقل بن قيس : فكيف ترضى به في علمه ولا ترضى فيما حكم ؟ فقال : لأني لا أعلم أحداً من الناس حكم في شيء هو له . فقال : يا هذا ! إن الذي لا تعلمه أنت هو أكثر من الذي علمته ، إنا وجدنا علياً يحكم في جميع ما اختلفنا فيه وقد رضينا بحكمه ، فاتق الله وإياك وشق العصا ! وارجع إلى ما كنت عليه من السمع والطاعة ، فأمير المؤمنين أعلم بما يأتي ويذر ؛ فقال الخريت : لا والله لا يكون ذلك ولا تحدثت العرب به أبداً ، وما لكم عندي ولصاحبكم إلا السيف .

قال : ثم صاح بأصحابه وحمل على معقل بن قيس ، وحمل عليهم معقل في أصحابه واختلط القوم بعضهم من بعض ، فقصده معقل من بين أصحابه ، فضربه

= انظر تفاصيل حول خلافه الطبري ٦ / ٦٥ ـ ٦٦ الغارات لابن هلال ص ٢٢٠ وما بعدها ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ / ٥٩٠ .

(١) في الطبري ٦ / ٧١ اجتمع إليه علوج من أهل الأهواز كثير أرادوا كسر الخراج ولصوص كثيرة وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه .

ضربة على أم رأسه فجدله قتيلاً[1] . قال : وحمل أهل الكوفة على أهل الأهواز من بني ناجية ، فقتل منهم من قتل وهرب من هرب وأسر من أسر من بني ناجية ، وأمر معقل بن قيس بهؤلاء الأسارى فجمعوا ثم أمر برأس الخريت بن راشد فأخذ واحتوى على أمواله ، وسار إلى علي رضي الله عنه بالأسارى والأموال .

خبر مصقلة بن هبيرة الشيباني وما كان منه إلى علي وهربه إلى معاوية

قالوا : كان مصقلة بن هبيرة الشيباني أيضاً عاملاً لعلي بن أبي طالب على بلد من بلاد الأهواز[2] ، فنظر إلى هؤلاء الأسارى[3] الذين قد أتى بهم معقل بن قيس ، كأنه اتقى عليهم أن يقتلوا ، فقال لمعقل : ويحك يا معقل ! هل لك أن تبيعني هؤلاء الأسارى ولا تمضي بهم إلى أمير المؤمنين ؟ فإني خائف أن يعجل عليهم بالقتل . قال معقل : قد فعلتُ فاشترهم مني إذاً حتى أبيعك . قال له مصقلة : قد اشتريتهم منك بخمسمائة ألف درهم[4] ، قال : قد بعتك فهات المال ! فقال مصقلة : غداً أعطيك المال . فسلم إليه معقل بن قيس الأسارى ، فأعتقهم مصقلة بأجمعهم ، فمضوا حتى لحقوا ببلادهم .

فلما كان الليل هرب مصقلة إلى البصرة إلى عبد الله بن العباس ، قال : وكتب معقل بن قيس إلى عبد الله بن عباس يخبره بخبر مصقلة وما فعل . قال : فدعا ابن عباس مصقلة فقال : هات المال ! فقال : نعم وكرامة ، إن معقل بن قيس أراد أن يأخذ المال مني وأنا فلم أحب أن أعطيه ذلك ، ولكن ادفع هذا المال إليك لأنك ابن عم أمير المؤمنين وعامله على البلاد ؛ قال ابن عباس : فقد أحسنت إذاً وأصبت فهات المال .

قال : وانصرف مصقلة إلى منزله ، فلما كان الليل هرب إلى الكوفة إلى

---

(١) في الطبري ٦ / ٧٤ قتله النعمان بن صهبان الراسبي .
(٢) كان على أردشير خره (وهي من أجل كور فارس) (الطبري ٦ / ٧٥) .
(٣) وكانوا خمسمئة إنسان .
(٤) في مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ اشتراهم بثلثمائة ألف درهم وأعتقهم ، وأدى من المال مائتي ألف وهرب إلى معاوية . وفي الطبري ٦ / ٧٥ : بألف ألف درهم . وفي كتاب الغارات ص ٢٤٦ وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٦٠١ فكالأصل بخمسمئة ألف .

علي بن أبي طالب ، قال : وكتب معقل بن قيس إلى علي يخبره بذلك . وكتب أيضاً عبد الله بن عباس إلى علي بذلك . قال : فدعا به علي وقال : هات المال يا مصقلة ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! إن معقل بن قيس وعبد الله بن عباس أرادا مني أن أدفع المال إليهما وأنت أولى بحقك منهما ، قال علي : قد أحسنت إذاً وأصبت فهات المال ! فقال : وجه من يحمل المال ، فدفع إليه في ذلك اليوم مائة ألف درهم وبقيت عليه أربعمائة ألف درهم .

قال : فلما كان الليل هرب إلى معاوية ، وطلبه عليّ فلم يقدر عليه ، فقال له الأسارى من بني ناجية : فقد جرى عليهم العتق وليس لنا عليهم من سبيل ، وأما مصقلة فقد بقي عليه هذا المال . قال : ثم أمر عليّ بهدم دار مصقلة ، فهدمت حتى وضعت بالأرض ، قال : وكان نعيم بن هبيرة أخو مصقلة عند علي بن أبي طالب ومن خيار أصحابه ، فكتب إلى أخيه مصقلة بهذين البيتين يقول[1] :

تركتَ نساء الحي بكر بن وائل	واعتقتَ سبياً من لؤي بن غالب[2]
وفارقتَ خير الناس بعد محمد	لمالٍ قليلٍ لا محالة ذاهب

قال : ولم يبق بالعراق أحد من ربيعة إلا وذكر مصقلة بن هبيرة بكل قبيح إذ فارق علياً وصار إلى معاوية ؛ فأنشأ مصقلة يقول :

لعمري لئن عاب أهل العرا	ق عليَّ عتاق[3] بني ناجية
لأعظم من عتقهم	رقهم وكفّي بعتقهم عالية[4]
وزايدت فيه لإعتاقهم[5]	وغاليت إن العُلى غالية
وقلت لنفسي على خلوة	وصحبي الذين معي ناجية

---

(١) البيتان في مروج الذهب ٢ / ٤٥٣ ونسبهما إلى مصقلة بن هبيرة .

(٢) يريد بني ناجية ، وهم ولد سامة بن لؤي بن غالب كما في مروج الذهب . وناجية أمهم ، وهي أم عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي . وكانت ناجية تحت سامة بن لؤي وهي أم ولده غالب ، وبعد موته خلف عليها الحارث بن سامة وهو نكاح مقت . وقد حرمه الإسلام بقوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ (انظر جمهرة النسب للكلبي ص ١١٣ ـ ١١٤ وجمهرة أنساب العرب ص ١٧٣) .

(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٢٣ : انتعاش .

(٤) عند ابن الأثير : ماليه .

(٥) ابن الأثير : لإطلاقهم .

أخـاف على القـوم أن يقتـلوا ... وصـاحـبهـم حيـة قـاسيـة
إذا نـهـشـت ومشـى ريـقـهـا ... فـأمّ الـسـليـم لـهـا هـاويـة
فـإن نـفـثـتْ سـمّـهـا نـفـثـة ... فمـا أن لهـا اليـوم من راقيـة
وبـالـشـام أمـن ومـسـتـوطن ... وأهـل الـسنى أكلب عـاويـة
وكم في سبـايـا بني نـاجيـة ... من النـاس بـاكٍ ومن بـاكيـة
وهـذا ابن هنـد سيجـزي بهـا ... وعُليـا قـريشٍ بهـا حـازيـة
كـذلـك ربـيـعـة أيـامـهـا ... أمـور مـكـارهـهـا بـاقـيـة
ومـا فـي عـليّ لـمـسـتـعـتـب ... مقـال سـوى هـذه الجـائيـة

قال : فلما فرغ نعيم من شعره أقبل إلى جماعة من بني عمه من بني بكر بن وائل فقال : إنه قد وردت عليّ هذه الأبيات من عند أخي مصقلة ، وقد علمت أنه يحب الرجوع إلى العراق ، وأنا والله مستحي من أمير المؤمنين أن أكلمه فيه ، ولكن أحب أن تكتبوا إليه كتاباً عن جميعكم ، وليكن ذلك عن رأي أمير المؤمنين .

قال : فاجتمع نفر من ربيعة إلى علي رضي الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إن نعيم بن هبيرة[1] مستحي منك لما فعل مصقلة أخوه ، وقد أتانا الخبر اليقين بأن مصقلة ليس يمنعه من الرجوع إلى العراق إلا الحياء ، ولم ينبسط منذ خرج من العراق علينا لساناً ولا يداً ، ولا نحب أن يكون رجلاً منا مثل مصقلة عند معاوية ، فإن أذنت لنا كتبنا إليه كتاباً من جماعتنا وبعثنا إليه رسولاً فلعله أن يرجع ! فقال علي رضي الله عنه : اكتبوا ما بدا لكم وما أراكم تنتفعون بالكتاب . فقال الحضين بن منذر السدوسي : يا معشر بني بكر بن وائل ! إن أمير المؤمنين قد أذن لكم في الكتاب فقلدوني كتابكم ، فقالوا : قد فعلنا ذلك فاكتب ما بدا لك .

ذكر الكتاب الذي كتبه الحضين بن المنذر إلى مصقلة بن هبيرة

قال : فكتب إليه الحضين بن المنذر : أما بعد ، يا مصقلة ! فإن كتابنا هذا إليك من جماعة بني بكر بن وائل ، وقد علمنا بأنك لم تلحق بمعاوية رضىً منك بدينه ولا رغبة في دنياه ، ولم يقطعك عن عليّ طعن فيه ولا رغبة عنه ، ولكنك

(١) بالأصل : مصقلة تحريف .

توسطت أمراً قويت فيه بدياً ثم ضعفت عنه أخيراً[1] ، وكان أول أمرك أنك قلتَ أفوز بالمال والحق بمعاوية ، ولعمري ما استبدلت الشام بالعراق ، ولا السكاسك بربيعة ، ولا معاوية بعليّ ، ولا أصبت ذنباً بهما ، وإن أبعد ما يكون من الله أقرب ما يكون من معاوية ، فارجع إلى مصرك فقد غفر لك الذنب وحمل عنك الثقل ، واعلم بأن رجعتك اليوم خير منها غداً ، وكانت أمس خير منها اليوم ، وإن كان قد غلب عليك الحياء من أمير المؤمنين فما أنت فيه أعظم من الحياء ، فقبح الله امرءاً ليس فيه دنيا ولا آخرة ـ والسلام ـ . قال: ثم أثبت في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

أمصقل لا تعدم من الله مرشداً	ولا زلت في خفضٍ من العيش أرغدا
وإن كنت قد فارقت قومك خزية	يمد بها الشانىء إلى رهطك اليدا
وكنتَ إذاً ما ناب أمر كفيته	ربيعة طراً غائبين وشهّدا
تدافع عنها كل يوم كريهة	صدور العوالي والصفيح المهنّدا
يناديك للعلياء بكر بن وائل	فتثني لها في كل جارحة يدا
فكنت أقل الناس في الناس لائماً	وأكثرهم في الناس خيراً معدّدا
تخف إلى صعلوكنا فيجيبه	فكنت بهذا في ربيعة سيدا
ففارقت من قد يحسن الطرف دونه	جهاراً وعاديت النبي محمدا
فإن تكن الأيام لاقتك غيرة	قم الآن فارجع لا تقولن غداً غدا
ولا ترض بالأمر الذي هو صائر	فقد جعل الله القيامة موعدا

قال : فلما ورد هذا الكتاب على مصقلة بن هبيرة وقرأه ونظر في الشعر ، أقبل على الرسول فقال : هذا كلام الحضين بن المنذر ، وشعره لم يشبه كلام أحد من الناس ؛ فقال له الرسول : صدقت هذا كلام الحضين ، فاتق الله يا مصقلة ! وانظر فيما خرجت منه وفيما صرت إليه ، وانظر من تركتَ ومن أخذت ، ثم اقض بعد ذلك على هواك ، أين الشام من العراق ! وأين معاوية من علي ! وأين المهاجرون والأنصار من أبناء الطلقاء والأحزاب ! وأنت بالعراق تُتْبع وأنت بالشام تَتّبع .

قال : فسكت مصقلة عن الرسول فلم يجبه بشيء ، ثم أخذ الكتاب فأتى به معاوية وأسمعه الشعر ، فقال له معاوية : يا مصقلة ! أنت عندي غير ظنين ، فإذا أتاك

---

(١) وكان علي (رض) قد قال لما بلغه ما فعل مصقلة بن هبيرة: ما له! ترحه الله ، فعل فعل السيد ، وفر فرار العبيد ، وخان خيانة الفاجر ، ... (الطبري ٦/ ٧٦ ابن الأثير ٢ / ٤٢٢) .

شيء من هذا فأخفه عن أهل الشام ؛ فقال : أفعل ذلك إن شاء الله .

قال : ثم رجع مصقلة وأقبل على الرسول فقال له : يا أخا بني بكر ! إني إنما هربت بنفسي من عليّ خوفاً منه ، ولا والله ما ينطلق لساني بعيبه[1] ولا ذمه ولا قلتُ قط فيه حرفاً أعلم أنه يسوءه ذلك ، وقد أتيتني بهذا الكتاب فخذ الجواب إلى قومك . فقال الرسول : أفعل ذلك واكتب ما بدا لك .

ذكر كتاب مصقلة بن هبيرة إلى قومه

أما بعد ، فقد جاءني كتابكم فقرأته وفهمته ، فأخبركم أنه من لم ينفعه القليل يضره الأكثر ، وإن الذي قطعني من علي وأمالني إلى معاوية ليس يخفى عليكم ، وقد علمت أني لو رجعت إليكم لكان ذنبي مغفوراً وثقلي محمولاً ، ولكني أذنبت إلى علي ذنباً وصحبت معاوية ، فلو رجعت إلى علي لأبديت غياً واحتملت عاراً ، وكنت بين لومتين أولها[2] خيانة وآخرها غدر ؛ ولكني قلتُ أقيم بالشام ، فإن غلب معاوية واستوى له هذا الأمر فداري العراق ، وإن غلب عليّ رضي الله عنه فداري الروم ، وفراقي علياً على بعض العذر أحب إليّ من فراق معاوية ولا عذر لي ، والقلب مني إليكم طائر ـ والسلام ـ . ثم كتب في أسفل الكتاب بهذه الأبيات :

أيا راكب الأدماء أسلم خفّها ... وغاربها حتى تزور أرض بابل

ألكني إلى أهل العراق رسالة ... وخصّ بها حييتَ بكر بن وائل

وعمّ بها عُليا ربيعة إنني ... تركتُ علياً خير حاف وناعل

على عَمْدِ عينٍ غير عائب ذنبه ... ولا سامع فيه مقالة قائل

ولا طالباً بالشام أدنى معيشة ... وما الجوع من جوع العراق بقاتل

فكيف بقائي بعد سبعين حجة ... وماذا عسى غير الليالي القلائل

أقول إذا أهدى له الله نعمة ... بدا الدهر زده من مزيد الفضائل

ولكنني كنت امرءاً من ثقاته ... أقدم في الشورى وأهل الوسائل

فأذنبت ذنباً لم يكن ليقله ... بعلمي وقلت الليث لا شك آجلي

ولم أدر ما قدر العقوبة عنده ... سوى القتل قد أيقنت ليس قاتلي

وأفردت محزوناً وخليت مفرداً ... وقد خمدت ناري ورثت حبائلي

---

(١) بالأصل : بغيبه تحريف .

(٢) بالأصل : « لائمين أولهما » والصواب ما أثبتنا .

ولم يــك إلا الشــام دار وإنــه لموطئها بـالخيل من دون قـابل
فسـرت إليـه هـاربـاً بحشــاشـة من النفس مغموماً كثير البلابـل
ولم يسمع السامـون مني نقيصة ولا فشلت من يمن يمنى أناملي

قال : ثم دفع الكتاب إلى الرسول وقال : عـليك يابن أخ أن تسـأل أهل الشام عن قولي في عليّ ، فقال له الرسول : نعم إني قد سألت عن ذلك فما حكوا إلا جميلاً ؛ فقال مصقلة : فإني والله على ذلك حتى أموت .

قال : ثم رجع الرسول بالكتاب إلى الكوفة فدفعه إلى الحضين بن المنذر فقرأه ثم أتى به علياً فأقرأه إياه ، فقال عليّ : كفوا عن صاحبكم فإنه ليس براجع إليكم أبداً حتى يموت ؛ فقال الحضين : يا أمير المؤمنين ! والله ما به الحياء ولكن الرجوع قد كففنا عنه وأبعده الله .

ذكر ابتداء أخبار الخوارج من الشراة
وخروجهم على علي رضي الله عنه

قال : فبينا علي كرم الله وجهه مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية ثم يرجع إلى محاربة أهل الشام إذ تحركت طائفة من خاصة أصحابه في أربعة آلاف فارس ، وهم من النساك العباد أصحاب البرانس[1] ، فخرجوا عن الكوفة وتحزّبوا وخالفوا علياً كرم الله وجهه وقالوا : لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله . قال : وانحاز إليهم نيف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم ؛ قال : فصار القوم في اثني عشر ألفاً وساروا حتى نزلوا بحروراء[2] ، وأمّروا عليهم عبد الله بن الكواء .

قال : فدعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فأرسله إليهم ، وقال : يابن عباس ! امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولماذا اجتمعوا .

قال : فأقبل عليهم ابن عباس ، حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم[3] وقال : ويلك يابن عباس ! أكفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب ؟ فقال ابن عباس : إني لا استطيع أن أكلمكم كلكم ، ولكن انظروا أيكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إليَّ حتى أكلمه . قال : فخرج إليه رجل منهم يقال له عتاب بن الأعور الثعلبي حتى وقف قبالته ، وكأن القرآن إنما كان ممثلاً بين عينيه ،

---

(١) البرانس جمع برنس وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كانت أو ممطراً أو جبة ، وقال الجوهري : البرنس : قلنسوة كبيرة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

(٢) حروراء : قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج فنسبوا إليها .

(٣) في الكامل للمبرد ٣ / ١١٣٢ فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباهاً قرحة لطول السجود ، وأيدياً كثفنات الإبل ، وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون .

فجعل يقول ويحتج ويتكلم بما يريد ، وابن عباس ساكت لا يكلمه بشيءٍ ، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس فقال : إني أريد أن أضرب لك مثلاً ، فإن كنت عاقلاً فافهم . فقال الخارجي : قل ما بدا لك .

كلام ابن عباس للخارجي وما كان من ردّه عليه

فقال له ابن عباس : خبّرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ومن بناها ، فقال الخارجي : نعم ، هي لله عزَّ وجلّ وهو الذي بناها على أيدي أنبيائه وأهل طاعته ، ثم أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأمم أن لا تعبدوا إلا إياه ، فآمن قوم وكفر قوم ؛ وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد ﷺ . فقال ابن عباس : صدقت ، ولكن خبرني عن محمد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها كما بناها غيره من الأنبياء هل أحكم عمارتها وبيّن حدودها ، وأوقف الأمة على سبلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها ؟ قال الخارجي : نعم قد فعل محمد ذلك . قال ابن عباس : فخبرني الآن عن محمد هل بقي فيها أو رحل عنها ؟ قال الخارجي : بل رحل عنها . قال ابن عباس : فخبرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بينة الحدود أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها ؟ قال الخارجي : بل رحل عنها وهي كاملة العمارة بينة الحدود قائمة المنار . قال ابن عباس : صدقت ، الآن فخبرني هل كان لمحمد ﷺ أحد يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا ؟ قال الخارجي : بلى ، قد كان له صحابة وأهل بيت ووصي وذرية يقومون بعمارة هذه الدار من بعده . قال ابن عباس : ففعلوا أم لم يفعلوا ؟ قال الخارجي : بلى ، قد فعلوا وعمروا هذه الدار من بعده . قال ابن عباس : فخبرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمد ﷺ من كمال عمارتها وقوام حدودها أم هي خربة عاطلة الحدود ؟ قال الخارجي : بل هي عاطلة الحدود خربة . قال ابن عباس : أفذريته وليت هذه الخراب أم أمته ؟ قال : بل أمته . قال : قال ابن عباس : أفأنت من الأمة أو من الذرية ؟ قال : أنا من الأمة . قال ابن عباس : يا عتاب ! فخبرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أمة قد أخربت دار الله ودار رسوله وعطلت حدودها ؟ فقال الخارجي : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ويحك يابن عباس ! احتلت والله حتى أوقعتني في أمر عظيم وألزمتني الحجة حتى جعلتني ممن أخرب دار الله ، ولكن ويحك يابن عباس ! فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه ؟ قال ابن عباس : الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما

أخربته الأمة من دار الإسلام . قال : فدلني على السعي في ذلك ! قال ابن عباس : إن أول ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديه ، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه . قال : صدقت يـابن عبـاس ! والله ما أعرف أحداً في هذا الوقت يحب عمارة دار الإسلام غير ابن عمك علي بن أبي طالب لولا أنه حكم عبد الله بن قيس في حق هو له ! قال ابن عباس : ويحك يا عتاب إنا وجدنا الحكومة في كتاب الله عزَّ وجلَّ أنه قال تعالى : ﴿ **فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾[2] .

قال : فصاحت الخوارج من كل ناحية وقالوا : فكأن عمرو بن العاص عندك من العدول ؟ وأنت تعلم أنه كان في الجاهلية رأساً وفي الإسلام ذنباً ، وهو الأبتر ابن الأبتر ، ممن قاتل محمداً ﷺ وفتن أمته من بعده . قال: فقال ابن عباس : يا هؤلاء ! إن عمرو بن العاص لم يكن حكماً أفتحتجون به علينا ؟ إنما كان حكماً لمعاوية ، وقد أراد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يبعثني أنا فأكون له حكماً ، فأبيتم عليه وقلتم : قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، وقد كان أبو موسى لعمري رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته ، غير أنه خدع فقـال ما قـال ، وليس يلزمنا من خـديعة عمرو بن العاص لأبي موسى ، فاتقوا ربكم وارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أمير المؤمنين ، فإنه وإن كان قاعداً عن طلب حقه فإنما ينتظر انقضاء المدة ثم يعود إلى محاربة القوم ، وليس علي رضي الله عنه ممن يقعد عن حق جعله الله له .

قال : فصاحت الخوارج وقالوا : هيهات يـابن عبـاس ! نحن لا نتولى علياً بعد هذا اليوم أبداً ، فارجع إليه وقل له فليخرج إلينا بنفسه حتى نحتج عليه ونسمع كلامه ويسمع من كلامنا ، فلعلنا إن سمعنا منه شيئاً يعلق إما أن نرجع عما اجتمعنا عليه من حربه .

قال : فخرج عبد الله بن عباس إلى علي رضي الله عنه فخبره بذلك . قال : فركب علي إلى القوم في مائة رجل من أصحابه حتى وافاهم بحروراء .

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٥ .

فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء[1] في مائة رجل من أصحابه حتى وافقه ، فقال له علي : يـابن الكواء! إن الكلام كثير ، ابرز إليّ من أصحابك حتى أكلمك ؛ قال ابن الكواء : وأنا آمن من سيفك ؟ قال علي : نعم وأنت آمن من سيفي . قال : فخرج ابن الكواء في عشرة من أصحابه ودنوا من علي رضي الله عنه ؛ قال : وذهب ابن الكواء ليتكلم فصاح به رجل من أصحاب علي وقال : اسكت حتى يتكلم من هـو أحق بالكـلام منك ! قـال : فسكت ابن الكواء وتكلم علي بن أبي طالب[2] ، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية ، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف ، وكيف اتفقوا على الحكمين ؛ ثم قال له علي : ويحك يـابن الكـواء ! ألم أقل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها ؟ ألم أقل لكم بأنهم قد عضهم السلاح وكاعوا عن الحرب ، فذروني أناجزهم فأبيتم عليّ وقلتم : إن القوم قد دعونا إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ فأجبهم إلى ذلك ، وإلا لم نقاتل معك ، وإلا دفعناك إليهم ؛ فلما أجبتكم إلى ذلك وأردت أن أبعث ابن عمي عبد الله بن عباس ليكون لي حكماً فإنه رجـل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته ، فأبى عليّ منكم من أبى وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم : قد رضينا بهذا ، فأجبتكم إليه وأنا كاره ، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم ؛ ثم إني اشترطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنة الجامعة ، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعـة لهما عليّ ؛ أكـان ذلك أم لم يكن ؟ فقـال ابن الكواء : صدقتَ ، قد كان هذا بعينه ، فلِمَ لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمتَ أن الحكمين لم يحكما بالحق وأن أحدهما خدع صاحبه ؟ فقال علي : إنه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم . قال ابن الكواء : فأنت مجمع على ذلك ؟ قال : وهل يسعني إلا ذلك ؛ انظر يـابن الكـواء اني أصبت أعواناً وأقعد عن حقي ؟

---

(١) هو عبد الله بن الكواء اليشكري (الكواء : الرجل الخبيث اللسان الشتام للناس ، الجمهرة لابن دريد) أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي (رض) وخرجوا عليه ، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال في صفين ، وقد قال شعراً في مدح عليّ وتحريض جيش صفين .

(٢) انظر مناظرة علي (رض) لابن الكواء في الأخبار الطوال ص ٢٠٨ وما بعدها العقد الفريد ٤ / ٣٢٧ الكامل للمبرد ٣ / ١٠٩٩ - ١١٠١ .

قال : فعندها بطن ابن الكواء فرسه وصار إلى عليّ مع العشرة الذين كانوا معه ، ورجعوا عن رأي الخوارج ، وانصرفوا مع علي إلى الكوفة ؛ وتفرق الباقون وهم يقولون : لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله .

ابتداء اجتماع الخوارج بالنهروان

قال : ثم إن القوم أمروا عليهم هذين الرجلين : عبد الله بن وهب الراسبي الحرمي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وعزموا على أن يعسكروا بالنهروان[1] .

قال : فساروا يريدون ذلك ، فبينا هم يسيرون إذ مروا بقرية من قرى السواد فإذا هم برجل محصن خوفاً من الخيل لما نظر إليها ، قال : فأحاطوا به فأخذوه وقالوا : لا بأس عليك ! من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب بن الأرت[2] صاحب رسول الله ﷺ ، فقالوا : حدثنا حديثاً سمعته[3] من رسول الله ﷺ ! فقال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون من بعدي فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، فمن استطاع أن يكون فيها مقتولاً فلا يكونن قاتلاً »[4] .

قال : فشد عليه رجل من الخوارج يقال له مسعر بن فدكي ، فضربه بسيفه ضربة على أم رأسه فقتله[5] . ثم إنهم دخلوا إلى منزله .

---

(١) النهروان : ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

(٢) خبر عبد الله بن خباب بن الارت في الطبرسي ٦ / ٤٦ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٣ الكامل للمبرد ٣ / ١١٣٤ طبقات ابن سعد ٥ / ١٨٢ شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٢٨ البداية والنهاية ٧ / ٣١٨ الإمامة والسياسة ١ / ١٦٦ باختلاف بين النصوص .

(٣) كذا بالأصل ، وفي المصادر ، نص المبرد : حدثنا عن أبيك ، قال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله (ص) . . .

(٤) الحديث أخرج من طرق عديدة أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١١٠ من طريق أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم .
وأخرج ابن ماجة في الفتن برقم ٣٩٦١ عن أبي موسى الأشعري عن النبي أنه قال . . . وأخرج بنحوه الترمذي في الفتن برقم ٢١٩٥ من حديث أبي هريرة . وفي الباب أحاديث أخر .

(٥) عند ابن الأثير والإمامة والسياسة : أضجعوه على شفير النهر . . فذبحوه فسال دمه في الماء . (انظر الكامل للمبرد) .

ثم ساروا حتى دخلوا النهروان في اثني عشر ألفاً من بين فارس وراجل . قال : وبلغ ذلك علياً ، فنادى في الناس فجمعهم في المسجد فخطبهم .

ذكر خطبة علي بن أبي طالب قبل خروجه إلى النهروان

قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيها الناس ! إن الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً على هذه الأمة بالتحريم والتحليل ؛ وأنتم يا معشر العرب إذ ذاك في شر دار وعلى شر دين يبيتون[2] على حجارة خشن ، وحيات صمم[3] وشوك مهوب في البلاد ، تشربون الأجاج[4] وتأكلون الخبيث[5] من الطعام ، سبلكم خائفة والأنصاب فيكم منصوبة ، ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[6] فمنّ الله عليكم بمحمد ﷺ ، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾[7] وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين** ﴾[8] فكنتم أنتم وهو رسوله إليكم تعرفون حسبه ونسبه وشرفه وفضله ، وكان يتلو عليكم الآيات ، ويأمركم بصلة الأرحام وحقن الدماء وإصلاح ذات البين ، ونهاكم عن التظالم والتغاشم والتقاذف والتباهت ، وأمركم بالمعروف ونهاكم عن المنكر ، وكل خير يدني من الجنة ويبعد من النار فقد أمركم به ، وكل شر يدني من النار فقد نهاكم عنه ؛ فلما استكمل ﷺ مدته توفاه الله إليه مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً له ذنبه ، كريماً عند الله

---

(١) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٢٦ .

(٢) في نهج البلاغة : متنخون ، وفي نسخة منيخون . تنخ بالمكان : أقام به .

(٣) شرح النهج : صم . وصف الحيات بالصم لأنها أخبثها إذ لا تنزجر .
قال محمد عبده : وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة ، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات فأبدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها .

(٤) نهج البلاغة : الكدر .

(٥) نهج البلاغة : الجشب (وهو الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم) .

(٦) سورة يوسف الآية ١٠٦ .

(٧) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٨) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

نزله ، فيا لها من مصيبة خصت وعمت المؤمنين ، لم يصابوا بمثلها قبلها ، ولا يعاينون بعدها مثلها ؛ وبعد فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم من الإقدام والجرأة على سفك الدماء ، وهم قوم فساق مرّاق عماة حفاة ، يريدون فراقي وشقاقي ، وفيهم من قد عضه بالأمس السلاح ووجد ألم الجراح ؛ فجدوا رحمكم الله وخذوا آلة الحرب فإني سائر إليهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : ثم نزل عن المنبر ولم يجبه إلا اليسير من أهل الكوفة ، ودخل إلى منزله وغضب لذلك ، ثم خرج إلى الناس وخطبهم ثانياً .

ذكر خطبته الثانية وما كان من توبيخه لأهل الكوفة

قال : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيتها الفئة المجتمعة أبدانهم المتفرقة أديانهم[2] ! إنه والله ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح من قاساكم ، كلامكم يوهن[3] الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيه عدوكم ؛ أنا أدعوكم إلى أمر فيه صلاحكم والذب عن حريمكم ، اعتراكم الفشل وجبنتم بالعلل ، ثم قلتم كيت وكيت وذيت وذيت ، أعاليل وأضاليل وأقوال أباطيل ، ثم سألتموني التأخير دفاع ذي الدين المطول[4] ، هيهات إنه لا ينفع الصم الدليل[5] ، ولا يدرك الحق إلا بالجد ، فخبروني يا أهل العراق مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ أم أية دار تمنعون؟ والذليل والله من نصرتموه والمغرور من غررتموه ، لقد أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم ، وأبدلكم بي غيري وأبدلني بكم من هو خير لي منكم ، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة فتبكي عيونكم ، ويدخل الفقر بيوتكم ، وتتمنون في بعض

---

(١) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٢٩ وفيه أن هذه الخطبة كانت بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف . وانظر البيان والتبيين ٢ / ٥٤ باختلاف في النصوص .

(٢) نهج البلاغة : المختلفة أهواؤهم .

(٣) نهج البلاغة : يوهي .

(٤) أي أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه والمطول الكثير المطل وهو تأخير أداء الدين بلا عذر .

(٥) نهج البلاغة : لا يمنع الضيم الذليل .

حالاتكم أنكم رأيتموني فنصرتموني وأرقتم دماءكم دوني ، فلا يبعد الله إلا من قد ظلم ؛ يا أهل الكوفة ! أعظكم فلا تتعظون ، وأوقظكم من سنتكم فلا تنتبهون ، إن من فار بكم فقد فاز بالخيبة (١) ، ومن رمي بكم فقد رمى بأفوق ناصل (٢) ، أفٍ لكم ! لقد لقينا منكم ترحاً ، يوماً أناديكم ويوماً أناجيكم ، فلا أحرار عند النداء ولا إخوان صدق عند المصائب ، فيا لله ماذا منيت به منكم ، لقد منيت بصم لا يسمعون وكمه لا يبصرون وبُكم لا يعقلون ؛ أما والله لولا أني حين أمرتكم بأمري حملتكم على المكروه منه ، فإن استقمتم هديتم ، وإن أبيتم عليّ بدأت بكم وكانت الزلفى ، ولكني تراخيت لكم وتوانيت عنكم وتماديت في غفلتكم ، فكنت أنا وأنتم كما قال الأول (٣) :

أمرتكم أمري بمنقطع اللِوَى   فلم تستبينوا الرشد إلا ضحى الغدِ

اللَّهم ! إن دجلة والفرات نهران أصمان أبكمان ، اللَّهم ! فأرسل عليهما ماء يحرك وانزع منهم ماء نصرك ، حبذا إخواني الصالحون ! إن دعوا إلى الإسلام قبلوه أو قرأوا القرآن أحكموه ، أو ندبوا إلى الجهاد طلبوه ، فحقق اللَّهم لهم الثناء الحسن ، وا شوقاه إلى تلك الوجوه .

قال : ثم ذرفت عيناه ونزل عن المنبر ، وقام إليه نافع بن طريف فقال : إنا لله إلى ما صرت إليه يا أمير المؤمنين ! فقال علي : نعم (إنا) لله وإنا إليه راجعون إلى ما صرت إليه ، صرتُ إلى قوم إن أمرتهم خالفوني ، وإن اتبعتهم تفرقوا عني ، جعل الله لي منهم فرجاً عاجلاً .

قال : ثم وثب فدخل إلى منزله مغموماً ، ودخل إليه جماعة من فرسان أصحابه

---

(١) نهج البلاغة : بالسهم الأخيب .

(٢) الأفوق من السهام مكسور الفوق ، والفوق موضع الوتر من السهم ، والناصل العاري عن النصل . أي من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى ، وإن رمى به لم يصب مقتلاً إذ لا نصل له .

(٣) شرح نهج البلاغة خطبة رقم ٣٥ : فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن ورواية البيت فيه :
أمرتكم أمري بمنعرج اللوى   فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد
والبيت لدريد بن الصمة من قصيدة أولها :
نصحت لعارض وأصحاب عارض   ورهط بني السوداء والقوم شهدي
(الأبيات في الحماسة) .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ! لا يسؤك الله ! ها نحن بين يديك فسر بنا إلى أعداء الله إذا شئت لترى منا ما تحب .

قال : ثم تقدم إليه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الناس قد ندموا على ما كان من تثبطهم وقعودهم عن نصرتك على أن الحظ في ذلك لهم ، فلو عاودتهم بالخطبة لعلهم كانوا يرتدعون ويرجعون إلى محبتك . قال : فلما كان من غد خرج علي رضي الله عنه حتى دخل المسجد الأعظم وهو غاص بأهله وأصحابه متواترون .

ذكر خطبته الثالثة

قال : ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيها الناس ! ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت[2] ، وإلى بلادكم تغزى وأنتم ذوو عدد جم وشوكة شديدة ؟ فما بالكم اليوم لله أبوكم من أين تؤتون ومن أين تسحرون وأنى تؤفكون ، انتبهوا رحمكم الله وأنبهوا نائمكم وتجردوا لحرب عدوكم ، فقد أبدت الدعوة عن التصريح وقد أضاء الصبح لذي عينين ، فاسمعوا قولي هداكم الله إذا قلت ، وأطيعوا أمري إذا أمرت ، فوالله لئن أطعتموني لم تغووا ، وإن عصيتموني لن ترشدوا ، وخذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها واجمعوا آلتها ، فقد شبت وأوقدت نارها ، وتجرد لكم الفاسقون لكي يطفئوا نور الله بأفواههم ويغزوا عباد الله ؛ فوالله إن لو لاقيتهم وحدي وهم أضعاف[3] ماهم عليه لما كنت بالذي أخافهم ولا أهابهم ولا أستوحش منهم . لأني من طلالتهم[4] ، والحق الذي أنا عليه لعلى بصيرة ويقين ، وإني إلى لقاء ربي مشتاق ولحسن ثوابه منتظر ، وهذا القلب الذي ألقاهم به الذي لقيت به الكفار مع رسول الله ﷺ ، وهو القلب الذي لقيت به أهل الجمل وأهل صفين وليلة الهرير ، فإذا أنا أنفرتكم فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . ولا تثاقلوا إلى الأرض فيفروا بالحيف[5] ، فإن أخا

---

(١) بعضها في شرح نهج البلاغة ضمن كتاب إلى أهل مصر رقم ٦٢ .
(٢) شرح النهج : انتقصت .
(٣) شرح النهج : وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت .
(٤) شرح النهج : ضلالهم .
(٥) شرح النهج : فتقروا بالخسف .

الحرب من إن نام عنها لم تنم عيناه ، ومن غفل أوذي ، ومن ضعف ذل ، ومن ترك الجهاد في الله كان المغبون المهين ؛ اللّهم اجمعنا على التقوى وجنبنا وإياهم البلوى ، واجعل الآخرة لنا ولهم خيراً من الأولى .

قال : فلما فرغ من خطبته أجابه الناس سراعاً ، فاجتمع إليه أربعة آلاف رجل أو يزيدون . قال : فخرج بهم من الكوفة وبين يدي عدي بن حاتم الطائي يرفع صوته وهو يقول :

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا — برايات صدق كالنسور الخوافقِ
إلى شر قوم من شراة تحزبوا — وعادوا إلـه الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى — وكل لعين قوله غير صادق
وفينا عليّ ذو المعالي يقودنا — إليهم جهاراً بالسيوف البوارق

قال : وسار علي رضي الله عنه حتى نزل على فرسخين من النهروان ، ثم دعا بغلامه فقال له : اركب إلى هؤلاء القوم وقل لهم عني : ما الذي حملكم على الخروج عليّ ألم أقصد في حكمكم ؟ ألم أعدل في قسمكم ؟ ألم أقسم فيكم فيئكم ؟ ألم أرحم صغيركم ؟ ألم أوقر كبيركم ؟ ألم تعلموا أني لم أتخذكم خولاً ، ولم أجعل مالكم نفلاً ؟ وانظر ماذا يردون عليك ! وإن شتموك فاحتمل ، وإياك أن ترد على أحد منهم شيئاً .

قال : فأقبل غلام عليّ حتى أشرف على القوم بالنهروان ، فقال لهم ما أمره به ، فقالت له الخوارج : ارجع إلى صاحبك فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً ، وإنا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما رد إخواننا بحروراء عبد الله بن الكواء[1] وأصحابه ، والله تعالى يقول : ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾[2] ، ومولاك عليّ منهم فارجع إليه وخبره بأن اجتماعنا ههنا لجهاده ومحاربته لا لغير ذلك .

قال : فرجع الغلام إلى عليّ وأخبره بما سمع من القوم ، قال فعندها كتب إليهم علي كرم الله وجهه .

---

(١) وكان عليّ قد ناظر الخوارج بعد خروجهم واستطاع إقناع كثيرين أن يعودوا إلى إخوانهم ، وكان منهم عبد الله بن الكواء وقد قال لعلي يومئذ : إننا لا ننكر أننا قد فُتنا ، وقد رجعوا وانصرفوا مع علي إلى الكوفة .

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٨ .

ذكر كتاب علي إلى الخوارج

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله وابن عبده أمير المؤمنين وأجير المسلمين أخي رسول الله ﷺ وابن عمه ، إلى عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير المارقين من دين الإسلام ! أما بعد ، فقد بلغني خروجكما واجتماعكما هنالك بغير حق كان لكما ولأبويكما من قبلكما ، وجمعكما لهذه الجموع الذين لم يتفقهوا في الدين ، ولم يعطوا في الله اليقين ، والزما الحق فإن الحق يلزمكما منزلة الحق ثم لا يقضى إلا بالحق ، ولا تزيغا فيزيغ من معكما من أخباركما فيكون مثلكما ومثلهم كمثل غنم نفشت في أرض ذات عشب ، فرعت وسمنت ، وإنما حتفها في سمنها ؛ وقد علمنا بأن الدنيا كعروتين سفلاً وعلواً ، فمن تعلق بالعلو نجا ، ومن استمسك بالسفل هلك ، والسعيد من سعدت به رعيته والشقي من شقيت به رعيته ، وخير الناس خيرهم لنفسه وشرهم شرهم لنفسه ، وليس بين الله وبين أحد قرابة ، ﴿ **وكل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[1] ، والكلام كثير وإنما نريد منه اليسير ، فمن لم ينتفع باليسير ضره الكثير ، وقد جعلتموني في حالة من ضل وغوى وعن طريق الحق هوى ، خرجتم علي مخالفين بعد أن بايعتموني طائعين غير مكرهين ، فنقضتم عهودكم ونكثتم أيمانكم ، ثم لم يكفكم ما أنتم فيه من العمى وشق العصا ، حتى وثبتم على عبد الله بن خباب فقتلتموه وقتلتم أهله وولده[2] بغير ترة كانت منه إليكم ولا دخل ، وهو ابن صاحب رسول الله ﷺ ، ولن يغني القعود عن الطلب بدمه ، فادفعوا إلينا من قتله وقتل أهله وولده وشرك في دمائهم ، ولا تقتلوا أنفسكم على عمى وجهل ، فتكونوا حديثاً لمن بعدكم ، وبالله أقسم قسماً صادقاً لئن لم تدفعوا إلينا قاتل صاحبنا عبد الله بن خباب لم أنصرف عنكم دون أن أقضي فيكم إربي ـ وبالله أستعين وعليه أتوكل والسلام والرحمة من الواحد الخلاق على النبيين وعلى عباده الصالحين[3] ـ .

---

(١) سورة المدثر الآية ٣٨ .

(٢) في المصادر التي ذكرت خبر عبد الله بن خباب أنه قتل وقتلت امراته المتم معه . ولم يشر في تلك المصادر إلى مقتل غيرهما من ولده .

(٣) لم نعثر على هذه الرسالة ، وإنما ذكر في الأخبار الطوال رسالة مختصرة إلى عبد الله بن وهب الراسبي ويزيد بن حصين . وليس فيها أي ذكر لمقتل عبد الله بن خباب (انظر ص ٢٠٦) . وفي الطبري ٦ / ٤٧ وابن الأثير ٢ / ٤٠٤ أن علياً أرسل إلى أهل النهر أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم .

قال : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عبد الله بن أبي عقب وأرسله .

مسير عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج وما جرى بينهم من المناظرة

قال : فأقبل عبد الله بن أبي عقب إلى الخوارج بالكتاب ، حتى إذا صار إلى النهروان تقدم إلى عبد الله بن وهب الراسبي وهو جالس على شاطىء النهروان محتب بحمائل سيفه ، وحرقوص بن زهير إلى جانبه ورؤساء الخوارج جلوس حولهم . قال : فسلم عبد الله بن أبي عقب ودفع الكتاب إلى عبد الله بن وهب . فأخذه وفضه وقرأه عن آخره ، ثم ألقاه إلى حرقوص فقرأه ، ثم رفع رأسه إلى ابن أبي عقب فقال له : لولا أنك رسول لألقيت منك أكثرك شعراً[1] فمن أنت ؟ قال : رجل من الموالي ، قال : من أي الموالي أنت ؟ قال : من موالي بني هاشم . قال : إني أظنك من هذا الرجل بسبب يعني علي بن أبي طالب ، فقال : أنا رجل من أصحابه ، قال : أفحلال أنت أم لا ؟ قال : لا بل حرام دمي في كتاب الله عزَّ وجلَّ ؛ فقال : ما أراك تعرف كتاب الله ، قال : بلى ، إني لأعرف منه الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني والسفري والحضري . قال : وتعرف الله حق معرفته ؟ فقال : نعم ، إني لأعرفه ولا أنكره ، أؤمن به ولا أكفره . قال : وبماذا عرفته ؟ قال : برسوله وكتابه المنزل ، قال : صدقت . فاصدقني ما تكون من علي بن أبي طالب ، قال : أنا أخوه في الإسلام ، قال : عبد الله بن وهب أو مسلم أنت ؟ قال : أنا مسلم والحمد لله . قال : وما الإسلام ؟ قال له ابن أبي عقب : إن الإسلام عشرة أسهم ، خاب من لا سهم له فيها ، شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة ، والصلاة وهي الفطرة ، والزكاة وهي الطهر ، والصوم وهو الجنة ، والحج وهو الشريعة ، والجهاد وهو الغزو ، والأمر بالمعروف وهو الوفاق ، والنهي عن المنكر وهو الحجة ، والطاعة وهي العصمة ، والجماعة وهي الألفة . قال : صدقت ، فخبرني ما الإيمان ، فقال : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون ، والرضاء بما جاء من عند الله من سخط أو رضى ، والجنة حق ، والنار حق ، وأن الله يبعث من في القبور . فقال عبد الله بن وهب : أيها الرجل ! إنه حرم علينا دمك فخبرني أعالم أنت

(١) يريد : رأسه .

أم متعلم[1] ، قال[2] : متعنت أنت أم مسترشد ؟ قال : بل مسترشد . قال عبد الله بن وهب : فكم الصلوات ؟ فقال : أما الفريضة فإنها خمس ومعها نوافل ، أفعن الفريضة تسألني أم عن النافلة ؟ فقال : بل عن الفريضة أسألك ، فكم في الفريضة من ركعة ؟ قال : سبع عشرة ركعة وفيها سبع عشرة مرة سمع الله لمن حمده ، وفيها أربعة وثلاثون سجدة ، وفيها أربع وتسعون تكبيرة . قال : صدقت ، فكم السنة ؟ قال : السنة عشر ، خمس منها في الرأس وخمس في الجسد ، فأما اللواتي في الرأس : فالمضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وفرق الشعر ؛ وأما اللواتي في الجسد : فالختان ، وحلق العانة ، والاستنجاء بالماء ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، فقال عبد الله بن وهب : صدقت أيها الرجل ! ولكن خبرني كم يجب في خمس من الإبل صدقة ، فقال ابن أبي عقب : في خمس من الإبل شاة ، وفي عشر[3] شاتان ، وفي خمس عشرة[4] ثلاث شياه ، فإذا بلغت عشرين ففيها أربع شياه إلى أن تبلغ خمساً[5] وعشرين[6] ، فإذا زادت واحدة ففيها بنت مخاض ، فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون إلى خمس وثلاثين[7] ، فإذا زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى أن تبلغ خمساً وأربعين ، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة[8] إلى أن تبلغ خمساً[9] وسبعين ، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان طريدتا الفحل إلى أن تبلغ عشرين[10] ومائة ؛ فإذا بلغت الإبل عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة ، فإذا بلغت الإبل ثلاثين ومائة فالحساب على ما خبرتك وليس هذا من علم مثلي فسل عن غير هذا ! فقال له عبد الله بن وهب ، ذر عنك هذا ، فخبرني عن صدقة البقر ، قال : إذاً أخبرك بذلك في كل ثلاثين بقرة تبيع

---

(١) كذا بالأصل ، والظاهر أن هناك سقطاً بالكلام .
(٢) القائل هو عبد الله بن وهب .
(٣) بالأصل : عشرة .
(٤) بالأصل : خمسة عشر .
(٥) بالأصل : خمس .
(٦) عن المواهب اللدنية ٣ / ٣٧٨ في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة .
(٧) بالأصل : خمسة وثلاثون .
(٨) في المواهب اللدنية : ففيها حقة طروقة الجمل فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة .
(٩) بالأصل : خمسة .
(١٠) بالأصل : عشرون .

فهو حولي لسنة ، وفي الأربعين بقرة منه إلا ما كان من البقر العوامل التي تحرث الأرض ويسقى عليها الحرث فإنه لا صدقة عليها ، لأنها بمنزلة الدواب المركوبة ؛ والتي يحمل عليها الأثقال من البغال والحمير فقد خرج حكمها من حكم البقر السائمة ، فسنة البقر السائمة بخلاف سنة البقر العوامل ؛ وأما من أراد بها التجارة فيقوّم في رأس السنة وينظر إلى ثمنها ، فيحسب ذلك ويخرج صاحبها زكاتها كما تخرج زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم ، ومن كل عشرين مثقالاً نصف مثقال وما زاد فبالحساب ، فقال عبد الله بن وهب : صدقت فخبرني عن صدقة الغنم ما هي ، فقال ابن أبي عقب : نعم . أما الغنم فإنها إذا كانت دون الأربعين فلا صدقة عليها ، فإذا بلغت أربعين فصدقتها شاة إلى أن تبلغ عشرين ومائة شاة ، فإذا زادت على العشرين والمائة واحدة فصدقتها ثلاث شياه ، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة ؛ فهذا ما سألتَ عنه من صدقة الإبل والبقر والغنم ، وليس مثلي من يسأل عن مثل هذا ، ولكن سل أيها الرجل عما أحببت من العلوم الواسعة ! فقال ابن وهب : خبرني عن الواحد ما هو ، قال : فتبسم ابن أبي عقب ثم قال : هذه مسألة قد مضت في الدهر ، الواحد هو الله وحده لا شريك له . قال : فخبرني عن الاثنين لم يكن لهما في عصر ثالث ، قال : آدم وحواء . قال : فخبرني عن ثلاث لا رابع لها ، قال : الطلاق . قال : فخبرني عن أربع لا خامس لها ، قال : أربع نسوة حلال ولا تحل خامسة . قال : فخبرني عن خامسة ليس لها سادسة ، قال : الخمس صلوات مكتوبة . قال : فخبرني عن ستة لا سابع لها ، قال : الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض . قال : فخبرني عن سبعة ليست لها ثامنة ، فقال له ابن أبي عقب : يا هذا الرجل ! إن السبعة في كتاب الله عزَّ وجلَّ كثير ، وهن السماوات سبع والأرضون[1] سبع ، والبحار سبع ، وقال الله تعالى : ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وسبعة إذا رجعتم** ﴾[3] ، وقال الريان بن الوليد ملك مصر : ﴿ **إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخَرَ يابسات** ﴾[4] ، وقال يوسف النبي : ﴿ **تزرعون سبع سنين دَأَباً** ﴾[5] ومثل هذا في

---

(١) بالأصل : الأرضين .
(٢) سورة الحجر الآية ٤٤ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٦ .
(٤) سورة يوسف الآية ٤٣ .
(٥) سورة يوسف الآية ٤٧ .

كتاب الله كثير . قال : فخبرني عن سبع وثمانية . قال : نعم ، قول الله عزَّ وجلّ ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾[1] . قال : صدقت ، فخبرني عن ثلاث وأربع وخمس وست وسبع وثمان ، قال : فتبسم عبد الله بن أبي عقب ثم قال : يا سبحان الله ! من جمع هذه الجموع وخرج على مثل علي بن أبي طالب وهو يعلم أنه أقضى هذه الأمة وأبصر بحلالها وحرامها يسأل رسوله عن مثل هذه المسائل ! قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾[2] فهذا ما سألت .

فقال حرقوص : أيها الرجل ! فإني سائلك عن غير ما سألك صاحبي ، قال : سل عما بدا لك ! قال : من يتولى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : أتولى أولياء الله المؤمنين ، أتولى أبا[3] بكر وعمر وعثمان ومقداداً وسلمان وأبا ذر وصهيباً وبلالاً وأسلاف المؤمنين . قال : فممن تتبرأ ؟ قال : ما أتبرأ من أحد ، ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئَلون عما كانوا يعملون ﴾[4] قال : فما تقول في صاحبك عليّ وما تقول في عثمان وطلحة والزبير ومعاوية والحكمين عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ؟ فقال : أما صاحبي علي فلو قلت فيه سوءاً لم أكن بالذي أصحبه ، ولا أقاتل بين يديه ، ولا أقول بفضله ؛ وأما عثمان فإنه ابن عم النبي ، وابن ابنة عمه ، وختنه على ابنته رقية وأم كلثوم ، وله فضائل كثيرة وقد جاءت بها العلماء ولا أقول فيه إلا خيراً ؛ وأما طلحة والزبير فإنهما حواري رسول الله ﷺ ، ولم أسمع صاحبي يقول فيهما إلا خيراً ولا أقول فيهما إلا كقوله ؛ وأما معاوية والحكمان فمعاوية رضي برجل وعلي صاحبي برجل ، فخدع أحدهما صاحبه ، والخلافة لا تثبت لأحد بالمكر والخديعة ، ونحن على رأس أمرنا إلى انقضاء المدة . فقال حرقوص : أيها الرجل ! إنك قد أوجبت على نفسك القتل ، قال : ولم ذاك ؟ فقال : لأنك توليت قوماً كفروا بعد إيمانهم وأحدثوا الأحداث ، فقال له ابن أبي عقب : أيها الرجل ! إنك لم تبلغ في العلم ما يجب عليك أن تفتش عن علم الإمام ، ولكني أسألك عن مسائل يسأل صبياننا بعضهم بعضاً عنها في المكتب ،

---

(١) سورة الحاقة الآية ٧ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٢ .

(٣) بالأصل : أبو .

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٤ .

قال : سل عما بدا لك ! فقال ابن أبي عقب : خبرني أيها الرجل عن المتحابَّين ما هما ؟ وعن المتباغضين ما هما ؟ وعن المستبقين والجديدين والدائبين وعن الطارف والتالد وعن الطِمّ والرِمّ وعن نسبة الله عزَّ وجلّ ما هي ؟ قال حرقوص : ما رأيت أحداً يسأل عن مثل هذا ، ولكن خبرني عنها وأنت آمن ! فقال لـه ابن أبي عقب : أما المتحابان فالمال والولد ؛ وأما المتباغضان فالموت والحياة ؛ وأما المستبقان فالنور والظلمة ؛ وأما الجديدان فالليل والنهار ؛ وأما الدائبـان ، فالشمس والقمـر ؛ وأما الطارف والتالد فالمال المستحدث والمال القديم ، وأما الطِمّ والرِمّ فالطم البحر والرم الثرى ؛ وأما نسبة الله عزَّ وجلّ فإن قريشاً سألت النبي ﷺ فقالوا : يا محمد ! صف لنا ربك ، فنزلت سورة الإخلاص وهي : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[1] .

قال : فتعجب القوم من كلام ابن أبي عقب وعلمه ؛ ثم أجـاب عبد الله بن وهب إلى علي بن أبي طالب جواباً : ورد عليٍّ كتابك مع رسولك ، فقرأته وفهمت ما فيه ، وأما قولك تأمرني أن ألزم الحق يوم لا يقضى بالحق ، فقد صدقت وأنا لازم الحق جهدي وطاقتي ؛ وأما قولك لا أزيغ فيزيغ من معي ، فأنت معدن الزيغ وأهله ، وقـد قال الله تعـالى : ﴿**فلما زاغـوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القـوم الفاسقين**﴾[2] ؛ وأما قولك إن السعيد من سعدت به رعيته والشقي من شقيت به رعيته ، فقد صدقت وما أعلم سعيداً سعدت به رعيته بعد رسول الله ﷺ غير أبي بكر ومن بعده عمر ، ولا أعلم شقياً شقيت به رعيته بعد رسول الله ﷺ غيرك وغير عثمان بن عفان ، والقول كما قلت كثير والتفسير يسير ، فمن شاء هذر ونثر ، ومن شاء قال بقدر ؛ وأما قولك أن ادفع[3] إلينا قاتل عبد الله بن خباب فكلنا قتله[4] ؛ وأما ذكرك المسير إلينا لقتالنا ، فإذا شئت فاقدم فإنا عازمون على حربك ـ والسلام ـ .

قال : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى ابن أبي عقب ، فأخذه وأقبل إلى علي كرم الله وجهه ، فخبره بالذي دار بينه وبين القوم من المسائل .

---

(١) سورة الصمد الآيات ١ ـ ٤ .

(٢) سورة الصف الآية ٥ .

(٣) بالأصل : ادفعوه .

(٤) وكان عليّ قد بعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا . فقالوا : كلنا قتلنهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم (الطبري ٦ / ٤٧) .

قال : وعندها نادى علي في أصحابه وأمرهم بالمسير إلى النهروان ، فرحل ورحل الناس معه في السلاح والآلة الكاملة والعدة القوية[1] ؛ حتى إذا صار قريباً من النهروان نظر فإذا برجل من أصحابه قد عدل عن الطريق وجلس على ترسه ، فعلم علي رضي الله عنه أنه قد شك في قتال أهل النهروان ، فعدل إليه علي بن أبي طالب وقام الرجل فجلس عليٌ في موضعه ، فإذا برجل قد أقبل من ناحية نهروان يركض على فرس له ، فصاح به علي كرم الله وجهه : إليّ ! فجاء إليه ، فقال له علي : ما وراءك ؟ فقال : إن القوم لما علموا أنك تقاربت منهم عبروا النهروان هاربين ، فقال له علي رضي الله عنه : أنت رأيتهم حين عبروا ؟ قال : نعم ؛ قال علي : كلا والذي بعث بالحق نبياً لا يعبرون ولا يبلغون إلى قصر بوران بنت كسرى حتى يقتل الله مقاتلهم على يدي ، فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ، ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة ، ذلك عهد معهود وقضاء مقضي[2] .

قال[3] : ثم نهض عليّ فركب حتى وافى القوم ، وإذا هم قد مدوا الرماح في وجه علي وأصحابه وهم يقولون : لا حكم إلا لله . فقال علي رضي الله عنه : لا أنتظر فيكم إلا حكم الله . قال : ثم عبى علي أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين ، ثم دعا بعبد الله بن عباس فقال له : تقدم إلى هؤلاء واحتج عليهم وانظر ماذا يقولون ! قال : فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين أفألقي عني حلتي هذه وألبس درعي ؟ فإني أخاف القوم على نفسي ، فقال له علي : إني لا أخافهم عليك ، فتقدم فها أنا ذا من وراءك .

قال : فتقدم عبد الله بن عباس حتى واجه القوم ، ثم قال : أيها الناس ! ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين ؟ فقالوا له : يابن عباس ! إن الذي نقمناه عليك في وقتنا هذا أشد مما نقمناه على عليّ ، وذلك إنك قد جئتنا في حلة يمانية ونحن نريد حربك وحرب ابن عمك ، فقال ابن عباس : أما هذه الحلة فقد رأيت خيراً منها على من هو خير مني وهو أبو القاسم محمد ﷺ ؛ وأما الحرب فقد دنت منا ومنكم ولا شك

---

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٤٩ انفصل علي عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً ، وأتاه من البصرة من قبل ابن عباس عشرة آلاف .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٤٥٠ الكامل للمبرد ٣ / ١١٠٥ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٥ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٤٦٣ .

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩١ - ١٩٢ .

في ذلك ، فهاتوا ما الذي نقمتم على علي رضي الله عنه ! قالوا : نقمنا عليه أشياء ، لو كان حاضراً لكفرناه بهن .

فالتفت ابن عباس إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك قد سمعت الكلام فأنت أحق بالجواب[1] .

قال : فتقدم علي كرم الله وجهه ، حتى إذا واجه القوم فسلم عليهم ، فردوا عليه السلام ، ثم قال : أيها الناس ! أنا علي بن أبي طالب ، فتكلموا بما نقمتم به علي ! فقالوا : إن أول ما نقمنا به عليك أنا قاتلنا يوم البصرة بين يديك ، فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما كان في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، وكنت تستحل ما كان في العسكر ولا تستحل النساء والذرية ، قال : فقال لهم علي : يا هؤلاء ! إن أهل البصرة قاتلونا وبدأوا بقتالنا ، فلما أظفرني الله بهم قسمت بينكم سلب من قاتلكم ، ومنعتكم النساء والذرية ، لأن النساء لم يقاتلن ، والذرية ولدوا على فطرة الإسلام ، فمنعتكم الذرية والنساء لأجل ذلك ، وقد رأيت رسول الله ﷺ منّ على أهل مكة يوم فتحها فلم يسب نساءهم ولا ذريتهم ، وإذا كان النبي منّ على المشركين فلا تعجبوا مني إذا مننتُ على المسلمين ، فلم أسب نساءهم ولا ذريتهم .

قالوا : فإنا نقمنا عليك غير هذا ، نقمنا عليك يوم صفين في وقت الكتاب الذي كتبته بينك وبين معاوية أنك قلت لكاتبك : اكتب « هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان » ؛ فأبى معاوية أن يقبل أنك أمير المؤمنين ، فمحوت اسمك من الخلافة وقلت لكاتبك : اكتب « هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان » ، فإن لم تكن أمير المؤمنين فأنت أمير الكافرين ونحن مؤمنون ، ولا يجب أن تكون أميراً علينا . فقال علي : يا هؤلاء ! إنكم قد تكلمتم فاسمعوا الجواب ! أنا كنت كاتب النبي ﷺ يوم الحديبية فقال لي النبي ﷺ : اكتب « هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأهل مكة » ، فقال أبو

---

(١) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٢ : قالت طائفة من الخوارج - وقد سألهم ابن عباس ماذا نقمتم على علي - . نقمنا على علي خصالاً كلها موبقة لولم نخصمه منها إلا بخصلة خصمناه : محا اسمه من إمرة أمير المؤمنين يوم كتب إلى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين ، فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى الله ، وحكّم الحكمين ، وزعم أنه وصي فضيع الوصية .

سفيان[1] : إني لو علمت يا محمد أنك رسول الله لما قاتلتك ، ولكن اكتب صحيفتك باسمك واسم أبيك ؛ فأمرني النبي ﷺ ، فمحوت الرسالة من الكتاب وكتبت « هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأهل مكة » ، وإنما محوت اسمي من الخلافة كما محا النبي اسمه من الرسالة فكانت لي به أسوة . قالوا : فإنا نقمنا عليك غير هذا ، إنك قلت للحكمين : « انظرا في كتاب الله ، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة ، وإن كان معاوية أفضل مني فأثبتاه في الخلافة »[2] ، فإن كنت شاكاً في نفسك أن معاوية أفضل منك فنحن فيك أعظم شكاً . قال : فقال لهم علي : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ، لأني لو قلت للحكمين : احكما لي وذرا معاوية ، كان معاوية لا يرضى بذلك ، وإنما كان النبي ﷺ [لو][3] قال للنصارى لما قدموا عليه من نجران[4] : تعالوا حتى نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم ، كانوا لا يرضون بذلك ، ولكنه أنصفهم فقال : ﴿ **تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾[5] ، فأنصفهم من نفسه ، وكذلك أنصفت أنا معاوية ، ولم أعلم لما أراد عمرو بن العاص من خديعة صاحبي . قالوا : فإنا نقمنا عليك غير هذا ، إنك حكمت حكماً في حق هو لك ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل ، فحكم فيهم سعد بقتل النساء والرجال وسبي الذرية والأموال ، وإنما أقمت حكماً كما أقام النبي ﷺ لنفسه حكماً ؛ فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به علي ؟ قال : فسكت القوم وجعل بعضهم يقول لبعض : صدق فيما قال ، ولقد دحض جميع ما احتججنا عليه ؛ ثم صاح القوم من كل ناحية وقالوا : التوبة ! التوبة ! يا أمير المؤمنين .

فاستأمن إليه منهم ثمانية آلاف ، وبقي على حربه أربعة آلاف ، وأقبل علي

---

(١) كذا بالأصل ، وهو خطأ فادح ، وقد تقدم التعليق على هذه الرواية قريباً . والصواب « سهيل بن عمرو » .

(٢) كذا ، ولم يرد ذلك في وثيقة التحكيم ، راجع نص الوثيقة ، فيما تقدم قريباً من كتابنا .

(٣) سقطت من الأصل ، وزدناها لمقتضى السياق .

(٤) بالأصل : « بحران » تحريف .

(٥) سورة آل عمران الآية ٦١ .

رضي الله عنه إلى هؤلاء المستأمنين إليه فقال : اعتزلوا عني في وقتكم هذا وذروني والقوم .

قال : فاعتزل القوم وتقدم علي بن أبي طالب من أصحابه حتى دنا منهم ، وتقدم عبد الله بن وهب حتى وقف بين الجمعين ، وجعل يقول : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾[1] ألا ! إن الذين عدلوا بربهم علي بن أبي طالب وأصحابه الذين حكموا في دين الله عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ، والله تعالى يقول : ﴿ **اتبع ما أوحي إليك من ربك** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ومن أَحْسَنُ من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾[3] وقال : ﴿ **ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾[4] .

قال : فصاح به رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يكنى بأبي حنظلة فقال له : يا عدو الله ! ما أنت والخطباء في مثل هذا الموضع ، وأنت والله ما فهمت في دين الله ساعة قط وما زلت جلفاً جافياً مذ كنت ثكلتك أمك ، يـابن وهـب ! أتدري ويلك لمن تتكلم ولمن تتنازع ؟ أما علمت أنه أمير المؤمنين أخو رسول الله ﷺ وابن عمه ووصيه وصفيه وزوج ابنته وأبو سبطيه ؟ فقال له علي : ذره يا أبا حنظلة ! فإن الذي هو فيه من العمى والضلالة أعظم من كلامه إياي لو علم .

قال : فصاح ذو الثدية حرقوص وقال : والله يـابن أبي طالب ما نريد بقتالنا إيـاك إلا وجه الله والـدار الآخرة . قـال : فقال عليّ رضي الله عنـه : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴿ **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾[5] منهم أهل النهروان ورب الكعبة ! .

ذكر ابتداء الحرب

قال : ثم دعا علي برجل من أصحابه يقال له رويبة[6] بن وبر البجلي فدفع إليه

(١) سورة الأنعام الآية ١ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٦ .
(٣) سورة المائدة الآية ٥٠ .
(٤) سورة الأنعام الآية ٦٢ .
(٥) سورة الكهف الآية ١٠٤ .
(٦) بالأصل : رويبية .

اللواء وأمره بالتقدم إلى القوم ؛ قال : فتقدم إلى القوم وهو يقول :

لقد عقد الإمام لنا لواء ... وقدمنا أمام المؤمنينا
بأيدينا مثقفة طوال ... وبيض المرهفات إذا حلينا
نكر على الأعادي كل يوم ... ونشهد حربهم متوارينا
ونضرب في العجاج رؤوس قوم ... تراهم جاحدين وعابدينا

قال : فحمل فجعل يقاتل حتى استشهد . وتقدم من بعده عبد الله بن حماد لحميري فقاتل فاستشهد . وتقدم من بعده رفاعة[1] بن وائل الأرحبي فقاتل واستشهد . ثم تقدم من بعده كيسوم بن سلمة الجهني فقاتل فقتل . وتقدم من بعده عبد بن عبيد الخولاني فقاتل فقتل .

قال : فلم يزل يخرج رجل بعد رجل من أشد فرسان علي حتى قتل منهم جماعة وهم ثمانية ، وأقبل التاسع واسمه حبيب بن عاصم الأزدي فقال : يا أمير المؤمنين! هؤلاء الذين نقاتلهم أكفارهم؟ فقال علي : من الكفر هربوا وفيه وقعوا. قال : أفمنافقون ؟ فقال علي : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . قال : فما هم يا أمير المؤمنين حتى أقاتلهم على بصيرة ويقين ؟ فقال علي : هم قوم مرقوا من دين الإسلام كما مرق السهم من الرمية ، يقرأون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم[2] ، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه . قال : فعندها تقدم حبيب بن عاصم هذا نحو الشراة وهو التاسع من أصحاب علي فقاتل وقتل ؛ واشتبك الحرب من الفريقين فاقتتلوا قتالاً شديداً ولم يقتل من أصحاب علي إلا أولئك التسعة[3] .

---

(١) بالأصل : رقاية .

(٢) إشارة إلى ما روي عن النبي (ص) قال : يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء . . . يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم . يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . . . أخرجه مسلم في صحيحه .
وقد ورد في الخوارج أحاديث عديدة من طرق عديدة نقلها ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٢١ وما بعدها . والبيهقي في الدلائل ٦ / ٤٣٤ .

(٣) كذا بالأصل أنه قتل تسعة من أصحاب علي ولم يذكر المؤلف سوى ستة رجال فقط .
وفي شرح نهج البلاغة ذكر أنه قتل تسعة ولم يذكر أيضاً إلا خمسة رجال وفي الطبري ٦ / ٥١ عن أبي مخنف أنه لم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة .
وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥١ قتل من أصحاب علي تسعة . وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٠٧ : « سبعة » وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٣ : « أقل من عشرة » وفي تاريخ خليفة ص ١٩٧ : اثنا عشر =

قال : وتقدم رجل من الشراة يقال له الأخنس العيزار[1] الطائي حتى وقف بين الجمعين ، وكان من أشد فرسان الخوارج ، وكان ممن شهد يوم صفين وقاتل فيه ؛ فلما كان ذلك اليوم تقدم حتى وقف بين الجمعين وأنشأ يقول :

ألا ليتني في يوم صفين لم أءب ... وغُودرتُ في القتلى بصفين ثاويا
وقطّعت إرباً أو ألقيت جثة ... وأصبحتُ ميتاً لا أجيب المناديا
ولم أر قتلى سنبس ولقتلهم ... أشاب غداة البين مني النواصيا
ثمانون من حيّ جُديلة قتّلوا ... على النهر كانوا يحضبون العواليا
ينادون لا لا حكم إلا لربنا ... حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا
همُ فارقوا من جار الله حكمه ... وكل عن الرحمن أصبح راضيا
فلا وإله الناس ما هان معشر ... على النهر في الله الحتوف القواضيا
شهدت لهم عند الإله بفلحهم ... إذا صالح الأقوام خافوا المخازيا
وإيلوا إلى التقوى ولم يتبعوا الهوى ... فلا يبعدن الله من كان شاريا

قال : ثم حمل على أصحاب علي كرم الله وجهه حملة فشق الصفوف وقصده عليّ ، فالتقيا بضربتين فضربه عليّ فألحقه بأصحابه . وحمل ذو الثدية على عليّ ليضربه بسيفه ، وسبقه عليّ فضربه على بيضته فهتكها ، وحمل به فرسه وهو كما به من الضربة ، حتى رمى به في آخر معركة على شط النهروان في جرف دالية خربة .

قال : وخرج من بعده ابن عم له يقال له مالك بن الوضاح[2] ، حتى وقف بين الجمعين وهو يقول :

إني لبائع ما يفني بباقية[3] ... ولا أريد لذي الهيجاء تربيصا[4][5]

= رجلاً . وذكر منهم : يزيد بن نويرة الأنصاري وأبو عامر عقبة بن عامر الجهني (لعله غير عقبة بن عامر الصحابي الذي ولي إمرة مصر لمعاوية سنة ٤٠ هـ عن التهذيب ، أو أن إيراده هنا خطأ وقع فيه خليفة) .

(١) في الطبري ٦ / ٥٠ العيزار بن الأخنس ، رجل من بني سدوس .

(٢) في الكامل للمبرد ٣ / ١١٨٩ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٥٧ وشعراء الخوارج ص ٧٦ الرهين المرادي ، وفي أنساب الأشرف ٤ / ٢ : ٨٨ الزهير . والأبيات في هذه المصادر

(٣) في الكامل للمبرد : لعاقبة .

(٤) في الكامل للمبرد وشعر الخوارج : إن لم يعقني رجاء العيش تربيصا .

(٥) وقبله في المصادر :

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي ... لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

أخشى فجاءة قوم أن يعاجلني ولم أرد بطوال العمر تنقيصا
فأسأل[1] الله بيع النفس محتسباً حتى أرافق[2] في الفردوس حرقوصا
والزبرقان[3] ومرداسا وإخوته إذا فارقوا زهرة[4] الدنيا مخاميصا

قال : ثم حمل على عليّ ، وحمل عليّ فضربه ضربة ألحقه بأصحابه .

وتقدم عبد الله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين ثم نادى بأعلى صوته : يابن أبي طالب ! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك ! والله لا نبرح هذه العرصة أبداً أو تأبى على نفسك ، فابرز إليّ حتى أبرز إليك وذر الناس جانباً . قال : فتبسم علي رضي الله عنه ثم قال : قاتله الله من رجل ما أقل حياءه ! أما إنه ليعلم أني حليف السيف وجديل الرمح ، ولكنه أيس من الحياءة أو لعله يطمع طمعاً كاذباً .

قال : وجعل عبد الله يجول بين الصفين وهو يرتجز ويقول :

أنا ابن وهب الراسبي الثاري[5] أضرب في القوم لأخذ الثار
حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق إلى الأخيار

ثم حمل فضربه عليّ ضربة ألحقه بأصحابه .

قال : واختلط القوم فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم[6] ، وقد كانوا أربعة آلاف ، فما فلت منهم إلا تسعة نفر ، فهرب منهم رجلان إلى خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعة ، وصار رجلان إلى بلاد اليمن فيها نسلهما إلى الساعة ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يقال له سوق التوريخ[7]

---

(١) عند المبرد وشرح النهج : وأسال .
(٢) المبرد وشرح النهج وشعر الخوارج : ألاقي .
(٣) المصادر السابقة : وابن المنيح .
(٤) عن الكامل للمبرد ، وفي شرح النهج : إذ فارقوا هذه الدنيا مخاميصا .
والمخاميص يعني ضامر البطون .
وبعده في شعر الخوارج :
تخال صفهم في كل معترك للموت سوراً من البنيان مرصوصا
(٥) شعر الخوارج : ص ٤٣ : الشاري .
(٦) في الأخبار الطوال ص ٢١٠ : وقتلت الخوارج كلها ربضة واحدة .
(٧) كذا ولم نعثر عليه .

وإلى شاطىء الفرات فهناك نسلهما إلى الساعة ، وصار رجل إلى تل يسمى تل مَوْزن[1] .

قال : وغنم أصحاب عليّ في ذلك اليوم غنائم كثيرة . وأقبل عليّ نحو الكوفة ، وسبقه عبد الرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ حتى دخل الكوفة[2] ، فجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة . قال : ومر بدار من دور الكوفة فسمع فيها صوت زمر وصوت طبل يضرب ، فأنكر ذلك ، فقيل له : هذه دار فيها وليمة ؛ قال : فنهى عن صوت الزمر والطبل ، قال : وخرجت[3] النساء من تلك الدار ، وفيهن امرأة يقال لها قطام بنت الأضبع التميمي[4] وكان بها مسحة من جمال ، قال : ونظر إليها عبد الرحمن بن ملجم فأعجبه ما رأى من قدها وحسن مشيتها ، فتبعها وقال : يا جارية ! أيّم أنت أم ذات بعل ؟ فقالت : بل أيم ، قال : فهل لك في زوج لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه ؟ فقالت : إني لمحتاجة إلى ذلك ، ولكن لي أولياء أشاورهم في ذلك فاتبعني .

قال : فتبعها المرادي حتى دخل دارها ، ثم إنها لبست من الثياب ما يحسن عليها ، ثم قالت لمن عندها من خدمها : قولوا لهذا الرجل فليدخل ! فإذا دخل

---

(١) تل موزن : بلد بالجزيرة ثم ديار مضر ، بين رأس عين وسروج . بينه وبين رأس عين نحو عشرة أميال .

(٢) كذا بالأصل : وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٧ : « وفي سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج (وكانت طائفة منهم قد خرجت نحو مكة في الموسم ولما انقضى أمر الموسم نظرت الخوارج في أمرها ـ الكامل للمبرد) فتذاكروا الناس ، وما هم فيه من الحرب والفتنة ، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، وتواعدوا واتفقوا على ألا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه ، حتى يقتله أو يقتل دونه ، وهم عبد الرحمن بن ملجم ، لعنه الله ، وكان من تجيب ، وكان عدادهم في مراد ، فنسب إليهم ، وحجاج بن عبد الله الصريمي ، ولقبه البرك ، وزادويه مولى بني العنبر . فقال أبو ملجم لعنه الله : أنا أقتل علياً . وقال البرك : أنا أقتل معاوية . وقال زادويه : أنا أقتل عمرو بن العاص .

واتعدوا أن يكون ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وقيل : ليلة إحدى وعشرين » وانظر الطبري ٦ / ٨٣ والكامل للمبرد ٣/١١١٥ . زيد في الكامل للمبرد: فخرج كل واحد منهم إلى ناحية ، فأتى ابن ملجم الكوفة .

(٣) بالنسخ : وخرجن .

(٤) في الطبري : ٦ / ٨٣ وابن سعد ٣ / ٢٣ قطام بنت الشجنة ، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٧ قطام بنت عمه (أي ابنة عم ابن ملجم) وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٦ قطام بنت علقمة بن تيم الرباب . وفي الأخبار الطوال ص ٢١٣ أن قطام أمها وأن التي خطبها ابن ملجم ابنتها الرباب .

واروني فأرخوا الحجاب بيني وبينه . ثم أذنت لعبد الرحمن بن ملجم بالدخول عليها ، فلما دخل ونظر إليها أرخوا الستر بينها وبينه ؛ فقال لها : التأم أمرنا أم لا ؟ فقالت : أوليائي أبوا أن ينكحوني إياك إلا على ثلاثة ألف درهم وعبد وقينة ، قال : لك ذلك . قالت : وشرط آخر ، فقال : وما هذا الشرط ؟ قالت : قتل عليّ بن أبي طالب ، قال : فاسترجع المرادي ثم قال : ويحك ! من يقدر على قتل عليّ وهو فارس الفرسان ، ومغالب الأقران ، والسباق إلى الطعان فقالت : لا تكثر علينا ، أما المال فلا حاجة لنا فيه ، ولكن قتل علي بن أبي طالب هو الذي قتل أبي يوم كذا وكذا[1] . فقال ابن ملجم : أما قتل علي إن رضيت مني بضربة أضرب علياً بسيفي فعلت . قالت : قد رضيت على أن يكون سيفك عندي رهينة . قال : فدفع إليها سيفه وانصرف إلى منزله .

وقدم علي كرم الله وجهه من سفره ، واستقبله الناس يهنئونه بظفره بالخوارج ، ودخل إلى المسجد الأعظم ، فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فخطب خطبة حسناً ثم التفت إلى ابنه الحسين فقال : يا أبا عبد الله ! كم بقي من شهرنا هذا - يعني شهر رمضان الذي هم فيه ؟ فقال الحسين : سبع عشرة يا أمير المؤمنين . قال : فضرب بيده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء [وقال] : والله ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها . قال ثم جعل يقول :

أريد حياته ويريد قتلي خليلي من عذيري من مراد[2]

قال : فسمع ذلك عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك ، فجاء حتى وقف بين يدي علي رضي الله عنه فقال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، فهذه يميني وشمالي بين يديك فاقطعهما أو اقتلني ! فقال علي كرم الله

---

(١) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٤ « قتل أبوها وأخوها يوم النهر » وفي الأخبار الطوال ص ٢١٣ : كان علي قتل أباها وأخاها وعمها يوم النهر وفي ذلك يقول ابن ملجم (وقيل قائله : ابن أبي مياس المرادي - الطبري) .

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

(٢) البيت من شعر عمرو بن معدي كرب قاله في قيس بن مكشوح المرادي وروايته في الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨ .

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وجهه : وكيف أقتلك ولا ذنب لك عندي ، إني لم أردك بذلك المثل ، ولكن خبرني النبي ﷺ أن قاتلي رجل من مراد ، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك[1] ، ولكن هل كان لك لقب في صغرك ؟ فقال : لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين ! قال علي : فهل لك حاضنة يهودية فقالت لك يوماً من الأيام : يا شقيق عاقر ناقة صالح ! قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ! قال : فسكت عليّ وركب وصار إلى منزله .

فلما كان يوم ثالث وعشرين[2] من شهر رمضان خرج علي من منزله ، فلما صار في صحن الدار كان في داره شيء من الوز ، فتصايح الوز في وجهه ، فقال علي رضي الله عنه : صوائح تتبعها نوائح . فقال له ابنه الحسين : يا أبة ! ما هذه الطيرة ؟ فقال : يا بني ! لم أتطير ، ولكن قلبي يشهد أني مقتول في هذا الشهر . قال : وجاء علي رحمه الله إلى باب دار مفتحة ليخرج ، فتعلق الباب بمئزره فحل مئزره وهو يقول :

اشدد حيازيمك للموت[3] فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت فقد[4] حلّ بواديكا
فقد أعرف أقواماً وإن كانوا صعاليكا
مصاريع إلى النجدة وللغي متاريكا

قال : ثم مضى يريد المسجد وهو يقول :

خلّوا سبيل المؤمن المجاهد في الله لا يعبد غير الواحد
ويوقظ الناس إلى المساجد

---

(١) وفي خبر رواه المبرد في الكامل ٣ / ١١١٧ أن ابن ملجم سمع يقول : والله لأريحنهم منك ، فأتي به ملبياً ، فأشرف عليهم ، فقال : ما تريدون ؟ فخبروه بما سمعوا ، فقال : ما قتلني بعد ! فخلوا عنه . وفي خبر آخر ص ١١١٨ قيل لعلي : كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك ، أفلا تقتله ؟ فقال : كيف أقتل قاتلي .

(٢) في الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية : ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وفي شرح النهج ٢ / ١٧٥ تسع عشرة . وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨ ليلة إحدى وعشرين .

(٣) الحيزوم : ما اشتمل عليه الصدر ، وجمعه حيازيم . ويقال للرجل : «اشدد حيازيمك لهذا الأمر أي وطن نفسك عليه» .
قال المبرد : والشعر إنما يصح بأن تحذف «اشدد» وتقول :
حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

(٤) المبرد ٣ / ١١٢١ ومروج الذهب ٢ / ٤٦٥ وشرح النهج ٢ / ٣٣٩ : إذا .

قال : ثم جاء حتى وقف في موضع الأذان ، فأذن ودخل المسجد . وقد كان عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة في منزل قطام بنت الأضبع ، فلما سمعت أذان علي رضي الله عنه قامت إليه وهو نائم وكان تناول نبيذاً ، فأيقظته وقالت : يا أخا مراد ! هذا أذان علي ، قم فاقض حاجتنا وارجع قرير العين مسروراً ، ثم ناولته سيفه ؛ فقال ابن ملجم : بل أرجع والله سخين العين مثبوراً ، وقد سمعت علياً يقول : قال النبي ﷺ : « إن أشقى الأولين قذاز[1] بن سالف عاقر ناقة صالح ، وأشقى الآخرين قاتل علي بن أبي طالب » ، فما أخوفني أن أكون ذلك الرجل .

قال : ثم تناول سيفه وجاء حتى دخل المسجد ورمى بنفسه بين النيام ، وأذن علي رضي الله عنه ودخل المسجد ، فجعل ينبه من في المسجد من النيام ، ثم صار إلى محرابه فوقف فيه ، فافتتح الصلاة[2] وقرأ ، فلما ركع وسجد سجدة واستوى قاعداً ، وأراد أن يسجد الثانية ضربه ابن ملجم ضربة على رأسه . فوقعت الضربة على الضربة التي كان ضربها عمرو بن عبد ود يوم الخندق بين يدي النبي ﷺ، ثم بادر فخرج من المسجد هارباً ، وسقط علي رحمة الله عليه لما به ، وتسامع الناس بذلك وقالوا : قتل أمير المؤمنين ودنت الصلاة ، فقام الحسن بن علي[3] فتقدم فصلى بالناس ركعتين خفيفتين .

ثم احتمل علي إلى صحن المسجد وأحدق الناس به ، فقالوا : من فعل هذا بك يا أمير المؤمنين ! فقال : لا تعجلوا ، فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب ـ وأومأ بيده إلى بعض الأبواب ، قال : فخرج رجل من عبد القيس في ذلك الباب فإذا هو بابن ملجم ، وقد سدت عليه المذاهب فليس يدري إلى أين يهرب ، فضرب العبدي بيده إليه ثم قال : ويحك لعلك ضارب أمير

---

(١) كذا بالأصل ، وفي تفسير القرطبي ٧ / ٢٤١ « قدار » وعن ابن إسحاق : ممن كان ممن عقر الناقة مصدع وأخوه ذؤاب .

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٤٥٩ وخرج علي رضي الله عنه ينادي : أيها الناس ، الصلاة ، فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله لا لك ، وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه ، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب ، وأما مجاشع بن وردان فهرب . وقال علي : لا يفوتنكم الرجل .
وانظر الطبري ٦ / ٨٤ ابن الأثير ٢ / ٤٣٥ الكامل للمبرد ٣ / ١١١٨ ـ ١١١٩ الأخبار الطوال ص ٢١٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٢ .

(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٥ جعدة ابن هبيرة ، ابن أخت علي أم هاني .

المؤمنين ، فأراد أن يقول لا ، فقال : نعم ؛ فكببه وأدخله المسجد[1] ، فجعل الناس يلطمونه من كل ناحية حتى أقعدوه بين يدي عليّ ، فقال له : أخا مراد ! بئس الأمير كنتُ لك ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! ما حملك على أن فعلتَ ما فعلت وأيتمت أولادي من بعدي ؟ قال : فسكت المرادي ولم يقل شيئاً[2] ، فقال علي رضي الله عنه : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾[3] .

قال : ثم أمر به علي رضي الله عنه إلى السجن وقال : احبسوه فنعم العون كان لنا على عدونا ! فإذا أنا مت فاقتلوه كما قتلني[4] . قال : فكان علي رضي الله عنه يفتقده ويقول لمن في منزله : أرسلتم إلى أسيركم طعاماً ؟

قال : وجعل الطبيب يختلف إلى عليّ واشتدت العلة به جدّاً ، فأحس من نفسه بالموت وعلم أنه لا ينتعش من مصرعه ، فدعا بابنيه الحسن والحسين وأقعدهما بين يديه ، ودعا أيضاً بمن حضر من ولده وأهل بيته وأقبل عليهم بوجهه .

---

(١) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٢ قثم بن العباس احتمله وضرب به الأرض . . . وأتى به إلى علي .
وفي الكامل للمبرد ٣ / ١١١٩ : تلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض .

(٢) في الطبري ٦ / ٨٤ فأدخل عليه ، ثم قال : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك عن هذا ؟ قال : شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلقه .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

(٤) في الكامل للمبرد ٣ / ١١١٩ قال علي : ان أعش فالأمر لي ، وإن أصب فالأمر لكم ، فإن آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة ، وإن تعفوا أقرب للتقوى .
وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٥ في قوله لابنه الحسن : انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

ذكر وصية علي رضي الله عنه عند مصرعه[1]

فقال : يا بني[2] ؟ إني موصيكم بتقوى الله وطاعته ، وأن لا تبغوا هذه الدنيا وإن بغتكم على شيء زوى عنكم ، وقولوا الحق ولو على أنفسكم ، وارحموا اليتيم وأطعموا المسكين ، وأشبعوا الجائع ، واكنفوا الضائع ، وكونوا للظالم خصماً وللمظلوم أعواناً ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم .

ثم التفت إلى ابنه محمد ابن الحنفية فقال : يا بني ! أفهمت ما أوصيت به[3] إخوتك وغيرهما ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! فقال علي رضي الله عنه : فإني موصيك بمثل ذلك وأوصيك أيضاً بتوقير إخوتك[4] الحسن والحسين وأن لا تقطع أمراً دونهما . ثم أقبل عليهما فقال : يا حسن ويا حسين ! إني قد أوصيت أخاكما بكما وأوصيكما به ، وقد علمتما بأن أباكما كان يحبه ، فأحباه بحب أبيكما له ؛ وعليكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ ! ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾[5] ، فإني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام » ، ألا ! وانظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون عليكم الحساب ، واتقوا الله في الأيتام والأرامل وأحسنوا إليهم بما استطعتم فإنها وصية

---

(١) قارن مع الطبري ٦ / ٨٥ - ٨٦ والبداية والنهاية ٧ / ٣٦٢ - ٣٦٣ شرح نهج البلاغة ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) كلامه هذا موجه في الطبري إلى الحسن والحسين ، بصيغة المثنى .

(٣) في الطبري : أخويك .

(٤) الطبري : أخويك .

(٥) سورة آل عمران الآيتان ١٠٢ و١٠٣ .

النبي ﷺ[1] ، والله الله في القرآن ! لا يسبقنكم بالعمل به أحد غيركم[2] ، والله الله في الصلاة ! فإنها عمود دينكم ، ثم الزكاة ! فإنها تطفىء غضب ربكم ، وصيام رمضان ! فإن صيامه جُنة لكم ، ثم الحج إلى بيت الله الحرام ! فهو الشريعة التي بها أمرتم ، ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾[3] ، ثم قال : حفظكم الله يا أهل بيتي وحفظ فيكم سنة نبيه محمد ﷺ ! وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

فلما كان يوم السابع والعشرين من شهر رمضان خرجت أم كلثوم إلى عند أبيها ، فقال لها علي : أي بنية ! اخفي عليك الباب ، ففعلت ذلك . قال الحسن : وكنت جالساً على باب البيت فسمعتُ هاتفاً آخر وهو يقول : ﴿ **أفمن يلقى في النار خير امّن يأتي آمناً يوم القيامة** ﴾[4] . قال : وسمعت هاتفاً آخر وهو يقول : توفي النبي ﷺ ، وتوفي أبو بكر ، وعمر فقد قتل ، وعثمان قتل ، والآن قد قتل علي بن أبي طالب إذاً تضعضع ركن الإسلام .

قال الحسن : فلم أصبر أن فتحت الباب ودخلت ؛ فإذا أبي فارق الدنيا[5] ، فأحضرنا أكفانه وقد كان عنده حنوط له من بقية حنوط النبي ﷺ . فغسله الحسن والحسين ، ومحمدابن الحنفية يصب على أيديهما الماء ، ثم كفن[6] وحمل على

---

(١) زيد عند الطبري : والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم (ص) ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه .

(٢) زيد في الطبري : والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . . . والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم .

(٣) سورة المائدة الآية ٢ .

(٤) سورة فصلت الآية ٤٠ .

(٥) وكان قد جمع له أطباء الكوفة ، ولم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانىء السكوني ، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات . . فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة ، فاستخرج منها عرقاً ، وأدخله في الجرح ، ثم نفخه ثم استخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعهد عهدك ، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣٤٢) .

(٦) انظر في غسله وتكفينه الطبري ٦ / ٨٦ مروج الذهب ٢ / ٤٦١ ، اليعقوبي ٢ / ٢١٣ ابن سعد ٣ / ٣٧ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٦ البداية والنهاية ٧ / ٣٦٣ .

أعواد المنايا وحمل ، ودفن في جوف الليل الغابر بموضع يقال له الغَرِي[1] ، وقال قوم بأنه دفن ما بين منزله إلى المسجد ـ والله أعلم .

فلما كان الغد أذّن الحسن وأقام ، وتقدم فصلى بالناس صلاة الفجر ، ثم وثب فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، ومن جهلني أنبأته باسمي على أن الناس بي عارفون . أيها الناس ![2] قد دفن في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون بعلم ولا الآخرون بحلم ، ولقد كان النبي ﷺ إذا قدمه للحرب فجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فما يلبث أن يفتح الله على يديه . أيها الناس ! إنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم[3] قد كان أراد أن يبتاع بها لأختي أم كلثوم خادماً ، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال .

قال : ثم نزل عن المنبر ، وأمر الحسن فأتي بابن ملجم من السجن ، وضربه الحسن على رأسه ضربة[4] ، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً ؛ وفي ذلك يقول العبدي[5] :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام بيّناً غير مبهم[6]
ثلاثة آلاف وعبداً[7] وقينة[8] ... وضرب عليٍّ بالحسام المسمَّم[9]
فلا مهر أغلى من عليٍّ وإن غلا ... ولا فتك إلا دون فتك[10] ابن ملجم

---

(١) الغري : نصب كان يذبح عليه العتائر والغريالان طريالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب (رض) .
وفي مقاتل الطالبيين : دفن بالرحبة ، مما يلي أبواب كندة .
(٢) الطبري ٦ / ٩١ ابن الأثير ٢ / ٤٤٢ مروج الذهب ٢ / ٤٦١ .
(٣) مروج الذهب : سبعمئة درهم . . وقال بعضهم : ترك لأهله مائتين وخمسين درهماً ومصحفه وسيفه .
(٤) اختلفوا في قتله . انظر مروج الذهب ٢ / ٤٦١ الكامل للمبرد ٣ / ١١٢٠ الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٣٦ الأخبار الطوال ص ٢١٥ .
(٥) الطبري ٦ / ٨٧ ابن أبي إياس ، وفي مروج الذهب ٢ / ٤٥٨ والكامل للمبرد ٣ / ١١١٦ نسبت لابن ملجم نفسه . ولم تنسب في الأخبار الطوال ص ٢١٤ .
(٦) في الطبري والأخبار الطوال : ولم . . . كمهر قطام من فصيح وأعجم .
(٧) كذا بالأصل والأخبار الطوال ، وفي بقية المصادر : وعبد .
(٨) بالأصل : فتية ، وما أثبت عن المصادر .
(٩) في المصادر : المصمم .
(١٠) الطبري : ولا قتل . . . قتل ابن ملجم .

ليبشرْ بخزي في الحياة معجّل ... وطول خلود ثاوياً في جهنم
فيأكل من الزقّوم تعساً بجدّه ... ويخلد في قعر من النار مظلم
ويشرب من الغسّاق والمهل ويله ... وسربال قطران لقلب متيّم

ذكر كتاب عبد الله بن عباس من البصرة إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما

قال : فلما مضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى سبيل الله اجتمع الناس إلى ابنه الحسن ، فبايعوه ورضوا به وبأخيه الحسين من بعده .

قال : فنادى الحسن في الناس فجمعهم في مسجد الكوفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إن الدنيا دار بلاء وفتنة ، وكل ما فيها فآئل إلى زوال واضمحلال ، وقد نبأنا الله عنها لكي نعتبه ، وتقدم إلينا فيها بالوعد لكي نزدجر ، فلا يكون له علينا حجة بعد الإعذار والإنذار ، فازهدوا فيما يفنى ، وارغبوا فيما يبقى ، وخافوا الله في السر والعلانية ؛ ألا ! وقد علمتم أن أمير المؤمنين علياً رحمه الله حياً وميتاً ، عاش بقدر ومات بأجل ، وإني أبايعكم على أن تحاربوا من حاربتُ وتسالموا من سالمت . فقال الناس : سمعنا وأطعنا ، فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين .

قال : فأقام الحسن بالكوفة بعد وفاة أبيه شهرين كاملين لا يُنفّذ إلى معاوية أحداً ولا ذكر المسير إلى الشام .

قال : وإذا بكتاب عبد الله بن عباس قد ورد عليه من البصرة وإذا فيه[1] : لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس ، أما بعد يابن رسول الله ! فإن المسلمين ولّوك أمرهم بعد أبيك رضي الله عنه ، وقد أنكروا أمر قعودك عن معاوية وطلبك لحقك ، فشمر للحرب وجاهد عدوك ، ودارِ[2] أصحابك وولّ أهل البيوتات والشرف ما تريد من الأعمال ، فإنك تشتري بذلك قلوبهم ، واقتد بما جاء عن أئمة العدل[3] من تأليف القلوب والإصلاح بين الناس ، واعلم بأن الحرب خدعة ، ولك

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩١ لابن أبي الحديد .
(٢) شرح النهج : وقارب .
(٣) عبارة شرح النهج : فقد جاء عنهم : أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس .

في ذلك سعة ما كنت محارباً ما لم ينتقص مسلماً حقاً هو له ؛ وقد علمت أن أباك علياً إنما رغب الناس [عنه] وصاروا إلى معاوية لأنه واسى بينهم في الفيء وسوى بينهم في العطاء ، فثقل ذلك عليهم ، واعلم بأنك إنما تحارب من قد حارب الله ورسوله حتى أظهره الله أمره ، فلما أسلموا ووحدوا الرب ، ومحق الله الشرك وأعز الدين ، وأظهروا الإيمان وقرأوا القرآن وهم بآياته مستهزئون ، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون ؛ فلما رأوا أنه لا يغزو[1] في هذا الدين إلا الأنبياء الأبرار والعلماء الأخيار وسموا[2] أنفسهم لسيما الصالحين ، ليظن بهم المسلمون خيراً[3] وهم عن آيات الله معرضون ؛ وقد منيت أبا محمد بأولئك القوم وأبنائهم وأشباههم ، والله ما زادهم طول العمر إلا غياً ، ولا زادهم في ذلك لأهل الدين إلا غشاً[4] ، فجاهدهم رحمك الله ، ولا ترضَ منهم بالدنية ، فإن أباك علياً رضي الله عنه لم يجب إلى الحكومة في حقه حتى غُلب على أمره فأجاب وهو يعلم أنه أولى بالأمر إن حكم القوم بالعدل ، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه ، وعزم على حرب القوم حتى وافاه أجله ، فمضى إلى ربه رحمه الله ، فانظر رحمك الله أبا محمد ! ولا تخرجن من حق أنت أولى به من غيرك وإن أتاك دون ذلك - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته - .

قال : فلما ورد كتاب عبد الله بن عباس وقرأه سره ذلك ، وعلم أنه قد بايعه وأنه قد أمره بما يجب عليه في حق الله ، دعا بكاتبه وأمره أن يكتب إلى معاوية .

ذكر كتاب الحسن بن علي إلى معاوية[5]

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر ، أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، فأظهر به الحق وقمع به أهل الشرك ، وأعز به العرب عامة ، وشرف من شاء منهم خاصة[6] ، فقال تبارك وتعالى ﴿ وإنه

---

(١) شرح النهج : لا يعزّ .

(٢) شرح النهج : توسموا بسيما الصالحين .

(٣) زيد في شرح النهج : فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم ، وقالوا : حسابهم على الله ، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين ، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين .

(٤) شرح النهج : مقتاً .

(٥) نسخته في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٢ - ٦٩٣ .

(٦) شرح النهج : وشرف به قريشاً خاصة .

لذكر لك ولقومك ﴾[1] ، فلما قبضه الله عزَّ وجلَّ تنازعت العرب من بعده ، فقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ؛ فقالت قريش : نحن أولياؤه وعشيرته فلا تنازعونا سلطانه ؛ فعرفت العرب ذلك لقريش ، ثم جاحدتنا قريش ما عرفه العرب لهم ، وهيهات ما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين وسابقة في الإسلام ، فرحمة الله عليهم ، والآن فلا غرو إلا منازعتك إيانا بغير حق في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، والموعد لله بيننا وبينك ، ونحن نسأله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا به في الآخرة ؛ وبعد فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولاني هذا الأمر من بعده ، فاتق الله يا معاوية ! وانظر لأمة محمد ﷺ ما تحقن به دماءهم وتصلح به أمورهم ـ والسلام ـ .

ثم دفع الحسن كتابه هذا إلى رجلين من أصحابه يقال لأحدهما جندب بن عبد الله الأزدي والآخر الحارث بن سويد التميمي ، ووجههما إلى معاوية ليدعواه إلى البيعة والسمع والطاعة . قال : فلما قرأه كتب إليه في جوابه .

جواب كتاب الحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان[1]

أما بعد ، فقد فهمت كتابك وما ذكرت به محمداً ﷺ وهو خير الأولين والآخرين ، فالفضل كله فيه ﷺ ؛ وذكرت تنازع المسلمين الأمر من بعده ، فصرحت منهم بأبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وطلحة ، والزبير ، وصلحاء المهاجرين ، وكرهت ذلك لك أبا محمد ، وذلك أن الأمة لما تنازعت الأمر من بعد نبيها محمد ﷺ علمت أن قريشاً أحقها بهذا الشأن لمكان نبيها منها ، ثم رأت قريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يولوا هذا الأمر أعلمها بالله ، وأخشاها له ، وأقدمها إسلاماً ، فاختاروا أبا بكر الصديق ، ولو علموا مكان رجل هو أفضل من أبي بكر يقوم مقامه ويذب عن حوزة[3] الإسلام كذّبه لما عدلوا ذلك عنه ؛ فالحال بيني وبينك على ما كانوا عليه ؛ ولو علمتُ أنك أضبط لأمر الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأكيد للعدو ، وأقوى على جميع الأمور[4] ،

---

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤ .
(٢) شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩٣ .
(٣) في شرح النهج : حرم .
(٤) شرح النهج : وأقوى على جمع الفيء .

لسلمت لك هذا الأمر بعد أبيك ، لأني قد علمت بأنك إنما تدّعي ما تدّعيه نحو أبيك ، وقد علمت أن أباك سار إلينا فحاربنا ، ثم صار من أمره إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً ، ليحكما بما يصلح عليه أمر الأمة وتعود به الألفة والجماعة ، وأخذنا على الحكمين بذلك عهد الله وميثاقه ، وأخذا منا مثل ذلك على الرضا بما حكما ، ثم أنهما اتفقا على خلع أبيك فخلعاه ، فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك وقد خرج أبوك منه ؟ فانظر لنفسك أبا محمد ولدينك ـ والسلام[1] ـ .

ثم وجه الكتاب إلى الحسن ، ودعا معاوية بالضحاك بن قيس واستخلفه على الشام .

ذكر خروج معاوية من الشام يريد العراق وخروج الحسن بن علي من الكوفة يريد الشام

قال : ثم جمع معاوية الناس وخرج في ستين ألفاً يريد العراق ؛ وكتب الحسن بن علي إلى عماله يأمرهم بالاحتراس ، ثم ندب الناس إلى حرب معاوية ، ودعا بالمغيرة بن نوفل بن الحارث فاستخلفه على الكوفة وخرج في نيف عن أربعين ألفاً حتى نزل بدير عبد الرحمن[2] ، ثم دعا قيس بن سعد بن عبادة وضم إليه ألف رجل[3] وجعله على مقدمته .

قال : فمضى قيس وأخذ على الفرات يريد الشام[4] ، وخرج الحسن بن علي حتى أتى ساباط المدائن[5] ، فأقام بها أياماً .

---

(١) زيد في شرح النهج : ثم قال للحارث وجندب (رسولا الحسن إليه): ارجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف .

(٢) دير عبد الرحمن : هو مفرق الطريق بين معسكري الحسن في المدائن ومسكن .

(٣) في الطبري ٦ / ٩٢ وابن الأثير ٢ / ٤٤٥ في اثني عشر ألفاً .

(٤) أخذ على الفرات وقرى الفلوجة ثم إلى مسكن (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٣) .

(٥) ساباط قرية في المدائن ، عندها قنطرة على نهر الملك ولعلها إنما سميت بهذا الاسم لوجود سقيفة نادرة من السوابيط فيها .

وكانت خطة الحسن العسكرية أن يتخذ من المدائن ـ نظراً لموقعها من الناحية العسكرية والاستراتيجية مقراً لقيادته العليا . فالمدائن رأس جسر صوب فارس والبلاد المتاخمة لها ، وهي بموقعها الجغرافي النقطة الوحيدة التي تحمي الخطوط الثلاثة التي تصل كلاً من الكوفة والبصرة وفارس بالأخرى .

وإقامته ـ كما خطط ـ بالمدائن لاستقبال النجدات المحتملة والمتوقعة من كل من البصرة أو الكوفة أو =

فلما أراد الرحيل[1] قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت ، والله لقد أصبحت وما أنا محتمل على أحد من هذه الأمة ضغنة في شرق ولا غرب ولما تكرهون في الجاهلية ، والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون من الفرقة والخوف والتباغض والعداوة - والسلام - .

قال : فلما سمع الناس هذا الكلام من الحسن كأنه وقع بقلوبهم أنه خالع نفسه من الخلافة ومسلم الأمر لمعاوية ، فغضبوا لذلك ، ثم بادروا إليه من كل ناحية ، فقطعوا عليه الكلام ، ونهبوا عامة أثقاله ، وخرقوا ثيابه ، وأخذوا مطرفاً كان عليه ، وأخذوا أيضاً جارية كانت معه ، وتفرقت عنه عامة أصحابه ؛ فقال الحسن : لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال : فدعا بفرسه فركب ، وسار وهو مغموم لما قد نزل به من كلامه . وأقبل

= فارس ثم ليكون من وراء ميدانه الذي سينازل به معاوية وأهل الشام ، وليس بين معسكري الحسن بين المدائن ومقدمة جيشه (قيس بن سعد) التي أرسلها إلى مسكن أكثر من خمسة عشر فرسخاً .

(1) كذا بالأصل ، والأخبار الطوال ص ٢١٦ . ويفهم من رواية الطبري ٦ / ٩٢ أنه لا شيء مهم حصل إبان إقامة الحسن بن علي بساباط ، وأنه انتقل منها إلى المدائن .
وفي المدائن حصلت تطورات هامة وخطيرة كانت تزيد من خيبة أمله ، وتزيد من ضعف ثقته بجيشه ووضعته أمام اتخاذ موقف واحدٍ لا ثاني له ، موقف يتناسب مع خطورة الأوضاع التي تتابعت بسرعة .
أما التطورات التي حصلت فمنها :
١ - تثاقل الناس عن الحرب ، فإذا كان تقديرنا - على اختلاف الأقوال - للمستنفرين ما بين ٤٠ ألفاً إلى مئة ألف يجب أن نشير إلى أن القوة القتالية المفترضة في العراق تتعدى ثلاثمئة ألف .
٢ - دور أصحاب الفتن وأصحاب الطمع بالغنائم وأصحاب العصبيات في تفتيت وحدة جيش الحسن .
٣ - دور الخوارج ، الذين طالما نادوا بالقتال ، في تذكية نار الحقد بين الفريقين المتحاربين وظهورهم بأنهم الجنود المناصحين في حين أنهم في ذلك إلى اغتنام الفرص من أجل تنفيذ مخططاتهم ، والتي نذكر أقلها ، في إضعاف الطرفين . ولم يطل تظاهرهم فقدموا على تنفيذ مؤامرتهم الدنيئة في محاولة اغتيال الحسن بن علي ، حيث طعنه أحدهم ، ابن سنان الأسدي ولكن هذه الطعنة لم تبلغ من الحسن وكانت سلامته بلطفٍ من الله وعنايته .
٤ - تكون جيش الحسن (رض) من عناصر مختلفة وألوان متعددة أفقدته المصداقية وأذنت بسرعة تفرقه وتشرذمه .
٥ - الدساس والإشاعات والحرب النفسية التي خاضها معاوية كان لها الأثر المدمر في الروح المعنوية للجيش . ومن ذلك ما أشار إليه الطبري ٦ / ٩٢ إذ نادى منادٍ في العسكر ألا إن قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا وسرقوا سرادق الحسن .

رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح[1] حتى وقف في مظلم ساباط المدائن ، فلما مر به الحسن بادر إليه فجرحه بمعول[2] كان معه جراحة كادت تأتي عليه ، قال : فصاح الحسن صيحة وخرّ عن فرسه مغشياً عليه ، وابتدر الناس إلى ذلك الأسدي فقتلوه[3] .

قال : وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف ، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن[4] ؛ قال : وعامل المدائن يومئذ سعد[5] بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ، قال : فأنزل الحسن في القصر الأبيض ، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا : ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين . قال : فأقام الحسن بالمدائن يداوى .

وأقبل معاوية من الشام حتى صار إلى موضع يقال له جسر منبج ثم عبر الفرات ، حتى نزل بإزاء قيس بن سعد بن عبادة ، فأمر أصحابه بمحاربته . قال : فتناوش القوم يومهم ذلك ، وكانت بينهم مساولة ، ثم أنهم تحاجزوا عن غير قتل إلّا جراحات يسيرة .

قال : وجعل قيس بن سعد ينتظر الحسن بن علي أن يقدم عليه ، وهو لا يعلم ما الذي نزل به . قال : فبينا هو كذلك إذ وقع الخبر في العسكرين أن الحسن بن علي قد طعن في فخذه وأنه قد تفرق عنه أصحابه ، فاغتم قيس بن سعد [وأراد] أن يشغل الناس بالحرب لكي لا يذكروا هذا الخبر ، فزحف القوم بعضهم إلى بعض فاختلطوا للقتال ، فقتل من أصحاب معاوية جماعة وجرح منهم بشر كثير ، وكذلك من أصحاب قيس بن سعد ؛ ثم تحاجزوا .

وأرسل معاوية إلى قيس فقال : يا هذا ! على ماذا تقاتلنا وتقتل نفسك ؟ وقد أتانا الخبر اليقين بأن صاحبك قد خلعه أصحابه . وقد طعن في فخذه طعنة أسفى

---

(١) عند اليعقوبي ٢ / ٢١٥ جراح بن سنان الأسدي .

(٢) المعول : حديدة ينقر بها الصخر .

(٣) في شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٩٤ : ابتدره أصحابه ، فسبق إليه عبيد الله الطائي ، فصرع سناناً وأخذ ظبيان بن عمارة المعول من يده ، فضربه به فقطع أنفه ، ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله .

(٤) الطبري : إلى المقصورة البيضاء بالمدائن .

(٥) الأخبار الطوال : سعيد .

منها على الهلاك ، فيجب أن تكفّ عنا ونكف عنك إلى أن يأتيك علم ذلك .

قال : فأمسك قيس بن سعد عن القتال ينتظر الخبر ، قال : وجعل أهل العراق يتوجهون إلى معاوية قبيلة بعد قبيلة ، حتى خف عسكره .

فلما رأى ذلك كتب إلى الحسن بن علي يخبره بما هو فيه . فلما قرأ الحسن الكتاب أرسل إلى وجوه أصحابه فدعاهم ، ثم قال : يا أهل العراق ! ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية ، أما والله ما هذا بمنكر منكم لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين ، فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم ، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم ، ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه . ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين ، فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا ، والله يعلم ما نويت فيه ، فكان منكم إليّ ما كان ، يا أهل العراق ! فحسبي منكم لا تعزوني في ديني فإني مسلّم هذا الأمر إلى معاوية[1] .

قال : فقال له أخوه الحسين : يا أخي ! أعيذك بالله من هذا ! فقال الحسن :

---

(١) مر قريباً أن الحسن بن علي ، وبعد الموقف الهجومي الذي اتخذه معاوية في الرد على كتاب للحسن يدعوه لبيعته ، إذ فاجأه معاوية بتجهيز أكثر من ستين ألفاً وبالمسير نحو العراق . فأسرع الحسن في استنفار قواته وعماله وتعبئة جيشه والتوجه إلى المدائن فمسكن ، وقد ذكرنا ـ انظر ما لاحظناه قريباً ـ أنه حدثت تطورات وأوضاع هامة وخطيرة وهو في المدائن تركت الحسن في موقف بالغ الدقة والخطورة حيث غلبت عليه الحيرة في الموقف المفترض اتخاذه ثم طرأ أيضاً ظروف أدق ـ حتمت عليه ـ اتخاذ الموقف الجريء الواضح والذي لم يرض أن يهرق في أمره محجمة دم ، فكانت خطة حقن الدماء التي أقرها وقررها .

وأما الظروف المستجدة ـ إلى جانب التطورات التي ذكرناها سابقاً ـ والتي أملت عليه اتخاذ هذا الموقف فهي :

١ ـ خطة الحرب النفسية والدعائية التي شنها معاوية والتي قضى من ورائها تدمير مقاومة الجيش في مسكن .

٢ ـ نشر الشائعات في جيش الحسن ، وكانوا من أغرار الناس والمتأرجحين بين الطاعة والعصيان والمتأهبين للفتنة والاضطرابات في كل حين .

٣ ـ تهديم معنويات جيش الحسن . ولعبة تفتيته على قاعدة العناصر والألوان التي كثرت فيه .

أمام هذا كله وقف الحسن غير عابىء بما يدور حوله ، ووضع خطته فيما يريده الله وما يؤثره عن رسول الله (ص) وما يجب لصيانة المبدأ ، وأما ما يقوله الناس فلم يكن ذلك مما يعنيه كثيراً (الطبري ـ اليعقوبي ـ ابن كثير) .

والله لأفعلن ولأسلمن هذا الأمر إلى معاوية .

ذكر بيعة الحسن بن علي لمعاوية كيف كانت

قال : ثم دعا الحسن بن علي بعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم[1] وهو ابن أخت معاوية ، فقال له : صر إلى معاوية فقل له عني : إنك إن أمنت الناس على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم بايعتك ، وإن لم تؤمنهم لم أبايعك .

قال : فقدم عبد الله بن [نوفل بن] الحارث على معاوية ، فخبره بمقالة الحسن . فقال له معاوية : سل ما أحببت ! فقال له : أمرني أن أشرط عليك شروطاً ؛ فقال معاوية : وما هذه الشروط ؟ فقال : إنه مسلّم إليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك ، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال ، وله خراج دارابجرد من أرض فارس ، والناس كلهم آمنون بعضهم من بعض . فقال معاوية : قد فعلت ذلك .

قال : فدعا معاوية بصحيفة بيضاء ، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه ، ثم قال : خذ هذه الصحيفة فانطلق بها إلى الحسن ، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحب ويشهد أصحابه على ذلك ، وهذا خاتمي بإقراري .

قال : فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة وأقبل إلى الحسن ومعة نفر من أصحابه من أشراف قريش ، منهم عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام . قال : فدخلوا فسلموا على الحسن ، ثم قالوا : أبا محمد ! إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أحببت ، فاكتب الذي تحب . فقال الحسن : أما ولاية الأمر من بعده ، فما أنا بالراغب في ذلك ، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه ؛ وأما المال ، فليس لمعاوية أن يشرط لي في المسلمين ، ولكن أكتب غير هذا وهذا كتاب الصلح .

قال : ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب : « هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على :

---

(١) في الأخبار الطوال ص ٢١٨ أرسل إلى عبد الله بن عامر .

[أولاً] أن يسلم إليه ولاية أمر المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين .

[ثانياً] وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين .

[ثالثاً] وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله [في] شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم .

[رابعاً] وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم .

وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه .

[خامساً] وعلى أنه لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي ﷺ غائلة سراً وعلانية ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق .

شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان[1] .

---

(١) كذا بالأصل وفي المصادر اقوال في تقديم وتأخير ما اتفق عليه ، وزيادة بند في الاتفاق وإنقاص آخر . وذكر أنه اتفق بينهما على معاهدة صلح وقعها الفريقان وصورتها ـ كما أخذناها من مصادرها حرفياً :
- المادة الأولى : تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله [المدائني فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤ / ٨] وبسيرة الخلفاء الراشدين [فتح الباري فيما رواه ابن عقيل في النصائح الكافية ص١٥٦] .
- المادة الثانية : أن يكون الأمر للحسن من بعده [تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ والإصابة ٢ / ١٢ و١٣ ، دائرة معارف وجدي ٣ / ٤٤٣] وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد [المدائني فيما يرويه عنه ابن أبي الحديد ٤ / ٨ والفصول المهمة لابن الصباغ وغيرهما] .
- المادة الثالثة : أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير [مقاتل الطالبين ص ٢٦ شرح النهج ٤ / ١٥ . وقال آخرون أنه أجابه على أن لا يشتم علياً وهو يسمع . وقال ابن الأثير : ثم لم يف به أيضاً] .
- المادة الرابعة : يسلم ما في بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف للحسن وله خراج دار ابجرد [الطبري ٦ / ٩٢ وفي الأخبار الطوال ص ٢١٨ : أن يحمل لأخيه الحسين في كل عام ألفي ألف ، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس] .

ثم رد الحسن بن علي هذا الكتاب إلى معاوية مع رسل من قبله ليشهدوا عليه بما في هذا الكتاب .

قال : وبلغ ذلك قيس بن سعد ، فقال لأصحابه : اختاروا الآن واحدة من ثنتين : قتالاً مع غير إمام أو بيعة لضلال[1] ! قالوا : بل البيعة أيسر علينا من سفك الدماء . قال : فعندها نادى قيس بن سعد فيمن بقي من أصحابه ، فانصرف بهم نحو العراق وهو يقول :

أتاني بأرض العال[2] من أرض مسكن ... بأن إمام الحق أضحى مسلّما
فما زلت مذ نبئته متلدداً ... أراعي نجوماً خاشع القلب ناجما

قال : ثم أقبل قيس بن سعد حتى دخل الكوفة والحسن بن علي رضي الله عنه بها .

ذكر مسير معاوية إلى العراق لأخذ البيعة لنفسه من الحسن بن علي رحمة الله عليه

قال : وسار معاوية في جيشه حتى وافى الكوفة ، فنزل بها في قصر الإمارة ، ثم أرسل إلى الحسن بن علي فدعاه ، وقال : هلم أبا محمد إلى البيعة . فأرسل إليه الحسن أبايعك على أن الناس كلهم آمنون . فقال معاوية : الناس كلهم آمنون إلا قيس بن سعد ، فإنه لا أمان له عندي . فأرسل الحسن إليه إني لست مبايعاً أو تؤمن الناس جميعاً ، وإلا لم أبايعك . قال : فأجابه معاوية إلى ذلك .

قال : فأقبل إليه الحسن فبايعه ؛ فأرسل معاوية إلى الحسين بن علي فدعاه إلى البيعة ، فأبى الحسين أن يبايع ، فقال الحسن : يا معاوية ! لا تكرهه فإنه لن يبايع أبداً أو يقتل ، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته ، ولن يقتل أهل بيته حتى تقتل شيعته ، ولن تقتل شيعته حتى يبيد أهل الشام . قال : فسكت معاوية عن الحسين ولم يكرهه .

= - المادة الخامسة : أن لا يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة ، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم ، [الأخبار الطوال ص ٢١٨] وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم [هذا ما مرّ بالأصل هنا] .

(١) في الأخبار الطوال ص ٢١٨ : القتال بلا إمام ، أو الدخول في طاعة معاوية .

(٢) يقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن الاستان العال لكونه في علو مدينة السلام (معجم البلدان) .

ثم أرسل إلى قيس بن سعد فدعاه إلى البيعة ، فأبى أن يبايع ، فدعاه الحسن وأمره أن يبايع معاوية ، فقال له قيس : يابن رسول الله ! إن لك في عنقي بيعة ، وإني والله لا أخلعها أبداً حتى تكون أنت الذي تخلعها ! فقال له الحسن : فأنت في حل وسعة من بيعتي ، فبايع ! فإني قد بايعت ؛ فعندها بايع قيس لمعاوية . فقال له معاوية : يا قيس ! إني قد كنت أكره أن تجتمع الناس إليّ وأنت حي . فقال قيس : وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن يصير هذا الأمر إليك وأنا حي[1] .

قال : ثم انصرف الناس يومهم ذلك ، فلما كان من الغد أقبل الحسن إلى معاوية حتى دخل عليه ، فلما اطمأن به المجلس قال له معاوية : أبا محمد ! إنك قد جدت بشيء لا تجود به أنفس الرجال ، ولا عليك أن تتكلم[2] وتعلم الناس بأنك قد بايعت حتى يعلموا ذلك ! قال الحسن : فإني أفعل .

ثم تكلم الحسن وقال[3] : أيها الناس ! إن أكيس الكيسِ التقى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرص[4] رجلاً جده رسول الله ﷺ ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين ، وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدي محمد ، وأنقذكم به من الضلالة ، ورفعكم به من الجهالة ، وأعزكم به بعد الذلة ، وكثركم به بعد القلة ، وإن معاوية نازعني على حق هو لي دونه ، فنظرتِ صلاح الأمة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمتُ وتحاربوا من حاربتُ ، وإن معاوية واضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها ، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم ، ﴿ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾[5] .

---

(١) كذا بالأصل ، وفي الطبري ٦ / ٩٤ أن قيس بن سعد رفض مبايعة معاوية مع إخباره بتسليم الأمر إليه : « فأرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك . فاشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال .. وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته » .

(٢) وفي مروج الذهب ٢ / ٤٧٩ أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بأن يتكلم أمام الناس لكي « يبدو عيه للناس بأنه يتكلم بأمور لا يدري ما هي ، ولم يزل به حتى أطاعه » .

(٣) الطبري ٦ / ٩٣ مروج الذهب ٢ / ٤٨٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٦٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٦٩٥ باختلاف النصوص .

(٤) في معجم البلدان : جابرس ، وفي رواية : حابلص .

(٥) سورة الأنبياء الآية ١١١ .

قال : ثم سكت ، وقام عمرو بن العاص ، فقال : يا أهل العراق ! إنا كنا نحن وأنتم جميعاً على كلمة هي السوى ففرق بيننا وبينكم الأهواء ، ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا ، فتداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة ، يصلح لكم دينكم ودنياكم ـ والسلام ـ .

قال : ثم تكلم معاوية فقال : أيها الناس ! إنه لم تتنازع أمة كانت قط من قبلنا في شيء من أمرها بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا هذه الأمة ، فإن الله تعالى أظهر خيارها على أشرارها ، وأظهر أهل الحق على أهل الباطل ليتم لها بذلك ما أسداها من نعمة عليها ، فقد استقر الحق قراره ، وقد كنت شرطت لكم شروطاً أردت بذلك الألفة واجتماع الكلمة وصلاح الأمة وإطفاء النائرة ، والآن فقد جمع الله لنا كلمتنا وأعز دعوتنا ، فكل شرط شرطته لكم فهو مردود ، وكل وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدمي[1] .

قال : فغضب الناس من كلام معاوية وضجوا وتكلموا ، ثم شتموا معاوية وهموا به في وقتهم ذلك ، وكادت الفتنة تقع ، وخشي معاوية على نفسه فندم على ما تكلم به أشد الندم .

وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال : لا والله جعلني الله

---

(١) أما بالنسبة لوفاء معاوية بالشروط والوعود التي قطعها على نفسه ووافق عليها في معاهدة الصلح التي مر ذكرها قريباً :
- بالنسبة للشرط الأول ـ المادة الأولى ـ فكان هو الشرط الوحيد الذي حظي بالوفاء من شروط المعاهدة .
- بالنسبة للشرط الثاني ـ المادة الثانية في المعاهدة ـ فثمة إجماع بين المؤرخين على نقضه (إن كان في نصه أن يؤول الأمر بعد معاوية إلى المسلمين يختارون من يشاؤون ، أو إن كان يؤول ـ كما في بعض المصادر ـ إلى الحسن بن علي) وعهد معاوية من بعده ـ علناً ـ إلى ابنه يزيد .
- بالنسبة للشرط الثالث ـ المادة الثالثة في المعاهدة ـ فقد ورد في كتب السير والتاريخ ما حفلت به من سب عليّ على المنابر . وقد ورد في الطبري ٦ / ١٤١ في وصية معاوية للمغيرة بن شعبة لما ولاه الكوفة سنة ٤١ : « . . . ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تتحمّ عن شتم علي وذمه . . » .
- بالنسبة للشرط الرابع ـ المادة الرابعة ـ لم يطبق ، حيث أن أهل البصرة منعوا خراج دار أبجرد بحجة أنه من فيئهم بأمر معاوية . (ابن الأثير) .
- بالنسبة للشرط الخامس ـ المادة الخامسة : وهو العهد بالأمان العام فهو أيضاً لم ينفذ ، حيث عانى رجالات الشيعة من السياسة الأموية المتعسفة والمتحيزة ضدهم .

فداك ، ما ينقضي تعجبي منك ، كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف ، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهداً وميثاقاً في عقد طاهر ، لكنه أعطاك أمراً بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت ، والله ما أراد بهذا الكلام أحداً سواك . فقال له الحسن : صدقت يا مسيب ! قد كان ذلك فما ترى الآن ؟ فقال : أرى والله أن ترجع إلى ما كنت عليه وتنقض هذه البيعة ، فقد نقض ما كان بينك وبينه ! قال : ونظر الحسن بن علي إلى معاوية وإلى ما قد نزل به من الخوف والجزع ، فجعل يسكن الناس حتى سكنوا ، ثم قال للمسيب : يا مسيب ! إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه ، ولو أني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء . ولا أثبت عند الوغاء ، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء ، ولكني أردت بذلك صلاحكم وكفّ بعضكم عن بعض ، فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر .

قال : فبيْنما الحسن بن علي يكلم المسيب بهذا الكلام إذا برجل من أهل الكوفة يقال له عُبيدة بن عمرو الكندي قد دخل ، وفي وجهه ضربة منكرة ؛ قال : وعرفه الحسن فقال : ما هذا الذي بوجهك يا أخا كندة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني مع قيس بن سعد . فقال حجر بن عدي الكندي[1] : أما والله لقد وددت أنك مت في ذلك ومتنا معك ثم لم نر هذا اليوم ، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا .

قال : فتغير وجه الحسن ثم قام عن مجلس معاوية وصار إلى منزله ؛ ثم أرسل إلى حجر بن عدي فدعاه ، ثم قال له : يا حجر ! إني قد سمعت كلامك في مجلس معاوية ، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كرأيك ، وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم ، والله تعالى كل يوم هو في شأن .

قال : فبينا الحسن يكلم حجر بن عدي إذا برجل من أصحابه قد دخل عليه يقال له سفيان بن الليل البهمي[2] فقال له[3] : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فلقد جئتَ بأمر عظيم ، هلا قاتلتَ حتى تموتَ ونموت معك ! فقال له الحسن : يا هذا !

---

(١) انظر مقالة حجر بن عدي وجواب الحسن بن علي (رض) عليه في الأخبار الطوال ص ٢٢٠ .
(٢) الأخبار الطوال : سفيان بن ليلى .
(٣) في الأخبار الطوال أن القائل هو علي بن محمد بن بشير الهمداني .

إن رسـول الله ﷺ لم يخرج من الـدنيا حتى رفـع له ملك بني أميـة ، فنظر إليهم يصعدون منبره واحداً بعد واحد ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً فقال : ﴿ إنا أنزلنه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾[1] يقول : إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية[2] .

قال : فالتفت الحسين إلى أخيه الحسن فقال : والله لو اجتمع الخلق طراً على أن لا يكون الذي كان إذاً ما استطاعوا ، ولقد كنت كارهاً لهذا الأمر ولكني لم أحبّ أن أغضبك ، إذ كنت أخي وشقيقي .

قال : فقال المسيب : أما والله يابن رسـول الله ! ما يعظم علينا هذا الأمر الذي صار إلى معاوية ، ولكنا نخاف عليكم أن تضامّوا بعد هذا اليوم ، وأما نحن فإنهم يحتاجون إلينا وسيطلبون المودة منا كلما قدروا عليه .

قال : فقال له الحسن : لا عليك يا مسيب ! فإنه من أحبّ قوماً كان معهم .

قال : ثم رحل معاوية وأصحابه إلى الشام ، ورحل الحسن بن علي ومن معه إلى المدينة وهو عليل .

ذكر خبر أهل البصرة وما كان من خلافهم على معاوية

قال : وبلغ أهل البصرة ما كان من بيعة الحسن لمعاوية ، فشغبوا وقالوا : لا نرضى أن يصير الأمر إلى معاوية . ثم وثب رجل منهم يقال له حُمران بن أبان فتغلّب على البصرة فأخذها ، ودعا للحسين بن علي ؛ وبلغ ذلك معاوية فـدعا عمـرو بن [أبي] أرطاة وهو أخو بسر فضم إليه جيشاً ووجه به إلى البصرة[3] . فأقبل عمرو في جيشه ذلك يريد البصرة ، وتفرق أهل الشغب فلزموا منازلهم .

ودخل عمرو بن [أبي] أرطاة البصرة مغضباً وأقبل حتى نزل دار الإمارة ، فلما

(١) سورة القدر الآيات ١ ـ ٣ .

(٢) أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي (رض) . قال القاسم بن الفضل الحداني : فعددناها فإذا هي ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً .
وذكر القرطبي أقوالاً أخرى في تفسيرها . (تفسير القرطبي ٢٠ / ١٣٣) .
وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٤٤٨ .

(٣) في الطبري ٦ / ٩٦ وابن الأثير ٢ / ٤٥٢ بعث بسر بن أبي أرطاة .

كان من الغد دخل المسجد الأعظم ثم صعد المنبر ، ثم إنه شتم علي بن أبي طالب وولده ثم قال : يا أهل البصرة ! نشدت الله رجلاً علم أني صادق إلاّ صدقني أو كاذب إلا كذبني . قال : فوثب إليه رجل يكنى أبا بكرة فقال له[1] : كذبتَ يا عدو الله ! قد كان علي بن أبي طالب خير منك ومن صاحبك الذي ولاك علينا ، فقال عمرو بن [أبي] أرطاة : خذوه ! فبادرت إليه الجلاوزة ووثب رجل من بني ضبة[2] فألقى نفسه عليه ، ثم خلصه الناس وغيبوه فلم يقدر عليه[3] .

وأقام عمرو بن [أبي] أرطاة بالبصرة ستة أشهر ، ثم عزله معاوية وولّى مكانه عبد الله بن عامر بن كريز ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، فأقام بها أشهراً يسيرة ، ثم عزله معاوية وولى مكانه زياد بن أبيه .

---

(١) ابن الأثير : اللهم لا نعلمك إلا كاذباً .

(٢) الطبري وابن الأثير : أبو لؤلؤة الضبي . وقد أقطعه أبو بكرة ـ بعد انقاذه ـ مائة جريب .

(٣) زيد في ابن الأثير أنه قيل لأبي بكرة : ما حملك على ذلك ؟ فقال : يناشدنا بالله ثم لا نصدقه ؟

ذكر زياد بن أبيه حين كان مع علي ابن أبي طالب وكيف ادّعاه معاوية بعد ذلك وزعم أنه أخوه

قال : وقد كان زياد بن أبيه بديّاً من أصحاب علي بن أبي طالب وقد كان عليّ ولاه أرض فارس ، فأخذ قلاعها وتمكن منها ، وبلغ ذلك معاوية فثقل عليه أمر زياد ومكانه من علي فكتب إليه : أما بعد فإنك رجل سفيه غرتك مني قلاع في يدك تأوي إليها ، وإنما تأوي الطير إلى أوكارها ، وأيم الله لولا انتظاري فيك أمر لست منه بآئس لكنت أنا وأنت كما قال العبد الصالح سليمان بن داود : ﴿ **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون** ﴾[1] ثم أثبت في أسفل كتابه : هذه الأبيات[2] :

لله درّ زياد أيما رجل	لو كان يعلم ما يأتي وما يذر
أنّى يكون له رأي يعاش به	وقد مضى خبر من بعده خبر
تنسى أباك عبيداً في سخافته	إذ تخطب الناس والوالي بها عمرو
فافخر بوالدك الأدنى ووالده	ان ابن حرب له في قومه خطر
وابعد ثقيفاً فإن الله أبعدها	وليس يجمعها في أهلها مضر
والعقل مستطرف والرأي تجربة	فيه لصاحبه الإيراد والصدر

قال : فلما انتهى الكتاب إلى زياد بن أبيه قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن من أعجب العجب أن ابن آكلة الأكباد أوعدني ،

---

(١) سورة النمل الآية ٣٧ .

(٢) الأبيات في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٤١٠ باختلاف بعض الألفاظ .

وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار واضعو سيوفهم[1] على عواتقهم لا يريدون إلا الله تبارك وتعالى ، أما والله لو كتب إلى أمير المؤمنين يأذن لي فيه لوجدني ابن آكلة الأكباد بحيث يسوؤه .

قال : وبلغ علياً ما كتب به معاوية إلى زياد ، فكتب إليه عليّ رضي الله عنه : أما بعد فإني وليّتك ما أنت فيه ، وأنا أراك له أهلاً ، وإنك لن تضبط ما أنت فيه إلا بالصبر ، فاستعن بالله وتوكل عليه وكن من خديعة معاوية على حذر ـ والسلام ـ .

قال : وكان هذا في حياة عليّ ، فلمّا كان بعد ذلك وصار الأمر إلى معاوية وبايعه الحسن واستوى له الأمر كان أحبّ أن يدّعي زياداً لما قد علم بما عنده من الحزم والعزم ، وجعل يكاتبه ، فلمّا ادّعاه[2] اتّصل ذلك بالحارث بن حكم وهو أخو مروان بن الحكم ، قال : أما والله ما ادّعى معاوية زياداً إلا ليتكثر به على بني العاص بن أمية ، لأنه إنما خاف من شغب مروان عليه في الخلافة ، وأما أنا فإنه يخاف مني .

قال : وبلغ ذلك معاوية فكتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة : أما بعد فقد بلغني قول أخيك الحارث بن الحكم إني خفت من شغبك عليّ في الخلافة ، وأيم الله لقد وددت أنك أحق بهذا الأمر مني فسلمته إليك ، وأيم الله

(1) العبارة في الأخبار الطوال ص ٢١٩ : في تسعين ألف مدجج من شيعته أما والله لئن رامني ليجدني ضراباً بالسيف .
والعبارة في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨ : واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت ، أما والله لئن وصل إليّ ليجدني أحمز ، ضراباً بالسيف .

(2) في مروج الذهب ٣ / ٧ وكان ذلك سنة ٤٤ حيث « شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي ومالك بن ربيعة السلولي ومنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه ، وأن أبا سفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب :

أما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الأعادي
لبين أمره صخر بن حرب ... ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكني أخاف صروف كف ... لها نقم ونفي عن بلادي
فقد طالت محاولتي ثقيفاً ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

وشهادة أبي مريم السلولي ، وكان أخبر الناس ببدء الأمر وذلك أنه جمع بين أبي سفيان وسمية أم زياد في الجاهلية على زنا . وكانت سمية من ذوي الرايات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحارث بن كلدة .
وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨ ـ ٢١٩ والأخبار الطوال ص ٢١٩ والعقد الفريد ٥ / ٥ ـ ٦ .

لَيَكُفَّنَّ الحارث بن الحكم عن بعض كلامه أو ليأتيه مني شيء لا قبل له به والسلام .

ثم كتب في أسفل كتابه هذه الأبيات :

إنّ مـروان أبت لـي رحـمـة — قـطعة الـدهـر وفي المـرء زلـل
يـأكـل الخبـز وفـيـه نخـوة — واعـتـراض عـن هـوىً ومـلل
مـنـع الـمـرء أخـاه حـارثـاً — بـالتي يسحب أذيـال الخـطل
غـرّه حكمـي وحلمـي شيـمـة — فـارتقى فيمـا يُسـوّى ونـزل
أبـلغ الحـارث عـني مـالـكـاً — كـل شيء ما خـلا صخراً جلل
فـاطلب اليـوم جفـاي جـاهـداً — وارحـل الناقـة فيهـا والجمـل
ثـم لا تـنـزع عـمّـا سـرّني — أنّـني مـرّ وحُـلوٌ كـالـعـسـل
إنّ مـن سـبّ زيـاداً مـرة — شـرِب الـدهـرُ عليـه وأكـل
عِـرضُه عـرضي وشيخي شيخه — ولهـذا الـدهـر في النـاس دول

قال : فلما نظر مروان إلى كتاب معاوية دعا بأخيه الحارث بن الحكم فقال له : هلكت وأهلكت ، إن معاوية قد ادّعى زياداً وهذا كتابه إليّ فارحل إليه تائباً ومعتذراً ولا تقم ، فوالله ما رجع معاوية حتى كاد أن لا يرجع .

قال : فرحل الحارث بن الحكم من المدينة حتى قدم على معاوية ، فلما دخل وسلم رد عليه معاوية السلام ثم أمره بالجلوس ، فجلس فقال : يا أمير المؤمنين ! إنا لو استقبلتنا من أمر زياد مثل الذي استدبرناه منه لاتبعنا هواك فيه ، وزياد أخونا وأخوك ـ والسلام ـ . قال : فضحك معاوية ثم قال : أحسنت يا حارث ! ثم أمر له معاوية بجائزة سنية ؛ فأنشأ يقول :

إن من يقـطع فيـنـا رحـمـة — فابن هند اليـوم فينا قـد وصل
غفـر الـذنب وأعـطى عتبـه — فكـأن مـا كـان منا لم يُقـل
سنّ في حـي قـريش سـنـة — وضـع التـاج عليها فـاعتـدل
عـبـشـمـي[1] أمـوي مـلكـه — آفـة النحـل وتسـريب العلل
ولـه كـف بهـا في عـدلـه — آفـة المـال وتقـويم الميـل
لـو إلينـا منتـهى آجـالنـا — لفـديناه وزدنـا في الأجـل

---

(١) عبشمي نسبة إلى بني عبد شمس .

قــد وهبنــا لــزيــاد عــرضــه   وأرحنــا عنه مــا كــان ســأل

قال : فكانت هذه قصة زياد مع معاوية لما ادعاه أخاً ، فلما كان من أمر البصرة ما كان ، دعاه معاوية فولّاه إياها وأمره بالعدل والإنصاف وحذره الشكوى ، فقال زياد : أفعل ذلك يا أمير المؤمنين .

قال : فلما ولي زياد البصرة حذر الناس نفسه ، وألزمهم طاعة معاوية ، وجرد السيف ، وأخذ بالظنة وعاقب بالشبهة .

قال : فخاف الناس في إمارة زياد خوفاً شديداً حتى أمن بعضهم من بعض ، فكان ربما سقط الشيء من الرجل والمرأة فلا يتعرض[1] إليه أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه .

قال : وكانت المرأة تبيت في منزلها فلا تغلق بابها ، ولا تخاف لصاً يدخل إليها .

قال : فأقام زياد بالبصرة مدة وساس أهلها سياسة لم يروا مثلها ، وهابه الناس هيبة شديدة ، فأحبّه الأخيار ونفر عنه الأشرار ؛ فأنشأ حارثة بن بدر الغُداني[2] في ذلك يقول[3] :

ألا مَن مُبْلغ عنّي زياداً   فنِعم أخو الخليفة والأميرُ
أخوك خليفة الله ابنُ صخر[4]   وأنت وزيره نعم الوزير
وأنت إمام مَعدلة وقصدٍ   وحزم حين يحضرك الأمور
تصيب على الهوى منه ويأتي[5]   محبك ما يجنّ لنا الضمير
بأمر الله منصور مغاث[6]   إذا كان الرعيةُ لا تجور[7]

---

(١) في الطبري ٦ / ١٢٦ يعرض .
(٢) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطين بن غدانة بن يربوع (ترجمته في تاريخ ابن عساكر ٨ / ١٣٣) وسياق نسبه في الجمهرة لابن الكلبي : حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع .
(٣) الأبيات في الطبري ٦ / ١٢٦ - ١٢٧ .
(٤) في الطبري : ابن حرب .
(٥) عن الطبري ، وبالأصل : وتأبى محبة ما تضمنه الضمير .
(٦) الطبري : معان .
(٧) بعده في الطبري :

وتقسم بـالسـواء فـلا غـنيٌّ لضيم يشتكيـك ولا فقيـر
فكنت حمى وجئت على زمان بعـدل ظـاهـر منـه الشـرور[1]
تقـاسمت الرجـال بـه هـواهـا فمـا تخفى ضغائنهـا الصـدور
وخاف الجاحدون[2] وكل بـاد يقيم على المخـافـة أو يسيـر
فـلمـا قـام سيف الله فيـهم زيـاد قـام[3] أبلَج مستنيـر[4]

ذكر خطبة زياد بالبصرة وهي الخطبة التي لم يسبقه إلى مثلها أحد من أمراء البصرة[5]

قال : ثم إن زياداً نادى في أهل البصرة فجمعهم ، فلما تكاملوا في المسجد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الجهالة[6] الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لأهله النار[7] والنامي عليه عُلَقُ الشنار ما يـأتي به سفهـاؤكم ويشتمـل عليه حلمـاؤكم من الأمـور العـظام التي هي يشيب منهـا[8] الصغيـر ولا يتحاشى[9] منها الكبير ، كأن لم تسمعوا نبي الله ، ولم تعرفوا كتاب الله ، ولم تعلموا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته[10] في اليوم

= يـدر عـلى يـديـك لـمـا أرادوا من الـدنيـا لـهـم حلب غـزيـر

(١) البيت في الطبري :

وكـنـت حيـاً وجئـت عـلى زمـان خـبـيـث ظـاهـر فـيـه شـرور

(٢) الطبري : الحاضرون

(٣) عن الطبري ، وبالأصل : نام .

(٤) بعده في الطبري :

قـوي لا مـن الـحـدثـان غـرّ ولا جـزع ولا فـان كـبـيـر

(٥) هذه الخطبة وردت في الطبري (حوادث سنة ٤٥) ابن الأثير ٣ / ٤٤٧ أنساب الأشراف ٤ / ١ / ١٧٩ البيان والتبيين ٢ / ٧١ عيون الأخبار ٢ / ٢٤١ النوادر للقالي ٣ / ١٨٥ العقد الفريد ٤ / ١٠١ باختلاف بين النصوص ، وتقديم وتأخير ، وزيادة ونقصان .

(٦) بالأصل « الجاهلية » وما أثبتناه عن المصادر .

(٧) في البيان والتبيين « والغي الموفي بأهله على النار » وفي العقد : « العمى الموفي . . . » وفي ابن الأثير « الفجر الموقد . . » وفي أنساب الأشراف : « والغي المورد أهله النار » .

(٨) المراجع : ينبت فيها .

(٩) أنساب الأشراف : ينحاش .

(١٠) في أنساب الأشراف : في الدار التي لا تزول شدتها ورخاؤها .

السرمد الذي لا يزول ، بل قد اخترتم[1] الفانية على الباقية ، و[لا تذكرون أنكم] أحدثتم في الإسلام [الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركك] هذه المواخير المنصوبة ، وغفلتم من الضعيفة المسلوبة[2] ، ألم تكن منكم نهاة تمنع هؤلاء الغواة عن دلج الليل وغارة النهار[3] ، كل امرىء يذب عن سفيهه صنيع[4] من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً ، فهيهات هيهات لما توعدون ! ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم[5] السفهاء ، فحرام[6] على زياد الطعام والشراب أو أسوّي مدينتكم بالأرض هدماً وإحراقاً ، فإني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح عليه أوله لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وأقسم بالله لآخذنّ الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن[7] ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول له : انج سَعد فقد هلك سُعيد[8] ، أو تستقيم لي قناتكم ، واعلموا أن كذبة الأمير مشهورة ، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي[9] ؛ يا أهل البصرة ! إنه من يبيت[10] منكم في منزله فلا يغلقن بابه ، فأنا الضامن لما ذهب له ، وإياكم ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجّلتكم في ذلك إلى أن يرد عليّ الخبر[11] من أمير المؤمنين ، فأعمل فيكم بما تسمعونه مني ، وإياكم ودعاء الجاهلية يا آل فلان ويا آل بني فلان ، فإني لا أوتى بأحد دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد رأيتكم أحدثتم أحداثاً لم تكن فيكم ، وقد أحدثت لكل ذنب عقوبة . فمن أغرق[12] قوماً أغرقناه ،

---

(١) في المراجع : أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية . . .

(٢) في العقد : المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل .

(٣) زيد في المراجع : قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون (تغطون) على المختلس .

(٤) بالأصل : لصنيع .

(٥) بالأصل : اتبعتكم ، أثبتنا عن المراجع .

(٦) في العقد : فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ، كنوساً في مكانس الريب ، حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً .

(٧) عن المراجع ، بالأصل : بالضاعن .

(٨) مثل . يضرب في العناية بذي الرحم ويضرب في الاستخبار عن الأمرين الخير والشر أيهما وقع . (اللسان : سعد) .

(٩) زيد في البيان : وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا أنه عندي أمثالها .

(١٠) في العقد والبيان : من نقب منكم عليه فأنا ضامن . . » .

(١١) العقد : يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم .

(١٢) المراجع : غرّق قوماً غرقناه .

ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ، فكفوا عن[1] أيديكم وألسنتكم أكف عنكم لساني ويدي ، ولا يظهرن لي من أحد منكم خلاف فأضرب عنقه ، واعلموا أنه قد كانت بيني وبين قوم إحن وعداوة وشحناء ، وقد جعلت ذلك كله خلف أذني وتحت قدمي ، فمن كان مسيئاً[2] فلينزع عن إساءته ، فإننا قد[3] أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بتقوى[4] الله الذي خوّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف كما وفينا فأوفوا لنا بطاعتنا تستوجبوا بذلك عدلنا[5] ، واشربوا قلوبكم محبة ولاتكم فإنهم ساستكم المؤدبون وكنفكم[6] الذي إليه تلجأون وتأوون ولا تشربوا قلوبكم بغضنا فيشتد لذلك غيظكم[7] ويطول لذلك حزنكم[8] - أسأل الله أن يعين كلاً منا على كل[9] ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم - .

قال : فلما فرغ زياد من خطبته هذه وثب إليه رجل من أهل البصرة يقال له عبد الله بن الأهتم[10] فقال : أيها الأمير ! أشهد أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ! فقال له زياد : كذبتَ ، ذاك نبي الله داود عليه السلام[11].

---

(١) العقد : عني .

(٢) المراجع : فمن كان محسناً فليزدد في إحسانه ومن كان مسيئاً . . .

(٣) قبلها في المراجع : إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته ، فإن فعل ذلك لم أنظره ، فاستأنفوا أموركم ، واستعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

(٤) العقد : بفيء .

(٥) العبارة في العقد : فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا أنه مهما أقصر عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن ابانة ، ولا مجمراً لكم بعثاً ، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم .

(٦) العقد : وكهفكم .

(٧) العقد : أسفكم .

(٨) زيد في العقد : ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو أستجيب لكم فيهم لكان شراً لكم .

(٩) زيد في العقد : وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمراً فأنفذوه على أذلاله . وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاي .

(١٠) في أمالي القالي « صفوان بن الأهتم » وهو ابن عبد الله . وفي عيون الأخبار نعيم بن الأهتم . وما أثبتناه يتوافق مع الطبري وابن الأثير والبيان والتبيين والعقد الفريد ، وهو موقف يتطلب الجرأة والشجاعة وهذا متوفر بعبد الله .

(١١) زيد في العقد الفريد ٤ / ١٠٣ مقالتين للأحنف بن قيس ولأبي بلال مرداس بن أدّية .

ثم نزل زياد عن المنبر ودخل إلى منزله ، واستقامت له البصرة . وكان يجيء منها ومن كورتها ستون ألف ألف درهم ، ويعطي الذرّية ستة عشر ألف ألف ، وينفق في البنيان وما يحتاج إليه من العمارة وغير ذلك ألفي ألف ، ويدخر في بيت المال ألف ألف درهم ، ويوجّه باقي ذلك إلى معاوية .

قال : ونظر معاوية إلى عدل زياد بالبصرة ، فزاده الكوفة وضمّها إليه وجعلها زيادة في عمله[1] . قال : فكان زياد يقيم ستة أشهر بالبصرة وستة أشهر بالكوفة .

ذكر أخبار خراسان في أيام معاوية بن أبي سفيان

قال : ثم دعا معاوية برجل يقال له خالد بن المعمر السدوسي ، فعقد له عقداً وعزم على أن يوجهه إلى بلاد خراسان . قال : وكان خالد بن المعمر هذا من خيار أصحاب علي بن أبي طالب ممن قاتل معه بصفين ، فلما قتل عليّ وكان من أمر الحسن ما كان واستوسق الأمر لمعاوية قدم عليه خالد بن المعمر هذا والأعور بن عبد الله الشني ، فاستأذنا[2] على معاوية ، فأذن لهما ، فلما دخلا وسلّما رد عليهما معاوية رداً ضعيفاً ، ثم أمرهما بالجلوس فجلسا ، وجعل معاوية يذكر ما كان من قتالهما بصفين ، فأمسكا عنه حتى فرغ من كلامه ، ثم رفع خالد صوته وأنشأ يقول[3] :

معاوي لا تجهل علينا فإننا ... نذلك في اليوم العصيب معاويا
متى تدع منّا دعوة ربعيّة ... تجبك رجال يخضبون العواليا
أجابوا علياً إذ دعاهم لنصره ... بصفين إذ جرّوا عليك الدواهيا
فإن تصطنعنا يابن حرب لمثلها ... نكن خير من تدعو إذا كنت داعيا
ألم ترني أهديت بكر بن وائل ... إليك وكانوا بالعراق أفاعيا
إذا نهشت قال السليم لأهله ... ألا فابتغي لي لا أبا لك راقيا

---

(١) وكان ذلك سنة ٤٩ هـ وقبل سنة ٥٠ هـ وذلك بعد موت المغيرة بن شعبة . وكان زياد أول من جمع له الكوفة والبصرة . ثم جمعت لابنه عبيد الله ، ولم تجتمع العراق قط لقرشي غيرهما .
وقد كتب بعد زياد إلى معاوية : إني قد أخذت العراق بيميني ، وبقيت شمالي فارغة ، وهو يعرض بالحجاز ، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر (رض) فقال : اللّهم اكفنا شماله ، فعرضت له قرحة في شماله فقتلته (وانظر مروج الذهب ٣ / ٣٢) .

(٢) بالأصل ، وفي الخبر كله ، استعمل صيغة الجمع ، قمنا بتصحيحه .

(٣) مرت الأبيات ، راجع حوادث وقعة صفين .

فأصبحت قد أهدوا ثمار قلوبهم	إليك وأسرار القلوب كما هيا
وكنتُ امرءاً أهوى العراق وأهلها	وكنتُ حجازياً ولم أكُ شاميا
فلا تجفنا واجمع إليك قلوبنا	فإنك ذو حلم ولم تك جافيا
ودع عنك شيخاً قد مضى لسبيله	على أي حالَيْه مصيباً وخاطئاً
فإنك لا تسطيع ردّ الذي مضى	ولا دافعاً شيئاً إذا كان جائيا

قال : فقال له معاوية : يابن المعمر ! فإني قد صفحت عن الذي كان ؛ يا غلام ! احمل إلى رحله ثلاثين ألف درهم يفرقها في بني عمه ، وعشرين ألف درهم خاصة له ؛ واحمل إلى ابن عمه الشنّي مثل ذلك - جرى ذكر هذه القصة مرة[1] فتركت لأجلها - .

قال : فلما كان ذلك اليوم دعا معاوية بخالد بن المعمر السدوسي ، فعقد له عقداً وعزم على أن يوليه بلاد خراسان ؛ قال : وأقبل سعيد بن عثمان بن عفان حتى دخل على معاوية .

ذكر ولاية سعيد بن عثمان خراسان[2]

قال : فلما دخل سعيد بن عثمان على معاوية قربه ، وأدناه ثم قال : يا سعيد ! ما هذا الذي بلغني عنك وعن أهل المدينة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : بلغني أنهم يقولون :

والله لا ينالها يزيد	حتى يعض هامه الحديدُ
هذا ابن هند عندنا شهيد	إن الإمام بعده سعيد

كأنك يا سعيد أحق بهذا الأمر من ابني يزيد ! فقال له سعيد : وما تنكر من ذاك يا معاوية ؟ فوالله إن أبي خير من أب يزيد ، وأمي لخير من أم يزيد ، ولأنا خير من يزيد ، ومع ذلك فإننا وليناك فما عزلناك ، ورفعناك فما وضعناك ، ثم صارت هذه

---

(١) راجع حوادث وقعة صفين ، وقد مرت القصة تحت عنوان : حديث خالد بن المعمر السدوسي وصاحبه الأعور الشني مع معاوية .

(٢) وكان ذلك سنة ٥٦ هـ . وانظر خبر سعيد مع عثمان في الطبري باختلاف وفيه أن سعيد بن عثمان هو الذي طلب ولاية خراسان من معاوية بن أبي سفيان ، فاحتج بوجود عبيد الله بن زياد عليها ثم عاد وولاه حربها بعد تدخل يزيد ابنه لمصلحة سعيد بن عثمان .

الأمور كلها إليك وفي يديك ، فأخرجتنا عن جميع ذاك[1] . قال : فتبسم معاوية ثم قال : يـابن أخ ! أما قولك إن أباك خير من أب يزيد ، فصدقت ، يرحم الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، كان والله خيراً مني[2] ، لا أشك في ذلك ؛ وأما قولك إن أمي خير من أم يزيد ، فصدقت ، إن امرأة من قريش خير من امرأة من اليمن[3] ، وحسب امرأة أن تكون من صالحي قومها ؛ وأما قولك بأنك خير من يزيد ، فـوالله[4] يابن أخ ! ما يسرني أن حبلاً مدلى فيما بيني وبين العراق فنظم لي فيه أمثالك بيزيد ؛ ولكن اذهب فقد وليتك بلاد خراسان ، فسر إليها فعسى الله أن يفتحها على يديك .

قال : ثم عقد معاوية له عقداً ، وكتب إلى البصرة إلى زياد بن أبيه[5] يأمره أن يفرض لسعيد فرضاً وأن يقويه بالمال والسلاح ، وأن لا يجعل له في ذلك علة ، وأن يبعث معه على الخراج رجلاً حازماً يجبي[6] عليه المال ويحفظه .

قال : فلما سمع سعيد بن عثمـان الخروج من الشـام إلى البصرة أقبـل إليه عبد الرحمن بن أبي بكرة وأخوه مولى رسول الله ﷺ فقال له : هذا كتابي إلى وكيلي بالبصرة . فخذه فادفعه إليه ، وخذ ما يعطيك فاستعن بذلك على سفرك ، فقد كتبت إليه بمعونتك .

قال : فأخذ سعيد بن عثمان كتاب معاوية وكتاب ابن أبي بكرة وسار حتى قدم البصرة ، فدفع كتاب معاوية إلى زياد[7] ، فلما قرأه قال : سمع وطاعـة ؛ ثم أمر

---

(١) العبارة في الطبري (حوادث سنة ٥٦) : فقال : أما لقد اصطنعك أبي ورفاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يجارى إليه ولا يسامى ، فما شكرت بلاءه ، ولا جازيته بآلائه وقدّمت عليّ هذا ـ يعني يزيد .

(٢) زيد في الطبري : وأقرب برسول الله (ص) .

(٣) الطبري : من كلب .

(٤) الطبري : فوالله ما أحب أن الغوطة دحست ليزيد رجالاً مثلك .

(٥) كذا بالأصل ، قلت : وقد ولى معاوية سعيد بن عثمان خراسان سنة ٥٦ هـ أما زياد بن أبيه فكان قد مات سنة ٥٣ هـ بالكوفة (تاريخ خليفة ص ٢١٩) . وقد ولي على البصرة بعد زياد عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي الذي حل بدلاً من سمرة بن جندب الذي استخلفه عليها زياد . ثم ولي عليها عبيد الله بن زياد سنة ٥٥ .

(٦) في الطبري أن معاوية ولى سعيد حرب خراسان ، وولى اسحاق بن طلحة خراجها وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، فلما صار بالري مات إسحاق فولى سعيد خراج خراسان وحربها .

(٧) لعله عبيد الله بن زياد ، انظر الحاشية ٥ .

فعرض عليه أهل السجون والدعار ومن يصلح للحرب ، فانتخب سعيد بن عثمان منهم أربعة آلاف رجل ، كل رجل يعد برجال . قال : فالتأم الناس إلى سعيد بن عثمان ممن يريد الجهاد ، فصار سعيد في جيش كثير ؛ وقواه زياد بأربعة آلاف ألف درهم ، فقبضها سعيد وفرّقها في أصحابه .

ثم دعا بوكيل عبد الله بن أبي بكرة ثم دفع إليه كتاب صاحبه ، فلما قرأه قال : نعم والله وكرامة ! إنه قد أمرني أن أجهزك بمائتي ألف درهم إلى أربعمائة ألف درهم . قال : فقال له سعيد بن عثمان : ويحك ! لعلك أوهمت ، هذا كثيرا جداً ؟ فقال له الوكيل : ما أوهمت ، بذلك كتب إليّ ، فخذ حاجتك ودعني وصاحبي .

قال : فبقي سعيد بن عثمان لا يدري ما يقول ، فقال له مولى له : اقتصر ، جعلت فداك على جائزة ابن أبي بكرة ولا نرد ولاية خراسان . فقال له سعيد : الآن أقتصر وقد اجتمع إليّ الناس ورغبوا في الجهاد ؟ ثم أخذ سعيد بن عثمان من وكيل ابن أبي بكرة ما أمره به ونادى فيهم بالرحيل .

ذكر مسير سعيد بن عثمان إلى خراسان وخبر مالك بن الريب[1] المازني

قال : ثم خرج سعيد بن عثمان من البصرة ومعه وجوه الناس[2] وسادات العرب ، فأخذ على طريق فارس ، فلما دخلها أقبل إليه مالك بن الريب[3] المازني ، وكان من أجمل العرب ، وأشدهم بأساً ، وأفصحهم لساناً .

وكان السبب الذي صار به مالك بن الريب[1] إلى فارس أنه كان قبل ذلك يقطع الطريق بناحية المدينة مع أصحاب له ، قال : فطلبه مروان بن الحكم ، ومروان يومئذ نائب معاوية على المدينة ، فطلبه الحارث بن حاطب الجمحي وهو أيضاً عامل

---

(١) عن الطبري ٦ / ١٧١ وفتوح البلدان ص ٤٠٣ والأغاني ٢٢ - ٢٨٦ وانظر فيها سياق نسبه . وبالأصل : الذئب .

(٢) في الطبري ٦ / ١٧١ : خرج معه أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، والمهلب بن أبي صفرة وربيعة بن عسل أحد بني عمرو بن يربوع .

(٣) بالأصل : الذيب .

مروان ؛ فهرب مالك بن الريب[1] ، ووجه الحارث بن حاطب في طلبه ، وطلب أصحابه برجل من الأنصار ، قال : فظفر به الأنصاري فأخذه وأخذ معه رجلاً من أصحابه يكنى أبا حردبة[2] مع غلام له ، فجعل الغلام يسوقهم . قال : وغلام الأنصاري يومئذ متقلد بسيفه ، فتعلق به مالك بن الريب كيما ينزع منه السيف ، ثم ضربه على رأسه فقتله ، ومضى هارباً حتى قدم البحرين ، وصار منها إلى فارس ثم أنشأ يقول[3] :

أحقاً على السلطان أما الذي له ... فيعطي وأما من[4] أراد فيمنعُ

إذا ما جعلت الرمي[5] بيني وبينه ... واعراض شَهْبٍ دون نيّرين تلمع[6]

وأرض فلاة قد يحار بها القطا ... تظلّ رياح دونها تتقطّع[7]

فشأنكم يا آل مروان فاطلبوا ... سقاطي وهل في ذاك أمر ومَطْمَع[8]

فما أنا بالمرء المقيم لأهله ... على القيد في بحبوحة الظلم يرفع[9]

فلا ورسول الله إذ كان منكم ... تبين من بالنصف يرضى ويقنع

قال : فلما نظر سعيد بن عثمان إلى مالك بن الريب أعجبه ما رأى من حسنه وجماله وهيبته ، فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما بلغني عنك من قطع الطريق والفساد في الأرض ؟ فقال[10] : أصلح الله الأمير يحملني على ذلك العجز عن مكافأة الإخوان . قال له سعيد : فإن أغنيتك عن ذلك واستصحبتك أتكفّ عما تفعله وتعينني بنفسك وتجاهد معي العدوّ ؟ فقال مالك بن الريب : نعم أصلح الله الأمير وأشكرك على ذلك . فقال سعيد : فإني قد جعلت لك في كل شهر

---

(١) مرت الإشارة إليه .

(٢) وهو أحد بني أثالة بن مازن .

(٣) الأبيات في الأغاني ٢٢ / ٢٩١ .

(٤) الأغاني : ما يراد .

(٥) الأغاني : الرمل .

(٦) الأغاني : وأعراض سهب بين يبرين بلقع .

(٧) البيت في الأغاني :

من الأدمى لا يستجم بها القطا ... تكل الرياح دونه فتقطع

(٨) الأغاني : سقاطي فما فيه لباغيه مطمع .

(٩) الأغاني : الضيم يرتع .

(١٠) الأغاني ٢٢ / ٢٨٦ : يدعوني إليه العجز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الاخوان .

خمسمائة درهم تصنع بها ما تشاء ، وكسوتك وحملاتك عليّ ويدك مع يدي . قال مالك بن الريب : فإني قد رضيت بذلك[1] .

قال : وسار سعيد بن عثمان من فارس ومعه مالك حتى صار إلى نيسابور : وبها يومئذ نفر من المسلمين من بقايا أصحاب عبد الله بن عامر بن كريز ، فصاروا إلى سعيد بن عثمان ، وفرض لهم فرضاً وخلطهم بأصحابه ؛ وأقام بنيسابور شهراً كاملاً حتى أخذ جزية أهلها ، ففرّقها في أصحابه .

ثم سار من مرو يريد سمرقند ، فصار إلى نهر بلخ ، فنزل على شاطئه ثم أمر بعقد الأطواف ، فعقدت ؛ ونادى في الناس أن يعبروا فعبروا ، وعبر سعيد بن عثمان في أول الناس[2] وتبعه أصحابه ؛ فجعلوا يعبرون على الأطواف وسعيد ينظر إليهم ، حتى عبروا بأجمعهم .

قال : وصاح رجل منهم بغلام له : يا علوان ! وصاح آخر : يا ظفر ! فقال سعيد بن عثمان : علونا وظفرنا إن شاء الله .

قال : وسار سعيد حتى صاروا إلى بخارا ، فنزل على أبوابها . قال : وببخارا ملكة يقال لها يومئذ خيل خاتون[3] ، وقد كان زوجها قبل ذلك ملك بخارا ، فلما مات زوجها ملّكها أهل بخارا على أنفسهم .

قال : فعزم سعيد بن عثمان على محاربتها ، فأرسلت إليه فصالحته على ثلاثمائة ألف درهم[4] وعلى أنها تسهل له الطريق إلى سمرقند . قال : فقبل سعيد ذلك منها ، وأخذ منها ما صالحته عليه وأخذ منها رهائن أيضاً عشرين غلاماً من أبناء ملوك بخارا كأن وجوههم الدنانير ، ثم بعثت إليه بالهدايا ووجّهت معه الأدلّاء يدلونه على طريق سمرقند .

فسار سعيد بن عثمان من بخارا والأدلاء بين يديه يدلونه على الطريق الذي

---

(١) وكان قد قيل لسعيد بن عثمان أن هاهنا قوماً يقطعون الطريق على الحاج ويخيفون السبيل ، فلو أخرجتهم معك ، قال : فأخرج قوماً من بني تميم ، منهم مالك بن الريب المازني في فتيان كانوا معه (الطبري ٦ / ١٧٢) .

(٢) في فتوح البلدان ص ٤٠١ : وكان سعيد بن عثمان أول من قطعه بجنده .

(٣) في فتوح البلدان ص ٤٠١ : خاتون .

(٤) في فتوح البلدان ص ٤٠١ : ألف ألف درهم .

يوصله إلى سمرقند ـ فنزل على سمرقند وبها يومئذ خلق كثير من السغد[1] ، قال : فخرج إليهم السغد ودنا بعضهم من بعض ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .

قال : وجعل ملك السغد أخشيد بن شارك يحرض أصحابه على الحرب ، والناس يقتتلون قتالاً شديداً . قال : وخرج رجل من السغد على برذون له أصفر ، فجعل يدعو الناس إلى البراز ، قال : فتطاطأ الناس عنه وتحاموه ؛ فقال مالك بن الريب : أيها المسلمون ! ما الذي يقول هذا العلج ؟ قالوا : يدعو إلى البراز ، قال : أفما منكم من يجيبه ؟ فقال مالك بن الريب : فهذه والله لفضيحة ! فقال له بعض أصحابه : فهل عندك شيء يا مالك ؟ فقال مالك : إني سأبكي نفسي في مثل هذا اليوم . ثم قنّع فرسه وخرج نحو العلج وهو يقول :

ألا أيها البراز بقرني . . .[2]	أساقيك بالطعن الذعاف المقشبا
فأيّ فتىً في الحرب والموتُ سَيْبُه	على شاربيه فاسقني منه واشربا
ودونكها نجلاءَ ينضح فرعها	نجيعا دماً من داخل الجوف متعبا
حباك بها من لا يُصرّد كأسه	إذا ما سقاها من إلى الموت ثوّبا
أخو غمرات لا يروع لجأشه	إذا الموت بالموت ارتدى وتعصّبا
يباشر في الحرب السيوف ولا يرى	لمن لا يُباشرها إلى الموت مهربا
أغرّ نماهُ مازنٌ بفعاله	فكان نجيب الأمهات فأنجبا

قال : ثم حمل مالك على ذلك السغدي ، والتقيا بطعنتين طعنه السغدي طعنة ، فوقعت في قربوص مالك ، وسقط مالك إلى الأرض ، فوثب مسرعاً ورمحه في يده ، فطعن السغدي طعنة رمى به عن فرسه إلى الأرض ، وذهب السغدي يقوم ، فبادر إليه مالك فاحتمله من الأرض حملاً وجعل يعدو به حتى رمى به بين يدي سعيد بن عثمان . فقال سعيد : أحسنت ! لله درّك ! خذه إليك فاصنع به ما أحببت . فأخذه مالك فباعه بأربعمائة درهم ، وباع برذونه وسلاحه بثمانمائة درهم .

قال : واشتبك الحرب بين المسلمين وبين أهل سمرقند يومهم ذلك إلى الليل ، ثم انصرف بعضهم عن بعض . قال : ودامت الحرب بين القوم شهراً

---

(١) السغد ، وربما قيلت الصغد . وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند .
(٢) كذا بالأصل .

كاملاً[1] ، حتى قتل منهم سعيد بن عثمان مقتلة عظيمة وسبى منهم كثيراً . قال : وجعل مالك يفعل في كل يوم بين يدي سعيد من الأفاعيل ما تعجب منه المسلمون ، فلا يرى أن سعيد بن عثمان يزيده في أرزاقه شيئاً فأنشأ يقول :

يـا قُـلْ خَيـر أميـر زلتُ أتبعـه — ألست ترهبني أم زلت ترجوني
مَنَّيتمـوني أمـانيـا قنعتُ بهـا — حتى إذا مـا جعلتم مقنعـاً دوني
كـانت أمـانيكم ريحـاً شـآميـة — ظلّت بمختـلف الأرواح تؤذيـني
فإن وقعت لجنب الرمل منقصفاً — أوليت كل امرىء ما كان يوليني

قال : فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فلم يلتفت إلى ذلك ، فأنشأ مالـك وجعل يقول[2] :

سعيـد بن عثمـان أميـرٌ مـروّع — تراه إذا ما عاين الحرب أخـزرا
وما زال يوم السُغدِ يرعد خائفـاً — مِنَ الرَّوع حتى خفتُ أن يتنصّرا[3]
فلولا بنو حرب لهدّت عروشكم[4] — بطون العظايـا من كسيرٍ وأعـورا
وما كان من عثمـان شيء علمته — سوى نسله في عقبه[5] حين أدبرا

قال : فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فهمّ بقتله ، ثم إنه راقب فيه عشيرته ، فأكرمه ووصله بصلة سنيّة واعتذر إليه ، فقبل مالك ذلك .

وأقام سعيد على سمرقند لا يفتر من حرب القوم ، وعلم أنه لا يقدر على فتحها بالسيف فعزم على صلحهم ؛ قال : وطلب أهل سمرقند أيضاً الصلح[6] ، فصالحهم

---

(١) في فتوح البلدان ص ٤٠١ : فقاتل أهلها ثلاثة أيام وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث . . . ثم لزم العدو المدينة وقد فشت فيهم الجراح ، وأتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم فسار إليهم وحصرهم (انظر الطبري ٦ / ١٧١) .

(٢) الأبيات في الطبري ، باستثناء البيت الأول ، ٦ / ١٧١ .

(٣) البيت في الطبري :

مـا زلت يـوم الصغـد تـرعـد واقفـاً — من الجبن حتى خفت أن تـتنصـرا

(٤) الطبري : لظلت دماؤكم .

(٥) الطبري : رهطه .

(٦) في فتوح البلدان ص ٤٠٢ : فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة ويقتل من فيه طلبوا الصلح .

على خمسمائة[1] ألف درهم وعلى أنهم يفتحون له باب المدينة ، فيدخل من باب ويخرج من باب ، ثم ينصرف عنهم . فرضي القوم بذلك ، وأعطاه أخشيد ملك سمرقند ما صالحه عليه ، ثم فتح له باب المدينة[2] ، فدخلها سعيد في ألف فارس ، وسار في شارع واحد حتى خرج من الباب الآخر ، ثم صار إلى عسكره ؛ ووافته هدايا أهل سمرقند فقبلها ، ثم وضع العطاء لأصحابه فأعطاهم ؛ وتزود[3] القوم .

ورحل سعيد بن عثمان عن باب سمرقند إلى بُخارا ، فأقام على بابها أياماً ، ثم بعثتْ إليه ملكة بخارا أنك قد صرت إلى حاجتك وقد وفيت لك بمال الصلح ، فرد عليَّ رهائني فإنهم غلمان من أبناء ملوك بخارا ؛ فأبى سعيد أن يردَّهم عليها .

ثم رحل حتى صار إلى نهر بلخ فنزل عليه وعقدت له الأطواف فعبر وعَبر أصحابه وسار حتى صار إلى مرو فنزلها .

ومرض مالك بن الريب بمرو مرضاً شديداً[4] ، فأيقن بالموت وعلم أنه غير راجع إلى بلده ؛ فقال القصيدة التي تعدّ في جياد المراثي وهي[5] :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادي[6] الغضا أُزجي القِلاص النَّواجِيا

فليتَ الغضا لم يَقطَع الرَّكْبُ عَرْضَه ... وليتَ الغضا ماشي الرِّكاب لياليا

لقد كان في أهل الغضا لو دنا [الغضا][7] ... مَزارٌ ولكنَّ الغضا ليس دانيا

ألم ترني بعتَ الضّلالة بالهدى ... وأصبحتُ في جيش ابن عفّان غازيا

فذكروا أنه مات بمدينة مَرْوَ وقبره بها معروف .

---

(١) فتوح البلدان : سبعمائة ألف درهم .

(٢) زيد في فتوح البلدان : وأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم ، وقيل أربعين ويقال ثمانين .

(٣) الأصل : وتزودوا .

(٤) كذا بالأصل والأغاني ، وفي العقد الفريد ٣ / ٢٠٨ أنه لما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها فلسعته .
وذكر القالي في الأمالي ٣ / ١٣٥ أسباباً أخرى . وانظر خزانة الأدب ١ / ٣١٩ .

(٥) القصيدة في العقد الفريد ٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ والأمالي للقالي ٣ / ١٣٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٤٣ (قال : وهي ٥٣ بيتاً ، وقال أبو عبيدة - نقله صاحب الأغاني - : الذي قاله ١٣ بيتاً والباقي منحول : ولّده الناس عليه) وانظر الشعر والشعراء وفيه تسعة أبيات .

(٦) جمهرة أشعار العرب : بجنب الغضا .

(٧) عن جمهرة أشعار العرب . وغير واضحة بالأصل .

قال : ونقل سعيد بن عثمان من بلاد خراسان وقد ملأ يداه من الأموال ، حتى إذا صار إلى المدينة مدينة رسول الله ﷺ كتب إلى معاوية يستعفيه من ولاية خراسان ، فعلم معاوية أنه استظهر بالأموال فأعفاه[1] . قال : وعمد سعيد إلى الرهائن الذين حملهم من بخارا فجعلهم فلاّحين في نخل له وحرث بالمدينة ، فغضبوا لذلك واتفقوا وأجمعوا على قتل سعيد ؛ قال : وجاءهم سعيد يوماً لينظر إلى نخله ، فوثبوا عليه فقتلوه بخناجر كانت معهم ، ثم هربوا فصاروا إلى جبل هناك فتحصنوا فيه ، وبلغ ذلك أهل المدينة وساروا إليهم وحاصروهم في ذلك الجبل حتى ماتوا فيه جوعاً وعطشاً .

قال : فأخرجت ابنة لسعيد جارية له حسناء فزينتها بكل زينة ثم قالت : من يرثي لي أبي ببيتين يقعان[2] من قلبي فله هذه الجارية بحليها ! قال : فاجتمع[3] إليها شعراء المدينة فقالوا فلم يصنعوا شيئاً ، حتى جاء رجل من عبد القيس يقال له خالد بن عبد الله فقال : أنا أقول ما يعلق بقلبك ! فقالت : قل حتى أسمع ! فأنشأ يقول :

يا عين أذري دمعة ... وابكي الشهيد ابن الشهيد
فلقد قُتِلتَ بِغرّة ... وجَلَبْتَ حتفَك من بعيدْ

قال : فرضيتهما ابنة سعيد ووصلته بالجارية وما عليها .

ذكر فتوح خراسان أيضاً بعد سعيد بن عثمان

قال : وبقيت خراسان ليس بها نائب ، فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه[4] بالبصرة يأمره أن يوجه إلى خراسان رجلاً يقوم بأمرها . فدعا زياد بغلام له فقال :

---

(1) كذا بالأصل ، وفي فتوح البلدان ص ٤٠٣ أن معاوية خاف سعيداً على خلعه ولذلك عاجله بالعزل ، وولى مكانه عبد الرحمن بن زياد على خراسان .

(2) الأصل : يقعون .

(3) الأصل : فاجتمعوا .

(4) كذا وهو خطأ فادح والمعروف أن زياد مات سنة ٥٣ . إلا أن يكون زياد قد ولاه خراسان وهو حي ، وهذا ما أشار إليه في الإصابة : ولاه زياد خراسان ومات بها . وفي فتوح البلدان ص ٤٠٠ : ولى زياد الحكم بن عمرو الغفاري . . . فمات بها في سنة خمسين . فعلى هذا تكون ولاية الحكم قبل ولاية سعيد بن عثمان بمدة ليست بقصيرة وليس بعد عزله وموته .

اذهب فادع إليّ الحكم بن بشر الثقفي[1] ! وقعد زياد فكتب العهد على خراسان ، وذهب الغلام فغلط فدعا الحكم بن عمرو الغفاري ، فلما رآه زياد علم أن الغلام قد غلط فتبسم ثم قال : يا حكم ! أردتُ أمراً وأراد الله أمراً ، فخذ هذا العهد واضمم إليك الناس وسر إلى خراسان فقد وليتك حربها وخراجها .

قال : وكان الحكم بن عمرو هذا رجلاً من الصالحين ، وكانت له صحبة مع رسول الله ﷺ[2] : فأخذ العهد ونادى في الناس ، فصار إليه خلق كثير من قبائل من أهل البصرة ممن يريد الجهاد في سبيل الله ، فوضع لهم الأرزاق وأعطاهم وقوّاهم .

ثم خرج بهم نحو بلاد خراسان ، فأخذ على طريق فارس وسلك من فارس على الطريق الأعظم إلى خراسان ، فلم يزل من مدينة إلى مدينة يتقدم ويفتح حتى صار إلى مدينة مَرْو فنزلها .

ثم كتب إلى زياد بن أبيه يخبره بما فتح الله على يديه ، وما عنده من الغنائم . فكتب زياد بذلك إلى معاوية ، فكتب معاوية إلى زياد أن اكتب إلى الحكم بن عمرو أن يحتفظ بالصفراء والبيضاء فيحمل ذلك إلى بيت المال بالشام ويقسم باقي ذلك في المسلمين . قال : فكتب زياد بذلك إلى الحكم .

فلما ورد كتاب زياد على الحكم قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن معاوية كتب إلى زياد بن أبيه يأمره أن يأمرني أن أحتفظ بالصفراء والبيضاء ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أن السماوات والأرض كانتا حلقة على رجل اتقى الله لفرج الله عنه . وقول رسول الله ﷺ أولى أن يؤخذ به من قول معاوية وزياد[3] ، فاجتمعوا رحمكم الله إلى فيئكم الذي أفاء الله به عليكم ! قال : ثم أخرج الحكم بن عمرو الخُمس من تلك الغنائم فوجّه بها إلى زياد ، وقسم باقي الغنائم في المسلمين ، ثم قال : اللّهم ! إني سئمتُ بني أمية وسأموني فأرحهم

---

(١) في فتوح البلدان : الحكم بن أبي العاصي الثقفي .

(٢) الاستيعاب ـ الإصابة .

(٣) في الطبري (حوادث سنة ٥٠) : أن زياداً كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غنم : إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له صفراء وبيضاء والروائع فلا تحركن شيئاً حتى تخرج ذلك .
فكتب إليه الحكم : أما بعد ! فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء والروائع ، ولا تحركن شيئاً فإن كتاب الله عزّ وجلّ قبل كتاب أمير المؤمنين والله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد اتقى الله عزّ وجلّ جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً .

مني وأرحني منهم . ثم لم يلبث الحكم إلا جمعة واحدة ثم مات ـ رحمه الله ـ .

فبلغ ذلك زياداً فدعا برجل يقال له غالب بن عبد الله الليثي[1] فعقد له عقداً وولّاه بلاد خراسان . قال : وكان غالب بن عبد الله هذا من أصحاب النبي ﷺ ، وقد كان أيضاً على مقدمته يوم فتح مكة .

قال : فسار غالب حتى صار إلى خراسان ونزل مدينة مرو ثم جعل يغزو أهل طخيرستان[2] وما والاها حتى فتح فتوحاً كثيرة وغنم غنائم جمة ، فأخرج منها الخمس ووجّه إلى زياد ، وقسم باقي ذلك في المسلمين .

قال : وتكاثر العدد على غالب بن عبد الله ، وبلغ ذلك زياد بن أبيه فدعا بالربيع بن زياد الحارثي وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي وهو عم الحجاج بن يوسف ، فضم إليهما جيشاً كثيراً ووجّه بهم إلى خراسان وغلبوا على طخيرستان وغنموا غنائم كثيرة ، فأخرجوا منها الخمس فوجهوا به إلى زياد وقسموا باقي الغنائم في المسلمين . قال : ونزلوا مدينة مرو وكانوا يغزون أطراف خراسان .

ذكر موت زياد بن أبيه

قال : وجعل زياد يتتبع شيعة علي بن أبي طالب فيقتلهم تحت كل حجر ومدر حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم ، وجعل أيضاً يغري بهم معاوية ، فقتل منهم معاوية جماعة ، وفيمن قتل منهم حجر بن عدي الكندي وأصحابه[3] . وبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : اللّهم ! خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالاً عاجلاً ، إنك على كل شيء قدير !

قال : فخرج به خُرَاج في إبهام يده ، وفشا ذلك الخراج في يده اليمنى حتى ثقلت يده ؛ فاستشار الناس[4] في قطعها فلم يشيروا عليه بذلك ، واشتد به الأمر

(١) كذا ، وفي فتوح البلدان ص ٤٠٠ أن زياداً ولى خراسان الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥١ . وفي الطبري (حوادث سنة ٤٨) ان زياد وجه غالب بن فضالة الليثي على خراسان وكانت له صحبة من رسول الله (ص) .

(٢) طخيرستان (في معجم البلدان : طخارستان) ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان .

(٣) وكان ذلك سنة ٥١ هـ . انظر في كيفية قتلهم الطبري (حوادث سنة ٥١ هـ) .

(٤) استشار شريح بن الحارث بن قيس الكندي ، قاضي الكوفة . انظر في مروج الذهب ٣ / ٣٣ والطبري =

ولقي من يده جهداً شديداً ، ثم مات بعد ذلك[1] ؛ فدفن بموضع يقال له الثوية[2] .

ذكر أخبار خراسان وغير خراسان بعد موت زياد بن أبيه

قال : فلما مات زياد بن أبيه دعا معاوية بسمرة بن جندب الفزاري فولاه البصرة[3] فأقام بها ثمانية أشهر ، ثم شكاه أهل البصرة فعزله ، وولى مكانه عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي ، فأقام على العراق أميراً ستة أشهر ، ثم عزله معاوية وولى مكانه [عبد الله بن][4] خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية .

قال : وقدم عبد الله بن زياد على معاوية فقال[5] : يا أمير المؤمنين ! إنك لو ولّيتني العراق لقمت به مقاماً لم يقم به أحد قبلي ! فقال له معاوية : إنه قد كان أبوك على العراق خمس سنين ، فما الذي منعه من أن يوليك إياها بعد وفاته ؟ قال : فقال له عبيد الله : أنشدك الله أن خرجت هذه الكلمة من فيك ! فإنها عار عليّ وسبة . فقال له معاوية : إني سأوليك العراق وأجعلك في مكان أبيك ، ولكن اذهب فقد وليتك خراسان ، فإذا فرغتَ من أمرها وليتك العراق بعدها إن شاء الله تعالى . قال : ثم عقد له معاوية عقداً وقواه بسلاح وأموال .

قال : فخرج عبيد الله بن زياد حتى قدم أرض خراسان ، فجعل يفتح ويقدم ويجمع الأموال ، حتى قطع النهر وعبر حتى صار إلى بخارا[6] وإلى سمرقند وغنم غنائم كثيرة ، واتخذ لنفسه عبيداً من أولاد ملوك خراسان ، فكان يصول بهم على الناس .

= ٦ / ١٦٣ مقالة شريح له يشير عليه .

(١) وانظر ما لاحظناه حول موته ص ١١٤ حاشية ١ وانظر مروج الذهب ٣ / ٣٢ والطبري ٦ / ١٦٢ .

(٢) الثوية : موضع قريب من الكوفة . وفي الأخبار الطوال ص ٢٢٥ : دفن في مقابر قريش وقد صلى عليه ابنه عبيد الله بن زياد .

(٣) في الطبري (حوادث سنة ٥٣) استخلف زياد سمرة على البصرة ، فأقر عليها ثمانية عشر شهراً . وقيل : ستة أشهر .

(٤) سقطت من الأصل . وما أثبتناه يوافق الطبري .

(٥) انظر خبر وفادته على معاوية في الطبري (حوادث سنة ٥٤) .

(٦) في الطبري : فكان هو أول من قطع إليهم جبال بخارى في جند ، ففتح رامين ونصف بيكند ـ وهما من بخارى ـ

قال : ثم نقل عبيد الله بن زياد من خراسان واستخلف عليها رجلاً يقال له خويلد بن طريف بن قرة الحنفي[1] ، ثم سار حتى صار إلى معاوية بالأموال والغنائم . قال : فعندها عقد له معاوية عقداً وولاه البصرة[2] ، وكان بها أميراً كما كان أبوه زياد بن أبيه من قبل .

قال : ولم يزل معاوية على ذلك من شأنه تُجبى إليه الأموال من خراسان ومن غير خراسان ومن جميع أرض الإسلام إلى أن مضى من عمره في خلافته ما مضى .

[وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب -]

قال : وتوفي الحسن بن علي بالمدينة[3] ، فأقبل عمرو بن العاص حتى دخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ! إنه توفي الحسن بن علي بالمدينة وقد قرّ هذا الأمر فيك وفي ولدك وفيمن تؤمى إليه من أهل بيتك ، ويجب عليك أن تعقد لرجل من أهلك عقداً في أعناق المسلمين يقوم بأمرهم من بعدك ، ولكن ذلك عن الرضا والاختيار . فقال له معاوية : ننظر في ذلك أبا عبد الله وتنظر أنت أيضاً ، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى[4] .

[سمعنا من الثقات أنه حين قرر معاوية بن أبي سفيان أن يجعل ولده يزيداً ولي عهده ، مع علمه بأن هذا الأمر صعب المنال نظراً لأن الصلح الذي أبرم بينه وبين الحسن بن علي كان من بين شروطه أن يترك معاوية أمر المسلمين شورى بينهم بعد وفاته[5] .

لذلك سعى في موت الحسن بكل جهده ، وأرسل مروان بن الحكم (طريد

---

(١) في الطبري ٦ / ١٦٨ ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان .

(٢) وقد عزل عنها عبد الله بن عمرو بن غيلان .

(٣) وكان ذلك في سنة ٤٩ هـ . (ابن الأثير - مروج الذهب - المعارف - البداية والنهاية) . وقيل في موته أنه سقي سماً وفي ذلك يقول المسعودي في مروج الذهب ٢ / ٤٧٦ « وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وقد كان معاوية دس إليها : إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمئة ألف درهم وزوجتك من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه . فلما مات وفى لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها : إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه » .

(٤) ما بين معكوفتين استدرك من الترجمة الفارسية ص ٣٣٩ بعد تعريبه .

(٥) انظر معاهدة الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية ، وما لاحظناه بشأنها وخاصة المادة الأولى منها .

النبي ﷺ) إلى المدينة وأعطاه منديلاً مسموماً وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس بما استطاع من الحيل لكي تجعل الحسن يستعمل ذلك المنديل المسموم بعد قضاء حاجته وأن يتعهد لها بمبلغ خمسين ألف درهم[1] ويزوجها من ابنه .

فذهب مروان تنفيذاً لأمر معاوية واستفرغ جهده حتى خدع زوجة الحسن ونفذت المؤامرة وعلى إثر ذلك انتقل الحسن إلى دار السلام واغترت جعدة بمواعيد مروان وأقدمت على تلك الجريمة الشنعاء .

ويروى عن عمر بن إسحاق أنه قال : ذهبت مع بعض أصحابي لعيادة أمير المؤمنين الحسن فلما اقتربنا منه سلمنا عليه وجلسنا ، سمعته يقول لرجل : اسألني حاجتك . فقال : ما لم تتماثل إلى العافية فلن أسأل . ثم سأله مرة أخرى وقال : سلني حاجتك قبل أن لا أستطيع الجواب . فرد عليه بنفس الجواب ، ثم قال الإمام الحسن : لقد سقيت السم عدة مرات[2] ولكنه هذه المرة كان مختلفاً .

وفي اليوم الثاني عندما ذهبت لعيادته رأيت أمير المؤمنين حسيناً جالساً على طرف الوسادة وهو يقول : يا أخي من سقاك السم ؟ وبمن تظن ؟ فأجابه إن أخبرك فسيقتلونك ؟ فقال : نعم .

فقال ذلك السيد (الحسن)[3] : إن يكن هذا السم سبباً لموتي سيزداد نكاله وضلاله . وإن عشت فلا أرى جواز قتل شخص بريء .

ثم بعد ذلك اشتد المرض على الإمام العالي وأيقن بقرب حلول الأجل فأوصى للإمام الحسين بأمر الإمامة وقال له : ادفني إلى جانب رسول الله ﷺ . إن غلب على ظنك عدم قيام فتنة تكون سبباً لإراقة الدماء وإلا فادفني في بقيع الغرقد .

وبعد أن حلّقت روحه المقدسة نحو رياض الجنة ، وبعد إتمام الغسل والتكفين

---

(١) انظر ما مرّ قريباً . وفي مروج الذهب : مئة ألف درهم . وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٥ .

(٢) كذا بالأصل ومروج الذهب ، وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٥ أنه قال لأخيه الحسين إن هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السم . ولم أسقه مثل مرتي هذه ، وأنا ميت من يومي .

(٣) في مروج الذهب : قال : وما تريد بذلك ؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه ، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء .

لجثمانه الطاهر أراد الإمام الحسين أن يدفنه في الروضة المباركة بجانب جده الأكرم .

ولكن سعيد بن العاص والي المدينة أرسل إلى أم المؤمنين الصديقة لكي تمانع في هذا الدفن .

وفعلاً قام جمع من العثمانية بالمعارضة فقابلتهم فرقة من الشيعة وكادت تنشب فتنة بين الفريقين .

ثم بعد ذلك ذهب الحسين بجنازة شقيقه (الجوهر العالي) طبقاً لوصيته فدفنه قرب جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم[1] .

ولما وصل خبر وفاة أمير المؤمنين الحسن إلى معاوية أرسل الجائزة التي كان وعد بها جعدة ولكنه رفض تزويج يزيد منها . ثم تزوجها أحد أبناء طلحة وأولدها أولاداً كان كثيراً ما يقع بينهم وبين القريشيين جدال حتى قيل لهم : يا أبناء سمحة الأزواج .

وذات يوم كان عبد الله بن العباس في مجلس معاوية . فقال له معاوية شامتاً : هل سمعت يا أبا العباس بموت الحسن بن علي ؟

فاسترجع ابن عباس ثم قال : يا معاوية إنك لن تمنع نفسك من ورود الحفرة المقررة لك في العالم الثاني بموت الحسن . ولن تظل مسروراً على عرش الظفر وإننا معاشر أهل بيت النبوة قد أصبنا بمصائب أكبر من مصيبة موت الحسن ولكن الله سبحانه قد فرّج عنا تلك المصائب . ثم خرج ابن عباس .

وقد تعجب بمعاوية من سرعة بديهته وقال : إني لم أر في حياتي شخصاً عاقلاً وسريع الجواب مثل عبد الله بن عباس[2] .

---

(١) كذا بالترجمة . ولكن دفنه رضي الله عنه تم إلى جنب أمه فاطمة بنت محمد (ص) بالبقيع كما في مروج الذهب ٢ / ٤٧٥ . وكان قد جرى غسله وتكفينه رضي الله عنه ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله ـ قال اليعقوبي في تاريخه ٢ / ٢٢٥ فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك ، حتى كادت تقع فتنة . . . فقال الحسين : إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم . فدفن الحسن في البقيع .

(٢) خبر ابن عباس ومعاوية في مروج الذهب ٢ / ٤٧٩ باختلاف بسيط .

ولما شاع خبر وفاة الإمام الحسن بين الناس جاء عمرو بن العاص إلى معاوية وقال له : يا أمير المؤمنين بما أن الحسن بن علي قد لقي وجه ربه فالفرصة الآن مؤاتية لك لتستقل بالخلافة بدون منازع لك أو لأولادك ، فبادر إلى تعيين أحد من أهل بيتك ولياً لعهدك . بموافقة عامة الناس لكي يقوم بالأمر بعدك ويتفق الناس على طاعته وتبقى الخلافة حينئذ في بيتك .

فقال له معاوية : أحسنت ، دعني أفكر في الأمر ، حتى أرى من يصلح للقيام بالأمر بعدي فأوليه ولاية العهد ، ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى] .

ابتداء أخبار مقتل مسلم بن عقيل والحسين بن علي وولده وشيعته من ورائه وأهل السنة وما ذكروا في ذلك من الاختلاف

حدثني أبو الحسن أحمد بن الحسين النيسابوري قال: حدثني محمد بن القاسم المديني عن أبي حازم مولى ابن عباس عن ابن عباس، قال: وحدثني علي بن عاصم عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس، قال: وحدثني أبو حاتم سهل بن محمد الصانع قال: حدثني نعيم بن مزاحم المنقري عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي، قال الواقدي: وحدثني معاذ بن محمد بن يغقوب بن عتبة القرشي عن محمد ابن الحنفية، أبو الوليد بن رزين عن أبي إسحاق الهمداني، قال: وحدثني أبو عمر حفص بن محمد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه. قال الواقدي أيضاً وحدثني محمد بن عبيد الله بن عنبسة عن محمد بن عبيد الله عن عمرو عن أبيه، وعبد الملك بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي مصعب عن أبيه وعبد الله بن بجير السهمي عن سعيد بن قيس الهمذاني، ومحمد بن خالد الهاشمي عن يعقوب بن سليمان من بني عبد الله الأوسي عن عبد الرحمن بن المنذر من بني عدي بن النجار عن العلاء بن يعقوب العجلاني، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي عن الحسين بن كثير الأزدي عن أبيه، وأبو المنذر أيضاً عن محمد بن عوانة بن الحكم بن الهيثم بن عدي عن عبد الملك بن سليمان عن أيوب بن بشير بن عبد الله المعافري والهيثم بن عدي عن غالب بن عثمان الهمداني عن عبد الله بن المعافى المعافري وعبد الرحمن بن المنذر الأنصاري وعبد الواحد بن أبي عون وهبيرة ابن مريم وعيسى بن دأب عن رجاله وأبو البختري عن رجاله كلهم قد حدث بهذا الحديث وبعضهم أو عما له من بعض وزيادته ونقصانه على من نقله إلينا وقرأه علينا.

فأول خبر ورد عليَّ من ذلك حديث يحيى بن عبد الرحمن القرشي عن محمد[1] بن مصعب القرقسائي عن الأوزاعي عن ابن عفان عن أم الفضل بنت الحارث بن حزن[2] امرأة العباس بن عبد المطلب أنها قالت : رأيت في منامي رؤيا هالتني وأفزعتني ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! رأيت كأن قطعة من جسدك[3] قد قطعت فوضعت في حجري ؛ فقال النبي ﷺ : خيراً رأيت يا أم الفضل ! إن صدقت رؤياك فإن فاطمة حامل وستلد غلاماً فأدفعه إليك لترضعيه[4] . قالت أم الفضل : فوضعت فاطمة بعد ذلك غلاماً فسمي بالحسين ، ودفعه النبي ﷺ إليَّ فكنت أرضعه قالت أم الفضل : فدخل النبي ﷺ ذات يوم والحسين في حجري فأخذه وجعل يلاعبه وهو مسرور به ؛ قالت أم الفضل : فبال الحسين فقطر من بوله على ثوب النبي ﷺ ، فقرصته[5] فبكى ، فقال ﷺ : مهلاً يا أم الفضل ! فهذا الذي أصاب ثوبي يغسل ، وقد أوجعتِ ابني . قالت[6] : فتركته في حجره وقمت لآتيه بماء أغسل ثوبه ، فلما جئت نظرت إليه وعيناه تذرفان بالدموع فقلت : فداك أبي وأمي يا رسول الله ! دفعته إليك وأنت به مسرور ثم رجعت إليك وعيناك تذرفان بالدموع ! فلماذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم يا أم الفضل ! أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي تقتل ولدي هذا بشط الفرات ، وقد أتاني بتربة حمراء[7] .

قال ابن عباس : لقد رأيت حين هبط جبريل عليه السلام في قبيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم يبكون حزناً منهم على الحسين ، وجبريل معه قبضة من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر ، دفعها إلى فاطمة بنت النبي ﷺ وقال : يا حبيبة الله ! هذه تربة ولدك الحسين وستقتله اللعناء بأرض كرب وبلاء . قال : فقال له النبي ﷺ : حبيبي جبريل ! وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ ابنتي ؟ فقال جبريل : لا ، بل

---

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي ، وبالأصل عبد الرحمن . ٦ / ٤٦٩ .

(٢) بالأصل « المطلب » وهي لبابة (الكبرى) بنت الحارث بن حزن بن البجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر . . . بن قيس بن عيلان بن مضر .
وأم الفضل أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة (رض) .

(٣) في طبقات ابن سعد ٨ / ٢٧٨ عضواً من أعضائك في بيتي .

(٤) زيد في ابن سعد : بلبان ابنك قثم .

(٥) بالأصل : فقرضته ، وأثبتنا ما وافق ابن سعد .

(٦) بالأصل : قال .

(٧) دلائل البيهقي ٤٦٨/٦ وابن كثير في البداية ٢٣٠/٦ .

يضربهم الله بالاختلاف ، فتختلف قلوبهم وألسنتهم آخر الدهر .

قال شرحبيل بن أبي عون : إن الملك الذي جاء إلى النبي ﷺ إنما كان ملك البحار وذلك أن ملكاً من ملائكة الفراديس نزل إلى البحر الأعظم ثم نشر أجنحته عليه وصاح صيحة وقال : يا أصحاب البحار ! البسوا ثياب الحزن فإن فرخ محمد مذبوح مقتول ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا حبيب الله ! يقتتل على هذه الأرض فرقتان من أمتك ، إحداهما ظالمة معتدية فاسقة ، يقتلون فرخك الحسين ابن ابنتك بأرض كرب وبلاء ، وهذه تربته يا محمد ! قال : ثم ناوله قبضة من أرض كربلاء وقال : تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك ، ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته ، فلم يبق ملك في سماء الدنيا إلا شم تلك التربة وصار فيها عنده أثر وخبر .

قال : ثم أخذ النبي ﷺ تلك القبضة التي أتاه بها الملك فجعل يشمها وهو يبكي ويقول في بكائه : اللّهم لا تبارك في قاتل ولدي وأصْله نار جهنم ! ثم دفع القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين بشاطىء الفرات وقال : يا أم سلمة ! خذي هذه التربة إليكِ فإنها إذا تغيرت واستحالت دماً عبيطاً سيقتل ولدي الحسين .

فلما أتى على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله ﷺ اثنا عشر ملكاً ، أحدهم على صورة الأسد ، والثاني على صورة الثور ، والثالث على صورة التِّنين ، والرابع على صورة ولد آدم ، والباقون الثمانية على صور شتّى محمرة الوجوه ، قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون : يا محمد ! إنه سينزل بولدك الحسين ابن فاطمة ما نزل بأبيك من قابيل ، وسيعطي هابيل أخو قابيل ، وسيحمل على قاتله مثل وزر قابيل . قال : ولم يبق في السماوات ملك إلا وقد نزل إلى النبي ﷺ ، كل يعزيه في الحسين ويخبره بثواب ما يعطي ويعرض عليه تربته ، والنبي عليه السلام يقول : اللّهم اخذل من خذله ، واقتل من قتله ، ولا تمتعه بما طلبه .

قال المسور بن مخرمة : ولقد أتى النبي ﷺ ملك من ملائكة الصفيح الأعلى لم ينزل إلى الأرض مذ خلقت الدنيا ، وإنما استأذن ذلك الملك ربّه ونزل شوقاً منه إلى النبي ﷺ ، فلما نزل إلى الأرض أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : أيها الملك ! أخْبِر محمداً بأنّ رجلاً من أمته يقال له يزيد يقتل فرخه الطاهر ابن الطاهرة نظيرة البتول ابنة عمران . فقال الملك : إلٰهي وسيدي ! لقد نزلتُ من السماء وأنا مسرور بنزولي إلى

نبيك محمد ، فكيف أخبره بهذا الخبر ، ليتني لم أنزل إليه ! فنودي الملك من فوق رأسه أن امض لما أُمرت .

فنزل وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه فقال : السلام عليك يا حبيب الله ! إني استأذنت ربي في النزول إليك فأذن لي ، فليت ربي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر ، ولكني مأمور ، يا نبي الله ! اعلم أن رجلاً من أمتك يقال له يزيد ـ زاده الله عذاباً ـ يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة ، ولن يمتع بالملك من بعد ولدك ، وسيأخذه الله مغافصة على أسوءعمله ، فيكون من أصحاب النار .

قال : فلما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبي ﷺ في سفر له ، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك ، فقال : هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطىء الفرات يقال لها كربلا ، يقتل بها ولدي الحسين ابن فاطمة ؛ فقيل : من يقتله يا رسول الله ؟ فقال : رجل يقال له يزيد ، لا بارك الله له في نفسه ! وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها ، وقد أهدي برأسه ، ووالله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه .

قال : ثم رجع النبي ﷺ من سفره ذلك مغموماً ثم صعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بن علي بين يديه مع الحسن ، قال : فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللّهم ! إني محمد عبدك ونبيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلفهم في أمتي ؛ اللّهم ! وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا مقتول مخذول ؛ اللّهم ! فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء ، إنك على كل شيء قدير ؛ اللّهم ! ولا تبارك في قاتله وخاذله . قال : وضج الناس في المسجد بالبكاء ، فقال النبي ﷺ : أتبكون ولا تنصرونه ! اللّهم ! فكن أنت له ولياً وناصراً .

قال ابن عباس : ثم رجع وهو متغير اللون محمر الوجه فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه يهملان دموعاً ثم قال : أيها الناس ! إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومراح مماتي وثمرتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ؛ ألا ! وإني أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم المودة في القربى ، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم ؛ ألا ! وإنه سيرد عليّ في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة ، راية سوداء مظلمة قد فزعت لها

الملائكة ، فتقف عليّ فـأقول : من أنتم ؟ فينسـون ذكري ويقـولون : نحن أهـل التوحيد من العرب ، فأقول : أنا أحمد نبي العرب والعجم ، فيقولون : نحن من أمتك يا أحمد ! فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتـاب ربي ؟ فيقولون : أما الكتاب فضيعنا ومزقنا ، وأما عترتك فحرصنا على أن ينّدهم من حديد الأرض فأولي عنهم وجهي ، فيصدرون ظماء عطاشاً مسودة وجوههم . ثم يرد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون كما تقول الأول إنهم من أهل التوحيد نحن من أمتك ، فأقول لهم : كيف خلفتموني في الثقلين الأصغر والأكبر ، في كتاب الله وفي عترتي ؟ فيقولون : أما الأكبر فخـالفنا ، وأمـا الأصغر فخذلنا ومزقناهم كل ممزق ؛ فأقول : إليكم عني ! فيصدرون ظماء عطاشاً مسودة وجوههم . ثم يـرد عليّ راية أخـرى تلمع نـوراً ، فأقـول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن كلمة التوحيد ، نحن أمة محمد ونحن بقية أهل الحق الذين حملنا كتاب ربنا ، فأحللنا حلاله وحرمنا حرامه ، وأحببنا ذرية نبينا محمد ﷺ فنصرناهم بما نصرنا به أنفسنا ، وقاتلنا معهم وقتلنا من ناواهم ؛ فأقول لهم : أبشروا ! فأنا نبيكم محمد ، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم . ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين . ألا ! وإن جبريل عليه السلام قد أخبـرني بأن أمتي تقتـل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء . ألا ! فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر .

قال : ثم نزل على المنبر ، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا واستيقن أن الحسين مقتول ، حتى إذا كان في أيام عمر بن الخطاب وأسلم كعب الأحبار وقدم المدينة ، جعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان وكيف تحدثهم بأنواع الملاحم والفتن ؛ ثم قال كعب : نعم وأعظمها ملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره الله تعالى في الكتب ، وقـد ذكره في كتـابكم ، فقال عـزَّ وجلَّ ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر** ﴾[1] ؛ وإنما فتح بقتل هابيل ، وختم بقتل الحسين بن علي .

ثم قال كعب : أظنكم تهونون قتل الحسين ، أو لا تعلمون أنه يفتح كل يوم وليلة أبواب السماء كلها ، ويؤذن للسماء بالبكاء ، فتبكي دمـاً عبيطاً ؟ فـإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها شرقاً وغرباً فاعلموا بأنها تبكي حسيناً ، فتظهر هذه

---

(١) سورة الروم ، الآية ٤١ .

الحمرة في السماء . قال : فقيل له : يا أبا إسحاق ! فكيف لم تفعل السماء ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل وبمن كان خيراً من الحسين ؟ فقال كعب : ويحكم ! إن قتل الحسين أمر عظيم لأنه ابن بنت خيرة الأنبياء ، وإنه يقتل علانية ظلماً وعدواناً ، لا تحفظ فيه وصية رسول الله ﷺ ، وهو مراح مائه وبضعة من لحمه ، ثم يذبح بعرصة الكرب والبلاء ؛ والذي نفس كعب بيده ! لتبكينه زمرة من الملائكة في السماوات لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر ، وأن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع بعد ثلاث : مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ، وما من نبي إلا وقد زارها وبكى عندها ، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم ، فإذا كانت ليلة جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف ملك يبكونه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم ؛ وإنه يسمى في السماوات حسيناً المذبوح ، وفي الأرض أبا عبد الله المقتول ، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم ؛ وإنه يوم يقتل تنكسف من النهار الشمس ، ومن الليل القمر ، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام ، وتمطر السماء كما أخبرتكم دماً ، وتدكدك الجبال ، وتغطمط البحار ، ولولا بقية من ذرية محمد ﷺ ومحبي محمد ومحبي أبيه وأمه يطلبون دمه ويأخذون بثأره لصب الله عزَّ وجلّ عليهم من السماء نيراناً .

ثم قال كعب : لعلكم تعجبون مما حدثتكم به من أمر الحسين بن علي! إن الله تعالى لم يترك شيئاً كان أن يكون في أول الدهر وآخره إلا وقد فسره لموسى عليه السلام ؛ وما من نسمة خلقت ومضت من ذكر وأنثى إلا وقد رفعت إلى آدم عليه السلام وعرضت عليه ، ولقد عرضت على آدم هذه الأمة ، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على الدنيا فقال : يا رب ! ما لهذه الأمة والدنيا وهي خير الأمم وأفضلها ؟ وأوحى الله عزَّ وجلّ إليه : يا آدم ! هذا أمري في خلقي وقضائي في عبادي ، يا آدم ! إنهم أخلفوا فاختلفت قلوبهم ، وسيظهرون في أرضي الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل ، ويقتلون فرخ حبيبي محمد ﷺ .

قال : ثم مثل بآدم عليه السلام في الذروة مقتل الحسين بن علي ووثوب أمة جده عليه ، فنظر إليهم آدم عليه السلام مسودة وجوههم فقال : يا رب ! ابسط عليهم الأسقام كما قتلوا فرخ هذا النبي الكريم .

قال هبيرة بن يريم فحدثني أبي يريم قال : لقيتُ سلمان الفارسي فحدثته بهذا

الحديث ، فقال سلمان : لقد صدقك كعب وأنا أزيدك في ذلك أن كل شيء في الأرض يبكي الحسين إذا قتــل حتى النجم ونبــات الأرض ، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم ، ويقولون : إلٰهنا وسيدنا أنت العليم الحكيم ؛ ثم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك بين السماء والأرض أن يا معشر الخليفة ! ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لرب العزة . قال : ثم أقبل سلمان الفارسي على يريم ثم قال : يا يريم ! إنك لو تعلم يومئذ كم من عين تعود سخنة كئيبة حزينة قد ذهب نورها وغشي بصرها بكاء على الحسين ! ولقد صدق كعب فيما حدثك به ، ووالذي نفس سلمان بيده ! إنني لو أدركت أيامه لضربت بين يديه بالسيف أو أقطع بين يديه عضواً عضواً فأسقط بين يديه ضريعاً ، فإن القتيل معه يعطى أجر سبعين شهيداً من شهداء بدر وأحد وحنين وخيبر . ثم قال سلمان : يا يريم ! ويحك أتدري ما حسين ! حسين سيد شباب أهل الجنة على لسان محمد ﷺ ، وحسين لا يهدر دمه حتى يقف بين يدي الله عزَّ وجلّ ، وحسين من تفزع لقتله ملائكة السمـاوات ، ويحك يـا يريم ! أتعلم كم ملك ينـزل يوم قتـل الحسين وتضمه إلى صـدورها ! وتقـول المـلائكـة بأجمعها : إلٰهنا وسيدنا ! هذا فرخ رسولك محمد وابن ابنته وبضعة من لحمه . يا يريم إن أنت أدركت أيام مقتله واستطعت أن تقتل معه فكن أول قتيل يقتل بين يديه ، فإن كلّ دمٍ يوم القيامة بعد الأنبياء دم الحسين ، ثم دماء أصحابه الذين قتلوا بين يديه . وانظر يا يريم ! إن أنت نجوت فلم تقتل معه فزر قبره ، فإن قبره لا يخلو من الملائكة أبداً ، ومن صلى عند قبره ركعتين حفظه الله من بغضهم وعداوتهم أبداً حتى يموت .

قال : فأما سلمان فإنه مات بالمدائن في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأما يريم فإنه لم يلحق ذلك .

ثم رجعنا إلى الخبر الأول

قال : ثم كتب معاوية إلى جميع نوابه فألقى إليهم هذا الخبر أنه يريد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد[1] . قال : فكتب إليه مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر يأمرونه أن يتأنى في أمر يزيد وأن لا يعجل حتى يطالع أهل المدينة في ذلك .

قال : وحج يزيد في تلك السنة ففرق بمكة والمدينة أموالاً كثيرة يشتري بها قلوب الناس ، ثم إنه انصرف والناس عنه راضون .

قال : وشاع الخبر في الناس بأن معاوية يريد [أن] يأخذ البيعة ليزيد ، وكان الناس في أمر يزيد على فرقتين من بين راضٍ وساكت ، أو قائل منكر . قال : فكان عقيبة[2] الأسدي شاعر أهل البصرة ممن يكره بيعة يزيد ويبغضه ، فأنشأ في ذلك يقول[3] :

---

(١) بشأن قضية البيعة ليزيد بولاية عهد معاوية ، قيل إن أول من أشار على معاوية بذلك ، أو أول من نبهه إلى هذا الأمر هو المغيرة بن شعبة وذلك أنه كان والياً على الكوفة وقد بلغه أن معاوية بصدد عزله ، فقدم الشام على معاوية وعند مقابلته قال له : يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الأمة من الفتنة والاختلاف ، وفي عنقك الموت ، وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه ، واجعل ذلك يزيد ابنك . . . وأعيد المغيرة بن شعبة إلى الكوفة مكلفاً العمل والتحدث مع من يثق إليه بهذا الشأن . فغادر المغيرة إلى الكوفة يعمل في بيعة يزيد ، وكانت باكورة ذلك أن أرسل وفداً إلى معاوية يزينون له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها .
(الإمامة والسياسة ١ / ١٨٧ ابن الأثير ٢ / ٥٠٨ الطبري ٥ / ٣٠١ـ ٣٠٢) .

(٢) بالأصل « عقبة » وما أثبتناه عن خزانة الأدب (٢ / ٢٢٦ السلفية) .

(٣) الأبيات في العقد الفريد ٥ / ٢٨٢ .

معاوي إننا بشر فأسجح — فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
أكلتم أرضنا فجردتموها — فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع في الخلود[1] إذا هلكنا — وليس لنا ولا لك من خلود
فهبها أمة هلكت ضياعاً — يزيد يسوسها وأبو يزيد
دعوا حق الإمارة واستقيموا — وتأميل الأراذل والعبيد[3]
واعطونا السوية لا تزركم — جنود مردفات بالجنود

قال : فبلغ ذلك معاوية ، فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه فأنشأ عقيبة يقول :

إذا المنبر الغربيّ حل مكانَه — فإن أمير المؤمنين يزيدُ
على الطائر الميمون والجدُّ صاعدٌ — لكل أناس طائر وجدود
فلا زلتَ أعلى الناس كعباً ولم تزل — وفودٌ يساميها إليك وفود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر — لمروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فإنما — ينوء بها الرحمن حيث يريد

قال : فأرسل إليه معاويةِ ببدرة أخرى . وبلغ ذلك عبد الله بن همام السلولي[4] شاعر أهل الكوفة وكان أيضاً ممن يبغض يزيد فأنشأ يقول[5] :

فإن باتوا برملة أو بهندٍ — يبايعه[6] أميرةُ مؤمنينا
وكل بنيك ترضاهم وإن — شئتم بعمهم المنتمينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى — يعد[7] ثلاثة متناسقينا
يورّثها أكابرهم بنيهم — كما ورث القمامسة القطينا
فيا لهفي لو أن لنا أنوفاً — ولكن لا نعود كما عنينا

---

(١) في العقد : بالخلود .

(٢) في العقد :

ذروا جور الخلافة واستقيموا — وتأمير الأراذل والعبيد

(٤) من بني مرة بن صعصعة ، شاعر اسلامي ، كان يقال له العطار لحسن شعره ، وهو الذي حرض يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية .

(٥) الأبيات في مروج الذهب ٣ / ٣٥ .

(٦) مروج الذهب : نبايعها .

(٧) مروج الذهب : نعد .

إذاً لضربتم حتى تعودوا — بمكة تلطعون[1] بها السخينا
حثينا الخيط حتى لو سقينا[2] — دماء بني أمية ما روينا
ضعوا كلباً على الأعناق منا — وسَرَّحَكم أصاغر ورّثونا
هبونا لا نريدكم بسوء — ولا نعصيكم ما تأمرونا
فأولوا بالسداد فقد بقينا — لحلفكم عناداً مفترينا
بنيت ملككم فإذا أردتم — بنا الصلعاء قلتم محسنينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم — تصيدون الأرانب غافلينا

فبلغ ذلك معاوية فقال : ما ترك ابن همام شيئاً ، ذكر الحرم وعيرنا بالسخينة ، ما له إلا يخرجنا من جنتنا . قال : ثم وجه إليه معاوية ببدرة ، فلما وصلت إليه شكرها لمعاوية ثم كتب إليه بهذه الأبيات :

أتاني كتاب الله والدين قائم — وبالشام أن لا فيه حكم [ولا] عدلُ
أريد أمير المؤمنين فإنه — على كلّ أحوال الزمان له الفضل
فهاتيكم الأنصار يرجون فضله — وهلّاك أعراب أضرّ بها المحل
ومن بعدها كنا عباديد شُرّدا — أقمت قناة الدين واجتمع الشمل
فأيّ أناس أثقلتهم جنايةٌ — فما انفكّ عن أعناقهم ذلك الثقل
أبو خالد أخلْق به أن يصيبنا — بسجل من المعروف يتبعه سجل
هو اليوم ذو عهد وفينا خليفة — إذا فارق الدنيا خليفتنا الكهل

قال : ولم يزل معاوية يَرُوض الناس على بيعة يزيد ويعطي المقارب ويداني المتباعد حتى مال إليه أكثر الناس وأجابوه إلى ذلك[3] .

قال : ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فدعاه ثم شاوره في أمر يزيد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أنا أناجيك ولا أناديك[4] ، وإن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن

---

(١) مروج الذهب : تلعقون .
(٢) مروج الذهب : خشينا الغيظ حتى لو شربنا .
(٣) قال أبو الحسن المدائني أن معاوية وبعد موت زياد بن أبيه سنة ٥٣ هـ ، أظهر عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد ابنه بعده ، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد (العقد الفريد ٤ / ٣٤٤) .
(٤) العقد الفريد : أني أناديك ولا أناجيك .

تقدم ، وفكرّ قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . قال : فتبسم معاوية ضاحكاً ثم قال[1] : يابن أخ ! إنـك تعلمت الشجاعة على رأس الكبر ، إن دون ما شجعت به على أخيك يكفيك .

قال : ثم أرسل إلى الأحنف بن قيس فدعاه ، ثم شاوره في أمر يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ، ولكن عليك بغيري . قال : فأمسك عنه معاوية ، وجعل يروض الناس في كل سنة وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد .

قال : فلم يزل على ذلك سبع سنين ، قال : ودخلت سنة خمس وخمسين[2] فكتب معاوية إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه ، فقدم عليه قوم من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيـرة ومن جميع البـلاد ، فاستشـارهم معاوية في البيعة ليزيد ؛ فقام إليه رجل من أهل المدينة يقال له محمد بن عمرو[3] بن حرم فقال : يا معاوية ! إن يزيد أهل لما تريد إن ترسمه له ، وهو لعمري غني في المال ، ووسيط في النسب ، غير أن الله تعالى سائل كل راع عن رعيته فاتق الله يا معاوية وانظر من تولي أمر أمة محمد ﷺ ! قال : فتنفس معاوية الصعـداء ثم قـال : يـابن عمرو ! أنت رجـل ناصـح وإنما قلت بـرأيك ولم يكن عليـك إلا ذلـك ، غيـر أنـه لم يبق من أولاد الصحـابة إلا ابني وأبنـاؤهم ، وابني أحب إليَّ من أبنائهم ؛ قـال : فسكت الناس وانصرفوا يومهم .

فلما كان من الغد بعث معاوية إلى الضحاك بن قيس فدعاه وقـال : إني قد عزمت على الكلام ، وإذا غصَّ المجلس بأهله ورأيتني ساكتاً فكن أنت الذي تدعوني إلى أمر بيعة يزيد وحضني على بيعته[4] .

---

(١) العقد الفريد : قال : ثعلب رواغ ! تعلمت السجع عند الكبر ، في دون ما سجعت به على ابن أخيك ما يكفيك .

(٢) كذا بالأصل والعقد الفريد ، وفي مروج الذهب ٣ / ٣٣ سنة تسع وخمسين . وفي الإمامة والسياسة أن معاوية بدأ بجس النبض لأخذ البيعة ليزيد قبل وفاة الحسن ولكنه جوبه بالرفض فسكت عن البيعة ولم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين ثم لم يلبث بعد وفاة الحسن بن علي (رض) (يعتبر وفاته سنة ٥١ والمشهور أنه في سنة ٤٩) إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق (اليعقوبي ٢ / ٢٢٨) .

(٣) عن العقد الفريد ، بالأصل : عمر .

(٤) مروج الذهب ٣ / ٣٣ العقد الفريد ٤ / ٣٤٥ الإمامة والسياسة ١ / ١٨٨ وزيد في مروج الذهب : =

قال : ثم أرسل معاوية إلى وجوه الناس فأحضرهم بمجلسه ، فلما اجتمعوا بدأ معاوية بالكلام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم إنه عظم الإسلام وحرمته ، ثم ذكر ما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر ، ثم ذكر يزيد وفضله في قريش وعلمه بالسياسة ؛ فعارضه الضحاك بن قيس وقال[1] : يا أمير المؤمنين ! إنه لا بد للناس من والٍ بعدك وولي عهدك ، فإنا قد بلونا الجماعة والفرقة فوجدنا الجماعة والألفة أحقن للدماء ، وآمن للسُّبل ، وخيراً في العاجلة والآجلة ، والأيام عوج رواجع ، ولله في كل يوم أمر وشأن ، ولا تدري ما يختلف به العصران[2] وينقلب فيه الحدثان ويزيد ابن أمير المؤمنين في هديه وقصد سيرته[3] من أفضلنا حلماً وأكرمنا[4] علماً ، فولّه عهدك واجعله لنا علماً بعدك ، يكون مفزعاً نلجأ إليه ، وخليفة نعول عليه ، تسكن به القلوب ، ونأمن به الفتن .

قال : ثم سكت الضحاك وقام عمرو بن سعيد الأشدق وقال[5] : أيها الناس ! والله أن يزيد لطويل الباع واسع الصدر رفيع الذكر ، إن صرتم إلى عدله وسّعكم وإن[6] لجأتم إلى جوده أغناكم ، وهو خلف لأمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال له معاوية : اجلس أبا أمية فقد أوسعت وأحسنت .

قال : فجلس عمرو بن سعيد بن العاص وقام يزيد بن المقنع الكندي[7] فقال : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين هذا - وأشار بيده إلى معاوية - قاد الملك [فإذا] مات فوارث الملك هذا - وأشار بيده - إلى يزيد - فمن أبى فهذا - وأشار بيده إلى السيف . فقال له : اجلس فأنت سيد الخطباء .

= فإني قد أمرت عبد الرحمٰن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عصاة الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك ، وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه .

(١) انظر مقالته في المصادر السابقة .

(٢) العصران : الغداة والعشى ، والليل والنهار .

(٣) قصد سيرته : استقامتها .

(٤) العقد الفريد : أحكمنا علماً .

(٥) قارن مع العقد الفريد ٤ / ٣٤٥ .

(٦) العقد : وإن طلبتم رفده أغناكم .

(٧) كذا بالأصل والعقد الفريد وعيون الأخبار ، وفي مروج الذهب ٣ / ٣٤ « ثم قام رجل من الأزد » وانظر مقالته فيه .

قال : ثم قام الحصين بن نمير السكوني فقال : يا معاوية ! والله لئن لقيت الله ولم تبايع ليزيد لتكونن مضيعاً للأمة . فالتفت إلى الأحنف بن قيس معاوية وقال : يا أبا بحر ! ما يمنعك من الكلام ؟ فقال[1] : يا أمير المؤمنين ! أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ومدخله ومخرجه وسرّه وعلانيته ، فإن كنت تعلمه لله عزَّ وجلّ ولهذه الأمة رضاً فلا تشاورن فيه أحداً من الناس ، وإن كنت تعلم لله غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت ماضٍ إلى الآخرة فإن قلنا ما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا . قال : فقال معاوية : أحسنت يا [أبا] بحر ! جزاك الله عن السمع والطاعة خيراً[2] .

قال : فبايع الناس في ذلك الوقت ليزيد بن معاوية وانصرفوا إلى منازلهم .

ذكر كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم بالمدينة في أمر يزيد

قال : فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد[3] ويخبره في كتابه أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا .

---

(١) مقالته باختلاف بسيط في العقد الفريد ٤ / ٣٤٧ وابن الأثير ٢ / ٥١١ . وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٣ ومروج الذهب ٣ / ٣٤ .

(٢) ذكر في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٩ - ١٩٠ مقالات أخرى تدعم وجهة نظر الضحاك بتأييده ودفعه معاوية إلى بيعة يزيد ، فاطلبها فيه .

(٣) يفهم من رواية ابن الأثير ٢ / ٥٠٩ أن معاوية كان قد كتب إلى مروان بن الحكم كتاباً يستشيره ، قال فيه : إني قد كبرت سني ، ودق عظمي ، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي ، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي ، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك . فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك . فقام مروان في الناس فأخبرهم به ، فقال الناس : أصاب ووفق ، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو .

ولما جاء كتاب مروان إلى معاوية ، كتب له يذكر يزيداً ويدعوه بأخذ البيعة له .

أما المسعودي فيشير إلى أن مروان - عامل معاوية على المدينة - وقد بلغه خبر اختيار يزيد ولياً لعهد معاوية بكتاب بعثه إليه معاوية يأمره فيه ببيعته ، وأخذ البيعة ليزيد على من قبله - فقد غضب وخرج إلى الشام قادماً على معاوية ، وقد قابل معاوية فقال له : أقم الأمور يا ابن أبي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك من قومك نظراء وأن لك على مناوأتهم وزراء . فقال له معاوية : أنت نظير أمير المؤمنين وعدته في كل شديدة ، وعضده ، والثاني بعد ولي عهده . وجعله ولي عهد يزيد ، ورده إلى المدينة .

وانظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٧ - ١٩٨ .

قال : فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الطاعة وحض عليها وذكر الفتنة وحذر منها . ثم قال في بعض كلامه : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين قد كبر سنه ، ورق جلده وعظمه ، وخشي الفتنة من بعده ، وقد أراه الله رأياً حسناً ، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون من بعده لكم مفزعاً ، يجمع الله به الألفة ويحقن به الدماء ، وأراد أن يكون ذلك عن مشورة منكم وتراض ، فماذا تقولون ؟ فقال الناس من كل جانب : إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضا . فقال مروان : إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وهو ابنه يزيد .

قال : فسكت الناس وتكلم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وقال : كذبتَ والله يا مروان وكذب من أمرك بهذا ، والله[1] ما يزيد برضا ولكن يزيد ورأيه هرقلية . فقال مروان : أيها الناس ! إن هذا المتكلم هو الذي أنزل فيه : ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾[2] . قال : فغضب عبد الرحمن بن أبي بكر ثم قال: يابن الزرقاء ! أفينا تتأول القرآن وأنت الطريد ابن الطريد ! ثم بادر إليه وأخذ برجله ثم قال : انزل يا عدو الله عن هذا المنبر ! فليس مثلك من يتكلم بهذا على أعواده .

قال : وضجت بنو أمية في المسجد ، وبلغ ذلك عائشة فخرجت من منزلها ملتفة بملاءة لها ومعها نسوة من نسوان قريش حتى دخلت المسجد ، فلما نظر إليها مروان كأنه فزِع لذلك ثم قال : نشدتك الله يا أم المؤمنين إن قلت إلا حقاً ، قالت عائشة : لا قلتُ إلا حقاً . أشهد لقد لعن رسول الله ﷺ أباك ولعنك . وأنت الطريد

---

(١) العبارة في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٠ : ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل .

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٧ . في تفسير هذه الآية الكريمة : قال قتادة والسدي : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام ، ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عزَّ وجلّ عنه وكان هذا منه قبل إسلامه . وروي أن عائشة (رض) أنكرت أن تكون نزلت في عبد الرحمن . وقال الحسن وقتادة أيضاً : هي نعت عبد كافر عاق لوالديه . وقال الزجاج : كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه والله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القوم في أمم** ﴾ أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين فالصحيح نزلت في عبد كافر عاق لوالديه » قال القرطبي : أول الآية خاص وآخرها عام . وقد مضى من خبر عبد الرحمن في سورة الأنعام عند قوله « له أصحاب يدعونه إلى الهدى » ما يدل على نزول الآية فيه إذ كان كافراً وعند إسلامه فضله تعين أنه ليس المراد بقوله ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول** ﴾ . القرطبي ١٦ / ٩٧ - ٩٨ .

ابن الطريد ، أنت تكلم أخي عبد الرحمن بما تكلمه ! قال : فسكت مروان ولم يرد عليها شيئاً ، ورجعت عائشة إلى منزلها وتفرق الناس .

وكتب مروان إلى معاوية يخبره بذلك وبما كان من عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه فقال : عبد الرحمن شيخ قد خرف وقلّ عقله ، ويجب أن نكف عنه ونحتمل ما يكون منه ، فليس هذا من رأيه ولكن من رأي غيره ؛ قال : ثم تهيأ معاوية يريد الحج .

ذكر خبر معاوية في خروجه إلى الحج
ومما كان منه بمكة والمدينة إلى رجوعه

قال : فطلعت أثقال معاوية ورحل إلى المدينة ، فلما تقارب منها خرج الناس يلاقونه وفيمن خرج إليه عبد الرحمن بن أبي بكر(١) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي ؛ فلما نظر إليهم قطب في وجوههم ثم قال(٢) : ما أعرفني مفهمكم وطيشكم ، فقال له الحسين : مهلاً يا معاوية ! فلسنا لهذه المقالة بأهل ، فقال : بلى والله وأشد من هذا القول وأغلظ ! فإنكم تريدون أمراً والله يأبى ما تريدون .

قال : ثم دخل إلى المدينة فنزلها ، وأقبل إليه الناس مسلّمين ، وجعل كل من دخل إليه مسلماً شكى إليه هؤلاء الأربعة ؛ ثم جاءوا ليدخلوا عليه فلم يأذن لهم ، فتركوه ومضوا إلى مكة .

قال : وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال : من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش ! والله إني لأرى قوة ما يعيبونه ، وما ظنهم

---

(١) كذا بالأصل وابن الأثير والعقد الفريد والإمامة والسياسة . قال ابن الأثير أن ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر - وذلك سنة ٥٦ - لا يستقيم على قول من جعل وفاته سنة ٥٣ هـ . وقيل إنه مات سنة ٥٨ . قال ابن سعد مات سنة قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد (الإصابة - تهذيب التهذيب) .

(٢) في ابن الأثير ٢ /٥١١ فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس ، فلما نظر إليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً ، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه . قال : مهلاً فإني والله لست بأهل لهذه المقالة . قال : بلى ولشر منها .
(وخصص كلا من عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بمثل ذلك) .

بمقلعين ولا منتهين حتى[1] يصيبهم مني بوائق تخيب أصولهم فليرفع أولئك على ضلعهم من قبل أن تصيبهم مني فاقرة لا يقومون لها ، فقد أنذرت إن نفع الإنذار وبينت إن نفع البيان ؛ قال : ثم جعل يتمثل بهذه ويقول :

قد كنتُ حذّرتك آل المصطلق   وقلت يا عامر ذَرني[2] وانطلقْ
إنك إن كلّفتني ما لم أطق   ساءك ما سرّك مني من خلق
دونك ما استقيته فاحسن[3] وذق

قال : ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين[4] بن علي وقال : والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن !

قال : ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله ، وبلغ ذلك عائشة فأقبلت حتى دخلت مغضبة عليه وقالت : يا معاوية ! ما كفاك أنك قتلت أخي محمد بن أبي بكر وأحرقته بالنار حتى قدمت المدينة وأخذت بالوقيعة في أبناء الصحابة وأنت من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة وكان أبوك من الأحزاب ! فخبرني ما كان يؤمنك مني إن أبعث إليك من يقتلك بأخي محمد وآخذ بثأري ! قال فقال لها معاوية : يا أم المؤمنين ! أما أخوك محمد فلم أقتله ولم آمر بذلك ولكنه كان ينصر من جهز علي بن أبي طالب فوجهت إليهم معاوية بن خديج وعمرو بن العاص فحاربهما فقتلاه وفعلا به ما فعلا ولم يك ذلك عن رأيي ؛ وأما قولك تقتليني فإنني في بيت أمان . فقالت عائشة : لعمري أنت في بيت أمان ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن أختي عبد الله بن الزبير والحسين بن فاطمة ، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء ! فقال معاوية : مهلاً يا أم المؤمنين ! فهو أعز عليّ من بصري لكنني أخذت البيعة لابني يزيد ، وقد بايعه كافة المسلمين ، أفتريني أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهودهم ! فقالت عائشة : إني لا أرى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني ، إنهم لا يخالفونك ، وانظر لا يبلغني عنك أنك أسأت إلى أحد منهم فتلقى مني ما لا تحب ، واذكر المرجع إلى الله والمنقلب إليه .

---

(١) الكامل لابن الأثير : حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم .
(٢) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٢ : يا عمرو أطعني .
(٣) عند ابن الأثير : ما استسقيته فاحس .
(٤) بالأصل : الحسن خطأ .

فقال معاوية : أفعل ذلك يا أم المؤمنين وأنت أهل أن يسمع منك وتطاعي في كل ما تأمرين .

قال : فانصرفت عائشة إلى منزلها ، وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فأخبر أنهم قد مضوا إلى مكة ، فسكت ساعة يفكر في أمرهم ؛ ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه ، فلما دخل عليه قرب مجلسه ثم قال : يابن عباس ! أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا وأولاهم بمودتنا لأننا بنو عبد مناف وإنما باعد بيننا وبينكم هذا الملك ، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم يعترضوا عليهم ولم يظهروا لهم من المباعدة ، ثم قتل عثمان بين أظهركم فلم تغيروا ، ثم وليت هذا الأمر فوالله لقد قربتكم وأعطيتكم ورفعت مقداركم فما تزدادون مني إلا بعداً ، وهذا الحسين بن علي قد بلغني عنه هنات غيرها خير له منها ؛ فاذكروا علي بن أبي طالب ومحاربته إياي ومعه المهاجرون والأنصار ، فأبى الله تبارك وتعالى إلا ما قد علمتم ، أفترجون بعد علي مثله أم بعد الحسن مثله ؟ قال : فقطع عليه ابن عباس الكلام ثم قال : صدقت يا معاوية نحن بنو عبد مناف وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا ، وقد مضى أول الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنك صائر إلى ما تريد ؛ وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جود من عيب ؛ وأما قولك : ذهب عليّ أفترجون مثله ؟ فمهلاً يا معاوية رويداً لا تعجل ! فهذا الحسين بن عليّ حي وهو ابن أبيه ، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض ، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبي سواه . فقال معاوية : إني قد قبلت منك يابن عباس !

قال : ثم رحل معاوية إلى مكة ورحل معه كافة أصحابه وعامة أهل المدينة وفيهم عبد الله بن عباس ، حتى إذا قرب من مكة[1] خرج إليه أهلها فتلقوه كما فعل أهل المدينة وفيهم الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير ، فلما نظر إليهم قال : مرحباً وأهلاً ! ثم نظر إلى الحسين فقال : مرحباً بأبي عبد الله مرحباً بسيد شباب أهل الجنة ! ثم نظر إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : مرحباً بشيخ قريش وابن صديقها ! [ثم نظر إلى ابن عمر وقال : مرحباً بابن صاحب رسول الله ﷺ مرحباً بابن الفاروق ثم نظر إلى ابن الزبير فقال : مرحباً بابن حواري رسول

---

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٢ بالجرف . (وهو موضع بين المدينة ومكة) وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٢ : فلقوه ببطن مرّ .

الله ﷺ وابن عمته ! ثم قال معاوية : عليَّ يا غلام بأربعة من الظهر ! فـأتي بها ، فركبوا وساروا وسار معهم معاوية وجعل يحدثهم ويضاحكهم حتى دخل مكة ، ثم بعث إلى كل واحد منهم بصلة سنية وفضّل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة ، فلم يقبلها الحسين منه .

وأقام معاوية بمكة لا يذكر شيئاً من أمر يزيد ، ثم أرسل إلى الحسين فدعاه ، فلما جاءه ودخل إليه قرب مجلسه ثم قال : أبا عبد الله ! اعلم أني ما تركت بلداً إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد ، وإنما أخرت المدينة لأني قلت[1] هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه ، ثم إني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحداً هو أشد بها منهم ؛ ولو علمت[2] أن لأمة محمد ﷺ خير من ولدي يزيد لما بعثتُ له . فقال له الحسين : مهلاً يا معاوية ! لا تقل هكذا ، فإنك قد تركت من هو خير منه أماً وأباً ونفساً ، فقال معاوية : كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله ! فقال الحسين : فإن أردتُ نفسي فكان ماذا ؟ فقال معاوية : إذاً أخبرك أبا عبد الله ! أما أمك فخير من أم يزيد[3] ، وأما أبوك فله سابقة وفضل ، وقرابته من الرسول الله ﷺ ليست لغيره من الناس ، غير أنه قد حاكم أبوه أباك ، فقضى الله لأبيه على أبيك ، وأما أنت وهو فهو والله خير لأمة محمد ﷺ منك . فقال الحسين : من خير لأمة محمد ! يزيد الخمور الفجور ! فقال معاوية : مهلاً أبا عبد الله ! فإنك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلا حسناً ، فقال الحسين : إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيما أقول فيه ، فقال له معاوية : أبا عبد الله ! انصرف إلى أهلك راشداً واتق الله في نفسك واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته فإنهم أعداؤك وأعداء أبيك .

قال : فانصرف الحسين إلى منزله وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فأقبل ، فلما دخل وهمّ معاوية أن يتكلم[4] سبقه عبد الرحمن بالكلام وقال : والله يا

---

(١) الإمامة والسياسة : قلت : بيضته وأصله ، ومن لا أخافهم عليه .

(٢) الإمامة والسياسة : لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له .

(٣) في الإمامة والسياسة : ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش ، لكان لنساء قريش فضلهن ، فكيف وهي ابنة رسول الله (ص) ، ثم فاطمة في دينها وسابقتها ، فأمك لعمر الله خير من أمه .

(٤) في الإمامة والسياسة : « قال معاوية لعبد الرحمن . . . نحو ما قاله لعبد الله بن عمر » انظر مقالة معاوية لابن عمر ١ / ١٨٨ .

معاوية : لعل ودك أنا قد وكلناك إلى الله في أمر ابنك يزيد حتى تفعل ما تريد ! ولا والله لا نفعل ذلك أبداً أو لتردّن الأمر شورى بين المسلمين[1] ! فقال معاوية : أما والله ! إني لأعرف بك وبسفهك ولقد هممت أن أفعل كذا وكذا ـ أو كما قال ؛ فقال له عبد الرحمن : إذاً والله يا معاوية يدركك الله به في الدنيا ويدخر لك العقوبة في الآخرة . فقال معاوية : اللّهم اكفني أمر هذا الشيخ ! يا هذا ! اتق الله في نقل أن يسمعك أهل الشام ؛ فقال عبد الرحمن : أما نحن فقد اتقينا الله فذرنا نقعد في منازلنا ولا تدعنا إلى بيعة يزيد الخمور ويزيد الفهود ويزيد القرود .

قال : ثم وثب عبد الرحمن بن أبي بكر مغضباً فصار إلى منزله وأرسل معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فدعاه وقال : يا عبد الله ! عهدي بك وأنت تكره الفرقة وتقول : ما أحب أن أبيت ليلة وليس عليّ أمير ، وإني أحذرك أن تشق العصا أو[2] أن تسعى في الأرض الفساد ، وإن الناس قد استوسقوا وبايعوا ابني يزيد غيركم أيتها الرهط فقال له عبد الله[3] : يا معاوية ! أما من كان من قبلك أئمة ولهم أبناء وليس ابنك بأفضل من أبنائهم غير أنهم اختاروا لأنفسهم الخيار حيث أنهم علموه ، وقد حذرتني الشقاق ولم أكن شاقاً لأحد غير أني سمعتك تذكر بيعة قد سبقت وعهداً قد أكد وليس لك عندي خلاف ، فإذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف ، وإن تفرقوا فإني متوقف حتى يجتمعوا على رجل فأكون كواحد من المسلمين ، فقال له معاوية : نعم ما قلتَ يابن عمر ، قم واحذر أهل الشام .

قال : ثم دعا ابن الزبير ، فلما دخل ونظر إليه معاوية تبسم ثم قال : [ثعلب][4] رواغ ، كلما سد عليه جحر خرج من آخر ، يابن الزبير ! إنك قد عهدت إلى هؤلاء الثلاثة فنفخت في مناخيرهم وحملتهم على غير رأيهم ، وذلك أن الناس قد استوسقوا في هذه البيعة غيركم أيها النفر ، فاتق الله يابن الزبير ! ولا تكن مشاقاً قاطعاً ؛ فقال عبد الله بن الزبير : والله ما فيّ شقاق يا معاوية ، فلا تبن فينا

(١) زيد في الإمامة والسياسة : أو لأعيدنها جذعة .

(٢) العبارة في الإمامة والسياسة ١ / ١٨٧ وتسعى في تفريق ملئهم ، وأن تسفك دماءهم ، وأن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ، وليس للعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكد الناس بيعتهم في أعناقهم ، وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم .

(٣) بالأصل : عبد الرحمن ، خطأ .

(٤) زيادة عن الإمامة والسياسة ١ / ١٨٨ .

أساساً لنفسك ، والزم ما كان عليه السلف الصالح من أخيار المسلمين ، ولا يكن الأمر إلا بشورى بينهم ، فإن الإسلام يرد على موارده ؛ فإن أبيت ذلك وقد مللت[1] هذا الأمر فاعتزل وهات ابنك حتى نبايعه ، واعلم يا معاوية أن خلافة الله في أرضه وخلقه وخلافة رسول الله ﷺ في أمته عظيمة ، وأن الله تبارك وتعالى عنهما مُسائلك ، والذي يحاجك في القيامة غداً رسوله ﷺ فانظر لنفسك يا معاوية قبل أن ينظر لها سواك . فقال معاوية : يا هذا[2] ! أمسك عليك لسانك واحذر أهل الشام ، فإذا خلوت بي فقل ما أحببت فإني محتمل لك .

قال : فانصرف عبد الله بن الزبير إلى منزله ، وأقام معاوية في مكة أياماً ، ثم أمر لقريش بجوائز ولم يأمر لبني هاشم بشيء ، فكلمه ابن عباس في ذلك[3] وقال : إنك قد أعطيت بطون قريش الأموال ولم تعط بني هاشم فلِمَ ذلك يا معاوية ؟ فقال معاوية : لأن صاحبكم الحسين بن علي أبى عليَّ أن يبايع يزيد ؛ فقال ابن عباس : إنه قد أبى غير الحسين فأعطيته فقال معاوية : صدقت يابن العباس ! ولستم عندي كغيركم ؛ فقال ابن عباس : والله لئن لم تفعل وترض بني هاشم لألحقن بساحل من سواحل البحر ثم لأنطقن بما تعلم ولأتركن الناس عليك خوارج . قال : فتبسم معاوية وقال : بل يعطون ويكرمون ويزادون أبا محمد ! قال : ثم أمر معاوية لبني هاشم بجوائز سنية ، فكلٌ قبل جائزته إلا الحسين بن عليّ ، فإنه لم يقبل من ذلك شيئاً .

حتى إذا أراد معاوية الخروج عن مكة أمر بالمسير ، فقرب من الكعبة ثم أرسل إلى الحسين وابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير فأحضرهم إلى مجلسه ، ثم أقبل عليهم فقال : إنكم قد علمتم نظري لكم وصلتي أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا بعد ذلك أنتم الذين تأمرون وتنهون[4] . فقال له ابن الزبير : يا معاوية ! إنا نخيرك خصالاً ثلاثاً[5] فاختر منها

---

(١) عن الإمامة والسياسة ، وبالأصل : ملكت .

(٢) الإمامة والسياسة : ما أراك إلا قاتلاً نفسك ، ولكأني بك قد تخبطت في الحبالة .

(٣) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٥١٣ والإمامة والسياسة ١ / ١٩٠ أن هذا تم بعدما بايعه أهل المدينة وانصرف عائداً إلى الشام . وأن ابن عباس قد لحقه إلى الروحاء .

(٤) زيد في الكامل لابن الأثير : وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك . . . فسكتوا . فقال : ألا تجيبون ؟ مرتين .

وكان هؤلاء النفر ـ وبعد الجوائز والتقديمات التي منحهم إياها معاوية ـ قد قالوا بعضهم لبعض : لا =

أيتهن شئت فهي لك صلاح[1] . قال معاوية : وما ذاك يابن الزبير ؟ قال : إن شئت فاصنع كما صنع رسول الله ﷺ ، إنه خرج من الدنيا ولم يستخلف ، ثم اختار الناس من بعده أبا بكر الصديق فجعلوه خليفة ، فافعل أنت ذلك إلى أن يقضي الله فيك أمره فيختار الناس لأنفسهم كما اختاروا أبا بكر ؛ فقال معاوية : إنه ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر ، وإني لا آمن عليكم الاختلاف . قال ابن الزبير : فاصنع كما صنع أبو بكر ، إنه ترك ولده ورهطه الأدنين[2] ممن كان للخلافة أهلاً وعهد إلى رجل من قاصية قريش[3] فجعلها في عمر بن الخطاب ، فجنبها أنت أيضاً ابنك واجعلها فيمن شئت من قريش ما خلا بني عبد شمس . وإن شئت فاصنع كما صنع عمر بن الخطاب ، أنه جعلها شورى في ستة نفر من الصحابة[4] يختارون لأنفسهم رجلاً وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً . فقال معاوية : فهل من شيء غير هذا يابن الزبير ؟ فقال : ما عندي لها رابعة .

فقال معاوية للثلاثة الباقية : ما تقولون أنتم ؟ فقالوا : نحن على ما قال ابن الزبير . قال معاوية : فإني أريد أن أرحل عن مكة غير أني عزمت أن أتكلم على المنبر بكلام[5] والمبقي في ذلك الوقت إنما يبقي على نفسهْ من أهل الشام وأنتم أعلم ، وقد أعذر من أنذر . قال : فانصرف القوم إلى منازلهم .

فلما كان من الغد خرج معاوية وأقبل حتى دخل المسجد ، ثم صعد المنبر فجلس عليه ، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه ، وأقبل الحسين بن علي وابن أبي

= تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه إلا لما يريد . فأعدوا له جواباً فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير .

(٥) بالأصل : ثلاثة .

(١) العبارة في تاريخ خليفة ص ٢١٦ : أيها ما أخذت فهو لك رغبة .

(٢) الأدنون : أقرب العشيرة نسباً .

(٣) زيد في ابن الأثير : ليس من بني أبيه فاستخلفه .

(٤) في ابن الأثير : ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه .

(٥) العبارة في ابن الأثير ٢ / ٥١٣ وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجل إلا على نفسه .
ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف ، فإن ذهب رجل منهم يرد عليّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما . (انظر أيضاً العقد الفريد ٤ / ٣٤٨) .

بكر وابن عمر وابن الزبير حتى جلسوا إلى المنبر ومعاوية جالس ، حتى علم أن الناس قد اجتمعوا وثب قائماً على قدميه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار ، وإنهم قد زعموا أن الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير لم يبايعوا يزيد ، وهؤلاء الرهط الأربعة هم عندي سادة المسلمين وخيارهم ، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذاً سامعين مطيعين ، وقد سلموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا[1] .
قال : فضرب أهل الشام بأيديهم إلى سيوفهم فسلوها ثم قالوا : يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذي تعظمه من أمر هؤلاء الأربعة ؟ ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فإنا لا نرضى أن يبايعوا سراً ولكن يبايعوا جهراً حتى يسمع الناس أجمعون ، فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس بالشر وما أحلى بقاءهم عندهم ! اتقوا الله يا أهل الشام ولا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن القتل له مطالبة وقصاص .

قال : فبقي الحسين بن علي وابنُ أبي بكر وابن عمر وابن الزبير حيارى لا يدرون ما يقولون ، يخافون إن يقولوا : لم نبايع ، الموت الأحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام أو وقوع فتنة عظيمة فسكتوا ولم يقولوا شيئاً[2] ، ونزل معاوية عن المنبر ، وتفرق الناس وهم يظنون أن هؤلاء الأربعة قد بايعوا . قال : وقربت رواحل معاوية فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام .

قال : وأقبل أهل مكة إلى هؤلاء الأربعة فقالوا لهم : يا هؤلاء ! إنكم قد دعيتم إلى بيعة يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك ، ثم دعيتم فرضيتم وبايعتم ! فقال الحسين : لا والله ما بايعنا ! ولكن معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به . ثم صعد المنبر وتكلم بكلام ، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعاً ولا ندري إلى ماذا يؤول أمرنا ، فهذه قصتنا معه .

---

(١) العبارة في العقد الفريد ٤ / ٣٤٨ : وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نبرم أمراً دونهم ، ولا نقضي أمراً عن مشورتهم، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا . (انظر الإمامة والسياسة ١ / ١٩٠) .

(٢) زيد في ابن الأثير ٢ / ٥١٣ : فبايع الناس ، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر .

ذكر انصراف معاوية عن مكة وما يلي به من سفره من المرض وخبر وفاته

قال : ثم رحل معاوية ، فلما صار بالأبواء[1] ونزلها قام في جوف الليل لقضاء حاجته فاطلع في بئر الأبواء ، فلما اطلع فيها اقشعر جلده وأصابته اللقوة في وجهه[2] فأصبح لما به ؛ فدخل عليه الناس يعزونه ويتوجّعون له مما قد نزل به ، فقال : أيها الناس ! إن المؤمن ليصاب بالبلاء فإما معاقب بذنب وإما مبتلى ليؤجر ، وإن ابتليت فقد ابتلى الصالحون من قبلي ، وأنا أرجو أن أكون منهم ، وإن مرض مني عضو فذلك بأيام صحتي وما عوفيت أكثر ، ولئن أعطيت حكمي فما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني لأني اليوم ابن بضع وسبعين[3] ، فرحم الله عبداً نظر إليّ فدعا لي بالعافية ، فإني وإن كنت غنياً عن خاصتكم لقد كنت فقيراً إلى عامتكم . قال : فدعا الناس له بخير وخرجوا من عنده .

وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به ، فقال له مروان بن الحكم : أجزعاً يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا يا مروان ! ولكني ذكرت ما كنت عنه عزوفاً ثم إني بليت في أحسني وما ظهر للناس مني ، فأخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان مني من دفعي بحق علي بن أبي طالب ، وما فعلت بحجر بن عدي[4] وأصحابه ، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي .

قال : ثم رحل معاوية عن ذلك المكان حتى صار إلى الشام ، فدخل إلى منزله واشتد عليه مرضه . وكان في مرضة يرى أشياء لا تسره حتى كأنه ليهذي هذيان المدنف[5] وهو يقول : اسقوني اسقوني ! فكان يشرب الماء الكثير فلا يروى . وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين ، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلى صوته : ما لي

---

(١) الأبواء : جبل على يمين آرة ، ويمين الطريق المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) في الطبري : وكان به النفاثات . وفي ابن الأثير ٢ / ٥٢٤ التفاتات .

(٣) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٩ ابن سبع وسبعين سنة ، ويقال : ثمانين سنة .

(٤) وكان زياد بن أبيه قد أخذ حجر بن عدي وجماعة من أصحابه ـ ثلاثة عشر رجلاً ـ وأشخصهم إلى معاوية وكتب إليه أن خالفوا الجماعة وزروا على الولاة وأنفذ شهادات قوم عليهم بذلك فقتل معاوية حجراً وستة آخرين وذلك في سنة ٥٢ هـ . (الطبري ـ ابن الأثير ـ اليعقوبي) .

(٥) قال مرة : كم بيننا وبين الغوطة ؟ فصاحت بنته : واحزناه ! فقال : إن تنفري فقد رأيت منفراً (الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٢٥) .

وما لك يا حجر بن عدي ! ما لي وما لك يا عمرو بن الحمق ! ما لي وما لـك يابـن أبي طالب ! إن تعاقب فبذنوبي وإن تغفر فإنك غفور رحيم .

قال : وابنه يزيد في خلال ذلك لا يفارقه ، ومعاوية يتململ على فراشه وينظر إلى أهله وولده ويقول :

لقـد سعيتُ لكم من سَعي ذي نَصَبٍ وقـد كفيتُكم التـطواف والـرِّحـلا[1]

ثم أغمي عليه ، فقالت امرأة من قريش : مات أمير المؤمنين ، قال : ففتح معاوية عينيه وجعل يقول :

فإن مات[2] مات الجودُ وانقطع النَدى مـن النـاس إلا مـن قـليـل مـصـرَّدِ
ورُدَّتْ أكفّ الســائلين فـأمسكـوا[3] من الـدين والـدنيـا بخلفٍ مجـدّد[4]

قال : ثم جعل معاوية يضرب بيده إلى تعويذ كان في عنقه فقطعه ورمى به ، وجعل يقول :

وإذا المنيّـةُ أنشبت أظفـارهـا ألفيتَ كـل تميمـة لا تنفـعُ[5]

فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ! عجل عليٍّ بالبيعة قبل موتك فقد أزف الأمر ، فإنك إن لم تذكر البيعة لي خشيت أن ألقى من آل تراب مثل ما لقيت . قـال : ومعاوية ساكت لا يتكلم بشيء .

فلما كان من غد يوم الأربعاء دعا معاوية بوزرائه وقواده وخاصته وأهل بيته ،

---

(١) البيت في الطبري ٦ / ١٨٢ وابن الأثير ٢ / ٥٢٥ والمعمرين ص ١٥٩ وعجزه فيه : وقد كفيتكم الترحال والنصبا .
(٢) الطبري ٦ / ١٨٢ ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ إذا مت .
(٣) الطبري وابن الأثير : وأمسكوا .
(٤) بالأصل : « محمد » وما أثبتناه عن الطبري .
والبيتان للأشهب بن رميلة (زميلة) النهشلي يمدح بهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع .
(٥) وقبله في ابن الأثير :
وتـجـلدي لـلـشـامـتـيـن أريـهـم أني لـريـب الـدهـر لا أتضعضـع
والبيتان لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوانه ١ / ٣٨ .

فأحضرهم مجلسه ثم أمر الحاجب أن لا يحجب عنه الناس . قال : فجعل الناس يدخلون ويسلمون فينظرون إليه ثقيلاً مدنفاً ، فيخرجون إلى الضحاك بن قيس الفهري وهو صاحب شرطته فيقولون : ذهب والله أمير المؤمنين ، وكأنّ البيعة من بعده تخرج من آل أبي سفيان إلى آل أبي تراب ، لا والله لا نرضى بذلك أبداً .

قال : ثم اجتمع الناس إلى الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فقالوا[1] : إنما أنتما صاحبا أمير المؤمنين ، وقد حضره من الأمر ما قد علمتما[2] ، ادخلا إليه ولقناه واسألاه أن يوصي إلى ابنه يزيد فإنه لنا رضى . قال : فعندها بادر الضحاك ومسلم بن عقبة فسألاه عن نفسه ، فقال معاوية : أصبحت والله ثقيل الوزر ، عظيم الذنب ، أرجو رباً رحيماً ، وأخشى عذاباً أليماً . فقال له الضحاك : يا أمير المؤمنين ! إن الناس قد اضطربوا وضجّوا واختلفوا شرعة هذه وأنت حي فكيف وإن حدث بك أمر ! فماذا ترى أن يكون حال الناس ؟ قال : ثم تكلم مسلم بن عقبة فقال : يا أمير المؤمنين ! إنا نرى الناس ونسمع كلامهم ، ونرى أن الأمر في يزيد وهو أهم له وهو لهم رضى ، فبادر إلى سمعته من قبل أن يعتقل لسانك . فقال : صدقت يا مسلم ! إنه لم يزل رأيي من يزيد وهل تستقيم الناس لغير يزيد ، ليتها في ولدي وذريتي إلى يوم الدين ، وأن لا تعلو ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان ! ولكن أخّروا لي هذا الأمر إلى غد ، فهذا يوم الأربعاء وهو يوم ثقيل ويوم نحس لا يبرم فيه أمر إلا كان عاقبته شراً . فقال الضحاك : يا أمير المؤمنين ! إن الناس مجتمعون بالباب وليس يجوز أن ينصرفوا دون أن تعقد البيعة ليزيد . قال معاوية : فأدخلا إليّ إذاً الناس .

قال : فخرجا واختارا سبعين رجلاً من صناديد قريش وأهل الشام ، فلما دخلوا على معاوية سلموا فرد عليهم السلام رداً ضعيفاً ثم قال : يا أهل الشام ! كيف رضاكم عني ؟ فقالوا : خير الرضى يا أمير المؤمنين ! لقد كنت لنا أباً رؤوفاً وكهفاً منيعاً ، وأخذ كل منهم بفرضه وأثنى عليه خيراً ؛ ثم انهم سبوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا فيه القبيح ، وقالوا : إنه سار إلينا من العراق فقتل سراتنا وأباد حضّارانا ولسنا نحب أن تصير الخلافة إلى ولده ، فاجعلها في ولدك يزيد فإنه لنا رضى ولجميع

(١) الأصل : فقالا .
(٢) الأصل : علمتم .

المسلمين ، ومن مال عنه برأسه في بيعته ملنا عليه بسيوفنا ، هكذا وجدنا بأنفسنا دون نفسه .

قال : فسر معاوية بما سمع من كلام أهل الشام ونشط لذلك ، ثم استوى جالساً وأمر بجميع من على الباب من الناس بالدخول عليه ، فدخلوا حتى غصت الدار بهم ، فأقبل عليهم معاوية بوجهه ثم قال : أيها الناس ! إنكم قد علمتم أن كل شيء في هذه الدنيا فإلى زوال وقد حضرني من القضاء المحتوم ما ترون ، فسلوني من تحبون أن أولي عليكم ! فقالوا بكلمة واحدة : إنا قد رضينا بابنك يزيد ، فوله عهدك فهو الرضى لنا . فقال معاوية : إني قد سمعت إذاً كلامكم غير أني قادم على رب رحيم لا يتعاظمه ذنب أو يغفره ، وإنه يسألني عن الصغير والكبير ، فسلوني ما تحبون أن أولي عليكم ! قال : فضج الناس بأجمعهم وقالوا : نريد أن تولي علينا يزيد ، فنعم الخلف والمستخلف .

قال : فعندها قال معاوية للضحاك : بايع ليزيد ، فبايع الضحاك وبايع مسلم بن عقبة ، وأمر الناس بالبيعة حتى بايع الناس أجمعون . ثم خرجوا وأمر معاوية لابنه يزيد أن يلبس ثياب الخلافة ويخرج إلى الناس فيصعد المنبر ويخطب .

قال : فخرج يزيد وعلى رأسه عمامة معاوية ومعه سيفه وخاتمه وقد لبس قميص عثمان الذي قتل عثمان فيه ملطخاً بالدم حتى صعد المنبر ، فلم يزل يخطب ويتكلم إلى أن انتصف النهار ؛ ثم نزل عن المنبر وقد بايعه الصغير والكبير ، فدخل على أبيه معاوية ومعاوية في غشيانه وكربه لا يعقل يومه ذلك شيئاً من أمره حتى مضى من الليل ما مضى ، فلما أفاق من غشوته وفتح عينيه ونظر إلى ولده يزيد عند رأسه فقال له : ما صنعت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! قد بايعني الناس ودخلوا في طاعتي فرحين مسرورين . قال : فدعى معاوية بالضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة فقال لهما : أخرجا ما في وسادتي ! فأخرجا كتاباً كتب فيه معاوية بخطه قبل ذلك .

ذكر الكتاب والعهد إلى يزيد

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهده معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد ، انه قد بايعه وعهد إليه ، وجعل له الخلافة من بعده ، وأمره بالرعية والقيام بهم والإحسان إليهم ، وقد سماه « أمير المؤمنين » ، وأمره أن يسير بسيرة أهل العدل

والإنصاف ، وأن يعاقب على الجرم ويجازي على الإحسان ، وأن يحفظ هذا الحي من قريش خاصة ، وأن يبعد قاتلي الأحبة ، وأن يقدم بني أمية وآل عبد شمس على بني هاشم ، وأن يقدم آل المظلوم المقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفان على آل أبي تراب وذريته ، فمن قرىء عليه هذا الكتاب وقبله حق قبوله وبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية فمرحباً به وأهلاً ، ومن تأبى عليه وامتنع فضرب الرقاب أبداً حتى يرجع الحق إلى أهله ـ والسلام على من قرىء عليه وقبل كتابي هذا ـ .

قال : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الضحاك بن قيس وقال : انظر إذا أصبحت أن تصعد المنبر وتقرأ هذا الكتاب على الصغير والكبير وتسمع مقالهم . فقال الضحاك : إني فاعل ذلك غداً إن شاء الله .

قال : ثم أقبل معاوية على يزيد فقال : يا بني ! خبّرني الآن ماذا أنت صانع بهذه الأمة ! أتسير فيهم بسيرة أبي بكر الصديق الذي قاتل أهل الردة وقاتل في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إني لا أطيق أن أسير بسيرة أبي بكر الصديق ، لكني آخذ الرعية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . قال : يا بني ! أتسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب الذي مصّر الأمصار وفتح الديار وجنّد الأجناد وفرّض الفروض ودوّن الدواوين وجبى الفيء وجاهد في سبيل الله حتى مضى والناس عنه راضون ؟ فقال يزيد : لا يتهيأ لي أن أصنع كما صنع عمر ، ولكني آخذ الناس بكتاب الله والسنة . فقال معاوية : يا بني ! أتسير فيهم بسيرة ابن عمك عثمان بن عفان الذي أكلها في حياته وورثها بعد مماته واستعمل أقاربه ؟ فقال يزيد : قد خبرتك يا أمير المؤمنين أن الكتاب بيني وبين هذه الأمة ، به أطالبهم وعليه أقاتلهم . قال : فتنفس معاوية الصعداء ، وقال : إني من أجلك آثرت الدنيا على الآخرة ودفعت حق علي بن أبي طالب وحملتُ الوزر على ظهري ، وإني لخائف أن لا تقبل وصيتي فتقتل خيار قومك ثم تعدو على حرمة ربك فتقتلهم بغير الحق ثم يأتيك اليوم بغتة فلا دنيا تصيب ولا آخرة تحب ؛ يا بني ! إني جعلت هذا مطمعاً لك ولولدك من بعدك وإني موصيك بوصية فاقبلها فإنك تحمد عاقبتها ! كن حازماً صارماً ، انظر إن تأتك نائبة تثب وثوب الشهم البطل ، ولا تجبن جبن الضعيف الوكل ؛ فإني قد كفيتك الجدّ الترحال[1] ، وجوامع الكلام والمنطق ونهاية البلاغة ، ودفع المؤنة وسهولة

(١) في الطبري ٦ / ١٧٩ الرحلة والترحال . وفي ابن الأثير ٢ / ٥٢٣ الشد والترحال .

الحفظ ، ولقد وطأت لك يا بني البلاد[1] ، وذللت لك رقاب[2] العرب الصعاب ، وأقمت لك المنار وسهلت لك السبل ، وجمعت لك اللُّجَيْن والعِقْيان ، ومهدت لك الملك من بعدي تمهيداً ، فعليك يا بني من الأمور ما قرب مأخذه وسهل مطلبه ، وذر عنك ما اعتاص عليك ، واعلم يا بني أن سياسة الخلافة لا تتم لك إلا بثلاث : بجأش ربيط ، وكف أذى ، وخلق رحيب ، وثلاث أخر : علم ظاهر ، وخلق طاهر ، ووجه طلق ؛ ثم تردف ذلك بعشر أخر : بالصبر ، والأناة ، والتودد ، والوقار ، والسكينة ، والمروءة الظاهرة ، والشجاعة ، والسخاء ، والاحتمال للرعية بما تحب وتكره ؛ ولقد علمت يا بني أني كنت في أمر الخلافة خائفاً شبعاً يشهى شهواناً أصبح عليها جزعاً وأمسى هلعاً ، حتى أعطاني الناس ثمرة قلوبهم وبادروا إلى طاعتي ؛ فادخل يا بني من هذه الدنيا في حلالها واخرج من حرامها ، وأنصف الرعية واقسم فيئهم فيهم بالسوية ؛ واعلم يا بني أني أخاف عليك من هذه الأمة أن تنازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده ، وخصوصاً أربعة نفر من قريش ، منهم عبد الرحمن بن أبي بكر[3] وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وشبيه أبيه الحسين بن علي ، فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه إذا صنع أصحابه شيئاً صنع مثلهم وإن لم يصنعوا أمسك ، وهو رجل همه النساء[4] ولذة الدنيا ، فذره يا بني وما يريد ولا تأخذ عليه في شيء من أمره فلقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمة وقد يرعى ذمام الوالد في ولده . وأما عبد الله بن عمر فإنه[5] رجل صدق قد توحش من الناس وآنس

---

(١) الطبري : الأشياء ، وابن الأثير : الأمور .

(٢) الطبري : وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب .

(٣) كذا بالأصل والطبري ٦ / ١٧٩ والأخبار الطوال ص ٢٢٦ وابن الأثير ٢ / ٥٢٣ ، وقد ذكر في الوصية هنا عبد الرحمن بن أبي بكر. نقول: ثمة من قال أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات بعد زياد بن أبيه سنة ٥٣ . والأكثر على أنه مات سنة ٥٨ بمكة وكان موته موت فجأة من نومة نامها بمكان على عشرة أميال من مكة فحمل إليها ودفن بها . وقال ابن سعد : مات سنة قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد (الإصابة ـ تهذيب التهذيب) هذا يحتمل أن تكون الوصية ـ العهد ـ قد كتب قبل وفاة معاوية وبعد قدومه مباشرة من المدينة .
وفي الطبري ٦ / ١٨٠ أيضاً نص مقارب لما ذكر هنا ولم يذكر فيه عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكذلك في البداية والنهاية ٨ / ١٢٣ والبيان والتبيين ٢ / ١١٦ والعقد الفريد ٤ / ٧٩ و ٣٤٩ . وهو الصواب على كل حال .

(٤) الطبري : النساء واللهو .

(٥) الأخبار الطوال : فإنه رجل قد وقذته العبادة ، وليس بطالب للخلافة إلا أن تأتيه عفواً .

إلى العبادة ورضي بالوحدة ، فترك الدنيا وتخلى منها فهو لا يأخذ منها شيئاً ، وإنما تجارته من هذه الدنيا كتجارة أبيه عمر بن الخطاب ؛ فأقرئه مني السلام وتعاهده بالعطاء الموفر أفضل تعاهد . وأما عبد الله بن الزبير فما أخوفني أنك تلقى منه عتباً ! فإنه صاحب خلل في القول وزلل في الرأي وضعف في النظر ، مفرط في الأمور مقصر في الحقوق ، وإنه سيحثو[1] لك كما يحثو الأسد في عرينه ويراوغك رواغ[2] الثعلب ، فإذا[3] أمكنه منك فرصة لعب بك كيف شاء ؛ فكن له يا بني كذلك ، واجزه صاعاً بصاع ، واحذه حذو النعل إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة وبتوبة فأقمه على ما يريد . وأما الحسين بن علي فأوّه أوّه يا يزيد ! ماذا أقول لك فيه ! فاحذر أن لا يتعرض لك ومدّ له حبلاً طويلاً وذره يضرب في الأرض حيث شاء ولا تؤذه ، ولكن ارعد له وابرق ، وإياك والمكاشفة له في محاربة سل سيف أو محاربة طعن رمح ، ثم أعطه ووقره وبجّله ، فإن جاء أحد من أهل بيته فوسّع عليهم وأرضهم فإنهم أهل بيت لا يرضيهم إلا الرضى ، ولا يسعهم إلا المنزلة الرفيعة ؛ وإياك يا بني أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين ؛ فإن ابن عباس حدثني فقال : إني حضرت رسول الله ﷺ وهو في السياق وقد ضم الحسين بن علي إلى صدره وهو يقول : هذا من أطائب أرومتي وأنوار عترتي وخيار ذريتي ، لا بارك الله فيمن لا يحفظه بعدي ! قال ابن عباس : ثم أغمي على النبي ﷺ ساعة ثم أفاق وقال : يا حسين ! إن لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربي وخصومة ، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصيماً لمن قتلك يوم القيامة . يا بني ! هذا حديث ابن عباس ، وأنا أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه قال : أتاني جبريل يوماً فخبرني وقال : يا محمد ! إن أمتك ستقتل ابنك حسيناً وقاتله لعين هذه الأمة ، ولقد لعن النبي ﷺ يا بني قاتل الحسين مراراً ، فانظر لنفسك ثم انظر أن لا يتعرض له بأذية ، فحقه والله يا بني عظيم ، ولقد رأيتني كيف كنت أحتمله في حياتي وأضع له رقبتي وهو يواجهني بالكلام الذي يمضني ويؤلم قلبي ، فلا أجيبه ولا أقدر له على حيلة ، فإنه بقية أهل الأرض في يومه هذا ، وقد أعذر من أنذر .

قال : ثم أقبل [على] الضحّاك ومسلم بن عقبة فقال لهما معاوية : أشهدا

(١) الطبري : يجثم لك جثوم الأسد .

(٢) الطبري وابن الأثير : مراوغة . الأخبار الطوال : روغان .

(٣) عبارة الأخبار الطوال : فإن فعل وظفرت به ، فقطعه إرباً إرباً إلا أن يلتمس منك صلحاً

على مقالتي هذه ، فوالله إن فعل بي الحسين كل ما يسوءني لاحتملته أبداً ولم يكن الله يسألني عن دمه ، أفهمت عني ما أوصيتك به يا يزيد[1] ؟ فقال : فهمتُ يا أمير المؤمنين . ثم قال معاوية : انظر في أهل الحجاز فهم أصلك وفرعك ، فأكرم من قدم عليك منهم ومن[2] غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم ؛ وانظر أهل العراق فإنهم لا يحبونك أبداً ولا ينصحونك ولكن دارهم مهما أمكنك واستطعت ، وإن سألوك على كل يوم أن تعزل عنهم عاملاً فافعل ، فإن عزل عامل واحد هو أيسر وأخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ؛ وانظر يا بني أهل الشام فإنهم بطانتك وظهارتك وقد بلوتهم واختبرتهم فهم صبر عند اللقاء حماة في الوغى ، فإن رابك أمر من عدو يخرج عليك فانتصر بهم ، فإذا أصبت منهم حاجتك فارددهم[3] إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت الحاجة إليهم .

قال : ثم تنفس معاوية الصعداء وغشي عليه طويلاً ، فلما أفاق قال : آوَّهْ آوهُ ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾[4] . ثم جعل يقول :

إن تُناقش يكن نقاشك يا ر بّ عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تُجاوِز فأنت ربّ رحيم[5] عن مسيء ذنوبه كالتراب

قال : ثم التفت إلى أهل بيته وقرابته وبني عمه فقال : اتقوا الله حق تقاته ، فإن تقوى الله جُنة حصينة ، وويل لمن لم يتق الله ! ويخاف عذابه وأليمْ عقابه . ثم قال : اعلموا أني كنت بين يدي النبي ﷺ ذات يوم وهو يقلم أظفاره فأخذت من قلامته فجعلتها في قارورة فهي عندي ، وعندي أيضاً شيء من شعره ، إذا أنا مُتّ وغسلتموني وكفنتموني فقطّعوا تلك القلامة فاجعلوها في عيني ، واجعلوا الشعر في

(١) كذا بالأصل والأخبار الطوال ص ٢٢٦ وفيه أن معاوية سلم الكتاب الوصية إلى الضحاك وكان يزيد غائباً في فترة مرضه « ثم قدم يزيد عليه ، فأعاد عليه هذه الوصية ، ثم قضى » وثمة إجماع على أن يزيد لم يرجع إلا وقد مات معاوية فقرىء عليه الكتاب ـ الوصية (الطبري ٦ / ١٨٠ ابن الأثير ٢ / ٥٢٤ البيان والتبيين ٢ / ١١٥) .

(٢) الطبري : وتعاهد . الأخبار الطوال : ويتعهد من غاب عنه من أشرافهم .

(٣) الأخبار الطوال : وألا يطيل حبسهم في غير شامهم ، لئلا يجروا على أخلاق غيرهم .

(٤) سورة الإسراء الآية ٨١ .

(٥) في ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ صفوح .

فمي وأذني[١] ، وصلوا عليّ وواروني في حفرتي وذروني وربي فإن ربي رؤوف رحيم . قال : ثم انقطع كلامه فلم ينطق بشيء ؛ وخرج يزيد من يومه ذلك إلى موضع يقال له حُوّارين[٢] الثنية مقتصداً للصيد وقال للضحاك بن قيس : انظر لا تخفِ عليّ شيئاً من أمر أمير المؤمنين .

قال : وتوفي معاوية من الغد وليس يزيد بحضرته ، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وتوفي بدمشق يوم الأحد لأيام خلت من رجب ست ستين ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ـ والله أعلم[٣] . فأنشأ الأحوص بن محمد الأنصاري يقول :

يا أيها الرجل المرحَّل بالضَّنَى[٤] ... وهو الكبير له إذاً تظليلُ
قدّم لنفسك قبل موتك صالحاً ... واعلم فليس إلى الخلود سبيل
إن الحمام لطالب لك لاحق ... والموت ربع مقامه محلول
لا بدّ من يوم لكل معمّر ... فيه لعده[٥] عليه بل ترحيل
والناس إرسال إلى أمد لهم ... يمضي لهم جيل ويخلف جِيْل
إن امرءاً أمِن الزّمانَ وقد رأى ... غِيَرَ الزمانِ وزيّه لجهول
أودى ابن هند وهو في ذي عبرة ... أما اعتبرت لمن به معقول
ملك تدين له الملوك مبارك ... كادت لمهلكه الجبال تزول
تجبى له بلخ ودجلة كلها ... وله الفرات وما سقى والنيل
والشام أجمعها له وبلادها ... فيها قبائل دجلة وخيول
يمايل ما إن تظن لملكه[٦] ... عنه ولا لنعيمه تحويل
وبكل أرض عوده من عروة ... حصن لحرب أو دم مطلولُ

---

(١) الطبري ٦ / ١٨٢ : أن رسول الله (ص) كساني قميصاً . . . فإذا متّ فالبسوني ذلك القميص ، وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها في عيني وفي فيّ فعسى الله أن يرحمني ببركتها .

(٢) حوارين : موضع من تدمر على مرحلتين ، وحوارين من قرى حلب ، وقيل في حوارين حصن من ناحية حمص . والأصل : حورارة وما أثبتناه عن الطبري وابن الأثير . .

(٣) في مدة خلافته وعمره اختلاف انظر في ذلك الطبري ٦ / ١٨٠ ، مروج الذهب ٣ / ٣ تاريخ خليفة ص ٢٢٦ ابن الأثير ٢ / ٥٢٤ ، الأخبار الطوال ٢٢٦ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٨ الاستيعاب ترجمة ٤٩٧٧ الإصابة ترجمة ٨٠٧٤ أسد الغابة ومآثر الانافة ١ / ١٠٩ .

(٤) الأصل : الصبي .

(٥) كذا بالأصل ، لعله : يعوده .

(٦) كذا ، والوزن غير مستقيم .

يقضي فــلا خـرق ولا متتعتــع   لمقــالــة مــا قــال حين يقــول
لــو أنــه وزن الجبــال بحلمــه   يــومــاً إذاً لا ظــل وهي تميـل
فهـو الذي لـو كان حيـاً خالـداً   يـومـاً لكـان من المنـون بـديـل

قال : ثم خرج الضحاك بن قيس من دار معاوية لا يكلم أحداً والأكفان معه حتى دخل المسجد الأعظم ، فنودي له في الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[1] : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين معاويـة قد[2] شـرب كأسـه وهذه أكفانه ، ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه حفره[3] ، ومُخلّون بين عمله وبينه[4] ، فمن كان منكم يريد [أن] يشهده فليحضره بين الصلاتين ولا يقعد عن الصلاة عليه إن شاء الله .

(١) الطبري ٦ / ١٨٢ ابن الأثير ٢ / ٥٢٥ الأخبار الطوال ص ٢٢٦ .
(٢) الأخبار الطوال : عاش بقدر ومات بأجل .
(٣) الأخبار الطوال والطبري : قبره .
(٤) الأخبار الطوال : « ومخلون بينه وبين ربه » . وزيد في الطبري : ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة .

فهرس الجزء الثالث
من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الجزء الرابع
من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي

الموضوع ——— الصفحة

